

محمد السوادى



الرجل الذى تأمرت عليه

# الرجل الذي تأمرت عليه

قبل الثورة .. كنت - مثل كل مواطن - اقفو الى الثورة ..  
فلما اقفوها .. احسنت تلقيها ..  
ثم عدت .. فتشككت فيها ..  
ثم عدت .. فعدت عنها ..  
ثم عدت .. فرددت عنها ..  
ثم ولقت في الردء .. فكفرت بها ..  
ثم ولقت في الكفر .. حتى تأمرت على صانعيها ..  
ثم جاءت اسـمـو . . . . .

الولف

[ الطبعة الأولى ]

مترجم الطبع والنشر



## الاهتداء

- إلى كل من ضل .. صادق الضلالة ..  
وهو يحسب أنه يحسن .. إلى الحق أو إلى الخير ..
- إلى كل من ضل .. صادق الضلالة ..  
ثم مرف الطريق .. ولم يجد من يبيد له الطريق ..
- إلى كل الذين ودوا لو أقدموا على « إظهار إيمانهم »  
ولكنهم يترددون ..

إليهم جميعاً أهدى كتابي ؟

عمر السراي

# تمهيد

يا اخي العربي كالمعتاد

يا مشدود القلب والضمير .. إلى الحلم الكبير .. الذي يتحول في هزة وشموخ  
إلى حقائق تدبر الرؤوس . ويا مشدود الساعد والتفكير .. إلى الجمع الجديد ..  
الذي تراه اليوم رأى المن وهو يتوم .. تقبل يا اخي منى هذا الكتاب

\*\*\*

وأعتقد يا أخى أنه كتاب « مشر » ؟

« مشر » بالصدق « الرهيب » الذي تونيته فيه ..

« ومشر » .. بالمتوان التريب الذي وقع اختياره على .. من قبل أن يقع  
اختيارى عليه .

\*\*\*

وينبغ على الظن يا أخى .. أن سرّاً من أسرار هذا الكون لا أدريه هو الذي  
يدفنى إلى إخراج هذا الكتاب .. وعلى هذا النحو .. وفي هذا الوقت .. و « الثورة  
الصنية » ترفل في « ثوبها الجديد » .. الذي اختاره لها « أبوما » .. هدية منه ليد  
« ميلادها المأسر » .

وامنى به « الليثاق »

\*\*\*

و « الليثاق » لم يكن أبداً بداية التحول في موقفى من « الرجل الذي

«مرت عليه» وإنما كان ذروة هذا التحول.

لم يكن أبداً «بداية» الطريق .. وإنما جاء «نهاية» الطريق .

بل أمخيل أحياناً أن «الليثاق» كان اليد القوية التي أمسكت يدي .. وظلت تضغط .. وتضغط .. في حزم للربى .. وفي حنان الزاه .. فلما جشوت على ركبتي في عراب الحق .. وملأ الهراب نور .. صاح صاحب اليد القوية في : «أسجد واقترب» .

و «الليثاق» — إنن — كان له الأثر الأخير في تحديد مكاني عند مفارق الطرق .. الطرق التي ظلت أضرب فيها على غير هدى عشر سنوات كاملة نستقيم بي حيناً .. وتفتري علي أحياناً .. أعتدى مرة على أضواء من القسكر البير .. أو من السمل للشر .. فأكاد أؤمن .. وأضل مراراً على نسيب الخصوم وهم يثيرون الشكوك .. وينشرون الأكاذيب .. فأكاد أكفر .

\*\*\*

والكتاب — إنن — هو حصيلة الضم والتخلف .. وحصيلة الدراسة والترصد .. وحصيلة الخسومة التي بلغت يوماً حد التأمر .

وأنا اليوم .. أسمى قومي بهذا الكتاب .. لأقول لم فيه «بعض الحق» الذي يجب أن يقال .. ومدى طلي أن الإنسانية لا تعرف في تاريخها الطويل طريقاً أشد إبتلاءً بالشوك .. من «طريق الحق» .

جئت أحدثكم عن «الفرامل» التي مربها هذا «التحول» .. بما فيها «المؤامرة الكبرى» التي شاركت فيها .. و«يتق» الذي قيل إنه أعد للتأمرين على «ناصر» وتسلحهم .. وأسموه في التحقيق والمحاكمة «البيت الكعب» .. فدخل البيت للسكين تاريخ للتأمرين من باب لا أريد أن أسمى ..

جئت أحدث المجاهير الكادحة .. والطلائح القاتلة .. في أرجاء الوطن العربي

كله .. بعض ما اخترته من حقائق .. وبعض ما اخترته من تجارب .. وبكل ما خرجت به من نتائج .

\*\*\*

ولقد قيل الكثير عن « القصد » .. وعن « الرجل » الذى كان على أكثر من موعد منه وأنا مؤمن بكل ما قيل ..

ويكتفى أن أدلل على دقة الحساب فى كل موعد أعطاه « القصد » .. لهذا « الرجل » برواقه واحدة .. ذات ثلاث شعب : « الأولى » تقاس بمقياس « السنة » و « الثانية » تقاس بمقياس « الشهر » و « الثالثة » تقاس بمقياس « الأوقات » .

\*\*\*

قرأت مرة .. فى كتاب من الكتب .. أن جمال عبد الناصر .. كان طالباً فى « مدرسة النهضة الثانوية » سنة ١٩٣٥ وأن فريق التمثيل بها .. أراد أن يخرج تمثيلية « يوليوس قيصر » .. وأن المشرفين على الفريق من الأساتيد .. لم يبدوا من بين التلاميذ .. من يصلح لأداء دور القيصر يوليوس .. غير التلميذ جمال .. وأن وزير المعارف يومئذ — نجيب الهلالي — شهد الحفل وهذا الطالب .

والواقعة فى ذاتها عادية ..

ولكنى أجمع بينها وبين أرقام ترفوتها وأعرفها لأسأل :

(١) هل كان « القصد » ينط فى النوم .. عندما أذن لجمال فى أن « يوجه » فى سنة ١٩١٨ .. ثم أذن له فى أن « يمثل » دور « الحاكم » فى سنة ١٩٣٥ وأمام الملك الوزير .. ثم أذن له — أى لجمال — فى أن يتزعم زمام الحكم « الحقيقى » من يد « الملك » نفسه فى سنة ١٩٥٧ وبين كل تلويح وأخيه سبعة عشر عاماً على الصعيد ؟

(٢) وإنا نحينا عن الحديث لفة الستين .. وتحدثنا بلنة الشهور ...  
فإني أيضاً أسأل :

— هل كان « القدر » ينط في النوم .. عندما أذن لجمال في أن يولد «  
في شهر يناير .. وفي أن « يمثل » دور « القيصر » في شهر يناير .. وفي أن «  
« تحرق القاهرة » في شهر يناير .. وبين كل تاريخ وأخيه سبعة عشر عاماً على التحديد ؟  
وكلنا نعرف أن « حريق القاهرة » .. كان إيداناً « باندلاع الثورة » في « يوليو »  
من نفس « العام » .

(٣) وإنا نحينا عن الحديث لفة الستين والشهور .. وتحدثنا بلنة الأحداث  
فإني أيضاً أسأل :

— هل كان « القدر » ينط في النوم .. عندما أذن لجمال في أن يولد في  
سنة ١٩١٨ .. وعندما أذن لسمو زغلول وصاحبه أن يتجهوا إلى دار السيد البريطاني  
سير ويخت في نفس العام ١٩١٨ ليطلبوه باسم الشعب باستقلال مصر الذي لم يتم  
إلا على يد الوليد سنة ١٩٥٢ ؟ ثم هل كان « القدر » ينط في النوم عندما أذنه  
لجمال أن ينزع طلاب المدارس الثانوية في ثورة سنة ١٩٣٥ ليرغموا الزعماء على  
التسكّل في جبهة وطنية تواجه المحتل وللك فزاد بمحض .. ثم أذنه في أن ينزعهم  
الطلائع الثورية في سنة ١٩٥٢ ليجهز على لك للصل ابن لك الذي كان بمحض ..  
وبين كل تاريخ وأخيه سبعة عشر عاماً أيضاً ؟

أفكان هذا كله من قبيل الصدف ؟ أم كان لقدر يد فيه ؟

\*\*\*

في حدود التلق بل في حدود الصدف أيضاً — ولصدف قوائنها —  
لا يسنى إلا أن أقرر أن « جمال » كان على مزعد مع « القدر » وعلى السيد البطوله

في كل حركة قام بها .. وفي كل ضربة سددها .. وفي كل معركة خاضها .. وفي كل  
انتصار أحرزه .. وأخيراً في كل الفوارق التي شرع يذيقها .. وفي كل المتناقضات التي  
بدأ يزيلها .. ليقم على أحضان المائى المسم .. دولة قومها التسلاح والسامل .. وليجهد  
لانتفاضة التجربة الجديدة والتجربة المثيرة .. من هذه التساعدة ومن هذه الطليمة  
— داخل إطار « العهد الوثيق » — إلى الرقة السميحة والأمل المريض .. من  
الخليج إلى المحيط .

\*\*\*

ومن كلتي « العهد الوثيق » انتظ أول انخبط .. وألف به على يدي حتى لايفلت  
حتى .. قبل أن أسخن « التمهيد » ننته مستأنية إلى ثمره في هذا « الميثاق » .

### ثغرة بل هووة ؟

نم .. أحب أن أصارحك بأن في « الميثاق » ثغرة كبيرة .. وأخشى أن أقول  
« هووة سحيقة » لم يشأ « صاحب الميثاق » أن يقم فوقها « سمعاً » فدار من حولها  
حدوة بارعة .. ومضى إلى ما هو — في تقديره — أولى بالرعاية .

وأنا أبشر حرية الكلمة التي كفلها الميثاق .. فأعلن — في حمايتها أني  
لأأقر « صاحب الميثاق » على « حركة الانتفاخ » التي قام بها من حول  
هذه « الهوة » الخطيرة .. وتركها مفتوحة أو مكشوفة .

وأخى « الهوة » .. حناية « الميثاق » بإسناد « صاحب الميثاق » عن « الميثاق » ..  
بل بإسناد كل « ظل » لوائح الميثاق عن كل « سطر » في الميثاق ... وبرد كل  
« فضل » إلى « التسعب » .. وبجريد صاحب الميثاق من أى « فضل » .

\*\*\*

هذه « الهوة » قد تلاق ترميماً عاطفياً أو انصالياً بمض الوقت ومن بعض الناس ،  
حولتها تجددت مع الزمن « فراقاً موضوعياً » يهد البناء من الأساس .



وأدخل ما يكون في معنى «الصدق الرحيم» الذي أتوخاه في هذا الكتاب أنه  
أبى على خطورة هذا «التراخي».. ولا أتعلق قضية التواضع أو تكبران القات .. لأنها  
توجب «الرؤية» عن هذه «الهوية» .

\*\*\*

رواضح أن «صاحب الميثاق» يخشى إذا هو أطل برأيه على «الشمب» من  
خلال سطور الميثاق .. أن ينصرف الشمب عن «القاصدة» إلى «القمة»  
ومن «اللمب» والمقيمة والبناء» إلى «الرجل» الذي نشر المذهب ..  
وبشر بالمقيدة .. وتولى البناء .

وقد يكون الرجل في «تواضع» . مطلقاً مع «واقفه» ا

وقد يكون في هذا «السلوك» تناسياً به «صاحب الشريعة» عند ما نهى  
للمسلمين عن أن يسودوه .. خشية أن يرتدوا إلى «الوثنية» ويبدلوه .

ولكن التماس هنا لا محل له مطلقاً ..

محمد بن عبد الله .. كان رسول الله .. لأن الله خلقه ليكون خير خلق الله ..  
وليجربهم من الظلمات إلى النور .. لا ينطق عن الهوى .. ولا يمك أن «يقهر»  
في «التصويص» أو «بعيد» . ولا يمك أن «يضطى» في «التفسير»  
أو في «التطبيق» .. لأنه «من المرسلين على شروط مستقيم» .

أما «صاحب الميثاق» فتؤمن بالله ورسول الله :

وهو مواطنوه مؤمنون .. والحمد لله .

وهو «مواطن عربي» يحمل «رسالة عربية» يذهب فيها إلى  
«وحدة العرب» .

و «صاحب الميثاق» درس التاريخ ووعاه .. وكان «أستاذ تاريخ» في «أسسه»  
فحياء القدر ليكون «صانع تاريخ» في «غده» .. فملاش معنا بكل قدراته في

« الرسل » وعانى معنا بكل طاقاته « ظلة الليل » .. واستكشف لنا بكل موالهه  
« خصائص العروبة » .. وناض بشخصه مع « الجيوش العربية السبعة » .. تلك  
الحرب « للبيئة » .. في فلسطين « الشهيدة » .. بكل ما انطوت عليه من غدر  
للمتصر .. وشيئة الحاكم .

« وانغل » بهذه « التجارب » .. فلأت رحاب نفسه « عقيدة » .

« ولاح » أمام نظريه « الاتجاه » .. فكان « مذهب » .

وأسمن في تحديد « المذهب » .. فاستقانت له « فلسفة » .

و « خطف » للمستقبل بكل آماله .. وتجاربه .. وأسلامه فكان « ميشاق »

\*\*\*

هو - إذن - صاحب الفكرة وفيلسوفها .. ومحدد أبعادها وواضع إطارها  
وهو - إذن - راسم « التصميم » .. ومرسئ الأساس .. والمهندس والبناء ..  
فهل كان يمكن أن يتم ما تم من البناء .. على يد غسيرة من المواطنين ؟  
هذا هو السؤال ..

\*\*\*

صحيح أن واضح الميثاق .. إنما استوحاه .. من شعبنا و « تاريخ نضاله » .

ولكن أكثر صحة .. أن التشب كان موجوداً دائماً .. ولم يحدث على طريق  
تاريخه الطويل .. أن ضن بأى تأييد أو تجاوب .. على أى زعم تصدى مخلصاً لقيادته  
فماذا لم يتم على أيديهم - وفيهم الأكفاء ومنهم المبصرة - ما تم على يد هذا  
« الشاب » الناجم من صميم « القرية » ؟ !

ويعن - إذن - أمام « ظاهرة » تتأهل للفت والدراسة .. أرق القليل

أمام « سر » لا تدريه « ربط » بينه وبين « المجتمع الذي بينه » .

ونحن - إذن - أمام « ارتباط » لا انضمام له بين « القاعدة والفتة » .

و « خطيئة » لا تسد خطيئة .. ألا تترك هذه « الحقيقة » مهما يحاول « صاحب الميثاق » أن « ينسحب » من « الميثاق » .. خشية انصراف الشعب عن « العقيدة والمدف » إلى « عبادة البطل » .

خطيئة لا تسد خطيئة .. لأن « العقيدة » - هنا - إنما قامت أصلاً على « المرج » بين « البطل والشعب » .

و « نحامل » هذا « المرج » لا بد أن يجرّد العقيدة من أحد عنصريها .. كما يجرّد « الكهرمان » من « السالب » فيها أو « الموجب » فلا يبقى « كهرمان » .. أو كما تفصل بين « عنصرى الماء » .. فلا يبقى ماء .

\*\*\*

وقد يسأل سائل عن « مصير العقيدة » بعد « هذا الجبل » ؟

والجواب تولاه الميثاق ..

« الميثاق » بين « دولة » ولا يبقى « بطلا » ..

والبطل واسع الميثاق سيدوب في الميثاق كما ارتفع البناء - وكما تفوق العوارق بين الطبقات - حتى إذا اكتمل « اللبنى » وشمع « قة » .. واستقر « قاعدة » .. وعرف « ساكنوه » أهم « مالكوه » .. انتفى كل خوف على المصير .. ولم يعد للبطل مكان فيه .. إلا تمثال يقوم على مدخله الكبير .. يذكر الأجيال المهندس البناء .. وإلاكرة من الطور فوق اللبنى الشلمخ .. تدور دائماً مع دورات التاريخ .. لترسل أنوارها كشافة وهادية .. وإشعاعها وضاء وسلماً .. فوق الرقعة النسيحة الموحدة .. من التلجج إلى المحيط .

وهيكل ؟

هذا هو رأي ..

ولكن هناك مفكراً شاباً - أجله - رأي يخالف فيه عن هذا الرأي أو هكذا

يلوح .. والفكر الشاب هو الرئيل عند حسنين هيكل رئيس تحرير « الأهرام » .  
وهيكل « حبة » .. وليس يكفي في تحطيمها « فك رقبة » .

أما لماذا ؟ فلهذه لم بكل آراء الرئيس .. وكل « حبيتي » ما يقدمه لنا الرئيس  
« مقروءاً » أو « مسروغاً » .

وبصاف الصعوبة في تحطيم هذا الرأي .. عمق إيمان للفكر الشاب .. بناصر  
والناصرية .. إيماناً ينبص به كل حرف يرسله .

وقد يكون من الأمانة لتاريخه الذي يبصه .. أن أقول — وأما أقدم منه في  
حرفة الكتابة أو في حمر القلم — أن حصول هذا الكاتب الشاب كانت نسايرني في  
مراحل تحول .. وكانت تلقى الأضواء على طريقها مرحلة بعد مرحلة .. وكانت من  
أقوى ألوان « المرض » التي شهدتها على « شاشة الصحف » .. والتي ملأتني —  
إلى جانب دراستي التي مشجىء — انتاعاً بسلامة الناصرية « مذهباً وعلفة .. وعقيدة »  
وهداية في حسابها « تصبياً وتحطيطاً » .

وهيكل يذهب في تحديد « مكان البطل » من « الميثاق » في « اتجاه مصاد »  
أو هكذا يلوح .. وهو يرى أن الأساس الذي قام عليه الميثاق كله « أن جمال .. أحسن  
تقدير مكانه بصدق وأمانة — لم ينس نفسه لحظة ولم يستغل من حقيقة دوره طرفه عين ..  
إن الآثار الحقيقي في تاريخه لا يصنع الثورة .. ولكن الثورة هي التي تصنه .. وبتحديد  
أوضح فإن جمال عبد الناصر لم يخلق الثورة الشعبية في مصر .. وإنما الثورة الشعبية  
في مصر .. هي التي خلقت جمال عبد الناصر » .

وهيكل لا يخبر على رأيه .. إذا اعتبرناه « ناطقاً غير رسمي » بلسان الرياسة ..  
ووجه البراعة في تأييده نسحب صاحب الميثاق من الميثاق ... استخدامه الصارات  
التي لا يختلف عليها قارئان .

ولم يقل أسد من الناس إن جمال عبد الناصر قال للناس : « ثوروا » فثاروا ..  
ولكن السؤال الذي عرضناه لا يزال قائماً ..

وأوتران أميده في صياغة جديدة :

— لماذا « فجر » الشعب « طاقته الثورية » على طول تلك الطريق الخاطئ  
بالتصال .. وعلى أيدي أولئك « الزعماء المناضلين » ... و « فجر » على يد « جمال »  
وحده « طاقته الثورية » ومنها « طاقة التمييز الثوري » ؟ .

بل لعل الظروف كانت أكثر مواتية لبعض الثائرين القدامى .. منها لعبد الناصر  
وقد اعترف عبد الناصر نفسه في مشروع الوثائق بأن الحزب الثوري بدأ من غير تشكيل  
سياسي يواجه مشاكل للمركة .. في حين أن « هيئة الوفد المصري » التي ركبت قفة  
للرجة الشمية الثالثة في سنة ١٩١٩ كانت تشكل تنظيماً سياسياً من أبرز رجالات مصر  
المتوسمين بالحكم .. يحف من حولهم شعب كامل حاد .. من الشلال إلى البحر ..  
أهرل إلا من الطاقة الثورية للتفجيرة ..

أما « الطلائع الثورية » التي غل « جمال الشعب » يدعها في إيمان  
وكيان .. من قبل ساعة للصفر بسدين .. فقد خرج بها من تكتمها في العلام .. والناس  
نيام — وللك يحي ليايه بطريقته المنضلة ! والحلال والرائع يلهون في المصيف ..  
وتولى « جمال الشعب » — من وراء حجاب — قيادة هذه الطلائع تحت اسم  
« مستمار » لقائد « شيخ » كان قد أعد له حلل اللقطة .. عندما رشحه الضباط الأحرار ..  
لرياسة « نادي الضباط » في مواجهة « مرشح القصر » قبل الثورة زمن قصير .

و رغم هذه التوارق .. بين الثورة الناصرية وكل الثورات التي سبقتها .. فشلت  
كل الثورات ونحمت ثورة الشاب .

لماذا ؟

الجواب من شأن « الكتاب » لا من شأن « التمهيد » .

\*\*\*

بقيت شبهة الخلاف بيني وبين المفكر الشاب في الرأي .

وأعتقد أن الخلاف في الصياغة والشكل لا أكثر .

لقد قال وهو يختم مقاله إن حديثاً جرى بينه وبين الوزير للسفير محمود فوزى  
عن « ضرورة البطل في حياة أمته » وحاجتها « إلى رجل غير عادي يرى بالحساب  
الدهني كل الاحتمالات في اللحظات الحاسمة من التاريخ .. ثم يصعد قراره .. لا على  
أساس من الحساب الدهني وحده .. وإنما من شيء آخر معه .. من شيء فاض  
مثير .. من صلة غير عادية .. تربطه بضمير أمته .. وتنقل إليه من هذا السبيل قدرة على  
تحدي المستحيل .. وعلى تحمل مسئوليات .. ليست لها حدود .. وفي مواجهة أهوال  
ليس لها آخر » .

وهل قلت عن دور البطل شيئاً .. غير ذلك السر المبدع الذي التقى رأيه فيه  
برأى الوزير ؟  
التفينا .. إذن ..

وليضع « جمال » حسه حيث شاء .. وفي المكان الذي يراه من مشروع الميثاق  
وفي المكان الصحيح الذي يراه هيكل فيه « ابناً لأمته » و « تليداً لتاريخها » .  
ولنصع نحن الشعب .. ابناً الكبير .. في المكان الذي نراه .. ولنا الرأي الأول  
والأخير .. بحكم لثباتي .

## في قلب المعركة

وبعد :

فيحسن أن يذكر الشعب ولا يسي اتنا نبش ونحن في قلب المعركة ..  
وكل من جبرنا في العالم من حاكين — باستثناء القليلين — يقض مضاجعهم  
وحود هذا « الرجل » في هذه « الفترة » التاريخية . وعلى قمة الموجة المارمة التي  
ترصف في ثبات وهول — وكما ترجف الراجفة — وتهدد بكل « القوى المنظية  
الكامنة فيها » واسب القرون .

كل الأعداء .. يعملون — متكئين ومتفرقين — ضد عهد التناصر .  
وقد بلغ من « خوف » المستعربين — ولا أتول « خرفهم » — أن

فلنوا أن عبد الناصر سيمر البحر يوماً إلى أوروبا لينزوها .. ويحلها دولة بعد دولة .. ولا يكتفى بزيادة القوات البرية عبر غرب آسيا وشمال أفريقيا كما قل عنهم المصحف الهندي الكبير « كالموتجيا » في حديث له مع جمال عبد الناصر في سجنه سنة ١٩٥٨ بعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا .

### ويعسىد ؟

فأنا . كتردد من أفراد هذا الشعب .. أدعوه إلى أن يعيش في هذه الاحتفالات التاريخية الحامسة .. مشدود الساعد إلى البناء .. ومفتوح العين على الحركة .

أنا هذا التردد . أحب في رفرق التهيد أن أسأل :

— أيدخل في احترام النفس .. أن أتف مكتوف اليدين .. والبناء يبدأ والحركة تدور .. لا نشئ .. إلا لأن مشدود من الذين حكم يوماً عليهم .. بتهمة التآمر عليه ؟  
وإذا كنت قد احترمت نفسى يوم ساء تفديري للناصرية فاعتزلتها مختاراً عشر سنوات .. هي بين العشرات من عرى أحلاها وأعلاها .. لأنها العشرات التى نفسى من شباب الرجولة فى حلقها الحامسة ( التى يعيشها اليوم صاحب الميثاق ) .. إلى صميم الكهولة فى سلفها السادسة ( التى يعيشها اليوم صاحب هذا الكتاب ) ..

إذا كان هذا هكذا .. اليس ادخل فى احترام النفسى وقد آمنسب بـ  
« الرجل الذى نامرت عليه » .. ان اشهر إيمانى به .. فى هذا الوقت  
العصيب .. رابط الجيش شمر متردد ؟

» » »

من هذه الحقيقة الكبيرة .. أبداً .

من هنا .. أضط أول انليط من التكتب .. كما التعتت من هنا  
أول انليط من « ليشى » . وأسيك ..

« محمد السوادى »

# إفصيل الأول

## موقفي من الثورة

.. نم

من هذه « الحقيقة » - الكبيرة في ميزاني - ألتقط أول خيط من كتابي ..  
من « نسي » .. ومدى استرأى لها .. يوم ساء « تقديري » الناصرية فأعترلتها  
مختاراً عشر سنوات كاملة .. ويوم عرفت طريق إلى الحق والخير فيها فحشمتكم شجاعاً .  
أشهر إيماني بناصر .

هذا « الإيمان » - إذن - ودواعيه - يد « التآمر » ومراحله - هو لب  
هذا الكتاب .

\* \* \*

وأما أمرف - وأنظمتكم تعرفون - أن ساء هذا البلد - وساء كل بلد عربي -  
ما تزال تظل فريقتاً من خيرة بنيه .. يودون لو أقلموا على إعلان « إيمانهم » بالناصرية  
ولسكنهم يترددون .

وأسباب التردد عند أحدكم قد لا تكون هي نفسها أسباب التردد عند الآخرين ..  
وإن كنت أعتقد أن « الكبرياء التقليدية » في طليعة الأسباب التي تضخم للترددتين  
من المواطنين .

ويطيب لي أن أعلن - في مستهل الفصل الأول - أن من بواعث نخاري ..  
أن أكون أول من يحطم هذه الكبرياء .. أحتدى بها ذلك النموذج العربي الرائع لهذه  
الثورة العربية البانية .. ولهذا « الاستمرار الماسر لتضال الإنسان الحر غير الخارج من  
أبيل سيئة أفضل » .



كما يطيب لى أن أعلن أن من بواحث ارتياحى .. أن أشق بهذا الإقدام من  
جانبي .. طريقى إلى ذلك الباب الموحد . أمام كل من كان مثل متردداً .. ويود لو أقدم .  
فأحبه إذا هو « لان » .. وأحطه إذا هو « استمعى » .

\* \* \*

وسأراى بالطبع مضطراً إلى الحديث - فى بعض الأحيان - عن سادنة  
محصى أو عن أمر يتصل بى .. فلا يتسرب إلى ظلك أى أهبل فرصة للتفانك إلى  
الحديث عن « صاحب الثورة » لأسلل إلى الحديث عن « واضح الكتاب » .

مثل هذه « الاستهابة » لا تحصل بى .. ولا تجول بتناطرى .

ولن أتحدث عن نضى .. إلا الحديث الذى يتصل بأهداف الكتاب ويحمه  
موضوعه .. وإلا « مكروه أشك لا بطل » .. لأن « البطل » أنت تعرفه .. والفصول  
كلها معقودة عليه .

ولكى « طرف » فى التصية .. ولا يستطيع سير للتصية .. أن ينفص يده من  
أحد طرفها .. فأنا الذى كفرت بالرجل وتآمرت عليه .. وأنا الذى هدت وآمنت به .

وبين الكفر والإيمان .. مراحل ..

بل إن قبل الكفر والإيمان .. مراحل أيضاً ..

قبل الثورة كنت - مثل كل مولدان - أهنو إلى الثورة .. فلما أطلوها  
أحدثت نايها ..

ثم حدث فتشككت فيها ..

ثم حدث فدوت منها ..

ثم حدث فردت عنها ..

ثم أوغلت فى الردة .. فكفرت بها .

ثم ولدت فى الكفر .. حتى تآمرت على صاحبها ..

تم بدأت أصحو رويداً .. رويداً .. على ميل .. وعلى مراحل .. أصحو على  
صيحات الأحداث - قبل السجن - وصوت الحقائق ، ثم في سكون السجن على  
دراسة القيادة والقائد ، ثم بعد السجن على فتح الزمامات وأصداء المارك .. ثم في  
خاتمة اللطاف على جليقة « الميثاق » .

أى أنى بدأت أتحول .. وأتحول .. حتى جاء « الميثاق » وكان كاقلى ذروة  
هذا التحول .

هذه المراحل كلها .. لها أحداث لا بد أن تجرى ..

وكل حديث منها .. ذو شجون لا بد أن تثار ..

وأنا أولاً وأخيراً .. لا أعدد أن أكون شاهد إتهام .. على سلامة الأهداف ،  
ولأهداف لسكتابى .. إلا أن يحمل لأبناء العروبة - في مصروف كل بلد عربى -  
صورة صادقة .. رسمتها ريشة متأمر .. للرجل الذى تأمرت عليه .

وتاريخى إذن من ناحية التأمر - والكفر والإيمان بالقائد الثائر - موصول  
الأسباب بزعامة هذا الشاب .. شئت أو لم أشأ .

ومن هنا يحى الحديث عن النفس ضربة لازب ..

### ضرورة الثورة

وعلى سبيل المثال - وعلى هامش الثورة - يقول « الميثاق » في مستقبل  
بابه الثانى :

« لقد أثبتت التجربة وهى ما رالت تؤكد كل يوم أن الثورة هى الطريق الوحيد  
الذى يستطيع التنضال العربى أن يبر عليه من المنفى إلى المستقبل » .

وهذه حقيقتة . . .

ولكن .. أليس من حقى كواطن أن أنهر عبارة كهذه .. لأثبت لك أنى

كنت أؤمن — ومن مطلع الشباب — بهذه الحقيقة على الرغم من كل « الأخطاء » التي ترمى « علينا » فيها .. وأن أقدم لك الأساس على ذلك الإيمان .. لتصدقني عندما أقول لك أني فرحت لاندلاع الثورة .. ورحبت بها ترحيباً حاراً يوم إعلانها وهل يقال لي وأنا أقدم أساسى على سلامة هذه المرحلة .. أني أتحدث عن نفسى ؟!

### جماعة المتقنين

وأخى النفس .. وأصنف الآخرين .. قبل أن تشلتى مراحل كبرى وإيماني .  
تحدث عن جماعات من المتقنين الملع إليهم « الميتاق » في « الباب الرابع » وهو يتناول « الفترة الحافلة بالندبة ما بين استكاسة سنة ١٩١٩ إلى حين تسبب الثورة الشمسية للحظر الذي يتهددها .. ومن ثم بدأ التناهب النفسى لثورة يوليو ١٩٥٢ » فيقول :

« لقد استطاع هذا الانحراف أن يجذب إلى الجور الحزبى الفاسد جماعات من المتقنين كان في قدرتهم أن يكونوا حراساً على أمامى الثورة الحقيقية لكن الإغراء كان أقوى من مقاومتهم » .

وهذه أيضاً حقيقتي ..

ولكن .. أليس من حقى كموطن أن أنتهز عبارة كهذه .. لأعرب عن احتضادى أن « بعض » هذه الجماعات .. إذا كانت قد انحذت إلى هذا الجور .. فإنها لم تنذب فيه قط ؟!

ومن حقى — فيا أعتقد — أن أزم أن « جماعات » من « أبناء الشعب » ممن أتيح لهم أن يحصلوا على قسط من العلم والمعرفة — وأخص منهم من احترقوا الصحافة أو اتصلوا بالفسك — ظلوا يرغموا الانجذاب إلى « الجور الحزبى الفاسد » يحفظون بالطاقة الثورية كاملة بين جنوبهم .. وبالتردد على الأوضاع كماآت فى قلوبهم .. وكانت « جنوبهم » تفسح « أحقادهم » فيتطير منها الشرر على أسنة الأقلام فى بعض المارك .. وكان أهون العقاب أن ترهب بهم السجون .

وقد سقط منهم عبر الطريق الطويل .. وعبر الكفاح المرير .. من سقط .  
شباب ناثر .. نادر .. ذهبوا ولم يعودوا .

ويكفي أن أذكر اسم الناصر الشاب - الدكتور مصطفى التوكيل - ليندو اسمه  
على السماء تبايح .. أو ليندو رسمه إكليل عار توج به قبر كل جندي مجهول .

بل لقد عرفت أحيراً - ومن وراء التصبان - أن فريقاً من « الصباط  
الأحرار » ظموا بيمس النار الفدائية للتيرة على مسم أماكن المحتلين في القاهرة ..  
وعلى من اعتقد الأحرار أنهم أعوان الاحتلال من المصريين . . وحرس القذافيون  
- بعد أن أصبحوا حاكين - على طي هذه الصفحات للضيقة حتى يتولى التاريخ  
نشرها ..

ولو أن « القدر » كان قد تواجد سى في تلك الفترة الملمعة من تاريخ كماننا ..  
حانتاح لى أن أكون على صلة بأولئك الملمرين - في سنة ١٩٤٦ مثلاً وما قبلها  
وما بعدها - لاستطعت أن أقرأ في بسر أربعة حروف من نور .. كانت تضيء  
الطريق أمام الزميل .

ولكنى لم أكن على صلة بأحد .. فلم يصاح أذى .. من اسم القائد الشاب  
حرف واحد .

ولا أسكر أن بعض الأسماء كانت تترامى إلينا .. مقرونة بالحوادث التي شاركوا  
فيها .. كأنور السادات .. أو كسين ذو العقار في حادثة عريز للصري .. أو عبد العزيز  
على الزوى .. لقد احتير وريراً على مطالع الثورة .

وكل ما ذهب إليه تفكيري في ذلك الحين .. من تليل تلك المفارقات ..  
هو « النزوة الفردية » عند بعض الشباب ..

ولم يجل محاطرى قط .. أن وراء ذلك النشاط .. شاباً .. كابي « القدر » يمد  
لما هو أخطر .. وأكبر ..

## وموقني ؟

ولست أرم أي كنت في ذلك المين مطرداً في جماعات الثقفين ..  
ولا أنا أرم أي كنت يوماً من الثقاتين الذين ظمروا بمياتهم ..  
وإنما أزم أي كنت أقرأ وأكتب .. وأتبع في أن أحترف الصحافة ..  
وأرم أن الثورة كانت تستل في صدري ظم أحد متضخاً لها .. إلا الريشة  
احصت لها بكل طاقاتي .. ولكن الأوضاع .. كانت تحول بضرارة ووحشية دون  
تضجير هذه الطاقات ..

ولا أراي إذن ضلت شيئاً يذكر .. رغم اطوائى على الروح الثورى .  
وإذا كنت أهتم الإلتام إلى بعض المسالم على طريق .. فإنما لأثبت حقيقة  
أعتر بها .. حقيقة « الروح الثورى » الذى لم يتعل يوماً هو .. حتى خلال « الجوى  
الحزبى » الذى ابجذبنا إليه .. والذى أنوى أن أتحدث بصراحة عنه .. ولكن  
في مذكراتى من رح القرن الذى أصيبه فى الصحافة .. إننا قدر لهذه المذكرات  
أن تظهر ..

## رأس مالى .. قلم

وإذا كنت لم أزم أي كنت مطرداً فى « جماعات الثقفين » أو « المدائين »  
فإن من حتى أن أرم أي كنت من أبناء الفلاحين — الطبقة الشعبية للكادحة —  
وهو شرف يتسابق إليه — بعد « الميثاق » — جميع للزاملين !!!  
كنت « خيلاً على القاهرة .. والحياة فيها ..

كنت واقفاً من صعيد مصر .. أو على التحديد من قرية قبيزة .. على ضفة  
البليل اليمنى تجاه مدينة « لتنيا » بسونها « سواده » .

ولم يكن جدى أميراً .. ولا كان أبى باناً .

وإنما كانت الزراعة حرفة أبى وأجدادى ..

وكان أممى وأخوالى .. وكل آلى .. من صميم الملاحين .

وكان أبى يملك شيئاً « من القنادين » .. ويستأجر « أشياء » منها .. مكنت  
« هـ - هـ » من الكرامة .. وشيء من الاستقامة - من قلوب الأهلين ..  
فكان فيهم صاحب الصدارة .. والأخ للطاع .. لا عن رأس مال ولا عن إقطاع ..  
كما مكنت له هذه القنادين من تلميحى بنى .. إلى مدرسة السيدية فى الجزيرة  
سنة ١٩٢٣ .

ورأيت سداً لأول مرة وهو خالد من المولى .. رأى اللين .

وبدأت أصدر الجلات .. ولم أكن أهلاً لإصدارها .. وإنما هتت نفسى إلى  
أن أقول للناس ما يحول مخاطرى .. فأجهزت على ما كان قد تهيأ عند أبى من  
القنادين .. فى تلك السبل .

هكذا كنت فى مطلع شبابه .

وعلى هذه المطالع خرجت من عالم الجلات إلى الصحف اليومية .. وكل  
ما أملكه من حطام الدنيا .. قلم بين الأصابع .. ظل المرير يجرى لاهتاف فوق الورق ..  
سقى كنفته بدق التوراة الناصرية عن الجردان فكف .

## وعلى الطريق .. معالم ؟

وعلى حلش الخلاصة الطائفة لقدمى من صميم الريف والقربة .. أحمدي « أولاد  
القنوت » بقبرى وإسراى .. وأنازلهم فى حقر دارم ( وكانت السيدية  
مدرسة أولاد القنوت فى ذلك الحين ) يملونى - والسائق يشح - أن أهدر  
حائضى من مطلع الشهب فى سطور .. وأختار لكم من معالم متواضعة عبر هذا الطريق

الطويل تشير على استعداد إلى ذلك الروح الثورى الذى لم يتصل قط على .

وهذه للمالم قد تبدو اليوم صغيرة نافية - والكفاح يجرى على الصعيد الدولى -  
ولكنها لم تكن - يوم كانت - تاقية ولا صغيرة .

وللمالم لى أشير اليها .. لا تملو صمماً أو محلات أصدرتها .. وكلها محفوفة في  
إدارة المطبوعات ودار الكتب .. شأن كل ما يصدر من المحلات والمصنف ..  
وأقصر الاختيار على المحلات الأسبوعية .. وأحسب الوضع تاريخياً طويلاً .. يتصل  
بسى فى الصحف اليومية .. لاسددام الصلة بينه وبين الثورة والروح الثورى .

والآن تسأل : ما هى للمالم ؟

\*\*\*

١ - عمل منها .. مجلة « الطلائف المصور » نرت فيها وأنا ان العشرين على  
سعد زغلول زعيم الزعماء .. لأنه نزل عن قيادة الثورة ورعاية الأمة إلى رئاسة الحكومة ..  
طاطمات الشعلة المقدسة في أيدي الشعب الاثر لحدث اشتقاق في صفوف نتيجة المطامع ..  
فسارع الاحتلال إلى إسماء الشكل الدستورى على الحصومات بين الأشقاء .. فقامت  
الأحزاب وقام البرلمان .. وكان ما كان .

\*\*\*

٢ - والمعلم الثانى .. مجلة « الحياة الجديدة » .. وقد انجبت بها - فيما بين  
هاى ١٩٢٧ و ١٩٢٨ - وأنا الرضى المحنون بالرفدية إلى « يسارية » أشد جنونا ..  
ولست خدمت في تحريرها صديقاً كان في مقام الراهب سناً .. والأستاذ معرفة .. وكان  
يتزعم الشيعيين في ذلك الحين .. فحك عليه في وراثة سعد بالسحن ثلاث سنوات  
لمحورته عمل بعض المصامح إلى الثورة .. فضمت للمعدوان على حرية الرأى فيه ..  
واستمتت به في تحرير المجلة لتأثر من المتدين .. عارفتى الحكومة حرباً « ملابية »  
وخيمة .. فصدت لها عارقت الممار بالقية الباتية من عمرة أبى المتواصمة وكان على  
رأس المدعورين محمود فهى القيسى مدير الأمن العام . - وكامل الرحمان مدير المباحث

الجنائية . . وكان وكيل النيابة الذي حقق معنا يوستد . . هو الأستاذ ركي . . هـ أمال  
لله حياتي .

\*\*\*

٣ - والعلم الثالث . مجلة « نور الشرق » . وكانت معاهدة ١٩٣٦ قد أبرمت  
وكانت من « القبة » العاصبة عليها . . وكان من « القبة » أبصاً . . صديق  
محمد عبد الحفيظ الذي رأس تحرير « كوكب الشرق » التوفدية يوم كنت سكرتير تحرير  
لها . . فجمعت بين قلوبنا . . وكان يملك امتياز هذه المجلة « نور الشرق » . . وكنت  
تجد بيت في مس الشير لشاعر القطرين حليل مطران بوصفه مديراً للفرقة القومية . .  
مسرحية « العاكبة المحرمة » فوضعت نسما وقطبي تحت تصرف صديق محمد عبد الحفيظ  
- طيب الله ثراه - وأصدرنا « نور الشرق » سارض بها المعاهدة - وعشر ونحن  
وفديان - ولأول مرة في تاريخها الحديث - قوائم المحاسب والأمن والأخبار . .  
ومحرفو محاسبين من الأندلس أمام هذا التيار . . ومنينا بالناشر وأطلت المجلة . .  
ولسكنها قدمت لمطبعة من بها الحلاني خدمة لا تنسى . . إذ بدأت جريدة « البلاغ »  
تتقل عنا نلت القوائم محررتها . . ومن غير أن نشير إليها . . إصفاء لجلال عليها . .  
وكان الناس يتفقون « البلاغ » في لغة . . بعد أن انشقت على الوفد وقادت المنشقين  
من أعضائه ( وهم من أسامم الأستاذ الناس السمة وهي إشارة إلى قصر قامة أحدهم  
للرحوم علي الشمسي ) . . وأعجب الظن أن « البلاغ » لم تكن تندي . . أن الذي  
كان يدنا بملفات « المخطوطين » . . هو عجب الحلاني « ناشا » . . ومن عجب أن  
هذا « الخبير الهادي » الكبير . . وثب يبدئ إلى الرقعية . . وعين وزيراً للمعارف . .  
خطا استقام له العود واستوى على السوق . . وثب إلى رياضة الزوراة وخاض صد الوفد  
أعطف الممارك . . حتى أتى سلاحه واستسلم على يد القائد جمال عبد الناصر في ٢٣ يوليو  
سنة ١٩٥٢ .

\*\*\*

٤ - والعلم الرابع - مجلة السوادى . . عندما ولى النحاس الحكم في سنة ١٩٥٠



وأردت أن أستقبله بحية صديقة وحرّى .. فكان « اللاشيت » الذى لا ينسى :  
(التحلى مدعو إلى الثورة ..) واندفعت أعلن أن لا خلاص لمصر .. إلا بإعلان ثورة  
تقاتل ثورة سعد .. وليس لمصر قائد مرحو .. إلا « حليمة سعد » .. ولم أثنأ أن أسجن  
قبل أن أشارك فى الثورة التى ناديت بها .. لم ينتنى فى آخر مطور للقتال للشوب أن  
أقرر أن « الثورة » التى أدمعوا إليها .. هى ضد المحتل .. (وفى ظل صاحب الجلالة الملك  
للؤيد لشبهه) :

وهكذا حدثت يومئذ مكابى من « رأى » .. ولم يمدد أسد من الحاكمين  
مكانه ..

\*\*\*

• — والملم الخامس : مجلة السوادى أيضاً .. أمر إثناء المعاهدة فى أكتوبر  
سنة ١٩٥١ .. وفى هذه الفترة .. تفجرت الطاقة الثورية فى الشعب كله .. وخضت  
للحركة بقلى ألقى عليها — مع الملقين — وتوقفاً إثر وقوع .. لتظل البيران تتأجج  
وتزداد اشتراكاً .. كلما حاول الرجسبون أن يطفئوها .

ولا أنكر أن شكركم سالورتنى يومئذ فى كثيرين من المشتركين فيها .. ولكنى  
لم أنبه عليها لأن الثورة كانت أقوى من الشكوك .. ففضينا لا نلوى على شىء .. حتى  
تردينا فى الغاوية :

وعلى سبيل المثال كنت أوفد فى كل مساء إلى وزارة الداخلية صديقاً لى اسمه  
(حكم على فتوح) — هو الآن مدرس — ليشهد مندوباً عن (السوادى) — المؤتمر  
الصحى الذى كان يقعه الوزير .. ليهبى إلى الصحفيين آخر أخبار الحركة التى تدور  
فى القنال .. وكان الصديق يسود فى كل لية ليهبى فى أدنى « مارال المكروت » يواظب  
على حضور المؤتمر كأنه « صحفى أو تار » .. وكان يبنى به (المكروت) .. أحمد عبود —  
فئة رأس للال فى ذلك العهد — وكنت أعرف أن عبود صديق شخصى لورير ..  
ولكنى فى غرة المولدات كنت أسى — وليتى ذكرت — أن عبود صديق ليريطايا  
صدوق .. وزوجه « ليدى » الإنجليزية ..

ومرة أخرى أقول : كانت الثورة أقوى من شكوكنا فصينا لا تلوى على شيء حتى على عبود .. وحتى تردينا في الحريق ..

س فوجئنا بحريق القاهرة .. وإخاد الثورة .. وإقالة الوزارة .

وسيق الشعب على يد « على ماهر والمراني » إلى المحور من بداية الليل وكما يساق القطيع إلى المطيرة .. وباسم الحكم العرفي وحظر التصول .

\*\*\*

وهكذا مجت « الرجبية » - ممثلة في القصر ورجاله .. وآخرين لم يمت أحد عن وجودهم الملتام حتى اليوم <sup>(١)</sup> .. كما نجح الاستثمار من وراثتها مستغنياً وراء « جمعية إسوان الحربية » في أن يمسقوا على وجه الثورة التي تولت الشعب نفسه دور القيادة فيها فدبروا « الحريق » ليظفونها .. ولم يدبر بخلافه أحد - ونحن نصدق في السنة الثيران وهي تزخر في شاح « القاهرة » .. عاقدة في سماها « غرايب سود » من عهد الدخان ..

نحسب عن الأهين ما يمتب الأقدار .. لم يدبر بخلافنا .. ونحن في السادس والعشرين من يناير .. أن صوتنا من عالم الجهول سيدوي في آذان الدنيا بعد ستة شهور - وفي السادس والعشرين من يوليو .. يقول لذلك الخلع : « تفصل بالخروج » ويقول لشعب المزول : « تفصل بالخروج » .

\*\*\*

والسؤال الذي يسبني أن أضحه الساعة في داخل إطاره هو :

— هل كان مقولاً .. وقد أخذ الرجبيون ثورة صنعناها في بساطة وإيمان ..

---

(١) تاريخ أذكر أن جلال عبد الناصر ومع جناباً من الستار من سن الرجوة فقال في خطاب ألقاه في « هيئة التحرير » يوم ٢٢ أغسطس ١٩٥٤ « لنا يسوعيين الذين يتلون اليوم بالسكناح الملحوم القس اشبهوا فرسة حملاب للواجب الأحرار إلى النعال وأحرقوا القاهرة لت التوفى » وأعتقد أن الرئيس إنما أشار إلى اليسوعيين بإختيارهم « وجباً » من التوسوء ... وليسوا « كل الرجوة » .

وسهرنا عليها الليالي كأنسهر الأمهات على الولدان .. هل كان حقولا وقد نادينا  
بالثورة فنياكاً وشباناً ورجالا .. الأنا نحن استقبال الطلائع الثائرة وقد أيقظنا أول  
بيان مها على مطلع الثالث والعشرين من يوليو .. ليقول لنا: جئنا مسلحكم زمام  
أموركم فنسلوه؟

أرأى في غنى عن الإجابة .

### مرحلة شك وتردد

كنت فرحاً .. إذن - كما كان كل مصري فرحاً ..

ولكن شعوراً خفياً وقويًا .. شعوراً بالشك يورث التردد .. لم يلبث أن  
انسرب إلى تلك الفرحة .. فسطعاً ..

نم .. نسأل الشك في جدية الثورة عند ما رأيتي أمال شسى :

- لم شسى . بطل ماهر .. ليحكم ؟ ولماذا سمحوا له وقد أطفأ ثورة الشعب أن  
يركب موجة الثورة القاسرية ؟ ثم هل يجهل التنوار أن الرجل كان في طليعة الحوارج  
على الوفد والمنشقين على الأمة في سنة ١٩١٩ غاتهنز الاستعمار الفرصة وضربهم وحدة  
الصف فقامت الأحرار وكان السعدى والعليل .. ثم كان الوفدى والمحر المستورى ؟  
وهل يجهل التنوار أن على ماهر خرج على زملائه الأحرار المستوريين أنفسهم .. وأقام  
للوقت فزاد .. « حرب الاتحاد » ؟ وهل .. وهل .. إلى آخر تاريخ الرجل !

وأردت أن أحسن الظن بالتنوار فعدت أقول لنفسي : لهمم أشد دكاه . وأبعد  
منظراً .. ولهمم أرادوا أن يستنفوه ويستملوا حدة اللطامع به - وهو رجل القصر  
وبطل البراديب - في التخلص من مولاة .. يدافع من هذه الأطماع .

ولسكننا تخلصنا من « المولى » !!

ورحل عما « صاحب الجلالة » .. ورحلت مع « دكاه المال !! » حكته

« السمية ! » .. فلماذا لم يتخلصوا من « رجل اللك » .. وكان يكفيه في الموقف  
للرعب .. أن يقال له كلمة شكرو .. ويرحل .

\* \* \*

وكان هناك ما هو أعجب ..

كان على رأس التورة رجل غريب جداً .. طيب وأثيب .. يحف من حوله  
شبان ملء عيونهم تورة .. ومار .. يسيطرونه نهالة من الحب والإكبار .. تثير  
الشكوك .. ويدقون لزمامته الطبول دقاً غير مسبوق .. وينشرون عن أعجابه الأفاصيص  
تار الأفاصيص ..

ولم يكن لأحدنا اعتراض على هذا كله برغم غرابته ..

بل لعلنا شددنا إليه في غمرة الأحداث فأحببناه حياً ..

ولكن الظاهرة التي لفتتني .. أن الزعيم « الثير » .. كان سطحى التفكير ..

ولم يكن يملك من أدوات التفخيم التنويرى — وهو محمول على الأكتاف —  
إلا أن يصيح في الناس بكلمات ثلاث .. كانت التورة قد احتارتها شطراً لها :  
« الاتحاد .. النظام .. العسل » فإذا شق الركب طريقه .. ولجح أية شططاه تحمل  
في يدها ورقة بيضاء .. أوقف الرجل الركب وترجل .. ومشى إليها فأخذ يدها  
وقبلها .. ووضع في اليد حنبيات خمسة .. ووقف لأخذ صورة له منها .. ثم أسره  
فواصل الركب سيره ..

وسادت نفسى خجولاً :

— أيمكن أن تبيع تورة .. هذا مستوى قائدنا ؟

واقفت بالصمت .

وكان هناك ما هو أدعى إلى الرية ..

كان هناك .. على أرض القنال .. جيش بريطاني مدرب .. يشاهز  
تخمين ألقا ..

وأعلنت الثورة .. ووصل الملك .. وهذه القوة الخفية لم تحرك ساكناً ..  
وكان الأمر لا ينجبها .. فهل كانت تنوى أن تتحرك وأن تصرب ؟ أم أن المختارين  
راضون عن هذا التضييق ؟ وإن كانوا راضين .. فإذاً يمس رضاه المختل المتعصب ..  
من ثورة .. يقودها طبيب أشيب ؟

\*\*\*

وأخيراً .. كان هناك عرش وأحزاب ..

كان الملك الطفل في رعاية أبيه المخلوع لا يزال يحكم مصر من قلب روما ..  
ويتولى إدارة الدولة في قلب « القاهرة » و « باسمه الكريم ١١٩ » مجلس وصاية في  
طابدين .. من بين أعضائه أحد أفراد الأسرة « العسكرية » ..

فما الذي كان يسيه هذا الوضع المرعب ؟

والسفير الأمريكي - كافرني - كان قد قام بدور الوسيط في تأمين الملك على  
حياته وفي أيلولة العرش لابنه .. وقد أمن الملك على الحياة .. ونودي بابنه حلفاً له ..

فما الذي كان يمتيه هذا الوضع المرعب ؟

وكانت الأحزاب قد أحضرت تسابيحاً إلى مقر القيادة .. فينتقاهما اتقاداً بالقبلات ..

فما معنى هذه القبلات ؟

وتبدى الأمر على مستوى .. أقل بكثير من مستوى الثورة التي عشا معلم بها  
وفرحنا يوم قبلسها -

ولم أجد بدأ .. من أن أكتب جريدتي عن الصدور .. حتى تبين الطريق ..

وكان يمكن أن يجرى الأمر على غير ما جرى عليه .. لو أني نحييت عن الكبرياء  
التقليدية الزائفة واتصلت ككامل المسحفين بمركز القيادة .. وطلبت إرضاعاً لها  
حتى حل .

ولكنه « القدر » أيضاً .

كان يجهه بي إلى موقف المتفرح لحكمة عمله .. لم أتبينها إلا بعد سنين وسنين  
وإلا حد أن غيبتني في النياهب .. وحلف أسوار السموم .

\*\*\*

وكل القدي بدفته من نشاط في ذلك الحين — وأذكره لتاريخ الفترة — وكان قد  
قيل إن المحادثات قائمة على قدم وساق بين زعامة الوفد وقيادة الثورة .. كل القدي  
بدفته من نشاط في ذلك الحين .. امتداد يدي إلى « سماعة التليغون » لأطلب تحديد  
موعد مع صديق لي من زعماء الوفد .

ولتيته .. وتحدثنا !

وكل ما يبتني من ذلك الحديث الخالص — وسيت الجانب الأكرم منه —  
أن الرفدي الكبير حدثني عن شاب واحد أتبه واسمه جمال عبد الناصر — ولم أكن  
قد سمعت هذا الاسم — وأنه مصر على تحديد الملكية .. « لكن .. حابلين ..  
هم فيهم أولاد مغلوبين .. وأنا أعرف كثير منهم من زمان » .

وكل ما خرجت به من هذه المقابلة .. صورة للتفكير الحزبي تمت لي مع الأيام  
أنها كانت صورة مقفولة .. ولو طلعت الأحزاب لأهداف الثورة واتجاهات الثوار ..  
لما جرى عليها ما جرى ..

وحق هذه الساعة لا أجد تميلاً لهذا القصور في الإدراك .. من رجال خيرتهم  
وأعرف شدة الذكاء في الكثير منهم .. إلا أن « القدر » أراد لجمال أن يتقود .. وأن  
ينجح في القيادة .. فأخطأ خصومه تقدير الموقف ليصيب القدر .. فكان مثل الأحزاب  
مثل الطيب الذي قال فيه ابن الرومي :

والناس يلحون بالطيب وإنما . . غلط الطيب إشابة الأحمقار

والفارق أن الطيب أخطأ تشخيص المرض لأن القدر يريد أن يصح حداً لحياة المريض .. وأن الأحزاب أخطأت « تشخيص » القائد .. لأن القدر كتب الحياة لهذا القائد .. وكتب البعث على يديه للطفيلين في الأرض .

م .. كالسياسيون المحترفون يؤمنون .. بأن المسكرين لا بد عائدون إلى الشكنات .. لأن « فن الحكم » ليس « لها »  
ومرت عشر سنين .. والشبان ما يزالون « يلبون » .

\*\*\*

تلك هي الفقرة التي أزعجت نفسي خلالها بالشكوك والوساوس .. فرأيت أن أترجم  
سكتي .. وأطل أسمع وأرى .. حتى ينفس السمر .. أروحتي تبين الخفايا .

\*\*\*

وفي رأي أن هذه الصورة الصادقة .. تشكل « المرحلة الأولى » في موقف من  
« الرجل الذي تأمرت عليه » !

## الفصل الثاني

### فارع أسمر .. غامض ومثير ؟!

وجاءت المرحلة الثانية من مراحل المهنة .. عبر السنين العشر .

حامت تحمل معها ضربات رشيدة وفضلة .. لا يسدها إلى الخوصوم \* طيب  
أشيب \* .. وإنما يسدها تآثر شاب .. يصدر فيما يفعل عن سرقته \* غامض ومثير \* .

ونشرت جريدة « الأخبار » أسماء . قالت إلى أصحابها هم أعضاء \* مجلس  
قيادة الثورة \* .. وراجت بين الجماهير عملة الخمس .. تتداولها الشماه والآدان .. عن  
« قائد شاب » يخفتي وراء « الطيب الأشيب » اسمه « جمال عبد الناصر »

وكان اسمه قد ذكر في مقدمة أعضاء مجلس القيادة ..

وذكرت ما كان الوفدي الكبير قد قاله عن الشاب الذي أتبه .. واسمه « جمال » .

وزارني سمر \* أبناء السوادي \* — وكان من يسهم من وثبوا إلى « مراكر  
قيادة » في جريدة « المصري » حدثوني عن ذلك الشاب . وقالوا إن وشأنج ود  
أكيد تربط بينه وبين الجريدة .. وأنه يتردد عليها كثيراً .. ويرونه ويتحدثون إليه ..  
وأنه فارع المود . عريمن الشكبين .. نافذ النظرة .. عميق السكرة . تفرح ووجه  
سمره .. يشتري وقل \* أن يبيع .. ويعنى وقل أن يتحدث .. وإذا استمع إليك ..  
أولئك أديه وصرف منك ما نظريه .. بحيث لا تستطيع أن تتطالع أي خاطر في هيبة ..  
وهو في أوحز صورة \* .. يلقه الموض .

\*\*\*

وتوات الأليم ..

وكان \* على ماهر \* قد تخيل أنه جمع بين يديه .. خيوط الموقف .. وطن هو



وأصابعه « أنهم قادرون عليها » .. وتنتشط في الاتصال بالأعداء والأصدقاء ..  
وبالأحراب والزعماء .. وغيل لكثيرين أن الأمر استتب له ..

ولم أكن أحسن للفطن بالرجل .. فسامني كل هذا الذي كان يقال .

كنت أكره في الرجل .. التواء دونه .. وظلام سراديبه .. وكان تاريخه  
السياسي تاريخاً بوليسياً .. يلقى الرية على كل تحركاته واتجاهاته .

ولم يندر بحمدى لحظة أن الشاب العاصم .. الذي يحتمى وراء « الطيب الأنشيب »  
يستطيع أن يرى ويدرك .. خطوط « الأساليب التنحية » أو خطوط « التلمبة  
المساهرة » .

ولم تمش محاورى طويلاً ..

وجأته .. سقط صاحب القصة .. من القصة ..

وي الساع من سجنير .. أقيـل على ماهر — أو طلب إليه أن يضـيل —

سد أن عقد مجلس ورواته جلسة امتدت إلى ساعة متأخرة من الليل .

وقرأت عن هذه « الساعة للتأخره من الليل » .. وقلت لصحبي :

« طلع النهار » .

وعرف الناس — وعرفت مثلهم — أن مجلس القيادة كان قد طلب إليه وضع  
قانون للإصلاح الزراعي يحدد الملكية مماثلي فدان .. فراغ من اللطلب — كما راغ زعماء  
الأحزاب — ثم بدأ يمارول إقناعهم بأن تحديد الملكية ينتج أبواب الشر الموصدة ..  
ويثير العنته النائمة .. ويهز الاتصال هزّة قد تكون القاضية .. وأنه جس نبض الإنجليز  
والأمريكان وكل الهول ذات الشأن .. فأكدوا له أن صدور مثل هذا القانون ..  
في بلد « يميى وشرقى ومسلم » يفتى خطوة حمره إلى اليسار .. لا يمكن السكوت  
عليها .. وأن الزعماء والأحزاب .. والمليينات والبيوتات .. لا بد أن يحكطوا ضد  
التنودة .. وأن كثيرين من الضباط في الجيش والبوليس أبناء لمؤلا ..

وقال على ماهر - ما قاله الزعماء قبله - إن هناك طريقة «الصرايب التصاعديّة»  
تمتق للثوار كل أهدافهم من غير أن يبرصوا مقدرات البلاد لسكل هذه الأخطار ..  
وكان « للمنطق التقليدى » ينرى بهذا الحل ..

ولكن مجلس القيادة رفض الحل ..

والمقلية الرأسمالية كان « على ماهر » .. يريد أن ينرى الثوار بللال يتدقق  
على الخزينة فى صورة ضرائب .. فيقتنع الثوار بمنطق رأس المال ..

ومجلس القيادة لم يكن يطلب يقاون الإصلاح الزراعى مالا .. وإنما كان  
يستهدف تحرير الملاح من سيطرة الإقطاع .. وكان هذه الخطوة - وبأحوات  
لها كان يضرها - يرمى إلى تنوير العقولق بين الطبقات .. وبناء مجتمع جديد  
يقوم على مفاهيم جديدة .

وصدر القانون ..

وكان له دوى هائل جاوز كل حد تصورته ..

هز القانون مشاعر الجماهير اللولبة على أمرها .. لاقى مصر وحدها .. ولا هير  
سيناء فقط .. وإنما فى الشرق العربى كله ..

وكا اعترزت مشاعر الجماهير العربية إجماباً .. اعترزت مشاعر المستعمرين غضباً ..

•••

وتوات الصدمات فى حكة وحزم وسرعة .. لم تسح لقوة من دول العرب أن  
تقدم على تصرف هنيف .. ولم تسح لمينة من الهيئات الرجبية أن تمتجع قواها  
وتضرب .. وإنما بوغثوا بالضربات فأسقط فى أيديهم ..

وليس يمتنى أمر هذه الضربات للأحزاب أو لتير الأحزاب وأنا أعرض  
للرحة الثانية من موقف لزاء الثورة .. وإنما يمتنى فى هذه للرحة ( قاون الإصلاح

الزراعي) وحده .. لأنه وحده الذي قضى على الكثير من شكوكي .. وخطا بي من جديد إلى رسالتي التوار .. حتى كذبت أنسى شكوكي الأخرى بشأن جيش الاحتلال ، والسفير الأمريكي ، والعقل الذي يحكم مصر من قلب روما ، ومجلس الرضاية الذي يجلس فوق قمة الحرم باسمه «الكريم» .

فاسر اعتهاي بهذا القانون ؟

فاسر اعتهاي بالإصلاح الزراعي ولم يعد لي — بعد أن معى والذي إلى بارته — أى اتصال بالمثل أو بالتقريب .. وقد قصيت ، كما قلت لك ، على ما كان قد تبقى لي من الأرض فلم يعد لي من وراء هذا القانون سم .

السر أن لي تاريخاً في قانون الإصلاح من قبل أن يصدر قانون الإصلاح .

والسر أن بي هوى إلى هذا القانون يعود إلى ما قبل عشر سنين .

\*\*\*

أما كيف كان لي تاريخ معه . أو كان لي هوى إليه .. يرجع لي وبه إلى سنوات خلت والإجابة — فاعتقادي — يعرفها الكثيرون من (المحضرين) ويعرفها الكثيرون من الشيوخ والنواب السابقين .. ويعرفها كل من تقع مناقشات البرلمان المصري قبل قيام الثورة .

يعرف أوائك جميعاً أصالة الرد الذي كان قائماً بيني وبين صديقي المرحوم محمد خطاب عصر الشيوخ السمدى (اسم) .. والحبيب إلى جميع الناس على اختلاف ألوانهم الحربية (صلا) والسكرتير العام لمجلس النواب قبل أن يحال إلى اللباس ويدين عضواً في مجلس الشيوخ .

وكان (خطاب) بعد تعيينه في الشيوخ يهيب خشية للمر .. لأن المر خاصمه من أول يوم تم القضاء فيه بين الإثنين .. فقد كان — طيب الله ثراه — سريع الإلقاء لا يكاد يبين .. تودم المواطنين في رأسه .. وتتقاتل المباراة على شفتها فيضج الشيوخ وتشد المقاطعة .. فيلرح المذير في فشل مثير .. مثير لأعصاب

رجل «خطاب» وفي رسالته ووفى لثقافته .. يفهم كل مايقوله ويعنيه .. وثلاثة أرباع  
الشيوخ من الإقطاعيين .. لا يفهمون حتى ما يقال لهم ..

وبدأ ما كصديقين .. مدرس الثورات والأخطاء .. أنا كناقذ .. وهو كطبيب

وكانت هناك تجربة مثيرة .. وتماثل هذه التجربة تماماً .. حدثت مع قطب  
سياسي كبير في أول عهدته بالقيادة البرلمانية .. واستطاع القطب - بفضل ذكائه -  
أن يسأل عن الثورات والأخطاء .. وأصبح رمانياً دا ناب .

وعلى ضوء التجربة مع القطب .. بدأ «خطاب» بأخذ طريقه إلى النهر من جديد.

وكانت أعمل نادياً لرمانياً لحريضة «البلاغ» .. فبدأت أحصص جزءاً كبيراً من  
قندي .. لتشجيع صديقي .. ولتسليط الأضواء عليه .. وكنت أحتار إليه الساحات وكأ  
يحاول المخرج إلى المنزل .. حتى أحرر (خطاب) بفضل ذكائه والتفقد وبفضل إصراره ..  
تماماً مقطوع النظر .. في حمل الشيوخ على الإصغاء إليه .. والتصديق له .. وبدأ يلعب .  
وكانت هوية (خطاب) .. إصلاح المجتمع .

كان تقديمياً .. ولم يكن ثورياً .

وكان بطبيعة تكوينه لا يكف عن المرح ولو كان في مأثم .. فضلوته عليه  
الصاحبة على خوض المارك في غير مرارة ..

وانتهت مناقشاتنا إلى أن هذا المجتمع الآسن .. الذي تموت الخلقات والرواسب ..  
ويسيطر عليه الإقطاع السخ .. ويسوى في المساواة بين التلاح والماشية .. لا سبيل إلى  
إصلاحه إلا بالتقضاء على الإقطاع .. ولا سبيل إلى هذا القضاء إلا بتجديد الملكية .

كان (خطاب) يؤمن بهذه الحقيقة .. كما يؤمن بالله .. أنطابُ المارفين بالله .  
وكان يرى أن الحد الأقصى لا ينبغي أن يزيد على خمسين فدناً .. ورأيت له أن  
الثلاثة تبدو أكثر ائزاً .. وأحرون على تخفيف حدة الخصومة بينه وبين الإقطاعيين ..  
وجامل رأيي وأخذ به

وأذكر ولا أسي كيف دُومخ «خطب» بالمشروع الذي قدم به .. كل اللواتي .  
وكل الأحزاب ..

وكان هو بطلا من أبطال الإعلام إذا ما تصدى لنشأة دعوة .. أوروخ  
لأية فكرة ..

كأن يدي فيها ويبيد .. ككاجد وككارل .. في البيت وفي الشارع .. في  
المقهى وفي النادي . في الكارنيتو وفي المسجد .. في كل حفل يدعى إليه .. وهي  
كل زائر يتردد عليه ..

وقدرت هذه المواهب كلها .. في العناية لمشروعه ..

ولم يكن الجواب بكل ما هو مشحون به من عناصر للملكية والإقطاع ورأس المال  
والرجسية والاستعمار - يسمح لثل هذا المشروع بالتنفس فيه .

ولو أن أحداً من (التفلاء) تقدم به .. فوجهت إليه تهمة الشيوعية .. ولأسقط  
الشيوخ عصوبته .. ولا يدخل في حيز الاستحسان أن تمكر الدولة في إسقاط الجنسية  
المصرية عنه .. ووضعه على ظهر باسرة تجر به البعاز من غير جنسية .

وكان (خطاب) حكيماً .. فترك مشروعه يمشي على يديه زحفاً .. فلم يجف  
في البداية أسفاً .. حتى إذا ملغ من السر عاكاً .. بدأنا نلغ بالصيغة من حوله . .  
حتى إذا ملغ عابدين .. بدأ الكتلبي يشون له .. وكان (خطاب) يحسن التودد إلى  
طائفة منهم .

وكان الفصل كله .. له .

وكان دوري لا يتصدى .. حل الرأية .

كنت الكاتب الذي «هون» قراءه بالمشروع .. وأودتهم (مصرعاً) ..  
وأسلام (مداغاً) .

كنت أحب «المشروع» بكل قطرة في التلم .

وكنت أحب « صاحب المشروع » بكل خفقة في القلب .

وكان حسبنا أن عبأنا - في حدود الطاقة - قوى الرأى العلم ..

وأثرناها على الإصطاعين والحكام ..

وكانت العمدة لا تكاد تبدأ .. وللشروع لا يكاد يتحرك .. حتى يخف  
رئيس الوزراء أو وزير العدل أو وزير المالية إلى حيث يجلس (خطاب) ويلاطفه ..  
ثم يتسرب إلى محاولة إقناعه بتأجيل النظر في المشروع .. أو بإعادته إلى اللجنة ..  
بحجة أن الوزارة تفكر في تنميه .. على أن يمدل قليلا في الأأسس الذى يقوم عليه ..  
وحق تهنأ نائرة القصر .. وحق لا يسوء الإيجابر تفسيره .

وكان الصديق طيب القلب في كثير من الأحيان .

وكانت السكامة الطيبة تزتر فيه .. وكان يوافق على التأجيل .. ويقول على  
غضه .. جواً .. لم يكن من السهل تمويضه .

وهكذا أصبح المشروع - على كل هذه الثقبات والرائيل - يقص مضاجعهم  
ويفتنون في الإملات منه .. وإرجائه الشهر بعد الشهر .. حتى يقبل الصيف .. ويسافر  
الوزراء إلى « بولسكى » .. ويمتق للبرلمان أبواب قاعاته .. تماماً كما يفعل مجرم مطلق  
الفسراح .. يدرك أن التهمة آخذة بتلايبه .. فيجمل كل هم - هو ومحاميه - أن  
يخلق سبباً حديداً لتأجيل جديد .. حتى يمل موسم الأجازات فيقذف بالتضعية إلى دائرة  
جديدة على هلال العام الجديد .. وتتحدد طلبات التأجيل

ولم يكن من السذاجة إلى الحد الذى صدقنا منه أن القصر والسفارة والإقطاع  
والحاكين .. يمكن أن يتروا مشروع القانون ..

وكان كل هذا أن ختخ العقول والعيون .. على « الحقيقة » .

وكانت « الحقيقة » التي نسيها .. أن لا يسيل إلى « تحرير العبيد » إلا سيل  
التصام على الإطعام .. إذا أردنا أن تنفد الثورة .. والعماد .. وقطع الرقاب :

\*\*\*

ولم يزل يماطرنا — وأعترف — أن المشروع يمكن أن يصحق بالتشريع ..  
وفي وقت قريب .

والغليل أن ( خطاب ) واقف على رأى يصحح — غلب على اسمه — القروح عليه  
أن يدخل تمديلا على المشروع يجعل خلفه رهيبا بوفاء المالك .. تطبيقا للأحياء من  
المالكين .. وسحقا للهابب كل قوى الرجعية عليه .

■■■■

والآن أسأل نفسي :

— لماذا أذكر تاريخ ذلك المشروع وأخذ عليه فصلا ذاتيا من فصول الكتاب ...  
والمشروع مشروع « خطاب » .. ولم أكن إلا داعية من دعائه ؟  
والجواب :

— أذكر ذلك التاريخ كله .. ففكرت مدى انتهائى .. عدد ما أطلع مجلس القيادة  
بطل ماهر لأنه رفض وضع هذا القانون .. وعدد ما ثبت لى أن حكومة النوار الجديدة  
لم تكن « حكومة بكباشية وصلفات » كما كانت نسيها أيراق الرجعية فى صف  
لبنان .. وإنما كانت حكومة أحرار .. يسدون الضربة وهم يدركون أبعادها ...  
ومدى أرهاق بناء محص جديد وقيم جديدة ومفاهيم جديدة .

\*\*\*

وهكذا خطا لى قانون الإصلاح الزانى إلى رجال النوار بعد أن شككت فيهم .  
ولو أنى كنت يومئذ على صلة بهم لانتفعت إلى قلب الحركة معهم ، وللمفوت  
فى الصف تحت رايتهم .

ولكن حال دون الإقدام ، فمضى لازمى في كل أطوار حياته ، وهو حدة الشعور  
البالغ فيه - حدة « الشعور المختل أو « الخمول » - بما سببه « الكرامة » وهو  
ليس من الكرامة في شيء - يبحث لأقصى حاكاً إلا إذا دعاه إلى قتاله ، وقد تدعش  
- وقد عشت خسة وتسمين في المائة من عمرى السيسى « وفديا » - إذا قلت لك صادقاً  
أنى لم أزد « رئيس الوفد » مرة في بيته ولم أكن أحرف سكرتيره - وزميل في المؤامرة  
أحد السقا - إلا بسدد أن خرجنا من السجن الحربى والتقيت به ، وتعارفنا ، وقد  
يتضاهى المبعث إذا علمت أى لم أدخل طوال رحى قرن في الصحافة دار صحيفة من  
الصحف إلا إن ذهبت للعمل بها .

ولم أدخل دار ( الأهرام ) - كبرى الصحف - طوال رحى القرن إلا مرة  
واحدة ، شكرت فيها لثقلنا ( باننا ) وأطون الجليل ( باننا ) والأساتذة مصطفى أمين  
وكامل الشناوى ومحمد أحمد الخناوى وبقية زملاء الذين عزونى بالبرق في وفاة شقيقة لى ،  
كريم تميزاتهم .

حالت تلك للكبرياء - وليلة الرواسب الريفية أو الرجبية - دون اتصالى  
بالتوار ، فلم يشأ القدر أن يلتقى بالركب ، ولو أنى لحقت بهم لا كشفت من بداية  
الثورة حقيقة قائدهم ، ولما التوى الحظ بعد ذلك في يدى فصلت الطريق إليهم ، ضل  
بلست يوماً حد لتأمر على هذا القائد .

لكنها حكمة الله -

ردتني عنهم بعد أن دنوت منهم ، لتلاى بعد ذلك شكوكاً جديدة فيهم ، ولتلقى  
على « المروء ، فأشرب فيها على غير هدى ، كما سقى - مع الحزن والأسى - في  
الفصول الكثيرة التالية .



أما هذا الموقف الذى فرغت من رسمه ، فهو يشكل في ميزانى ، للمرحلة الثانية في  
حوقلى من « الرجل الذى تأمرت عليه » .



## الفصل الثالث

### مرحلة ... اختلال الموازين

وجاء دور المرحلة الثالثة من مراحل المهنة عبر السنين العشر .

وقد احتلت جميع الموازين في يدي .. في تلك المرحلة ..

ولأأدرى إن كانت الموازين قد احتلت أيضاً في أيدي المالكين .. أم أن احتلالها في يدي هو القى صورها لخياتي .. محقة في أيديهم .

\*\*\*

خطا في تحديد الملكية .. خطوة جهارة وجذرية .. إلى رحاب التوار ..

ولم يكن بموزني غير نسمة من نسبات « القدر » تهب على .. طيبة وشاه .. في صورة صديق قريب مهم .. يمتيه أمرى .. بقم جسراً بيني وبينهم .. لقطعني إلى قلوبهم . ولألقى بكل ثقل إلى جانبهم .. ولأنحوس قلب الحركة معهم ..

ولسكن النسمة لم تهب .. والأقدار لم تشأ .

\*\*\*

وأحست - كما لم أحس من قبل - أن من واصل أن انمرك داخل إطارى .. وأن أشد أرد التوار على قدر جهدي .. وصح عزى على أن أعيد الحياة إلى جريدتي .. وأن أسهم بها في تدعيم موقفهم من غير أي اتصال هم .

وترادت العسكرة .. وشيدت .

تؤلاخ الوقت .. ييلا .

ولكن .. كيف .. وأنا لا أملك مالاً ؟

وذكرت شيئاً .. وكنا يومئذ في سنة ١٩٥٢ .

ذكرت أن ودأ كان قد قام - عن طريق التراسل - بيني وبين « كبير سعودى »  
كان قد أعرب لى - فضلامه - من إعجابته بى .. ودعاه إلى أكثر من مرة إلى حج  
البيت .. وكنت فى كل مرة أشكر وأعذر ..

وفى هذا الموقف - ودفعت مشوقاً للحج فلا - خطر لى أن أفلها .. وأن  
أرى إن كان فى وسعه أن يمد لى حريدى بدأ .. هل أن أصلحه أن أقرض عرضة  
للضياع أو الإرجاء .. إذا لم تنجح الجريدة .. ويزداد إذا هى نجحت ..  
وعدت فترددت ..

ترددت .. لأن اللفظ كان قد بدأ يدور فى تلك الأيام بين أروقة الصحافة ..  
حول ذهب السعودى .. والصلوات للرية بينهم وبين الصحفيين !!

وهى شبهة .. لا بد أن تعلق بأطراف رحلتى .. وليس من المهن على أى إنسان  
سوى .. أن يدع التشبهات تعلق بأطرافه .. إلا أن تكون « صرابة لارب » كما يقول  
رجال الأدب .. أو « لأسباب خارجة عن إرادته » كما يقول رجال القانون .

وأقنعت بسى بوجود « الصرابة » .. وقيام « الأسباب » .

وركت الطائفة ..

وعاوتت على اقتناى .. مظاهر الإحاء التى كانت قد بدأت تبين .. هل  
الصلوات بين الرميمين من المصريين والسعوديين .. فكثر طيران أمور السلوات  
و ( المرحوم ) صلاح سالم وغيرها .. إلى جده والرياض .. ولا كت الألسنة أنت  
المولتين تديران فى خط واحد .. يجه بها إلى تحالف أو شىء أقوى من التحالف .

وأعلن يومئذ أن « الطيب الأسيب » - حامل الفلاحة - شد الرجال إلى

المجاز لأداء فريضة الحج .

وأديت فريضة الحج ..

ولم أبرح أماكن الشتاء .. إلا إله جده في طريقى إلى العودة ..

وأدى الجبال - حامل الثلاثة - الفريضة - أيماً .. وطار في سحند من  
المسحفين إلى «مصيف الطائف» حيث كان الملك عبد العزيز .. في طريقه إلى النهاية .

وكان الأمير سعود (للك المال) ولي العهد يتوب عن والده في شهود الحج .

والثقت في مكة لأول مرة بالكبير السعودى «الصديق بالمراسة» .

وغلى حيانى .. فلم أستطع أن أمانحه في أمر الجريدة .. وعدت إلى القاهرة  
كما خرجت منها .. وكل ما رجعت من أمور الدنيا أن سائقى السكرتير الخاص لولى  
العهد .. إن كان في بيتى أن أصف رحلتى إلى بيت الله .. لأن القراء المحبين ريشق  
(وزم أة منهم) يودون لو قرأوا وصفاً مثل هذه الرحلة بهذه الريشة .. وأن الفرصة  
مواتية لها لو أنها تزدى تحت ظلة الجوة الروحية في رحاب البيت الحرام .. واجباً حريياً  
آخر .. هو توثيق الصلات بين مصر والسعودية .. كقاعدتين للمروية والإسلام ..  
تصلحان تطلقى اطلاق .. لوحدة العرب والسلمين .. في إفريقيا وآسيا .

وحسن وقع المطلب في نفسى .

وأصدرت بعد عودتى كتب «مملكة في اللبزان» .

وأعترف .. أن خيال أمنية من أمنياتى طوف برأسى يومئذ ..

تمهيت لو أن هذا السكرتير الخاص علون على أن تشتري السعودية طبعة خاصة  
من كتابى تدعى "ما يبىء الحياة إلى جريدتى .. لأسهم في الاتجاه الجديد الحار لجماعة  
التنوير .. بد أن أصدروا قانون الإصلاح .. ولأعمل في الوقت نفسه على توثيق  
الصلات بين قاعدة المروية وقاعدة الإسلام .

ولم يحقق للكتاب ما حدثته عليه من الرجاء .. ولم تصدر (لسودى) .

وقد رخصت لنفسى في هذه السنة .. لانتصلياً أولاً بنية لم أجبر بها إلا اليوم

مية إصدار (السوادي) في ذلك العلم . لتأييد الثورة والتور . ولاتصال اللحة  
ثانياً بشكرة مخونة ردها بسن « التطلين » .. ووجدوا في مادة الكتاب . .  
عونا لم على الفروج لها .. قتلوا - وكثروا في التور - أن أصبحت داهية من دعاة  
السوديين .. وأن أوامر الرد استندت بيني وبين الخاكين فيهم .. بدءاً من سود  
(وكان قد نودي به ملكاً في نفس العلم) وانتهاء إلى أنه موظف مشغول في حكومة  
السوديين .

وليس مما يحصل بأهداف هذا الكتاب أن أسخر أحد فصوله لمناقشة هذه الفكرة ،  
وحسي أن أستاذي في سطور محدودات أعبر خلالها تلك الفرية .. أو الفكرة ..  
تاركاً ما ذكراني القبة إن شاء الله تأييداً للحقيقة بالأسانيد ..

أما الآن حسي أن أقول لفضلاء أي نوكت صديقاً للسوديين وملكهم وأمرأه  
يته وأصحاب الحل والربط في ملكته كما أرجف المرجفون لأصبحت من أصحاب اللارين  
من أمد بعيد .. أو لأصبحت في القليل من اللارين .. ولما أحياني في سنة ١٩٦٢  
طبع كتابي عن «الرحل التي تأمرت عليه» . غل صديقي صاحب «الطبعة العالية»  
هذا السبب حتى ..

\* \* \*

وأرد الآن قلبي إلى مناطه ، من صميم موضوعه : وأهني موقفي من الثورة في تلك  
المرحلة .

شئت إذن في الحصول على قرض لإصدار الجريدة لأؤيد التور .

فهل كان ذلك المشل ، هو وحده سبب عدولي عن إصدار جريدتي ؟

وحل لم يكن في وسمى أن أسأل الاستمارة بأية هيئة من الهيئات عن النفع ؟

أحصد أن المناقذ ، لم تكن كلها منقطة .

وأحصد أني لم أسأل أن أسير في أي طريق تؤدي إلى أي منفذ .

كانت الخيوط قد بدأت تهتز في يدي من جديد .

## الإخوان المسلمون

وكان مما هز الخيوط في يدي ، موقف الثورة من ( الإخوان المسلمين ) .

جاء بصايط من الصباط الأحرار ، فبين أياماً ودريراً للمواصلات ، ليثبوا به إلى مجلس الرماية ، وقيل في تمثيل هذا الثوب أنه عضو في جماعة الإخوان .

وداع أن محادثات جرت بين مجلس القيادة بمنته جمال عبد الناصر وجماعة الإخوان يمثلهم المصبي ليشاركوا في الحكم ، وتضرت المحادثات لأن المصبي وقف موقف التمثال على شروطاً لا يملكها الفرزة الفاعلون ، وكانت الشروط وصاية صريحة برفضها الإخوان على الحركة .

وقيل إن حامل اللافتة لم يبد ذلك الطيب الأشيب بعد أن خلف على ماهري رئاسة الوزارة ، خلاله المسرح ، ونسى إته إنفا يمثل دوراً ؛ وراح يتصل سراً بجماعة الإخوان بعد أن تمذرت انتقامهم مع جمال .

وقيل ، وقيل ، وقيل الشيء الكثير .

وكان لي مع الإخوان دور ، من قبل الثورة سنتين .

كنت أهاجم سياستهم فضلاً ، وأما أصدر مجلة «الخبر» - لحسابي - في عام ١٩٤٥/١٩٤٦ ثم وأما أصدر (السواقي) من سد النصف الثاني من سنة ١٩٤٦ وما تلاها من سنتين .

وكانت أسبهم بالحط الكبير وعلى عرض الصفحة الأولى من جريدتي ( رهبان الليل ، وفرسان النهار ) .

وليس من التروسية في شيء . أن أطيل في عرض هذه الخصومة بعد أن تسحبوا من ميدان السياسة .. وإنما أشير إليها ، وإلى آرائي فيهم لأضع إلى حساب هذا الرأي ، عناية الثورة بالتعاون معهم ، ومحاولة إقتناعهم بالمشاركة في الحكم ، واتهم الخصوم الفرصة وأشاعوا أن جمال عبد الناصر كان هو نفسه (إخوانياً) وأن الثورة نفسها ، كانت من إعداد الإخوان واشترابهم ، ولم تم إلا لحسابهم .

وإذا كان هذا ، هكذا ، فكيف أعود إلى إصدار ( السوادى ) لتأييد الثورة  
وهي إثنائية ، سد أن ظلت ( السوادى ) تسبها اتهام الإخوان ، وتسميهم « رهبان  
القبيل ، وفرسان النهار » ؟

وبدا الشك القديم ، يحسب إلى المصدر من جديد .

### والشيوعيون ؟

وفي الوقت الذى كانت الرموس تتضارب فيه لتتاهم بأحقوية الثورة .. ترى  
إلى أن من أعضاء مجلس القيادة ضابطاً ذوى ميول يسارية ، وأن أحدهم كان قد أوشك  
على أن يدفع بالقيادة إلى هوة حراء ، وأن آخر يؤمن بالاركسية من الناحية للذهبية  
الخالصة ، ومن الناحية العملية للتجريدية .

\*\*\*

واللوص - إدن - يرشك أن يجاوز حد الصحف .

ومن حتى - إدن - كواطن أن أفض مفتوح الميادين ، على كل ما يجرى في البلد .  
وإذا كان مجلس القيادة قد اتسع لصباط من أقصى اليسار وصباط من أقصى  
اليمن ، وإذا كان « الطيب الأسيب » قد بدأ يتصل بالرفد والإخوان ليقلب بهم كل  
الوزن ، فمن هو القائد الحقيقي للثورة ؟ هل هو إخوانى ؟ هل هو شيوعى ؟ هل هو  
وطنى ؟ أم هو شىء لا ندره ؟

\*\*\*

ثم صف نشاط هذه الثائمت ، وانتقل الحديث إلى الثورة و ( الألبط  
الأسيب ) ..

فيل إن « جمال » بدأ يظهر على المسرح ، وأن ( حامل اللاعة ) أصابه فرح .  
وقيل إن ( حامل اللاعة ) أشير عليه من البطانة أنه يتبهر فرصة البليطة التي

أحدثها انحاء (جمال) إلى تصفية الأحزاب ، ليحطو (الطيب الأثيب) خطوة نحو  
الوقد ، وليفتح عيون الرافدين على ما يراد بالحرية ، وبالمستور ، وعلى الاتجاه الجديد  
إلى إقامة « ديكتاتورية » تحكم بالحديد والنار ، وتسخر كل مقدرات البلد لتخلق  
« فاشية ناصرية » .

ولما اعترضت بأن من غير اللقول أن يحاول القائد الشاب إقامة ديكتاتورية في بلد  
ممثل ، قيل لي - وكان الرد يبدو بويشذ مقولاً - إن المحادثات التي كانت قد بدأت  
في ذلك العام مع بريطانيا وتوصت... والنشاط العدائي الذي بدأ القائد الشاب بوجهه من  
جديد إلى منطقة التنازل ليقص به مضاجع الاحتلال ، - وكان قد بدأ يؤتي ثماره فضلاً  
حتى جرى اسم « ناصر » على ألسنة الجيود البريطانيين بحمل إليهم صوراً مهيبة من  
الرصع والملح - قيل إن الشاب إنما يرمى ، إعلان الديكتاتورية إلى ما بعد الجلاء .

وقت لنفسي تقيماً هل هذا الذي قيل : ليته يفعل

وليت هذا الشاب يدمج فيما فعلت فيه ثورته الشعب عبر سبعين عاماً أو تزيد ،  
فيحقق لنا حلم الخلاء ناجراً ، فإذا أراد وهو ابن من أبناء مصر أن يستذل أهله وأن  
يفرض نفسه سيداً عليهم ، وساكماً مطلقاً فيهم ، فهم أحرار فيما يختارونه لأنفسهم ،  
حرية الأب الرخو أو الأب الحازم ، لئلا الإبن الذي يشق عصا الطاعة .

وأياً كانت النتيجة ، فحزبر مصر من الاحتلال تهون إلى جابه كل النتائج .

### قصة همزوزة

والهم أي في خانة هذا الفصل أقول ما قلته في مطلقه أن جيم اللوازين اختلت  
في يدي ، وأنها لا بد أن تكون قد احتلت في يد القيادة .

ويبدو أنني وكثيرين من الثارين القدامى ، كنا قد تأثرنا فضلاً بالجو الحزبي  
القاسد وبمجدنا إليه ، والدليل: أي أحست بالنضج عند ما حلت الأحزاب .

وعلى الرغم من أن هذه التنبؤة تناقض فرسحق جعتهيد لللكية الزراعية ، فإنني

أصنيت إلى حجاج المنصوم ، وإلى صيب المنصوم وهم يملطون الحدود ويشقون الجيوب  
ويؤيدون المريات ، غداة حل الأحراب ، وتفاقم اللؤف عند إعلان الجمهورية .

ودعوا بهذا الإعلان على اتجاه القائد الشاب إلى حكم الفرد .

وبدأوا يتحدثون عن السجنون التي ضاقت بالأحرار من الزعماء (!!) .

ورأيتني أضرب بفراخي في هذا البحر اللعين ، والأمواج تحملي بعيداً عن  
الشاطئ ، وسفن الإنقاذ تلوح لي بعيدة هي الأخرى .

ومصري عالق بيد القدر .

• • •

وفي ميزاني أن هذه الصورة للهجرة تلك الأحداث ، إنما تشكل المرحلة الثالثة  
في موقفي من « الرجل القوي تأمرت عليه » .



## الفصل الرابع

### أمواج تتلاطم .. وآمال تنهم

من بواحث ارتياحى أن تأذن لى - وأنا أدير المتصاح فى مكانه من باب هذا الفصل - أن أشير إلى ( حقيقة مسهبة ) ذات شأن ، وهى أئى لا أحرص أبداً فى هذا الكتاب على القضاء الثورة فى كل أطوارها ، طوراً بعد طور ، ولا على بيان خطاها ، خطوه تلوحطوه ، ولا أحرص أبداً على بسط ما أدته لمر فى كل المجالات ، صنيماً بعد صنيح ، ولو أن الأمر كان هكذا ، لما كان أيسر على من أصح أمانى ( مجموعات الصحف ) التى صدرت خلال الستين المشر ، وأهض بهذا الصب فى خير جهد .

ولكن الأمر ليس هكذا ..

إنما أتناول ( الأحداث ) التى تتصل بموقفى قطب من ( الثورة ) ، لأنى أنا الذى تشككت ورددت ودوت منها ورددت عنها وكفرت بها ، ثم آمنت .. فالحدث الذى كان له أثر فى أئى وضع هايبته من هذه الأوضاع ، هو وحده الذى أناوله ، غير مقيد حتى بالتزيب الزمنى فى وقوعه بين الأحداث الأخر ..

هذه الملاحظة ذات أهمية بالمة ، وأنا أتقف بياب مرحلة ، وإطلالا اردعرت خلالها آمال ، ثم نهضت ، وإطلالا هب نسج البحر يحمل إلى رثنى سحرراً وسلاوة ، ثم لم يلبث البحر أن هاج ، وتلاطمت أمواجه ، لحثنى موجة إلى مقربة من الشاطيء ، وردتى أخرى بيدياً .. بيدياً .

من هنا رأيت أن أنه على هذه الحقيقة .

## سنة .. غنية ١٩

وسنة ١٩٥٤ التي ينبغي أن أتصدى الآن لجانب من أحداثها ، كانت غنية بالأحداث وأرضي أسما كانت غنية بالأحداث التي تتصل بموقفي من الثورة .

في سنة ١٩٥٤ بدأت شبهات السنة التي سبقتها تتحول إلى حقائق أو تلوح لنا كالحقائق .

بدأت العلاقات تبدو واضحة بين ( الطيب الأشيب ) حامل ( اللافتة ) وبين ( ضائع الثورة ) .

وحدث أكثر من صدع في جبهة الثوار ، ورأينا التشقق في ماسي القيادة بالمين الجردة أو هكذا خيل لنا أننا نراه .

\*\*\*

وكان الماضون من المستمرين وفلول القمصر والإقطاع والأحزاب ، قد شطوا في نسيج الحو ، وروعوا في صنع الأكاذيب ، وأمسى الجومها تصديق كل حبر مكذوب ، عن أي شر ( مزعوم ) يراد بالأمة ، أو أي حق ( موروث ) يراد اعتصامه من أبناء الأمة .

وركب ( الطيب الأشيب ) ، قفة هذه اللوحة أيضاً ، وأمسك بمسما تشبه ( عصا موسى ) — لا يهتس بها على عسه وإنما ليحقق بها ( مآرب أسرى ١٩ ) — زاعماً أنه إنما يحملها باسم الأمة ، ليقول لفرعون الجديد : ( علك .. قف ) ، وراعماً أنه الحفيظ على حقوق الشعب في الحياة النيابية ، وى الديمقراطية السياسية ، وفي سيادة حكم الأهلية ، وى راية الإسلام أيضاً .

\*\*\*

وأشهد أنه أحسن تمثيل دوره الجديد ، وترك في بعض النفوس للمهابة أنراً غير

هين ، وبدأ الناس يتسألون ويتهاصنون ، وبدأت القرفة تدب في صفوف الأهلين ،  
وبدأ الرأي ينشعب في البيت الواحد ، وبين الولد والوالد .

\*\*\*

وأهل ( الإخوان المسلمون ) برؤوسهم — ابتغوا أو المورم ، في صاندة (الطيب  
الأشيب) — بزخعة مرشد ، هو مستشار سابق ، وهو أيضاً (طيب وأشيب) (١) ،  
وكانت الأحزاب قد حلت ، وكان أصعب الإيمان أن هوى الحريين لا بد أن يكون  
هو الآخر مع (القائد الشيخ) ، وكان بعض صغار الأحمال من الضباط المنحدرين في  
سلاح الفرسان قد صلوا طريق الثورة وأبدوا هنا (الشيخ) .

وكانت جريدة (الجمهورية) قد أصلتها (هيئة التحرير) وعهد لها إلى  
أنور السادات — أحد الأحرار الذين يقدمون القائد الشاب — فبدأت التلميحات  
تنساب في براعة بين السطور .

• • •

وبدأت ظلة الليل تمشى بنا ، إلى ليل ممتدة لا تبين لما نهاية ، ولا يكاد  
الناظر فيها يستبين يده ، فكيف يستبين أسرار الأحداث ومصيات للوقت ؟  
وكنت قد شرعت في وضع كتاب « ملكة في البران » أرسم فيه الأهداف  
حرية وإسلامية ، وإنزبئية وأسورية ، فنجبت المنحول فيما يمس من قرب أو من بعد  
تلك الخلفات .

وكان ذلك سعود قد محمد زيارته القاهرة شهر مارس من ذلك العام ١٩٥٤ —  
وهو الشهر الذي سجل ما لحولت التي تذكرها جيداً ولا نساها .

---

(١) ظهر لقب فيما بعد أن المصطفى مهدي الإخوان « غير الشول » كان يتصل سرّاً من  
سجده سنة ١٩٥٣ بمنه أياض مستشار السارة البريطانية لياوونه في شروط العاهدة التي كتبت  
عده الخامس يماوس الإنجليز فيها « كسترل » .. ولعل ذلك « العوان » كان سبباً في نشر  
اللياحات « الرمية » في ذلك الحين ... ولماذا المتكلمين إلى العال .

## سعود وحوادث مارس

وكننت في الحج قد تبيت « الأمير سعود ولي العهد » في قصره محبده ، وفي حفل أقيم بمناسبة تنازل والده « للرئيس » عن « سلطاته الملكية » لولي عهده ، ودهينا نحن الصيوف إلى الحقل ، فجلت من المنى التي أقيم من أجله ، ولكن الشيخ عبد السلام غالى ( مدير الضيافة وأصله مصرى ) ألغ علينا في أن نسترد فليتنا الدعوة .

ولما جاء سعود إلى القاهرة في مارس - وكان قد ( بويج ) بالملك بدو مائة أليه - تلقيت دعوة أقامها لعدد محدود من المدعوين في قصر الطاهرة - وبالأساء على المقاعد والبطاقات - فأكبرت هذه العناية من جانب ملك ، وحيثه في ( السوادى ) تحية بالفت فيها ، تأييداً لحكومة مصر التي لم تدعى إلى أى حفل أقامته للرجل .

\*\*\*

وكانت أسر الحفلات التي أقيمت لتكريم الملك ، حفلة عشاء في فندق « هيليو بوليس بالاس » دعا إليها سعودى بالرر اسمه ( الكسكى ) كان يحل ( فندق مصر في مكة ) ولم أكن أهرفه ، ولله قل اسمى ضمن أسماء من كانوا مدعوين إلى قصر الطاهرة .

وليت الدعوة طيباً .

وكان مقرراً أن يصل الملك إلى القاهرة في مغرب ذلك اليوم عائداً من الاسكندرية حيث كان يتناول العشاء على مائدة شكرى القوتلى ( لبحى . مع القائد الشيخ والقائد الشاب ) إلى حفلة الكسكى ثم ييلرح القاهرة فجر الليلة نفسها عائداً إلى جدة .

\*\*\*

وطال انتظارنا لهما كبير وصغيرهم ، ولم يجيئوا في موعدهم .

وبدأت ( مصانع النشآت ) ترسل إلينا ألواناً جميلة من إنتاجها عبر الردهة كبيرة التي تكلمس للدهون فيها ، وتفرقوا إلى جماعات متجانسة أو متأنفة ، ولم يكن لهذه الجماعات من أحداث غير أسرار هذا التأخير ، وغير ما أرسلته مصانع

الثالثات من الزمان الإنتاج ، وحسبك أن من هذه الأثمن ثمانية تقول إن القائد الشيخ اغتيل في الاسكندرية بيد أنصار القائد الشاب .

\*\*\*

وبعد بضع ساعات أذن لنا بوصول الملك .

ودخل من الباب الكبير - بين حقة سيوفه - عابس الوجه مقطب الجبين ، فوقتنا نحية له فرجع إحدى يديه يرد التحية ، ومضى وفي إثره الحاشية إلى مائدة العداة لاحتاح المشاء ، فاتهزت فرصة مرور سكريره الخاص - عبد الله بالخير - على مقربة منى وجذبت من كم العباءة وسأته في لطفة عن الثائمة الخطيرة فنفاها وهمس في أذنى : ( جلالتك يسي الصلح بينهم ، أجل سفره الليلة ، والرجال ) بتشديد الحميم المفتوحة - ويتصد ( الطيب الأثيب ) ووصل معنا بغير وسلامة .. الطين ، والحد لله .

وأحسنت من الإجابة أن هوى السعوديين مع حامل اللافة .

وتناول الملك قليلا من الطعام - على غير عادته - وقام .

وانصرف وانصرفا .

وفي الصباح أدب أن الملك أرجأ سفره يوماً ، وأنه استقبل جمال عبد الناصر ، وبقى معه إلى ساعة متأخرة من الليل ، وكلام يفهم منه أن الصفوق قد عاد إلى النفوس بفضل الضيف الكبير ، وسافر الملك - وهو عليم أو غير عليم - بما خباياه الأقدار من حوادث مارس بعد أيام من رحيله .

ومرة أخرى أقول : أحسنت أن هوى السعوديين مع حامل اللافة ، فهل كانوا يجهونه لأنه « طيب أثيب » ولا شيء إلا « الطيبة والشيب » ؟ أم أن الأمر لم يكن ( حياً في مساوية .. ) ولكن ( كرهاً في عني .. ) ؟ وترجمة هسنا ( القول للأنورد ) إن الأمر لم يكن حياً في ( نجيب ) ولكن كرهاً في ( ناصر ) .

ولكن ناصر.. لماذا يكرهه؟

أغلب الظن أن التعبير غير دقيق، والمفك أن تقول: (كانوا يخافوه) ، فإذا صح أن الأمر كان هكذا ، فن الإنصاف أن نشهد لم يمد النظر ، بد أن أثبت الأحداث أن (الناصرية) أمت تثير مخاوف (الرجسية) في كل البلاد العربية .

...

ونعود .. قول :

وقعت حوادث ملوس ، وتعام الخلاف ..

وذهب (جمال) بنفسه إلى سلاح الفرسان ، وواجه صفار الأحلام ، ووسط الموقف على حقيقته ، وأفاق من أفاق ، ونجد من نجد .

وقيل فيما قيل أن صفوة من أصحاب (جمال) أمروا على أن يفتكوا بالقائد الشيخ ، فوقف (جمال) في وجوههم ، وردم عما أرادوه .

وكانت الحريات ، قد أطلقت للصحف والمجلات ، وما كان أشد دهشنا ونحن نرى « أحمد أبو الفتوح » - الصديق الصديق - لناصر - يؤيد انجلاء « الطيب الأسيب » وأصبحت جريدة « المصري » التي كان القائد الشاب يقضي الجانب الأكبر من أسياته فيها ، أصبحت متبراً لكل من يريد أن يطالب بعودة الأحزاب وعودة الدستور وعودة البرلمان .

واختلط الخابل بالتابل ، ولم يمد أحد يده على التحديد شيئاً .

ومشت الضجة إلى قصى ، فشرحت جوى إلى جانب « القائد الشيخ » ولكني تحمضت ، وسيطرت على هذا الموى ، (لا ثقة) في (القائد الشاب) ، بل (عدم ثقة) في (القائد الشيخ) ، وهو يوزع وده على قوم لا يجمع بينهم ود ، كالإخوان والوفد .

وأحسست - كما لم أحس من قبل - أن الأمر كله منحوع على\* ، وأن الخيوط كلها بلدت تتشابهك وتهتز بين يدي .. وأن الجانب الخفي من الموقف أشد شظورة

من الجبابرة الظاهر ، وأن ( انطيط الأسيب ) ، ليس هو الذى تصوروه ( للصرى ) ،  
شعبى المتعبد ، ملائسكى انطلق ، دستورى الدرعة ، وأن ( القائد الشاب ) ليس هو  
الذى يصوره المصوم فى صورة ( فرعون ) .

وأحسنت - كما لم أحسن من قبل - أن ( حى البلدة ) بدأ ديسها يتمشى فى  
أوصالى ، ويهدد بالى ، طاقة الإدراك فى

\*\*\*

وشى الاقسام إلى جماعات للتفتين ، فانقسم المسلمون ، فى احتاعات صاخبة  
وعاصفة ، اسعدت فى دار النقابة ، وكاد الترفقان يتضاربان .

وعلى حين غرة ، تنفرت طائفت الشعب الملمم ، ونزل العيال إلى الشارع ،  
واكتسحت المظاهرات القساورة ، وهى تنادى بالموت لسكل من يعترض طريق  
( الثورة وصانها ) هائمين بسقوط الحامدين ، وكل منقف تنهى به تخافته إلى ( انليانة ) .

ورجلت<sup>٢</sup> على قلبى ييدى ، وعينى على جيش الاحتلال فى القتال ، خشية أن  
يتحرك ، وأن يضرب .

وارتفع جمال إلى مستوى الأحداث ، وأمر على الاستفاة ، وأعلن نسخبه من  
القيادة ومن كل تشكيلات ( النظام ) - وهو صامه - حتى يبنى ( النظام ) .

واشتدت ثورة العيال ، وأرغسوه على أن يسترد الاستفاة ، وعلى أن يعود من  
جديد رئيساً للوزارة .

وسنحت الفرصة لتفخلص من القساند الشيع من غير أن تهرق قطرة من الدم ،  
وأبى جمال إلا أن يبيده رئيساً للجمهورية ( يملك ولا يملك ) بلنة دستورنا القديم .

وجرت الأحداث فى الطريق التى رسمتها الأقدار وكلسكم تذكرون تلك الطريق -  
وليس مما يحصل بهسقى فى هذا المقام أن أتليت عددها ، أو أفضلها ، أو أطليل  
الحديث عنها .

وحسبى أن أعود إلى نفسى لأحاول مرة أخرى تحديد مكانى .

## أين مكانى ؟

هم .. أين مكانى من هذه الأحداث ؟

هل أين مكانى من أحداث سنة ١٩٥٤ بأكلها لا من أحداث مارس وحده ؟  
وأعترف أنى لم أجد لى مكاناً ، إلا أن تشدى (اليمين) فيماودى الحين إلى  
(الشمال) وتندى (الشمال) فيردى الحين إلى (اليمين) .

هم .. كان لى عقل وضمير وحس كالسكل الأناسى ..

كان لى عقل .. ولعقل تمكيره .. ولتتمكير أسلحه .

وكان لى ضمير .. ولضمير (صوته) . ولصوت تأثيره .

وكان لى حس ، وكان الحس أسبق من أخويه فى التأثير ، حتى حمت منسه  
فجئته ، بحيث يرى كل شىء ولا يشهه شىء ، ونفضت يدى من الأمر كله ، وجلت  
فوق رمال الشاطىء . أحقق فى الأمواج يطلرد بنفسها بصباً ، ولا تدرك إحداها  
الأخرى ، وإن كانت كلها تنكسر فى النهاية تحت أقدام الشاطىء . وأحقق فى اليواخر  
تمخر العباب ، ثم ترسوا تقيب ، وأحقق فى الأذن البعيد وهو يرمز لغروب ..



وقد يكون منهداً فى هذا المقام أن ألتقط من حوادث العام بعض ما انعكس  
تأثيره على النقل خطأ فى إلى التور ثم ارتد ، وعلى الضمير عصما من النوم ثم هد ، وعلى  
الحس ما كل مى حتى أتحم ونجمد ، وتركسى فى حمراء الرأى جيفة .

• فى ذلك العام حاول الإحواى اعتيالى (جمال) فى اللشبة .. فواجه لرحاص  
فى شجاعة تدبير الرؤوس واكتشفت أسهرة الإرهاب ونجابه الأسلحة .<sup>٢</sup>

• وفى ذلك العام وقع جمال - رئيس وزراء مصر - اضالية الجلاء عن مصر .



واحدتها في خطبة له خلاصاً من المستمر بعد الانتفاضة التي كان قد وقها مع اجلنا الحل  
قصية السودان .

• وفي ذلك العام صفت رئاسة ( الطيب الأثيب ) وبدأت الصفحات المطوية  
تشر في المصحف .

• وفي ذلك العام بدأت مصاح الآخرة تتج .

• وفي ذلك العام قرأت كتاب ( طلعة الثورة ) .

\*\*\*

وأحب أن تعرف أن ( تصفية الإخوان ) صدمت هوى من نفسى بعد أن امتد  
نشاط الإرهابيين فيهم إلى الأمنين في دورهم ، و إلى سابلة الطريق ، و إلى دور القضاء ،  
و كنت أعرف أن هذا اللون من إشاعة الفجر ومث القومى - كما حدث في حريق  
القاهرة - حمل من أعمال ( الشيوعيين ) وليس عملاً من أعمال ( المسلمين ) مهما تكن  
( البواعث ) ، وكانت لي آراء في ( الإخوان ) حثتني على صدقها ، ذلك الذى جرى  
منهم ، وذلك الذى جرى عليهم ، وكان المقول أن يشدى هذا ( التطهير ) إلى ( سياسة  
القائر ) ، كما شدى ( قانون الإصلاح الزراعى ) إلى ( اتجاهات الثوار ) .

ولكن ( المنصوم ) كانوا واقفين بالرصاد ، لكل ما هو ( مقبول ) ، حتى  
يتبدى في نظر الجماهير ( غير مقبول ) فأشاع ( مصنع الشائعات ) بين الناس أن ( حادثه  
المشيه ) كان ( مدبراً ) وأن ( جهاز الإرهاب الإخوانى ) كان جمال على علم به من  
سين ، وكان قد شارك في إعداده ليعمل ضد المخطئين ، وكان يعرف مكان كل قبلة  
ومدفع ، فلما اشتدت قبضته على الحكم ، واشتدت معارضة الإخوان له ، عذرهم  
ليغضض منهم ، وزعم أنه كشف عن محابهم ، بعد أن اطمأن إلى الانتفاضة التي أيرمت  
مع الإنجليز بشأن القنال وقاعدتهم فيها .

وعلودتى البلية ورجت أقول لنسى :

- إذن فالتائد الشاب يستهدف إجلاء الأعداء من أرض الوطن ، بمسونة

الإخوان وغير الإخوان ، ولذا سلنا جدلاً بأنه غدر بهم ، فهل قيد لحسابه ( المذنب )  
فضيلة إجلاء العدو عن أرضينا بأى ثمن ، أم قيد لحسابه ( المذنب ) غدره ( المرحوم )  
بإخوانه ، ربط (المهد) بينه وبينهم ؟

وتسحب العقل فلم أستطع أن أبدي رأياً .

## والجلاء ؟

وكنت قد فرغت من كتابي عن رحلة الحج ، عند ما وقع (جاء) اتفاقية الجلاء ،  
فأضفت إليه - وآخر ملزمة فيه بجهتها محال ( للطلبة العالمية ) لقطع - صفحة جديدة  
قفا فيها تحت عنوان ( مجرى التاريخ ) إن رئيس وزراء مصر ووزير حرية المسلكة  
المصلحة قد وقعا في السابع والعشرين من يونيو ١٩٥٤ وبالأحرف الأولى من اسمها  
( انعطوط الرئيسية للاتفاق الذي يتضمن المبادئ التي يقترح إعداد اتفاق حل أساسها  
خاصاً بقاعدة السويس ) ورغبتُ من إبداء الرأي فقلت بالحرف: « وكل مرجوى » وقد  
بدأ مجرى التاريخ المعرّى يتحول ، أن يكون هذا التحول موضوعاً لكتابي  
السلمى التالى .

## والقائد الشيخ ؟

وكان محيياً - بعد حوادث مارس - أن يفتتح أمور السلاطات ( والمرحوم )  
صلاح سالم الحجة على القائد الشيخ - وهو يمارس سلطات رئيس الجمهورية في عادين -  
في فصول ضافية ترفع الستار عن القصة الكاملة للرجل الذى طلب إليه أن ( يمثل ) دور  
الرئيس ، فمثل ، وكان محيياً أن ينساق للمخوض والكتاب ، إلى إصدار الكتبه  
تحمل إلى القراء . ما لا يكاد يصدق عن تصرفات شخصية لقائد الشيخ ، يجعل من  
نسبها إليه أى مواطن عدى ، فصلا عما كان قد أنير في المحاكمات عن اتصالاته السرية  
بالإخوان وغير الإخوان .

وبنت أن القائد الشيخ لم تكن له صلات أصلاً بتشكيل للضباط الأحرار وإنما  
وقع على الشيخ الاختيار ، بعد أن مهدوا لظهوره كلواء له قدره بين لواءات الجيش

فرشوه لرياسة نادي الضباط ليستقوا به حسين سرى طمر ، كلوايه له مكانه بين رجال الملك ، ونجح القائد الشيخ ، وغضب الملك وأمر بإنهاء نتيجة الاعتصامات ، ونقل الشيخ مديراً للحدود ، وبدأت الحرب المكثوقة بين الملك وملائع الثورة .

ومن أسباب اختيار القائد الشيخ أياً لقياة الثورة رغبة الضباط الأحرار ، في أن يحفظ (صانع الثورة) حرية الحركة حتى يستكمل تشكيله السياسي ببدأ من الأضواء ، وحتى يصح تخطيطه وتكتيكة في مواجهة المحتلين والإقطاع ورأس المال والأحزاب .

وكان ينهى أن (أعطل) هذا القى قيل ، لأنه (مقول) .

ولكى ترددت ..

ترددت لأن الحصوم رسموا صورة مقابلة للشيخ (المكين ؟) وذكروا بطولات له جرح خلالها ثلاث مرات في فلسطين ، واستشهدوا عليها بأقوال التوار أنفسهم أرقام الثورة عن تلك البطولات ، وذكروا أن الشيخ لا يريد أن يستقبل ربه وهو يحمل على كعبه التهميد... لفرعون جديد... بدأ ينزل قومه باحتلال أصحاب الماضي الجيد في مكافئة الخجل .

وقال الحصوم إن الشيخ لم يضل أكثر من أنه أسر على أن ترد حقوق الشعب للشعب وأن يمود كل جندي إلى تكته ، فلم يكن منهم إلا أن حشدوا في الطرقات كل ما جور من المال المحترفين ، وشتوا على الشيخ أشنع ما يشن من الحملات ، وجرده من كل السلطات ، وشتوا أوصاره من الضباط ، فتوا معهم إلى أوروبا العريق المخطوط أو الخوف ، ملحقين عسكريين في السفارات ، وحلوا بأوره انخاس على أن يطبر إلى السعودية لاجتاً سياسياً ليديبوا رسمياً أبه ( حرب ) .

ومرة أخرى تحت عيسى على السعودية ، وذكرت سكرتير الملك يوم حفلة هليوبوليس بالاس ، والبارة السجبية التي عس بها في أذى ، ولم أنت عند هذا الخطر ، ولم يدر بجلدى أن الحد سوف يتخض عن ضوضاء رهية ، نتيجة تلك المعسة الخائفة ، ومضى الخطر ، أو كان ومصة ، وتلاشى الوميص .

ومضيت أقول لنفسى بعد أن ملأها الغصوم شكوكا :

— لو أننا سلمنا — جدلاً — بأن القائد الشيخ ، بلغ من (السوء) اللبغ الذى صورته لنا (دعاة السوء) ، فساداً اندفع الثوار من غير الثورة يرتضون بالشيخ إلى السماوات العلا ، ولماذا أسرفوا على ثورتهم فصوروه للشعب ، مبعوث الساية لإشاذ العرب ، حتى لقد كادوا ينادون به نبياً لولا إيمان المسلمين بأن محمداً بن عبد الله هو حاتم النبيين .

والحق أن الثوار — والأصغار المتخصصين في فرع الطول والنفخ في المرامير — لجوا في الدعابة للشيخ حتى لقد قالوا إن محازم الأمريكان أصابهم الحوس ببطولة الجنرال ( وأن كثرات سمن أبرقن إلى المسئولين في الاستعلامات يطلن صوراً له تزدان بها صدورهن ) وأن موسم السياحة قد يحمل لنا من المولارات أكياساً أو أكدمساً ، لأن أصحاب اللالين من الأمريكيين مشوقون إلى رؤية الجنرال الأهل الذى طرد الملك وهزم بريطانيا وفوض الاستثمار .

مضيت أسأل نفسى :

— بأى حق صلونا على هذا النحو ، وم يرفون أن كل ما قالوه ، عن (الطيب الأسيب) لا يمت إلى الحقيقة بسبب ؟!

وفى عمرة الضعب ، قيدت التصفة — التى كنت أرمو إلى تقييدها لحساب الشاب العائن — في حسابه للدين .

عدوان على . . .

ثم جاءت الصرية التى سدحوها إلى صدرى شخصياً ، فأصهرت جل كل تردد فيه ، وملائتى (ضئبة) .

أقول (ضئبة) ولا أتردد هذه المرة ، لأنها تدخل ضمن « الصلق الرهيب » الذى توجيته في هذا الكتاب .

نعم.. وبنجاة.. وفي غير مقتضى - وكنت الأرمه كتبى أصفى ولا أحدث.. وأحاديث  
ولا أخلم - نقيت كتاباً مسجلاً من وزارة الإرشاد القومي - كما كانوا يسونها -  
وإتوقيع وزيرها .. بإلناء رخصة جريدتى .. وببجبة أنها لا تصدر بانتظام .

وأذكر - وأرجو ألا تكون الذاكرة قد خانتى فى عدد أو عددتين أو ثلاثة -  
أن « السوادى » كانت تصدر بانتظام ، وتطبع فى ( المطبعة العمالية ) التى تحمل هوى  
عبء هذه الطبعة من هذا الكتاب ، ولم تكن توزع فى السوق ، وإنما كانت تصدر  
فى أضيق نطاق ممكن ، احتراماً للقانون ، وكنت أصننها ( مذكرات من الذاكرة )  
من ربع قرن قصبته فى الصحافة ، وكانت بعض المؤسسات الكبيرة لا تزال تحاملنا  
وترسل إلينا إعلاناتها ، وكان بعض المشرفين على الدعاية للأفلام لا يزالون يحاملون .

وأكثر من هذا ، أن اللدكات - ولا تزال - ملأى بالجهلات التى تصدر  
فى أى وقت تجدى صدورها ضماً ، وتكف عن الظهور فى أى وقت يصيبها الظهور فيه .  
ودارت الضربة برأسى وحاولت حيناً أن أجسبها .

والحادثة فى ذاته قد يبدو عادياً فى نظر القارئ العادى ، أما أنا فالتقى بمنبئى منه  
وقد تأثرت به ، أنه وقود جديد صوبه بأيديهم على تشككى فيهم وعلى كل ما دفع فى  
إلى كغرى بهم .

( إنى يا عبل ، من لحم ودم ) هكذا قيل إن عترة .. قال ليله .

وهكذا يقول واضع الكتاب لقراء الكتاب - وفى مقام الاعتراف لا فى مقام  
الدفاع : إنى - يا قوم - من لحم ودم .

وقد سدوا العربة ، إلى مصدر رزقى ، فاستقر فى ذهنى وقلبي ، أن من يضرب

بريتاً) أمزل ، وهل هذا النحو ، وهذا السنف ، ومن غير داع ، يصدق فيه كل ما يقوله الخصوم .

وهل ضوء هذا المنطق ، رأيتي أدخل في دائرة (الكتر) أو (الخصومة الحادة) لفائد الشاب .

\*\*\*

وعسى أن أكون بهذه الصورة ، أو بهذا الفصل ، قد رسمت المرحلة الرابعة .  
في موقفى من (الرجل الذى تأثرت عليه) .

# الفصل الخامس

## أوغلت في الكفر

وحادث سنة ١٩٥٥ حادثة بالأحداث ، جساماً هذه المرة .

ولم تكن الأحداث على مستوى مصر واللك ، والإقطاع والإخوان .

ذلك مستوى ، لاح لي أنه يتراوح باعاً إلى زوايا السيمان ، وأنه يبحث في حلوه للزوم عن مكان له في التاريخ .

كانت صفحة الأحزاب قد طويت منذ حلت وصودرت أموالها وممتلكاتها في ١٨ يناير سنة ١٩٥٣ وإن كان قد تركت خلفها أديالاً من الحقد ، لم يكن من بقائها بد .

وكانت أسرة محمد علي قد دفنت في ضريح مسم في مقابر التاريخ منذ قام الحكم الجمهوري في سنة ١٩٥٣ أيضاً .

•••

وأعود قليلاً إلى الوراء لأذكر أن الثور كانوا قد تكتفوا ، إثر انحداد تلك الإجراءات الحارمة ليقدموا إلى الجماهير ما يبررها فتمنوا إلى حامل اللافتة محطب أعدوها ليقبها ، وأطلق بها إلى شجاج الأقاليم بين حوافل مشيوية وقلوب جبانة وهتافات تواسي مرسلها على أن يملأوا بها كل شبر بزوره من الإسكندرية إلى أسوان ، وظهر في تلك الفترة « جمال » .

ظهر ( جمال ) ليحطب في ( هيئة التحرير ) أول سطبة له في ٦ فبراير سنة ١٩٥٣ وأودع إسراء الناشرين إلى مختلف الأقاليم ليشرّف الشعب عليهم فتشهد الشهر الرابع من

نفس العام سابقاً «شبابياً» بينهم ، وسافر عبد الحكيم طهر إلى بلده (التيها) غطب في أهله ، كما غطب أنور السادات وركيزا محي الدين وكال للدين حسين وحسين للشلمى في نفس الشهر في كفر الزيت وبها وغيرها من مدن الوجه البحري .

وكان (جمال) قد أمر بتشكيل حرس وطني من شبلة الجبل الناصر . فتم تشكيل (الحرس الوطني) .

وأحسن التماثل شاب أن اليدالباطنة التي أجبر بها على الإقطاع والأحزاب في حاجة إلى مساندة واعية ، فطلب إلى (هيئة التحرير) أن تضطلع بهذه المهمة ، فصدت جريدة (الجمهورية) يشرف عليها (أنور السادات) ، فأحسن القيام عليها ، بدأ أن حاولوا ملء الثغرة ، من مطالع الثورة ، بمجلة (التحرير) ولم تكن تقدر وحدها على سد حاجة القراء كل صباح وهي نصف شهرية ، وإن كانت بمس مجرم الضباط قد امت فيها لساناً عسكرياً حاطفاً لم يجل أبداً عناطر ، فالتفتنا لأول مرة بثروت حكاية وكال الخناوي ، ومصطفى سبعت بدوى ، يماونهم بعض الصحيين المروفين استراوم من جريدة (المصري) صديقة الثورة في ذلك الحين ، مثل عبد المنعم الصاوي وحسن فزاد وكثيرين لا أذكرهم .

## سنة ١٩٥٥

وأعود إلى سنة ١٩٥٥ وحولتها الجلام ..

ولم تكن هذه الأحداث على مستوى مصر والملك ، والإقطاع والإخوان كما قلت في بداية الفصل ، وإنما لردات تلك السنة بورتات جريئة تجرت حولتها على المستوى الآسيوي والإفريقي ، وعلى المستوى المالي أيضاً ، فشهدت بحارة حلب بندا وشهدت اسفاد مؤتمر باندينج ، وشهدت زيارة عبد الناصر لهند ، وشهدت حالات تسليح الجيش المصري من روسيا وتشيكوسلوفاكيا .

ودارت الرؤوس مرة أخرى ، ومن بينها كان رأسى .



## وهجوم إسرائيل

وكان مما استرعى الأنظار وقوع الهجوم الإسرائيلي النادر على « عزة » في ٢٨ فبراير من ذلك العام .. وفي هذا الهجوم مئبنا بمسائر جاورث الحشود التي أفتلنا في للصلامات للألوقة بين « الهاوريات » فراغى الحادث ورسث أقول لنفسى :

● في سنة ١٩٥٤ عقدا للماهدة بنا وبين إنجلترا .. واتقنا على الجلاء .

● وفي ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٥ أظمت إنجلترا نفسها « حلف بندا » تمد به تيار « القومية العربية » التي يرضع ناصر رابئها .

● وفي ٢٨ من الشهر نفسه فبراير — أى بعد أربعة أيام من قيام ( حلف بندا ) — حرضت إنجلترا نفسها .. جيش إسرائيل فشن الهجوم علينا في ( غزة ) وهي تعلم أننا لا نملك من السلاح ما نرد به هذا العدوان إذا تحول حربياً ، وكما قد طالبها بتسليحتنا فراغت منا وسلحت جيش إسرائيل .. فكيف يستقيم في القمن — وهذا هو البرضع — أن جلاء سبتم ؟

● وفي غمرة هذا الظلام الذي أمسى يملأ نفسى .. توالت شائعات الحشوم تنقب على ذلك الهجوم ، وتنفق القارنات بين هتلر وناصر ، وتؤكد أن سياسته لا بد أن تنتهى بإسرائيل إلى احتلال أرضنا ، وتحقيق حلمها الصهيونى القديم: ( من القنرات إلى النيل ) كما احتلت أرض ألمانيا النازية ، حشوش الروس والحلفاء .

### حقيقة كبيرة ؟

وحقيقة — ( كبيرة ) — أميل الساعة إلى ( التركيز عليها ) ، بعد أن أثبتت التجربة وجودها وبعد أن عشت بنفسى هذه التجربة ، وصح عقدى أن لهذه ( الحقيقة ) أثرأ بعيد لدى — فى قوس الكتيرين — ولا أتجسب أن أقول : ( فى الجماعات الجناهير ) .

حقيقة نشبه المواء الذى أزمى و ( توطن ) ، وتلازم ( فترات الانتقال ) التي تمر بها الشعوب الننية بالأجلاء ضاربة الجذور فى التاريخ والتي تركت بصائتها وانصة على

صفحات ماضيها للفضء ، ثم تولت عليها الليالي السود ، وعملت كما يامل العبيد ،  
وقالت ، كالأحداث إلى التنازل سيلا ، وعانت من عوامل (التخريب البشرية) ماتمانية  
الليل الشم من عوامل (التخريب الطبيعية) ، فصعدت هذه الشعوب نجما أى جبل ،  
يحيى ، وأصويت ، بالحساسية نجما أى حا كم جديد .

\*\*\*

هذه (الحقيقة) ، عرفتها (مصانع الثاملت) من بداية الحكم الثورى الجديد  
فكلفت عليها ، وأحسن استملاها وأعى بالحقيقة فى معناها الراضع : (تشكك الجماهير  
فى كل حا كم جديد) ، وفى معالها الصيق (أحقاد الناشئين على كل حا كم ناجح) .

ويبدو أن هذه (الحقيقة) هطت على شمتنا بجاناسيا معاً وأطبقت عليه بكل  
ضراوة فيها ، ضراوة الطير الجائع ، ينقض على القرية والقرية بين يديه تتلوى .

وناصر (حا كم جديد) من حيث (اللى الراضع) .

وهو حا كم ناصح من حيث (اللى الضيق) ، والناشلون فى عهدو وبسبه ،  
قطاع غير هين ، قطاع كان يملك كل شئ . ولم يبد يملك شيئاً .

ويكفى أن نجد نفسك - مصلوفة أو عمداً - فى هذا القطاع الذى ينامم  
المحاكم ، حتى تحسك أذيك شامته ، تنصب على أذيك وتنصب ، وتنسل إليك  
من كل حدب وصوب ، وتسرب إليك فى القهى وفى البيت وفى المكتب ، مرة فى  
صورة (خير مشير) وأخرى فى صورة (رواية) عن (شاهد هيان) ، وتارة فى صورة  
(بشرى) ترف إليك إن كنت فى ضيق ، وطوراً فى صورة (مكتبة) تملأ سمك فى  
السهرة أو السمل أو فى الطريق .

و (التريقة) السياسية على المحاكم الناصح ، عدوى فائقة للانتشار ، وفى أقصر  
وقت وعلى أوسع نطاق ، وقد تصب بهذه العدوى من غير أن تكون خصماً لهذا  
المحاكم ، لا لشئ إلا لأماك تميش فى بيته من بيئات الخسومة .

وأنا أميش فيها ، وبرغى ولو تأيت عليها .

لقد أمضيت السرايا في الصحافة ، التي تمثل الأحزاب والساسة ، ومعظم الأصدقاء من الحزبيين والسياسيين ، وإنما أنا أوصدت أبوابي دونهم وثبتوا إلى من التواضع ، وقد نماهنتي حكومة الثورة في غير سبب ، وألقت رخصة جريدتي من غير حكمة ، وخصت أمام أصدقائي من أعدائها ، كل طريق يؤدي إلى ، من غير ساحة إلى ( باب ) أو ( نافذة ) .

هكذا وجدت نفسي بين الخصوم وأنا على مطلع سنة ١٩٥٥ .

\*\*\*

وأرجو أن يكون مفهوماً ، أن لا أعني بالخصوم (أشخاصاً) معينين .

إنها (جو) ، جو كمثل الأجواء ينسج لكل من ينفس فيه ، لرواد القامح نسج منهم (الأخبار الزائفة) ، ولسائلة الطريق نسج منهم (الكتابة) للثيرة ، جو موبوء بمحسومة كل حائد ، وموبوء بمحسومة كل فاشل .

مرة أخرى أقول : هكذا وجددت نفسي بين الخصوم وأنا على مطلع سنة ١٩٥٥ .

\*\*\*

وقد يكون من الأوصاف (لكرامتي العسكرية) - إن صح هذا التعبير - أن أفر أني لم أكن - برغم ظروف - (صيداً سهلاً) لكل من يحمل بندقية صيد .

وقد خضت صلا مبارك سلمية بين العتل والمالطة ، وصراعاً حقيقياً بين (هواي) أو (عدواي) من ناحية وبين (منطقي) الذي كنت بطيية (تكويني) أحب له دائماً أن يستقيم على الجادة ، من ناحية أخرى .

وكنت أحس أن (منطقي) يحاول أن ينهض (بالترامات) ، وأن يذكر (مواطن الضيف) في (المعوى) أو في (المالطة) بما حنته الثورة لهذا البلد ، من أجداد ، وفي

سوات ثلاث ، ولكن العاطفة كانت تنصم بهولها الجليد ، وكانت تلود برواسب  
التحرب القديم ، مكان للطلق السكين ، ينسج من قلب المارك ، شاحب الروح ،  
متفر الخليل ، أشبه بالمريخ .

### وشدت الرمال

ولم أجد - وأنا أحاول أن أطلب نصي - خيراً من أن أنزع هذه النفس  
التسعة من هذا (الجو المرئي العائد) ، إلى حراً أكثر هدوياً وأوفر طهراً .

لم أجد - وأنا أطالع ذات صباح أعياد (الزيارة الرجبية) خيراً من أن أشد الرحال  
إلى الرسول ، وكنت قد تملقت به ، وبالروسة التي أسنشق عبرها أستروح فيه روائح  
الجنة ، و (المدينة) التي أتحدث إلى الأهلين فيها ، فأذكر الأعمار وأذكر يثرب ،  
وأرى التلويح عمداً بكل نصحت الرسول إلى البقاع التي نوى فيها عبر أربعة عشر قرناً .

وشجى على الزيارة ، سهولة السفر إلى مكة لأهمل ، ولأدعو رب البيت أن  
يمتع بصيرتي على المغفاتي ، وأن يثير طريقي إلى الحق ، ولأرى ما صنعت (السكنيات)  
فيها بثلاثة آلاف من نسخ كتابي كنت قد صدرتها إليها عن طريق البحر الأحمر  
قبل ذلك بيعة أشهر ، ودانماً تفرق فينا ، شمانية الروح بكتابة السادة ، حكمة الله  
في الإنسان الذي سواه ، فصع فيه من روجه ، وأكرمه وقومه ، وحاف عليه أن  
يتطلع إلى السماء فلا تستقر به أرضه ، عزيز له الليل والنين ، ليصنو ويأمنه ،  
أويسفر ويوارن .

وهكذا شدت الرحال ، يهجو الروح من إلى رسول الله . وهو الضمف في ،  
إلى كسب مادي أسوة مذهبه (فضل الله) .

\*\*\*

وزرت واعتصرت ، زرت رسول الله وبيت الله ورهصت أن أرور الملك ، بحجة  
أن أحداً لم يدعى لزيارته .

وكان مريضاً في الرياض ، وكانت القرعة سائحة لما يسونه (التسلم على جلالت)

ولكن ربناحي لم يكن يحضن متاجة ملوك ، وخفت إذا أنا أدخلت عليه تصديلا ،  
أن يدخل (للك الكبير للتمال) تصديلا آخر عليه تأديبا ومضانا .

وكان الأمير فيصل على مقربة أمطار منى ، ظم أزده ، ولم أيرق لايه .

ولم أزر أحدا من الأمراء لأنى لا أعرف حتى اليوم أحدا منهم ، وقد يدهش  
لهذه الحقيقة كثيرون من الصحب الذين ظنوا أنى (وصلت) .

ولكنى بقيت السكتيرين من المريرين المتيمين فى جلدت وسكة ، موظفين  
أو متدين أو مقاولين أو محاسبين أو عمالا .

وكانت العلاقات من (الناسية الرسمية) بين مصر والسعودية على غير ما تكون  
العلاقات الحمية بين الأشتقاء للتعابين ، أما من (حيث الواقع) فقد لاحظت أن  
ضمايانا العالية فى المجوم التامر على (عرة) ، لم تكن تقابل بالأمى للفروض أن يحضر  
الأحاديث فى كل القلوب ، فى قلب كل عربى ودود .

وأعترف أن هذه للاسطة أعصبتى وطويت الجوانح عليها فى صمت ، ولم تنضبنى  
وفاء للناسرية أو ولاء للناسر ، وإنما أغصنتى ، لأن للوطن كرامة تتور ، إذا هى مست  
من (غرب) ، والحساسة من هذه الناسية تبدو أعراسها واضحة على كل مواطن  
وهو فى (التربة) .

ولكن المهم فى موقفى من الثورة ، أن تلك (للاسلطة) زادت ضرورى من  
السياسة للسرية التى لا ترى أبعد من مواطنى أقدامها ، ولا تدرك حقيقة السعوديين  
كما أدركتها ، أو هكذا خيل لى يومئذ .

كما قيل لى إن (حسوم الناسرية) كانوا محضين ، عند ما كانوا يقولون إن السياسة  
(فن) له (أقطابه) ، وكانوا يرددون كل ما عرى إليهم من أسطواء بالمثل التامى للمدام  
« إدى الجيش ثلجازه ، ولو أكل نعه » .

حدثت من الزيارة الرجبية أكثر كراهية للناسرية .

ولكن .. حتى هذه (الكراهية) لم تخلص لي ، ولم أخلص لها ، فكنت إذا عدت إلى البيت آحر السهرة ، وأسلت رأسي إلى الوسادة ، ومر شريط التوار أسامي .. يمرض صوراً بما أدوه إلى معترف في هذه الفترة القصيرة ، شعرت بمخفقة في القلب ووخزة في الضمير ، وومضة في الرأس ، وكلها تعبر في "أرتيكاد (لا تكن أمي) " .  
وأشعر بالبرودة تسري في أوصالي ، فأغضى حياء ، وأشد الطاء فوق كآني أحسن به جسدي ضد هذه البرودة ، أو كأن أحسب به عن عيني رؤية الحقيقة .

ويتسأل مع الخفاء للصنوع ، إلى أحصائي ، أخ وأخت ، أنتهي طلبهما في مثل تلك المحطة الرائعة ، أو المحطة اللاهثة .. يتسأل (الموي) وتتسأل (المدوي) وبفضضان على « المحقة » خصصي .. وعلى (الوخزة) فنسكن .. وعلى (الومضة) خصبر .. ويمر شريط المحصوم بكل ما يحمل من قنابة فأغضض عيني على العتمة ، وأنام .

### وهذه .. « الحَبِطَة » ؟

ولجأت سافر القائد الشاب الذي صوروه لنا مهترأ (على المستوى الوطني) ، سافر إلى (بانديج) ليفتح إلى جوار (نهر) و(ماونسي نونج) وتبش راسط الجباش ثابت الخطو .. إلى (السقة المللية) .

وفركنا أعيننا كما لو كنا صمونا ساعة نهباً .. من النوم .

إنه خبر دام .

خبر يقع على رهوس المحصوم .. وقع الصوامع .

هكنا تصورت .

ووددت لو أتني المحصوم وأسمع آراءهم في هذه الخطوة .

وأذكر أن أحدم تيني - وضمة لا أذكر اسمه - وقال كلاماً كثيراً نسبته جوتي في المناكرة سؤال وجه لي : « لكن هو جمال يعرف الإنجليزي كان للضام مع نهر وأمثاله ؟ »

وأذكر أني رحمت شفقتي استنكاراً لهذه السطمية في التصكير .. وشنت على السائل يوماً حجة شعواء بنى مسها في التذكارة أي طلبت إليه في عتف أن يرتفع بالبحرية إلى مستوى المحدث .. وأن يسأل أين شاء عن الأفاق السياسي لناسر وعن مدى اتساعه لرحمى اللوئيلت على المستوى الموسوعي للمؤتمر المطير الذي يشارك فيه ؟ أما القمة فهتلر نفسه لم يكن يعرف إلا الألبانية ونروشوف لا يحطب إلا بالروسية .. وليس هناك ما يمنع أن يكون جمال متكلماً في الإنجليزية .



وتجبع مؤتمر باندونج .. وأسفر عن قرارات عشرة .. ترسم لإفريقيا وآسية مخططاً جديداً .. وترجع شقة الحياض الإيماني وهي تتوهج فوق سارية الدنيا وتحركت فوق الشاشنة القولية صورة شاب من الشرق .. فارغ العود .. عريض المنكبين .. تلوح وجهه سمرة .. يدرك ما يقول .. ويرن كل كلمة .. ويقبس كل خطوة .. ويعوطه بالاحترام سهراً كبير سياسياً مفكر في هذا النصف الأخير من القرن العشرين .. كما كان غاندى أقدس سياسي صوفي في النصف الأول من القرن مائة .. يحوط بالاحترام سمد زغلول .

وكل ما استطاع المحصوم أن يقولوه في تلك الرحلة .. أن الخطاب الذي ألقاه جمال في المؤتمر هو من وضع فلاح وعلان .. وليس من وضع هو .

وسمة أخرى .. زعمت شفقتي استنكاراً لهذه السطمية في التصكير .. ولهذا التهوين المارل من تلك الرحلة الجلدة .. ولهذا العص الصباني من جلال الرقعة التاريخية « وكنت أقول - أنا «الخصم» - لأولئك « المحصوم » إن التطورة ليست في الصياغة يتولاها وزير متفرس أو كاتب متمكن .. أو شبير مدرب .. أو لجنة منهم .. ولم يقل أسد هير تاريخ الحضارة الحديثة أن من شروط القيادة أن يكون القائد أبلغ حطيب أو أرفع كاتب .. وكلنا نعرف أن رئيس أكبر دولة في العالم لا بد أن يرافقه أكبر خبراء القانون في الصياغة إذا كان يتمم إبرام اتفاق أو معاهدة وأ أكبر خبراء السياسة إذا كان يتمم المشورل في محادثات سياسية .. ولكن التطورة أن حال جدد التفرس وقف بمقدارة وكفاية وثبات إلى حوار شيوخ العسكر والسياسة .. وحل الصبيد القولي -

و كنت أشعر .. ولم يكن قد مضى على إردياد كراهيتي للنصرية غير أمد قصير ..  
كنت أشعر أن سطحية التكبير من جانب الحصوم تكاد تضيف هذه الكراهية ..  
بل تكاد تزودي على أن أدنو من النصرية منه أخرى .. وكذت أدنو .. لولا أن  
استترى لنفسى ، أبى على أن أبدو أمام هذه النفس مهزور التكبير .. حادث يشدني  
إلى الشمال .. وحادث يشدني إلى اليمين .

و كنت أصل الصحبة السائرة على المصب الماد .. كلما كان الحصوم يمدونني إلى  
التفتيات « البائعة » على الرحلة « الساجحة » .. ويقولون إن كل ما يصوره ناصر  
من قوايين .. وكل ما يقيه ناصر من مشاريع .. وكل ما يقيه ناصر من خطب ..  
وكل ما يصبه ناصر من حطط .. إنما هو من صعب عبارة (مأجورين) من علماء التازية  
الضاريين في الأرض ينتسبون ثوثاً ، أو من خبراء الماركسية الضاريين في الأرض  
يحملون الماويل للهدم لا البناء .. ويوقدون النيران بين الطبقات .. وينشرون التومص  
والغمار بين العلاحين والعمال .. ويجهرون على الاستعمار حيث كان .. ليخولهم  
البلو .. ولتبيد الطريق أمام « اللذهب » الأحمر .

و كنت أقول لهم صاحكا .. وعادنا .. كأنا سمر :

— ولكن هؤلاء العلماء والخبراء .. لماذا لم يتأخروم كل رعيم ناشئ ، ولماذا  
بمحروم « أحبا » ، ولم ينحروم مع الإغما الذين يتألموه في الدول المتطلعة إلى  
التقدم ؟ بل لماذا لم يتأخروم حصومه من الرحين الحاكين وغير الحاكين ، ليعلموهم  
على إراسته من طريقهم ، وعلى استرداد سلطاتهم وعودهم ؟ .

### بغداد — وبأندونج

وفي شهر أبريل والمؤتمر قائم في مانتونج ، وردعاهت تروح بأربع رجال اخبارات  
في كل دولة ، وحال يعلن من فوق منيرة عداه الصريح للاستعمار والأحلاف —  
والعراق يمثل في المؤتمر بوفد كبير يجب في رداء عربي فضفاض ، فوجيء العالم مستر  
ليندن — طيب الله تراه — يقف في مجلس السموم وقول : إن حلف بغداد يرفع صوتنا  
حالياً في هذه المنطقة بل يصح هذه المنطقة كلها داخل نفوذنا .



وأتركه بين من جديد وأعيد قراءة التصريح ، وأربط بين حلف بندا الذي  
قال عنه نوري السعيد إنه إنما أقيم لرد العدوان الشيوعي عن الشرق الأوسط ، وقال  
صاحبه إنندن إنه أقامه ليضع الشرق الأوسط كله داخل النفوذ البريطاني ، عدت أربط  
بين هذا الحلف .. وما قاله ناصر في مؤتمر بانكوك . ولم يسمي إلا أن أرى بوضوح ،  
أن جمال أصبح في نظر العالم كله عدو الاستعمار رقم ١ ، وأن حلف بندا إنما أقيم لرد  
العدوان الناصري عن النفوذ البريطاني في الشرق الأوسط . وأن هذا الحلف يمثل في  
خط واحد - وفي اتجاه واحد ، مع إسرائيل ، أراد بعض أبناء الحلف أو لم يريدوا .

• • •

وواضح من هذا العرض الذي مر شريطه أمام عيني ، وأنا أسم الأحداث بعضها  
إلى بعض داخل إطار محكم ، من خالص المنطق ، أن القائد الشاب أحرز نصراً لا شك  
فيه - أردوا أو لم يرد - وأن حصيلة التصريح أن أقيدها في ( الرصيد ) لحسابه  
الذي لا لحسابه الدين .. ولكني لم أفعل .

• • •

وكان المنطق - الغائب على وجهه داخل رأس المهتم - يهتم على أن أخطو لى  
الناصرية خطوة واسعة في هذه المرة - ولكن شيئاً من الخطو لم يحدث .. كما أن شيئاً  
من قيد الحصيلة في الرصيد لحسابه المثلث لم يتم .

فماذا ؟

الجواب عدد (الموى) وعند (الأحقاد) .

وقد عاد (الموى) يميل في من جديد إلى حيث تكمن (الأحقاد) في حنايا المنطقة  
وقلت أحاول أن أبر هذا (الميل) وأدركي هذا (المنطق) :

- تم ، أشهد أن (أخانا) يمشي رابط الجأش على طريق النصر ، ويخطو  
ثابتة أعترف أنها تثير الإيجاب ، ولكن إلى أي الأهداف هذه الخطى ؟ إلى أمجاد

الشخصية لا إلى أمجاد العروبة ، والدليل أنه أعلن الثورة والدول العربية لها جلصة  
تضمها في إطار من التضامن العربي المحترم ، وانتهى هو بهذه الدول إلى انضمامه تأكل  
بنيها . ووضح أن ناصر إنما يريد من بشداد ما أراد منها هو لا كوالهنتر ، لا ما يريد لها  
العرب ، وأن ( الوحدة العربية ) إنما يتخذها ستراً يحتمل وراءه أطباعه ، والدليل القياس  
في هذه المرة ، الدليل أنه قال لأحراب مصر ذات يوم ( طمئني نفسك ) فأدركت الأحزاب  
ما يرمى إليه ( وانشقت على نفسها ) ما تنزه حرفة الانتشاق و ( أحيز عليها ) ، والدليل أنه  
استعان ( بالإخوان ) على الأحزاب والاحتلال والحكم مهدد ، فلما اتفق على الخلاه  
وتخلص من الأحزاب ، التحقت إلى ( الإخوان ) و ( أسجز عليهم ) .

وظقت أستوحى كل حادث ( حقاً يراد به باطل ) وأعكس الأوصاف التي كنت  
أراها بيني ورأسى حتى تتبدى متفربة أمام عيني .

ولم أتردد هذه المرة في قبة الحسيلة لحسابه فلدين لا لحسابه اللذان .

### والامبراطورية أيضا؟

وليت دعوة ( السودى الكبير ) وسافرت إلى الجباز لأؤدى فريضة الحج  
الثانية في صيف نفس العام ولأنهى مع ( المكتبات ) حاسب الكتاب ولأرى إن كان  
( الإخلاص ) السطحي الذي كان يرطب به السوديون الرسمىون ألسنتهم وهم يتحدثون  
عن ( مصر الناصرية ) لا يزال يرطبها .

وقال لي بعض المصريين ، إن ذلك ( الإخلاص ) عملة لا يزال معسولا بها .  
ولكن مثل هذه ( العملات ) القابلة للتداول الآن ، يمكن أن تسحب من الأسواق في  
أى وقت ، من غير أن يحدث سحبها أية عزة .

وضربوا مثلا للقوف ، قصرًا منقأ الأبواب أشاروا إليه ، وقالوا إنه بنى خصيصاً  
لاستقبال الملك فاروق ، فلما طلع عن عرشه ، أقسم المستولون ليظن القصر منقأ حتى  
يسود الخنوع .

ولا أحب أن أتوسع في هذه الناحية ، كالأحباب أن أسيء إلى أحد ، وليس من أهداف الكتاب أن يسيء .

وإنما أردت أن أقول إن فكرة الخوف من الناصرية ، كانت مختصرة من البداية في أذهان السود بين الحاكمين ، وكانوا يؤمنون بأن جمال ، إنما يستعمل ودم . وود كل من تنصل أسبابه بأسبابهم . لعرف الأذهان عن ( الإمبراطورية الناصرية ) التي يحلم بها .

وحق الخلفيات التي كان يؤديها لهم ، كانت تستقبلها نك ( العسكرة المختصرة ) في أذهانهم فهذا هو أودد إليهم صباطاً مصريين يديرون قواتهم ، فهو إنما يوقدها لبث ( الروح الثوري ) بين الصباط السوديين نوطنة لإحداث انقلاب .

## ونقابة الصحفيين ؟

وانتهى الحجج . واعتزمت العودة .

ولكن حدثت تصادم وقع ذات ليلة لسيارة كمت أستقلها ، ونقلت إلى المستشفى اللبناني بحمد في حالة سيئة ولم أجدل القاهرة إلا في السابع من نوفمبر ، أمي أي بقيت في المحاز ثلاثة أشهر كاملة . أشجع عي خلاها أن عيت مشرفاً على النشر في السعودية . وكانت نهاية الصحفيين — التي كفت مصواً في أول مجلس إدارة منتصب لها — تبيد تنظيمها فاستبدلتني من الصوبة لذلك ( السب المزعوم ) ولا أزال — والله العظيم — مستقبلاً .

وكانت لطفة جديدة من ( الناصرية ) لشخصي الصيف .

لم يكتفوا بإنهاء جريدتي ، بل استبدلوا أيضاً من الصوية ( المادية ) في النقابة هذه الصوية التي يشتم به كل تلاميذي بنزكية سي . . . ولا أريد أن أتوسع في وصف الأمر الذي ترك في نفسي ، ذلك التصرف .

## والتسلح ؟

والأهم من هذا كله ، أنى فوحشت وأنا فى جدته ، نالدياع يحمل إلى أدنى ، صوت تدجير سياسى مروع فى وحوه كل المحصوم - حصوم ناسرو والناسرية - من المالكين فى الشرق الأوسط أوفى خارجه - وكنت أعد عسى يومها حصا - وأعى بالتدجير تسلح المسكر الشرقى ليشا للصرى - عملية تجارية . عادية ، تدفع مصر بمقتضاها ثمن هذه الأسلحة ، منتجات مصرية .

واستمتت إلى « حال » وهو يلقى فى ( معرض القوات المسلحة ) ذلك المطلب التاريخى ، ويسرد فيه قصة الأسلحة التفتية التى تتحكم فيها الدول الكبرى فى الغرب . وترفض أن تزود بها جيش مصر ليمسى بلاده ، وتزود بها جيش إسرائيل ليمتدى على ( غره ) ، وعجب للصعة الكبرى التى عمت عواصم أوروبا وأمريكا ، وذكر أنه طلب من فرنسا السلاح فتاومته على أن يترك الفرنسيين أحراراً فى شمال أفريقيا . وطلب من إنجلترا السلاح فراعته لتستغل الوقت فى تسليح إسرائيل منها ومن فرنسا وبلجيكا وكندا وإيطاليا ، وطلب السلاح من أمريكا وروسيا وتشيكوسلوفاكيا ، وكل دولة تمنع الأسلحة ، وكلها كانت تعرض شروطاً سياسية تنافى مبادئنا المحايدة ، ما عدا تشيكوسلوفاكيا فقد قبلت ، وسير أى شروط تماقتت منا !



وامتدت الصحة فملا إلى كل عواصم الدنيا ، ولم يكن للصحف العالمية من حديث إلا حديث مصر وتسلحها والمخطر المتواتع منها .

ولكن الصحة لم تمد نمح طريقها إلى آذان المصريين .



كانت الصيحة قد هدأت ، قد حجبها صجة أقوى ، من إدارة الشؤون العامة لقوات المسلحة المصرية .. صجة أسبوع التسليح الذى أقامه وتخذ للهداية له ، صاحب من الضباط الأحرار كان يرأس هذه الإدارة ، وكانوا يسمونه البينامو ، وسمه محمد حمدى عاشور ، وأحبه الآن محافظ الاسكندرية .

وانتخب الأسبوع اللواء عبد الحكيم عامر ( للشير الآن ) نداء مؤثر وحار ،  
ما كاد يذاع حتى أقبل المصريون على ( التبرعات ) بصورة مذهلة ، وتبرع الرأسماليون  
( خوفاً وطعماً ) وتبرع العرب في كل مكان تفتيحاً لنداءهم الناصرية العربية الزاحفة .

وإذا كانت ذكرى الأسبوع المحيية قد استهوتني فأنتصت فيها ، وأصليتها هذا  
الميز من كتابي وإنما قصدت إلى القول ، إن هذا الذي يستهويني اليوم كان يملأني  
حنناً في سنة ١٩٥٥ .

كان اللطفي - وبالشغاف للتلطع معي عبر السنوات الشر - يفرض على ضميري  
أن يبارك هذه ( الضربة الناصرية ) التي سددها جمال على غتلة من العرب وإلى صميم  
صدره . وأن يهتف لها كما هتف كل يرى من أهل وأهلك .

ولكن شيئاً من هذا لم يحدث .

كان الأخوان - المروي والندوي - يسلان .

وكان الخوصم يسلون .

جمال كسفته قصة التسليح هكذا بدأ الخوصم يتولون .

جمال .. شجوى مصر ، أحر لها ودماً ، وأحر من فة الرأس إلى أخمص  
القدم .. وإن كان لا يريد أن يتبدى قاني الحرة .

جمال يمشي عصر السلطنة إلى الستار المديدي للصحف لحساب خروشوف  
الشيوعي ولكن من الباب الخلفي ، من الباب التشبكي وتحت لوحة راتنة كتب  
عليها : اتفاق تجاري .

جمال ... لم يبلغ الحكم للكسحياً في الحكم الجمهوري ، وإنما ليضم جمهورية  
مصر إلى الجمهوريات السوفيتية .

وجمال لم يصف الأخوان بسبب الإرهاب الذي انحذوه سلاحاً ، ولم

بانح الحكم التشريعية والجناس الكلية سبب فساد في قضائها ، ولا بسبب الرعية في قضائها ، وإنما صنى . وأنى ، لحسب الكركسية التي لا تتعرف بإسلام أو مسيحية ، أو دين من الأديان السماوية .

وجمال .. ، إنما حل الأسراب وأجهز على الإصطاع ، ليمشى بالبلاد إلى حكم البرولينتاريا .

وجمال ، إنما اتخذ من نهرو حديقاً ليتعده ستاراً لأن نهرو اشترى كي مظلم وهو أميل على أى حال إلى اليسار .

## إلا ربى .. وإيماني ؟

نفس الأمر — إذن — وحددتُ مكاني ؟!

استغفر التردد فصدت أن أقول : وكنت أحد مكاني

كل شيء في الوجود أتهاون فيه ، إلا ربى وإيماني

السياسى العربى أساسه اليوم ، وقد يصلح الأمر بيننا غداً ، وقد ينضم إلى ، وقد أضم إليه ، تحت مظلة ظرف سياسى ، أو بدافع من مصلحة بلاده وبلادى ، إلا الشيوعى الخاصه حتى الموت

وأنا إذن أخاصك يا أنسى جمال ، حتى الموت

هذا هو القرار الذى اتخيت اليه سنة ١٩٥٥ وقلت بكل القم ( وحددت مكاني ) وعلم على ( التردد ) قلت أعدل تمار الترار : ( وكنت أحد مكاني )

أمر أقل لك أن كل الخيوط ظلت تهتر في يدي طوال السنين المشر ؟

## نصر.. ولكن

ومع أن البادية حواهر لال سهروجه الرئيس جمال عبد الناصر دعوة إلى زيارة المدن فاستجاب لها «جمال» وعرف كيف يبرزها لحارة الباب الشمال لأفريقيا ، نصراً للزراعي المدن العريقة ، والمدن الصديقة ، وطوف «جمال» بكل أرجائها ، واستقبله المسود بالتلوب وبالورود ، وحطب في البرلمان شخب في العوس أترأ غير هين ، وكان يبنى أن أشمر كعصرى شىء من رهو ، والسكن ( اللون الأحمر ) المعروف ردى عن هذا الشعور ، وذهب مصره في المدن من غير أن يترك في حسى أى أثر ، بل على التقيص نحت عنى كل أثر للشوامخ ، من قصص بادويج وتسلح الجبش ، وزيارة المدن ، وبدأت أهى بالصنائر ، التي كانت هوية نلصومه ، وكنت دائماً أمدد هذه الهواية ، بدأت أعي بألوان مهالا يبنى أن يُسى ها رائد كقصص المشورات انفاذية لناصرية ، والتي صبط أحد الورراء السودانيين وهو يطبعها في القاهرة ، ورحت أتمد منها دليلا على فشل ( السياسة الناصرية ) التي فصلت السودان عما ، ثم جعلته عدواً ، فشرح وررأوه يتولون بأعصم طبع ( المشورات ) صدنا ، وفي عقر دارنا وفي عاصمة بلادنا .

## «الجمهورية» .. مهاجني

وكان القرار الذي اتخذته صد ( الناصرية ) ، وطويت عليه فاني ، قد أطلت من هذا التلب ، وانقلب إلى دعوات الناصرية ، يقدم إليهم ذاته أو هيلاته .

نم ، حدث — ومن غير مقتص أيضاً — أن سبوا إلى حريديني وإلى كل حمية ومحنة اتهاماً لا أوى أن أتيره الساعة من ناحيتي وإنما أرسنه إلى ( مدكراني عن رح قرن في الصحافة ) ، والذي يتبعني أن جريدة ( الجمهورية ) تركت ورامها كل أصحاب الصحف وتعقدت فصلا رئيسياً خصت فيه شعصي الصيف بالمعوم النيف ، ونسبت إلى ريشتي — كناقذ برلاني — كل التصليل الذي بلبل الجماهير ، وأنا أرسم بها صوراً حلاية وكادية ، للسياسيين القدامى في البرلمان للصرى .

ولم تنفع ( الجمهورية ) بفصلها الضاق ، وإنما أطلقت الحرية لبعض المحررين الذين

كماوا يسلمون يومئذ فيها فراسوا يتساقون في مهاجتي أنا الذي لم أنابل فاروقاً ، ولا  
عرفت قصوراً ، ولا روت دار حربية ، ولا سهرت مع رعبم .

وأبأ كان جيب ذلك المبحوم -- غير المبحوم -- من الخطأ أو من الصواب ،  
فهو من غير شك زيت جديد صب فوق النار التي كانت تتأجج يومئذ في صدري .

استقرت النار -- إنذ -- وازدادت استمراراً .

وأترعت كأسى بحر الكراهية لا بحر الشكوك .

وأنا--إنذ -- أحاصك بالخي حال ، حتى لقوت

وعسى أن أكون بهذه الصورة التي رسمتها لك من تلك الفترة للثقة ، قد  
أعلنت في تصوير الحلقة الحاسمة في موقتي من « الرجل الذي تأمرت عليه » .



# افضل شاديس

## حديث التامر

واصح من الساعة ، أن أذني الإثنين ترهبان بكل حديث غير سار ، من جماعة التوار وكان لي صديق شهاب يسيني - كرمًا منه - استغفله له ، لا لشيء إلا لأنه كان يهوى الصحافة ، فلما تخرج (من كلية الآداب) أشبته فيه هذه (الموايعة) فألفته (محرراً) بحريذتي (السوادي) ، ثم التحق بحريذتي (المصري) ، ثم انفصل عنها أو فصل بها - لا أذكر - وتعرض لطلاق ، فأهدته إلى (السوادي) فتوكل على (خزانتها) للتواضعة ، حتى التحق بحريذتي (الأهرام) فشكر لي تلك (الفضادة) .



ويهمني أن أتعجب من الساعة ذكر اسمه - وهو صاحب أخطر دور في (التواضعة) - حتى أكون أكثر تحملاً في الحديث عنه - من غير أن أشهره أو أسئ إليه - وله حل كل حال حتى (الصديق القديم) منها ينصرف به الطرف أو اللطمع . وهو أولاً وأخيراً ، والله . . . لأطفال سعة .

وسأحرص على أن أشير إليه - عبر الحديث الطويل عنه - بكلمة (شهاب)



ولعل الشهاب كان يسيني استغفله له ، لسبب آخر ، يتصل بالنسب أو بالألفة فأما أكبره ستة عشر عاماً ، وكنت في الحقيقة صديقاً لأخيه الأكبر لأنه - وأخوه الأكبر أديب معروف وعحقق لتوى - وقد هنت حياتها منذ كان (تليذني ١) طالباً ثانوياً وشهدت السكفاح للمضى للرير الذي خانته الأخ الأكبر في إسراو ( يشير الشففة والإيجاب ) لسكي بكل لأخيه الأصغر دراسته الجلسمية .

وكان الأخ الأكبر « محمداً » في « السراي » أيضاً .. هذا ما خلفت أخد  
الأصغر بها ..

وكان الأخ الأكبر يفتي آلامه وشكواه من تنكر الأخ الأصغر له وتبرده عليه  
بعد أن يخرج، وكنت أواصي الأكبر .. وأزبب الأصغر .. وأحاول — عينا —  
أن أصلح ..

\*\*\*

وقد أدت إلى تلك اللحمة .. لتدرك هراقة الصلاة بيني وبين هذا « الشاب »  
وتدرك — بالتالي — مدى اطمئناني إليه .. إذا هو تحدثت إليّ هنا أو هنا ..  
في السياسة أو في غير السياسة .

وكنت أعرف مواطني النفس .. والصف فيه .. ولم أكن أحضرها ..  
احتضاً مني أن كل إنسان فيه مواطن لنفسه أو لصف مع الخافوت .. وكان يكفيني  
منه وقاؤه السطحي .. ولم يكن من عادي أن أتطلب في الأصدقاء سرفاً في الوفاء ..  
ولرأى من ناسيتي كنت أبالتر هذا اللون من « السرف » بما درس حياتي أو كاد .

\*\*\*

وكان « الشاب » قد استطاع أن يثبت — بواسطة الصحفي الكبير  
الدكتور محمود عزمي — رحمة الله عليه — إلى منصب « السكرتير الصحفي »  
لوزير الخارجية الرضوي الأسبق الدكتور محمد صلاح الدين .. فأولاه ثقته  
— « لفرط ثقته بزمي » — واستعصبه في رحلاته المشهورة إلى منظمات هيئة الأمم  
في نيويورك وفي باريس .. كما وثب من ناسية الوظيفة وفي مدى تقصير — أحسبه طاماً —  
أو يزيد — إلى الدرجة الثالثة مع أن صلاح الدين كان « المربر المربر » الأوسع الذي  
لا يرضى الموثقين استثناء إلا عن التبايع بالجدارة ومدى علمي أنه لم يكن له « محاسب » .  
ولم يكن خلال تلك « الفترة الذهبية » في حياة « الشاب » يتقاسم أو تراه ..

طلما قامت ثورة ١٩٥٢ نقل إلى وزارة الإرشاد .. وأعطى غس الرتب ولكن على اعتماد لا على درجة - فساءه أن يصبح عرضة لفصل إذا ألسى الاعتدالين عليه .. وعاود الاتصال بى .

•••

وكت قد عدت إلى مكافى من « الفهى » فى كل ليفة - بعد احتحاب «السوادى» - وبدأ « الشاب » بتردد على - بين الحين والحين - فى « مكنتى » نهارةً أرى « مقهاى » لىلا ، وكان يصحب مه ابته الطفل أحياناً .. وكنت أحب ذلك الطفل لمرط « كانه .. فاردات الصقة توتقاً .

وكان « الشاب » يحسن التمبر عسا يريد .. فى عسارة سليمة .. وفى طلاقة مستأبنة .. وكان من أطهر هوى به .. إصراره على أن يعرض عسلات مداره ومواحه عنوة على جلساته .. أحسوا الإحصاء أو لم يحسنوه .. وتقل عليهم أو لم يتقل .

•••

وواصح أن « هواء » لم يكن مع الثورة .. استمسا كما بروة الوفدية كما يزعم .  
وعضبا على وصه الحكومى كما كت أطن ..

والذى يهينى من هذا الحديث .. أنه التقى بهواه مع الاتهام الذى كت أسقرمع إليه وأرضاه .

### شهد الطريق

وكان « الشاب » قادراً .. على صقل أى بيا تائه يترابى إليه .. بحيث يقبدى فى مطرك بعد الصقل بيا « خطورته .. فا بلك إذا ترامت إليه أمباء لها خطورتها ١٩  
وسلانى - وأبأ أحدث الآن عن سنة ١٩٥٦ - أن فى « جبة الشاب » أنباء « خطيرة » .. وأنه « يتحفظ » فى الإشارة إليها رغم خفته بى .. أو رغم اعتقاده أنى على شىء مما يسيه الناس « خلقاً » .

وكننت أقيم في حي (المعجبة) .. وكان يقيم في حي (العياضية) .. وكانت (سهرق) في (قهوة عيكس) بشارع عماد الدين .. وكانت (سهرق) في (كارينو أوبرا ..) فإذا أمضى السهرة ضيماً علينا .. وافقتني عند سهايتها إلى أول (المعجبة) ليستقل (الترام) إلى دلمه .

وكانت تلك الرحلة القصيرة .. هي العزة الفريدة .. التي يخلو فيها إلى ، ويبنى في أدنى يمس الأبناء (الثيرة) يطشني فيها - في (تحفظ والتصاب) - إلى قرب زوال (النظام الماسرى) الذي يضيق به كما أصيق .

وكننت أدع (حرية التحفظ) كاملة .. ولم أكن أبدى من ماحيتي أي رغبة في استراحه إلى مزيد من (الأبناء) أو إلى مرد من (التين) .

واستطعت مع اليبال أن أفهم أن في صفوف الجيش انضماماً .. واستطاع هو أن يدعى أشم من خلال حديثه الماص أن صباطاً كثيرين يذكرون في تخليص البلاد بما كان يسميه (ديكتاتورية ماسر) .

وملأت رثي - طيباً - بتلك «الرائحة الزكية» وعثت تكلمات أدرك منها أي أنففس بارتياح في تلك الأسمية .

وبعداً .. شرع يخطو إلى .. في سهارة .. وعمل حفر .

و . إذا أفضى به «معلومة» جديدة - كما كان يسميها - وسألني الرأي فيها .. اكتنيت بضحكة تصيرة .. أو بعبارة مارة عن عباراتي .. مأثومة من كل أسدقائي : «ربنا يسم بخير» فتتمسط أساريره ويشارك في الضحك .. ويهز يدي مودعاً .. ويشب إلى «الترام» .

## أمريكا والثورة؟

وإلى جانب تلك الخطى التي بدت لي مرسومة وهادئة .. كان «الحو السياسي» شبه «مشحوناً» بكل ما يرى الماضين بالولوغ في التئصب ، وبكل ما يرى «مصانع

الثالثات « يصنع للزبد منها والجديد » وكان في طلبية تلك « اللريات » — جهود  
هد التامسرى فى محاولة التترب من « أمريكا » .

وقد أتاحت تلك « المحاولة التامسرى » لجماعت المصوم ، فرصة ذهبية ، فاطلقوا  
يدلجون بمحادث « مزعومة » .. على أن الثورة من عدايتها إنما قامت لحلب  
« الأمريكان » ، وأن « كبرى » إنما هى لتلك وأشار عليه بأن يتجو بحياته ليتخلص  
منه فى هدوء .. وتمس الثورة فى طريقها « بيهام » من غير سوء ، حتى تأخذ الطريق  
على أى تدخل بريطانى .

وأكد المصوم — وكانت هناك قرأتان تزيد ما أكدوه — أن « أمريكا » هى  
التي استولمت نفوذها وولت صنطها على « إنجلترا » حتى عقدت مع « القاهرة » اتفاقية  
الجللاء .. وبهد البراهنة ، تحلست أمريكا من الملكية التي كانت قد تمتت على يد  
للك وأسرت .. بعد أن قيل ما قيل عن صفة الملكة بأحمد حسين .. وعن حادث  
ابتها مع رياض غالى .. وعن تدير الأمريكان للتصادم الذي ذهب أحمد حسين ضحية له .

أ أكد المصوم أن أمريكا التي عارت على ضد اتفاقية الجللاء وعلى التخلص من  
الملكية والتك والأحزاب ، هى بينها التي اشتهرت « حريق القاهرة » فأعرت الضباط  
الأحرار بالتسجيل بشورتهم ، وتمهدت بمحايتها لهم .. وهى التي أشارت عليهم أن يرسلوا  
التدائين إلى القنال .. ليحمل الحقل صاه فوق كتفيه و يرسل .. ولتترك أمريكا  
عصاها خارج الباب .. حتى يصفو الجو وتدخل .

## تمويل السد ؟

وكانت أقوى ضربة سددها المصوم إلى التامسرى هى ما أسماه « فضيحة السد  
العالى » والمسمى التي بذلنا جمال لحبل أمريكا على أن تمول له حله الكبير ، وتبنى له  
سد العالى ، لتتلق أموالها وخبرائها على مصر ، وليضوا أيديهم على كل شىء فيها ،  
ضماناً للتمويل ، وتجديداً لأساتة القروض فى عهد إسمايل .

ولم تقع « الثاثلات » بهذا « الإطار الأمريكي » نصح دناطه « القائد الشاب »  
و « مشروحه الكبير » ، و « إنما تدعزت » إلى الطمن في سلامة للشروع نفسه من  
إناحية القنبة ، واستحالة تحقيقه من ناحية السودان وغير السودان من « الجبران » .

وقلوا إن أمريكا تدرك كل هذه « الحقائق » ؟ « وهي ترى إلى توزيعنا فيها ،  
حتى ينسى لها . أن تمكن لأحطوطها أن يتدال بكل أدرعه .. إلى القمص على مصر  
من قة الرأس في التنور » على طريقة بنانا وكوما « إلى أحص القدم بما بعد أسوان .  
« وباسم السودان والجبران » ، وتصل بين هذا كله وبين مهام لها سيدة المدى هما  
أسموه « الحزام الإفريقي » .

ويهدا تبدئي جمال عبد الناصري « آسوطية » له - أصدرها حصوه - أمريكا  
لحا ودمًا . ورأسًا وقدمًا . بعد أن كانوا قد رسموه لنا « شيوخًا أحره » . ولا كواض  
الكلمات : لم ودم .. ورأس وقدم .

### دمى يغلى

في ذلك الجو الذي أغمته مصاع الثاثلات سمومًا .. وساندتها رأسالية قوية  
لم تحم الثورة من قوتها ، وإقطاع طاع لم يؤثر في عقاراته وممتلكاته ما استولت عليه  
الثورة مما يزيد على المائتين من العدادين بعد أن رحص لهم أن يبيعوا الزيادة بالنقد لن  
يريد الشراء .

في ذلك الجو ، الذي تحسنت في صدرى خلاله حصيلة محينة للأطباع الناصرية  
تقرية الطامح حينًا ، وعطرية الاتهام حينًا ، وشيوعية الرأس والقدم حينًا ، وأمريكية اللعم  
والهم أخيرًا .

في ذلك الجو . وسد أن مهتس « الشاب » أن في الجيش انقسامًا .. وكادت  
قد ظهرت فعلا « مؤامرة البوربانى المصرى » وحذرت أحكام فيها . ودكرت الثاثلات  
اسم صايط كبير في سلاح الفرسان أطله « النكلاوى » . على رأس مؤامرة أخرى .

في ذلك الجو . ظهرت « محطات سرية جديدة » تؤلف شبكة رهبة . وتضرب

حصاراً أنيرياً من حولنا ، لتذبح علينا كاذبياً ، وتستخدم في إداعتها . . مصرين من المصوم . . كانوا قد تمكنوا من السفر إلى أوروبا ولم يسودوا . واتصلت قلوبهم للملاي بالأحقاد .. بقلوب الأعداء في « حلف بنداء » -

واشجع للمريون إلى محطة قوية الإرسال إسما (صوت الحق) وإلى أخته لها ، إسما (صوت الحرية) .

في ذلك الجو ، الذي أرى فيه « صنع التورة » موضوعاً بكل « ميلمه التوري » داخل الإطار الأمريكي الحكيم . صنية لم وميلا ، دوى اعجاز جديد ، ملا الجودحاناً ولم سد نرى شيئاً .

### القنبلة الجديدة

بم وفي العشرين من شهر يونيو سنة ١٩٥٦ على التحديد فوجنا - كما موسى - العالم كله - ببيان أمريكي لا ينسى .. ترفض فيه أمريكا تمويل السد العالي .

وتقول في البيان أن هذا المشروع « لا يمس حقوق مصر ومصالحها بحسب .. ولكنه يمس أيضاً مصالح وحقوق الدول الأخرى التي تقع فيها منابع النيل وهي السودان وأثيوبيا وأوغندا » وأن « التطورات التي حدثت خلال الأشهر السبعة التي انقضت على تقديم العرض لم تكن مواتية لتطرح المشروع » و « بناء عليه فقد أنهت الحكومة الأمريكية إلى أنه من غير المنطوق الاشتراك في الظروف الحاضرة في تمويل مشروع السد العالي إذا لم يتم الاتفاق بين الدول المشتركة في مياه النيل » .

وفي اليوم التالي تاجبتها ابتغلتا فصحت عرضها وتابعتها البنك الدول فصحبه عرضه أيضاً .

• • •

وكان الباء كله قد انقض فوق رأسي أما وحدي ؟!

وكان نخل دول في السد السالى .

وكان طرف في التمويل كأمريكا وإنجلترا والبنك الدولى .

شمرت بأن حيوط الوقت نشابت بين يدي كما لم تشابتك من قبل ، ورحمت  
أقول لنفسى وكان أحلم :

— سعوات أربع عبت الحصوم حلالها بالملقى ووحداى وإدراكى . . وتنفلا  
ى فى مرضى لتصوير لا نهاية لقطات فيه فرأيتنى إحدى القنطرات جمال عبد الناصر  
« وقدبا » ورايته « إخوانيا » ورايته « شيوعيا » ورايته « تجلزيا » وركت  
حصيلة المرض الأسيرو دانتل « الاطوار الأمريكى » وقامت كل القرائن على أن الرؤبة  
فى هذه المرة واضحة ، فإذا البيان الأمريكى يمرق الإطار تحريفاً ويكاد يسلن على الأشهاد  
أنه إنما يسترد مرضه ومرض عونه ككتابة فى « ناصر » وحده . بدليل حرص البيان  
على أن يقول « الشعب المصرى » أن هذا المرض لا يحدث أى « تغيير » فى علاقات  
الرد بينه وبين « الشعب الأمريكى » .



وناصر — إننى — رفض أن يتأمر ك فرغت أمريكا تمويل السد .

وكل ما ترمى لى أذى — إننى — ومن « مطالع الثورة » ومن « ناصر » .  
يقضى « مراحة الحسب » . والبدء من جديد فى دراسة « القائد الشاب » .

هو إننى ليس وقدبياً ولا إخوانياً . وليس شيوعياً وليس أمريكياً .

وهو — إننى — « جمال عبد الناصر » قسطنط . فن هو — إننى —  
« جمال عبد الناصر » . ؟

أمكنون — إننى — أمام « رسالة جديدة » نزلت على قهبر من (بى مر) — ومن  
طريق الإلهام لا من طريق الوسى — ويكون مكانى من الصف مكان أبى لب —  
مع كل المنوارق ، أم أن الحصوم على (حق) ، ويكون من (حق) أنا أيضاً أن



أفكر في هذا (الحكم) كأفكر في أي نسخة (بشرية) من نسخ الديكتاتوريات  
تعمل على عرار تنرى ، أو غرار حذرى ، أو غرار قاشى .

ولم أستطع أن أصيب ، ولم أزد أن أصيب .

وآرت أن أزدى سيذا ، حتى أستطع أن أرى ، أو حتى نتصح الرؤية .

واقطعت عن مكنتى ومقهاى أيلما ، ثم حنفت إلى العودة إليهما ، عسى أن  
أسع من أى زائر .. ما يطل به المنصوم تحب أمريكا من تمويل السد المال وما كانوا  
يذهبونه عن السبل الأمريكى ؟ .

وكنت أعتقد أنهم لا ذوا بالبحور ، خبلا من الصدمة ، وأنى لن ألقى أحداً  
منهم ، ولا أحداً ينقل عنهم وبالمجلم . عدت فرأيتهم شواخ ورواسح ، ورأيت  
حيونهم وهى ترسل إليك تحية النصر وصاحة الثورات .. أحادة الربى ؟ .

لقد كانت هناك عبارة واحدة جديدة يرددونها فى تحد ويقين .. وهم يقولون :  
انتظروا خطبة جمال بعد أيام .

وكنا — فى شهر يوليو ، وهم يقصدون — طيماً — خطابه فى عيد الثورة .

— وماذا فيها أيتها الإخوة ؟

ولم يجبهوا بصراحة . لأن يوايه «التالم» لم يدمتصوراً على الشاب — الذى أسمى  
كرمائه أستاذاً له — وإنما هم الرباء مسكرات المنصوم جيماً ، واردة ردهم  
اهتراراً ، وأرسلت شفاههم اشماماً ، واستطعت بعد الجهد أن أهمم ما يعنيه المنصوم  
بسيارة : «انتظروا خطبة جمال بعد أيام» . استطعت أن أهمم أن (ناصر) ركع على ركبتيه  
أمام (البيان الأمريكى) ، وأنه سيملن فى السادس والعشرين من يوليو ، عودة الأحراب  
ويحدد موعد إجراء الاعتصام ورد الأطنان التى استولى عليها إلى أصحابها .. ولم يشترط  
إلا أن يبقى رئيساً للجمهورية إلى نهاية مدته .

وفى الخامس والعشرين من يوليو تراجع المنصوم خطوة ، فانخفضت شامة رد

الأطيان إلى أصحابها ، و بقيت قصة عودة الأحراب وإجراء الاستعاب ، وإعلان الجمهورية  
(برلمانية) بدلا من (رئاسية) مقابل أن تعلن أمريكا واعترافا والبنك الدولي استعادها  
لتحويل (الشروع) .

## ركوع .. ولكن؟؟

وفي السادس والعشرين من يوليو ١٩٥٦ اجتمع خلق كثير في ميدان للشيه  
الكبير. وفي تلك الليلة كدت أمام (الراديو) بن (الفيلا) التي كنت أستأجرها في (الطرية)  
وأسموها في (الزائرة الكبرى) :- (البيت الكبير) .

وبدأ عبد الناصر يلقى خطابه :

وأحسست أني أناهب ثم شفق .. لكل كلمة يقبها ، في انتظار لإعلاء للمتم  
ركوعه المحجل أمام السادة الأمريكيين .

ولكن الرجل تبدي - من أول كلمة في الخطاب - في (أحسن حالاته) ،  
فصجبت له ، ثم عدت صقلت الأمر بأن كل ما يسيه ، أن يظل رئيساً للجمهورية ،  
ولاشك أن أمريكا (أمته) على عهد (الأمنية) هي وحفظها ، كما فعلوا مع (محمد علي)  
يوم ديس بالأقدام ، ورد على الأعتاب ، وقنع من النية بالإيلب ، مقابل تأميه على  
أن تكون مصر وراثية في أسرته .

## مفاجأة منهلة

ولجأة ، أظنها جمال ..؟؟

ولم تكن ركوعاً أمام الأمريكيان أو عبر الأمريكيان ..؟؟

أظنها جمال ، أعلن تأميم القتال .

ووثبت من مكاني في الكرسي بضمة أمتار ، وكاد أحد عمد الشرطة يشج رأسي  
وأنا أسرخ وحدي : (إيه ده ؟ إيه ده ؟) .

ثم رأيتني أمحط في البكاء ، كالطفل .

كأنت لحظة من لحظات العمر ، لا تنسى .

لحظة برئت فيها من كل شكوكي .

لحظة رددت فيها إلى يوم موافى ، لا يرين على قلبي غضب ، ولا يأكل صدري  
الحقد ، ولا يساور خاطري مطع .

وخيل لي لحظتك - أن وقت على اكتشاف بديع ورائع . اكتشفت أنى  
(مصرى) بكل ما تحمله هذه الكلمة من شموخ وعزة .

### وتاريخى ؟

وعندما نلاحظ حال قرار التأسيس ، ( باسم الأمة ) ، لم أشك لحظة في أن تاريخى  
المشواص قد جرى بكل جروحه ، إلى القائمة الناصرية ، وفي هرة اعمال راعش سجل  
بهمى في القائمة .

وفي الليل رحمت أسأل عسى : أترانى أمسبت ( ناصرياً ) ؟

أم تراها ( ناصرية مهزوزة ) ناصرية ادلاخ في الوجدان وادفاح في العاطفة ،  
لا ناصرية اقتناع من الفكر الحنير ، ومن المتسكير الهادى .<sup>٤</sup> ولم أستطع أن أجييب ،  
كفت سعيداً ولم أشأ أن تفلت منى سعادة الساعة .



وعسى أن أكون بهذه الصورة الصادقة قد رسمت الحلقة السادسة في موثقى من  
( الرجل الذى تأمرت عليه ) .

# إفصل الشايغ

## عراك دولي

ظلت ابداً ، أسأل نفسي إن كنت قد علوت ( ناصرياً ) على مستوى التأديم أو بسب هذا التأديم . أم كانت ( لحظة افعال ) ، أملاها ( موقف متبر ) ؟ .

واستطلعت أن أدرك أن مثل هذه ( الوثبة ) إلى الناصرية سبب ( عمل طيب ) نيس بالأمر المين وأن الاعتراف بالعمل الطيب ، لا يمس حتماً تمييز الرأي في صاحبه لحد أن عملاً طيباً تم على يديه .

ومع إدراكى هذه ( الحقيقة ) ، لا أستطيع أن أنكر أن هذا ( العمل الطيب ) ترك بصمته على صفحة قلبي — بعد زوال الاعمال — وبدأت أحس راحة من نوع حديد ( راحة ) الصلال الذي يصر في الصحراء — ولا تبت ولا ماء — ثم يترجأ على ( واحة ) ، فيها بعب وفيها نمر ، عياً كل ويشرب ، ويمجد ويشكر ، ثم يمسح عييه ، ليأمن مل . جفنيه ، تاركاً فهُ أحدثت المدام ؟ !

\*\*\*

ولم يكن أشبهى على نفسي في تلك الأيام الخلوة ، من أن يتوارى عن صبي ذلك « الشاب » — حتى أستطيع أن أتبع الأحداث في « جو » لا يسكره « شيا به » .

\*\*\*

وبدأ العراك الدولي — الذي تعرفون — بين « ناصر » من ناحية ، و « انجلتم وفرنسا » من ناحية أخرى .

ولاح لي — بدءاً من الدعوة إلى مؤتمر لندن وانتهاء إلى « لجنة الخمسة » التي رارت مصر برئاسة الأسيرالي « منزيس » — لاح لي أن ما حدث لحد على « القتركي للناصر » ، هو ما يدبر لجلال عبد الناصر « للصرى القاتر » ، وأن « ناظرين » أخرى في الطريق .

ولكن أمريكا ، ما أمرها ؟ وما موقفها من هذا الذي يدبر ؟

وهل هي خصم أصيل لناصر ، أم هي صديق ، ترندى « ثوب الخوصة » في مهارة ، حتى تقضى على النفوذ البريطاني والنفوذ الفرنسي في الشرق العربي بل في الشرق الأدنى ، لتسكون « القلوت الشرعي » لها ، و رضاه « الحكام الشرعيين » في المنطقة ولها « ركائزها » التي لا تفكر في إيران وتركيا والسودية وبعض الشمال الأمريقي ؟

• • •

عاد شيطاني يذكرني بالسد العالي .

عاد الشيطان بهيس في أذني : إلى أمريكا تلعب من بداية الثورة دوراً تمتم لمعق انطبقت فيه جباه كل الشياطين ، وقد أغرت « أمريكا » حليفتها « بريطانيا » بالتسحب من « تمويل السد العالي » ، ليضرب « ناصر » ويؤزم الضلال ، لتثور بريطانيا ومعها فرنسا — أم الضلال — وتقتلاه ، فتعتمد بد الإغاث من « أمريكا » إلى « ناصر » في ساحة المسرة والشرق لا يسمي (اليد البيضاء) أبداً .

هذا إذا أحسنا الظن بناصر ، وكنت في هذه الأيام أحسنه .

أما إذا ماشينا خصوم ناصر من الرحيمين (المصريين) ، وقلنا كما يقولون إنه (عمل أمريكي) طلبة (أمريكا) تكون أكثر وضوحاً ، وهي تمس يد (اليد البيضاء) تاجرة الخلق ، وعلى وفائق منه ، أو على اتفاق بينها وبينه .

وقال شيطاني : «وأحسن للعرضين سيء» ، وأحل الاحتمالين مره .

وقلت للشيطان : ولماذا تبحث دائماً عن (الروح السوداء) كما ذكرنا (ناصر) ولماذا لم تقترن الاحتمال الثالث الذي عشت — من يوم التأميم — سميلاً كموطن تحت ظله الوارف .. احتمال أن يكون (ناصر) هو (البطل) الذي أعدته العناية لتحرير بلاده وليس (السميل) الذي يتكسر راية الإنجليز ، ليرفع مكانها راية الأمريكان ؟

• • •

وتلقينا جانبا من الإجابة عند ما طار (هوسر دالاس) بأحواله السمين ، يمر  
الخط إلى لندن ، ليأخذ بين يديه زمناه ، وليسيطر عليه سيطرته تكاد تكون ثامة ،  
وليدور النقاش كله حول ما أسموه يومئذ : «مشروع دالاس» .

وسألت نفسي :

— هل انقلب (دالاس) (صديق ناصر) في ساعة المسرة ، (سحبا للناصر)  
مرة أخرى ، أم هي (الصدفة) ترندى ثوب (الخصومة) كما قال شيطانى ؟

ولم أشأ أن أفرض تكهيري على الموقف ، وأما لا أمك من أسرارها أكثر مما  
يمكث قارىء الصحف ، ورأيت أن أتتبع تطورات المؤتمر ، والخطب التي تلقى فيه ،  
والكجبان التي يشكها ، والقرارات التي يصدرها ، والنتائج التي يحصل عليها .

كما رأيت أن أرصد من ناحية أخرى ، حطى عبد الناصر تجاه ذلك المرآة الدولية

\*\*\*

ولاحظت أن « ناصر » يواجه « متاورات المؤتمر » بماورات مضادة ..

لاحظت أنه ينفذ ثم يلين .. ويصر ثم يتراجع .. ويوافق على تعديل « معاهدة  
القسطنطينية » ثم يرفض « تدويل القناة » .. ويرحب بمقدم الأسترالي متزيس ..  
ثم يرفض عرضه . ويرحب بالتفاوض مع « إيدن وموليه » ثم يستثير « دول بانديج » .  
ويرد « إيدن » بإعلان من وزارة حرب أن الأساطيل البريطانية غادرت الموانئ  
البريطانية إلى شرق البحر الأبيض المتوسط .. وترد مرما بأن أسطولها يتحرك من  
ميناء طولون إلى قبرص .. فيطن « ناصر » أنه يمثل بريطانيا ومرما مسئولية  
ما يحدث لصلاحية في القناة ..

\*\*\*

كل هذه الخلق من « ناصر » قد تفهم ..

وكل هدى الخلق من « إيدن وموليه » قد تُفهم .

ولكن القى لم يُفهم يوماً .. أن جون فوستر دالاس ( صاحب سياسة : وضع العالم على حافة الحرب ) يدع العالم بمشروعه إلى هذه ( الحرب ) .. ثم يعلن بلسان الرئيس ( أيزنهاور ) أنه لا يفكر في ( استخدام القوة ) ضد ( ناصر ) .

أزهاها ( اللعبة الأمريكية ) .. التي وسوس بها في صدرى .. ( شيطانى المصرى ) ؟

أزهاه يدع بالجانبيين الواقفين على حافة الحرب إلى الحرب .. ثم يلبس هو الهدور ؟

لا أريد أن أفهم نفسى على الإحاة ولست مؤهلاً لها .

وإنما أريد أن لاحظ أن دالاس لم يقع بالقول أن أمريكا لا تفكر في استخدام القوة ضد مصر .. وإنما خطأ خطوة رهيبية .. فطلب إلى الزعامة الأمريكيةين في مصر أن يستعدوا لرحيلها .. وأمر أسطولها السادس بإجراء مناورات في المنطقة الوسطى للبحر الأبيض المتوسط وفى غير أوتانها .

## مجلس الأمن

وتخرج الموقف بعد أن رفض ( ناصر ) قرارات الدول الثماني عشرة ، وعروض لجنة ائحة .. وقيام ( هيئة التفتيش ) ، تخرج للوقف بسد فشل المؤتمر وقراراته ، وبعد تحرك شعوب إفريقيا وآسيا لماصرة مصر ، وبدأ ( مجلس الأمن ) ينهض بواجبه .

واتسبى المجلس إلى ( البسادى . السنة ) التي قرر أن يدعو الجانبين إلى التفاوض داخل إطارها .. أو إلى التوصل بها للتوصل إلى تأمين للراحة في القتاة .

ولمب همرشوه على جلس اجتماعات المجلس دوره على المستوى الإنسانى .. واستطاع أن يجمع بين وزراء الخارجية الثلاثة محمود فوزى وسليمان ليد وكريستيان بيتو وأن يتم الاتفاق بينهم على إجراء للمفاوضات التي دعا إليها المجلس .. تاركين لهمرشوه تحديد الزمان والمكان .

وحدد الرجل .. مدينة ( جيف ) مكاناً .. والتاسع والعشرين من أكتوبر ..  
زماناً ..

وسافر وزير خارجية مصر إلى جيف صلاً .. قبيل الموعد .  
وبدا أن باريس ولندن تحاولان التهرب من الموعد .

### عذر غير مسبوق

وفي هذا اليوم المحدد لبدء المفاوضات بيننا وبين إنجلترا ومرساة في جنيف ...  
ومن غير سابق إندار ، أديع بأتحركات ( القنول الإسرائيلية ) وهومها على  
الأراضي المصرية عند ( الكوتيللا ) ، وهبوط كتبية للثلاث عند مضيق سدر المحيطان .  
وفهم ( السكريون ) أنه ( هوم عام ) .

\*\*\*

وهي الحرب إذن ؟

ومن إسرائيل ، وهل مصر ؟ ! وربطنا على القلب باليد .  
وكان العدوان الذي نره .

وكانت ( بور سعيد ) التي دخلت التاريخ تحمل فوق صدرها ( وسام الشرف )  
بعد أن أخذت كرامة أمة .. لها على هذا التاريخ يد .. ولها على الحصار الشريفة  
يوم لم يكن للشر حصاراً .. كل حقوق الرقي وكل حقوق الوالد .  
واتهم عدوانهم .. بأكرهية مسمى بها عدوان .. في التاريخ الحديث .

### عود إلى الشيطان

ولم يدعى ( شيطاني ) - هذه المرة أسد أياً .. باللهم الذي شربنا منه حتى



ارتويها — دم الثورة التي أذلتنا سبعين عاماً ٠٠ ودم الأمد الذي « قلم » غاندى ونهرو  
« أظفرو » في الشرق الأقصى ، وجاء « للمصري الأسمر » فانزع منه « الأنياب »  
وأردعه « حظيرة الساج » . . أشوة لا تسمى على طريق العالم المتحضر .

عاد الشيطان يسرب إلى أدنى .. في صورة واحدة من صور المس الخلدع ..  
يقول وكأنه يسر معي :

— أرايت؟ أمريكا ، ولاشيء غير أمريكا ، هي الأول والأخر ، والظاهر  
والباطن ، أمريكا الديموقراطية الحرة ، تمد يد الصداقة ( الحُرِّي ) ، إلى روسيا  
( الجراء ) الشيوعية ، لأول مرة في تاريخ ( الحرب الباردة ) بين السكرين ، ثقفاً معاً  
سحباً إلى جنب ، في وجه الاستعمار الأوربي ( المتمدن ) ، ولتروها .. احتلوا وفرنسا على  
الجللاء الناصر عن بور سعيد ( المتمدن عليها ) .. ولتسهي التاريخ السياسي الرقيق ..  
لإيدن — خليفة تشرشل — إنهاء محملاً وغير مسبوق .. أنتطيع أن تقول لي  
ما الذي يمتبه هذا الموقف ؟

— قل أنت .

— نعم . أقول .. والموقف ضمه يقول :

أما أن تقف روسيا معنا ، فمقول ، لأن مصلحتها في أن تقف في وجه الاستعمار  
حيث كان ، ومع كل من يحاسب الاستعمار .

وأما أن تقف الشعوب العربية معنا ، فمع من تقف . ؟ ، إذالم تقف معنا ؟

وأما أن المد والصحين الشمية وإندونيسيا وكل الشعوب التي عانت من الاستعمار  
تقف معنا .. فمقول ، لأنها فرسة المسر ، تنأر فيها من كل مسرر .

وأما أن أمريكا — زعيمة المسكر النري — تحذل حلفاءها في ضس المسكر ،  
وتعد يدها إلى روسيا — زعيمة المسكر الشرقي — ومن أجل ( مصر ) ، وحباً في  
سواد جيون ( ناصر ) ، قتل أنت .. إن كان مقولاً ، أو غير مقول .

## حديث التأمير

وما كاد شيطانى يلقى بهذه المسامات إلى أذى ويتولرى .. حتى ظهر «الشاب»  
وى المقهى وللكتب على التتوالى .. وكأنا قرأ فى عصى .. كل ما جرى بين الشيطان  
وبنى .. فجاء هو الآخر يواصل السر .

ولم يمر بجهوى قط .. أن «التسامر» قد يكون الطريق السلطانى .. إلى «التأمر»  
وبدا يسر ..

بدأ يتحدث عن «بور سعيد» وما جرى فيها .. وعن الحكومة وتقميرها  
وعن العدائين من الأهلين .. وما سجله من بطولات .

وكان يجمل إلى أذى بين الحين والحين فيحصى عبارات بينها .. ثم يتأفف  
حديثه إلى السامعين .

واستطاع أن يتركى - وحدى - أنهم أن خلاص مصر من كل «عيل  
أمريكى» بلت وشيكا ..  
وكثر تردده على ..  
وكثرت همساته .. إلى أذى .

واشدد حرصه على أن يلف عباراته فى عوض دبلوماسى يثير الفسهى  
لما هو خلف العبارات .

\*\*\*

وذات ليلة ..

وكنا فى طريقنا إلى «الصحافة» قلت للشاب ما سناه :

- أراءك تكثر فى هذه الأيام من العرف على أوتارى .. وأنت تعرف أنى

أمرتك .. فهل لك غاية .. أم من هواية السوض تزاولها لحساب أعضائك على حساب أعضائي ؟

ولاذ بالصمت . ثم عاد فرفع وجهه إلى .. وحلق سنيه تحديقاً مسرحي السيات في عيني .. وقال وفي نبراته رنة الجبلد .. وكان الترام القوي يستقله قادمًا من ميدان « باب الحديد » قد جاء :

— أليس من الحائز .. أن تكون أنت شخصياً .. مدعواً إلى أداء واجبك نحو بلادك .. إذا دقت الساعة ؟

وأطلق صمكة .

وجرى خلف الترام فأدركه ..

وعدت إلى بيتي .. وأذكر أن اليوم في تلك الليلة تحل هي ..

\*\*\*

وتنبت — لأول مرة — لو محل ما زيارة التالية .

ومحل ..

وأصبنا السهرة .. وعندما مساء .. من نفس الطريق .

وطالب له أن يتصلى فلم يطرُق باب الحديث الذي تركه مفتوحاً .

وصفت بتاليه فسألته في شيء من الجفوة عما قصده الليلة الساحية بالمباراة التي قلما .

وابتسم وقال : « هزار » .

وارداد صيقي بطريقتي فقلت له في شيء من الحد العارم :

— إسمع يا أسانا ، كفانا دورانا ، تمة أو لا تمة .

وابتم مرة أخرى - وفي زهو للتصريح هذه المرة - وقال جابراً ما معناه :

— هي ثقة ، وأكبر من ثقة ، وأنت تعلم ، ولكنني مقيد بيمين ، وعطلي مرسومة لي ، فإذا أنا جاورت حدي ملك اليوم ، فندأ أجاور حدي مع غيرك ، ويفسد كل شيء ، ولكن من حسن حظي ملك ، أنه رخص لي من الأمس فقط ، في مفاصحتك والتحدث إليك ودخل حدود لا أتدأها .

ورضيت .

وبدأ يتحدث .

### حديث خطير ؟

تحدث .. وأصغيت .

ولا أذكر طبياً نص الحديث .

وإنما أذكر معناه .

واستطعت أن أفهم من حديثه أن قيادته شديدة وواعية ، هي التي تحول الأمر كله ، وأنها من صميم الضباط الأحرار ، وأن رعيها من رحمة الثوار ، وأن دورنا — نحن المدنيين الذين وقع عليهم الاختيار ، سلمى وطريف وأمون العاقبة ، بل لا يقع أصلاً تحت مظلة العناب ، بل لا سبيل لنا كونه إلى العلم به أو الكشف عنه إننا فشل مشروع الانقلاب ، لأن دورنا لا يبدأ إلا بعد نجاح للشروع ، ونحن إذن خارج دائرة التأسر ، وأعضاء التشكيل العسكري لا يريدون محركهم إلا ما يريد .. إلا رد حقوق الأمة إلى الأمة ، ولهذا السبب قرروا ألا ينتقلوا إلى مرحلة التنفيذ إلا بعد أن يكون « حياز الحكم » ممداً إعداداً سليماً ، وقائماً على مديين أكفاء وأمناء ، بتولونه عندما يستعدون من منازلهم بعد ساعة الصفر ونجاح الانقلاب .

وسادنا الصمت لحظات ثم سأله :

- لكن .. لماذا كل هذه السباب بالجهاز لثدي ؟ ومن ، من اللذين لا يراثنى - حوقاً أو طساً - على التناون معهم إذا استدعوه بعد نبحح حركتهم ، وحيث ه أنهم إنما جاؤوا ليردوا الأمر كله إلى الأمة ؟

وقال الشاب من غير أن يفكر فى الجواب :

- الجواب بسيط ، بساطة الحقيقة ؟! الجهاز ككل ... ليس من الضرورى أن يكون مدداً ، وإن كانت أسماء الساسة قد طرحت كلها على بساط البحث ، ولم يخل أى اسم من مطن ، ولكن هناك مناصب يتقن عملها بساعة الصفر ، ولا بد من الاتفاق على شاغلها قبل تلك الساعة ، بحيث يكونون جاهزين عند أول دقة من دقائقها ، وهم رئيس الجمهورية كراس قدوة ، ورئيس الوزراء الذى يحكم ، ووزير الخارجية الذى يتصل بالعول ، ووزير الداخلية الذى يسيطر على جهاز الأمن ، ووزير الحربية الذى يسيطر على الجيش ، ووزير الاستعلامات الذى يتصل بالشعب ، وسعود العسكريون إلى تشكيلهم إثر تشكيل الوزارة لينفضوا أيديهم نهائياً من السياسة .. وقد تم اختيار هؤلاء جميعاً ما عدا وزير الاستعلامات ، ولا أمك أن أفضى إليك باسم أحد منهم باستثناء رئيس الجمهورية الذى رخص لى فى أن أذكره لك وهو : « محمد نجيب » ، أما منصب وزير الاستعلامات فقد شحكتك ، ولكن رؤى أن الاستعلامات لا تزال مصلحة وليس لها وزير ، وأن الإذاعة جانب خطير من وسائل الإعلام ، وأن التفرغ لهذه المسائل فى الأيام الأولى يجب أن يكون على مستوى للتفرغ فضلاً لاعلى مستوى الوزير السياسى ، فقرر الاكتفاء بإسناد منصب مدير مصلحة الاستعلامات إليك ، لشرف بنفسك على الاتصال بالشعب من أول لحظة . ورؤى إسناد منصب مدير الإذاعة لى ، لأن أول الاتصال بالشعب اتصالاً مباشراً ، تم بيت فى مصرينا بعد أن يستتب الأمن ويستقر الأمر ، ولا أسس عليك أى لا أنرى أن أميل أى منصب وزارى ، وقد صارت زعم الحركة يصرارى من الآن على منصب صغير ، لأنى أقدر على خدمة بلدى ونسى فى السلك السياسى متى فى للنصب الوزارى .

وقلت للشاب : دع الحديث يقف بنا لك هنا الحد .. وفى الية التبة أصلحك كفى .

## وأعطيتها... ١١٩

وفي اليوم التالي قلت للمدقق الشاب مرحباً .

— أيها التلميذ الحبيب .. يقول الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : « قبلت » .

ووثب التلميذ الفتي تقبل أستاذه الشيخ .

\*\*\*

ومن يجب — ومن باب الفكاهة المريرة — أن شاباً من ممثلي هيئة الاتهام في قمبختناطاب له وهو بشن الحق «لى» ، أن « يتظرف » فتصير رسم الحديث الذى رسم « الشاب » فى « تقاريره » أنه دار بينى وبينه ، تحمير ممثل الاتهام أسلوب حميد الأدب العربى أحاط الله فماده فقال — أى وكيل النيابة المرافع : « وهنا قال التلميذ الفتي لأستاذه الشيخ كيت وكيت » و « هنا قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي كيت وكيت » .

\*\*\*

وبعد فأرجو أن أكون بهذه الصفحات قد رسمت المرحلة السابقة فى موقعى من « الرجل الذى تأمرت عليه » .



## الفصل الثامن

### المؤامرة

أ كبر الفتن — وقد انتهيت بك إلى هذه المرحلة من مراحل عبر السنين العشر — أن يكون قد تبادر إلى ذهنك أي سأخوض بك في بحر الجي من تفاصيل « المؤامرة الكبرى » — كما أسماها — وبكل ما تنطوي عليه هذه التفاصيل من بحوث في الفقه والقانون .. وبكل ما جرى في جلسات المحاكمة من كفر وفر . ومن اتهام ودفاع .

كلا .. وما استهدفت بكتاى شيئاً من هذا ..

إنما استهدفت — فيما يخص « المؤامرة » — أن أتحدث إليك عما الحديث الذى يخرج بك من تلك الغمطات التى ظلت تملأ أهدار الصحف والمجلات شهوراً .. وتتملها المحطات السرية العشر التى كانت تشكل فى ذلك المدين شبكة رهبة محاصر مصر بالأكاذيب .. وبمحارب « ناصر » بنا — وبكل أداة تصلح للحرب — وبكل الأساليب .. واستهدفت ، فيما يخص « المؤامرة » أيضاً أن أتحدث إليك عما الحديث الذى ينبع من الرؤية الواضحة لكل الأسباب التى دعت إلى الكفر بالقائد الشاب حتى تأمرت عليه .. وإذاعرت بك — داخل السجن الثلاثة التى تشغلنا بينها — على بعض ما جرى لنا أو علينا فيها .. فلكى إبرد معنى يتصل بالصرية وبمراحل قرى بها أو سدى عنها .. أو لكى أطفئ فتارة الجوف السجن منارة تحمل إليه شعيتك بعض الاقتضات أو تحمل إلى قلبك بعض الرضى ..

\*\*\*

ولك بعد أن تفرغ من قراءة هذا كله — قراءة أريج أو تكون مستأية ورواية وعادة — أن تقول مسترح الصبر لى كان ما قرأته وثيقة من وثائق المصدق

جديرة بشرف الانتباه إلى مهمة التأريخ .. لهذه العترة من تاريخنا .. أو أن الكتاب ..  
كتب وخيم من كتب النفاق .. يأخذ مكانه من «مكتبة الناشرين» وما أكثرهم  
على مطالع كل «تورة» .. وعلى باب كل «تار» .

ولن أحسب القلم — مداعة — «كل» ما جرى في التحقيق أو في المحاكمة ..  
أو في السجون التي أحقت علينا .. إن أجنب القلم شيئاً يستدعيه هدف الكتاب ..  
ولا منر من أن ألتقط بالقلم حادثة من هنا .. وحادثة من هناك .. إذا تطلب «الهدف»  
هذا «الانقطاع»

### مثلث الضلالة

وأعود إلى «الثالث» «المجيب» .. الذي جمع «يني» .. وبين «الثاب» «الذي»  
قام بعض إلى المؤامرة و«الشيطان» «الرجيم» الذي أعران بهذا القآمر ..

وقد تدعش إذا قلت لك صادقاً أن الأمر كله — وعلى خطورته — قد مر بي  
كما تمر مسرحة الخيال المهرور باتين من الشراء الفاشلين .. جمعت بينهما ذات يوم  
جلسة «حشيش» أو «أبيون» .. فوق مجرى ماء .. أو تحت ظلة نخيل .

\*\*\*

بدأ الأمر — كما رأيت — بمرض مشير .. من جانب الشاب كلكفة أولى .

وجادت الحلقة الثانية من جانبي .. عندما أعلنه يقبول .

وهكذا أصبحنا .. بسرحة حشاش .. أو بحيال قصاص .. عضوين في «مؤامرة»  
لم يقدم لي على طول طريقها — كما سترى — أى «دليل مادي» على وجودها .

ولعل الأمر استهوانى في البداية .. بوصفه «حركة عتيقة» بسد شمول  
طال مداه .

ولسلي غشت يمس هذا الشمرور عن بعض ما اطوى عليه العسر من غضب على



« الثورة » بسبب ما مالى على يدها من أذى .. كصاحب جريدة وكضوء مؤسسه  
التقابة .. أو في التليل كواطن له الملقى في الجيش الكريم .. ثم بسبب ما عبت به  
من شحنة الأكاذيب يا يدي الخوصم .

بل لعل « الخيال » قد شط بي أياً ما .. فرست خطوط « المحكة » التي يمشل  
أمامها خصوم « الثوار » - وهل رأسهم « صانع الثورة » - لنسألهم عن حقوقه  
المواطنين - وحقوق - التي وثقت .. بأى دنب قتلت ..

ولعل فاصلت - في الخيال - بين الثأر منهم أو الصون عنهم .. فأثرت أن أناؤسى  
أنا الآخر بالرسول الكريم .. وقررت أن أطلب إلى رئيس الوزارة التي أكونه  
قد اشتركت فيها أن يلقى في الثور الخياري : « كل من دخل بيت عبد الناصر ..  
فهو آمن » .

وطيبى .. لا أذكر اليوم - على التحديد - كل الأصوات التي ألقاها الخيال  
على طريق تمكيري . أو استبداها من كل ما ترسبى القداكرة عبر تلك السنين الملتت  
أو .. من معالم باهتة لصور مهروزة .. لخيال مريض صاحبني أياً ما ، مذقات لشاب : « قبات » .

\*\*\*

أما « الشاب » فقد تيرت - من لحظة قبول - كل صلته بي .. ونخيل لي أنه  
بالدهوة التي وجها لي .. قد تخيل هو الآخر أنه انترع زمام « الأستاذية » من يدي ..  
وراح يرتب لنفسه « حقوقاً » على .. أشير إليها عامراً وبرغى - وأدب عن أى بيان  
لها .. لأنى حريص على ألا ألقى به أى تبرجج .. وحسبه ما يلائمه وما لاقاه ، ولما  
حيماً لقاء محضوم بين يدي الله !!

## المؤامرة .. لها أصل

ولعلك تحب أن تسأل :

هل كانت هناك « مؤامرة » أم لم تكن ؟

والجواب :

- كانت .

وقد نحب أن نسأل أيضاً :

— هل كان كل الذين لعبوا فيها يطعمون أن هناك مؤامرة جامعة ويؤمنون بأنها مستممة حتماً ، وأن كل واحد فيهم انقسم إليها عن ابعث بها ؟  
والجواب :

— ذمة وضيمراً ، لا أستطيع — حتى هذه الساعة — أن ابعث أحداً بيته ، بكلمة نعم ، ولا أستطيع أن ابعث أحداً بيته بكلمة لا وإعما أستطيع أن ابعث من نفسي قط ، وهو ما أنوى أن أفعله .

•••

ومد قلت للشاب : « قبت » ، أهمى الأمر بعض الوقت

وأنا أعلم علم اليقين أن كل إنسان يبسر لما خلق له .

وكت أعلم علم اليقين أن غير مبسر للتأخر ، وغير مؤهل لأي عمل « تحت » .

وعلى ضوء هذا العلم ، رحمت أسائل نفسي في حزن وسيرة : كيف قلت للشاب : « قبت » .. وبدأت الحروف الأربعة<sup>(١)</sup> تحايلني في نومي وصحوي ، وغدت نيباً ليعين والشمال ، أراي على الصيغ مشدوداً إلى الشمال ، وعلى النساء مشدوداً إلى اليمين .

كنت أستريح إلى المشاركة في « المؤامرة » عندما أذكر أن الحياة — في إدراكى — مجموعة من « البسقم » تمثل « القاعدة » التي يقوم عليها « الحق والخير » ، ومجموعة من « التسلل »

---

(١) « الحروف الأربعة » التي أشير إليها هنا هي التي تألف منها كلمة « قبت » كما أن « الحروف الأربعة » التي أشيرت إليها ، البسر فلان مصر من مصف ١٧ هي التي تألف منها كلمة « جعل » وقد رأيت أن أرجح إلى تلك المصفة — كما ستلاحظ — سبباً أن يكون الأمر قد البس على العارى فيها .

تمثل «القصة» التي نتج عنها ، ونسل لها ، حتى مكشف عن وجه «الجمال» منها ..  
وتتم (بالتنوير) المستور فيها .. وتذكر معنى (الحق) وقيمة (الخير) .

وكنت أشرح إلى (للمشاركة) في (المؤامرة) عندما أذكر أن الديمقراطية  
السياسية - كما تباشرها بريطانيا - هي في رأي أقرب السبل وأقوى الوسائل إلى إدراك  
معنى الحق وقيمة الخير وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس مادامنا نأخرين عن «الردة  
الخيرية» بالحكم والحكام ، إلى صدر الإسلام .

وكنت دائماً أكره من (مناحم المصير) كلمة (الديكتاتورية) وعلى أي صورة  
وعلى أي وضع ودخل أي إطار ونحت أي شعار ، فأشد ما أكره كلمة (الزنا) - مثلاً -  
كجريمة مروعة للعقل ، منافية للذوق ، هدامة للجمع ..

وكنت أقول لنسوان (الزنا) قد أكره - ديناً وضيقاً - أن أتبع فيه ، ولكنني  
أمام إغراء الجمال (المريد) في أي حياء (متوهجة) قد أشتبهه .

أما (الديكتاتورية) فعل القبيح ، قد أتبع فيها وأخص لها على كره مني  
ولكنها لا نستطيع أن نترنم بشيئها .. أو ننتهي عن الحرية التي حررتنا منها .

وكنت قد التفتت - كما رأيت - بما قلته المنصوم عن «الديكتاتورية الناصرية»  
ونميل إلى أن الأحداث التي وقعت تزيد كل ما قلته ، وأما الآن أرى قوماً يريدون  
أن يمررونا من هذه (الديكتاتورية) ويردوا الأمور كله إلى الأمة ، لتقيم حكماً جديداً ،  
صعباً من أطواء الفلك والأحزاب ، أقرب ما يكون إلى الحكم النيابي في اجتماعها ، فهل  
يكون خطيئة أن أسمم هذه النية إلى هؤلاء القوم ؟ بل ألا يكون «واجباً وطيباً»  
معتوماً أن استحيب لهم ، بعد أن وحبوا الدعوة إلى ؟

وكان هذا هو «اليمين» الذي أراني (على الصبح) مشدوداً إليه .

فإذا جاء للساء ، وأقيمت برأسي إلى التماسدة ، راح الشريط يمر ، شريط صاعد  
تهدم أنا من عارفيه .. وقد عشت العسر فيه أيام للملكية والحزبية ، وشريط جديد  
لا أشتبهه ، لوجود (الحكم القوي) فيه ، ولكن (أضواء) تخالفتني من خضائه

ورغى ، فلا أبيت أن أخلق فيها ، وأرى شيئاً اسمه (الجلاء) قد نم ، وأرى شيئاً اسمه (القتال) قد أسم . وأرى شيئاً اسمه (التصنيع) قد بدأ ، وأرى شيئاً اسمه (الإقطاع) قد تحمل ، أتستحقى (سارع هذه الحقائق) أن يُبرل ، فضلاً عن أن يُوَتر به ؟

وكان الجواب : ( كلا ) .

ولكن النفس اللبنة بالضم ، لا تلت أن تروح بي إلى الردة .. ولا تلبث أن ترمى لي ، مستغل البلد في ظل (التحرر) وتعمل (التأمر) .

### فلسفة الثورة ؟

وذكرت يوماً كتب (فلسفة الثورة) ، وذكرت أن فيه (أشياء) قد تتاون على تحديد الموقف .

وما كدت أتصفحه حتى وقفت عياني في الجزء الثاني منه على أهداف الثورة ووسائلها ..

وقرات لفائد الشاب أنه كان يعرف ما يريد أن يفعله ، ولكنه لم يكن يعرف الطريق إليه .. كان يريد أن يحمل بمصر التحررة .. أما الطريق إلى (التحرر) فذلك كانت (مقدمة المقد) .

ويقول أخيراً أن رأيه استقر على أن (العمل الإيجابي) هو الطريق ..

ولكن (الصورة التالية) لهذا (العمل الإيجابي) كانت دائماً (تخدير) .

• • •

تهدى « العمل الإيجابي » في نظره — أيام دراسته الثانوية — في صورة مظاهرات قتاد المظاهرات ..

وتهدى (العمل الإيجابي) بعد ذلك في (نضال الزعماء) فشارك في إجبار الزعماء

على (توحيد كلمتهم) فضع في أسنيتيه .. وكانت مساهدة ١٩٣٦ (ولدت) هذا  
« التوحيد » .

وجاءت الحرب العالمية واعترف أن الاجتياحات السياسية (توجهت) في خياله  
للمشغل (على أنها العمل الإيجابي الذي لا مفر من الإقدام عليه) . وفكر في اغتيال  
الملك وبعض رجائه .. وقام هو وإسوان له ببعض المحاولات فضلاً ..

\*\*\*

وليس يفتنى - هنا - أنه انتزع أسيراً بأن العنف (ليس حبر الوسائل) .  
وكل ما يفتنى من إلصاق إلى ما قاله في كتابه .. أنه رخص نفسه في  
الاجتياحات وفي التآمر .. إتقانا لوطنه من الملك ورجاله وكل حاكم ظالم .

\*\*\*

وإسواننا (المسكرون) الذين حدثني عنهم « الشاب » لا بد أنهم « فكروا »  
مثل تفكيره « إتقانا لوطنه » .. ومن (الرجل) الذي يرويه - خطأ أو صواباً -  
(حاكماً ظالماً) فلماذا يجرم اليوم على غيره ما أسلفه بالأمس نفسه ؟

\*\*\*

رحمت أصعب السأفة في هذا الوضع .. وأصعب إليه أننا نحن (المدنيين) لا نشارك  
في أي اغتيال أو في أي انقلاب ، كما أكد لي (الشاب) ، وكل ما في الأمر أننا مدعوون  
إلى نسلم زمام الحكم بيد مجامع حركتهم .. فأية جريمة في نسلم هذا الزمام ؟

وإيمان قلبي - إلى سلامة وضيء .. ورحمت أمس نفسي بصوت مسموع وعن  
رضي وانتفاع هذه المرة : (قبلت) .

عجزي .. في المؤامرة ١٢

وعشت في قلب المؤامرة .. ثلاثة شهور كاملة ، بدأت بيد (المدون) وانتهت

في فبراير ١٩٥٧ ، هذه الشهود الثلاثة هي . كل معرى في الزاوية .. أو هي  
« الفترة » التي انقضت « الزاوية » من معرى

وأنا أشعر أنك مشوق إلى معرفة الكثير من أخبار هذه الفترة ، والصور التي  
لبنته خلالها ، ومن حفاك كشاهد دفع في « تذكرة » المخول الآن .. أن نستمع  
بهذه للشاهد .

وكنت أود أن أحقق لك هذه الرغبة .

ولكن يبدو أن الأمر ليس سهلاً كما قد يبدو لك .. لأن الكتاب لا يستهدف  
أن أحكم إلى القراء ، فيها تركبت من أحطاء ، كما كسى عليها القضاء ، وإنما يستهدف  
التكشيف عن الأسباب التي دفعت بي إلى التأخر على القائد الشاب ، والأسباب التي  
انتقلت بي إلى الإيمان به ، وليس من بين أهداف هذا الكتاب ، تفاصيل دور لبنته  
في المؤامرة أو لم أنبه .

ثم إن هناك حقيقة أكثر خطورة ..

وهذه الحقيقة تقول إن الأمر لا يخرج عن واحدة من اثنين : إما أن أكون  
قد قمت بدور إيجابي له اتصال بنوري من التبيين ، وفي هذه الحالة لا أرى أن من  
الرجوة أن أعترف على غيري أمام القراء ، أنا الذي لم أعترف على أحد أمام القضاء ،  
وإما أن يكون دوري كله كلاماً في كلام جرى بيني وبين هذا الشاب ، نتج عنه « من  
روحه » أمام المحققين فاستوى (أحداثاً) حركت عليها ، وأحسني إذا ما تكررت على هذه  
( الحقيقة ) أن يوجد من بين القراء من يظن أنني انتهرت فرصة ( الكتاب ) لأبريء  
نفسى ، وما إلى هذه التجربة أهداف ..

\*\*\*

ولكن بعض القراء قد يجهلون دوري من القصة نفسها رغم كل ما نثار حولها  
من ضجيج ، ولم على " إذن أن أقول لم شيئاً عن هذا الدور بعد أن مضى عليه أكثر  
من سنوات خمس .

والإتهامات كلها لم يوجهها إلى "أحد غير هذا (الشاب) ، وكل ما في القصة مطلق بأن (الشاب) هو وحده الذي يقول عنى كيت وكيت . . .  
يرجم (الشاب) أنه طلب إلى - باسم التشكيل العسكري - كتابة (منشور) أسف في السياسة الناصرية فكاتبه بمطلى ولكن (عاطف نصار) الرئيس العسكري لفنشكل عاد فمدل عن (فكرة للنشور) وورق (أصل للنشور) ، فاسم جسم الجريمة .

ويرجم (الشاب) أنه طلب إلى ، إعداد (النيللا) التي كنت أقيم فيها في ضاحية (المطرية) ، ليجتمع فيها (للتأمررون الصباط) ، ولتكون مستودعاً لأسلحتهم ، وللايسم العسكرية التي يرتدونها ساعة المسمر ، وأنى قبلت تهيئة (النيللا) لهذا الررض وكان (التشكيل) يطلق عليها اسم (البيت الكبير) .

ويرجم الشاب أنه بعد أن أعد (النشور) رأى أن من الخطر أن تدفع عن المدنيين ثمن طواع البريد و (المطروقات) التي نوضع فيها (للمشورات) وأنى أسهمت في هذه المهمة بشرة جنبيات - كأسمهم صلاح الدين وعبد الفتاح حسن وكأ أسهمت بكتابة (بعض المطروقات) .

ويرجم أحبيراً أنى كنت على علم بأسماء الشركاء في الزيارة وأنه كان يتقل لى أولاً بأول كل أشهرهم .

هذه هي خلاصة الإتهامات التي وجهها إلى (الشاب) .

\*\*\*

وليس لدى ماس من أن تأخذها أو تدعها .

وكل الذي يعتنى أن أقرر ، أن (ثشهور الثلاثة) التي عشتها في قلب هذه الزيارة ، كان (الشاب) يقول مله الفراع فيها ، بحديث لا ينفد عن دورى ، وعن (الكيفية) التي أدور بها أجهزة الإعلام في «الثورة الجديدة» وكان يطيب له - وقد اضح أمامه عمال «الصالح» - أن يدعى بلخيرة التي اكتسبها من العمل في وزارتي

الطرحية والإرشاد ومن رحلته إلى أمريكا وأوروبا في معية وزيره ، وفي مهام... كلها تقوم على أحدث وسائل الإعلام .

## إلحاح وهروب

وكننت إذا أخرجته مرة أو مرتين في كل شهر بسؤال ملادوتواصح من اللوعد الذي حدهه التشكيل للصرية .. زم شفته استنكاراً لتباطؤهم وقال : « مه رضه معدورين في التناخير .. لارم يستكلوا كل شي » .

وي شهر يناير ١٩٥٧ كنت قد ضقت بأساليه وداحضني الشكوك في جدية الأمر فربيت أن أضايقه بدوري.. وصارحه ذات يوم أني لا أستطيع أن أبقى طويلاً تحت السلاح .. ووعد بأن يطلق التشكيل على هذه الرغبة من جانبني ويحمل إلى الجواب .

\*\*\*

وي شهر فبراير قل لي قات لية :

— يبدو أن المسألة صرف عنها النظر لأسباب أنا غشى أجهلها والزمهم العسكري سافر ضللاً إلى فرنسا في مصالح تجارية .

وقلت في بساطة :

— عملوا طيب .. مين عارف كان حاجبيري ليه ؟

— على رأيك .

وأسدلت الستارة على « التزامرة » ، وإن كنت لا أكتصك أي أسأت للنظن في « الشب » مه ، وأخشي أن أقول لى ملت إلى الاحتفاد بأن التزامرة كانت من نسج غيبه ، أخشي أن أعلن هذا القول ، فتجنس بحق — بأني أهديت رأيي ، وقتلت إن الأمر لم يكن إلا كلاماً في كلام ويكنى — إذن — أن أعيد القول إن « الشب »



صارحني بأن الأمر صرف النظر ، وأن صاحب الأمر فيه ستر إلى الجماع ولم يد  
الحديث عنه محل .

\*\*\*

وأخترت أي تفضت للصداء .

وأخترت أي شمرت كأن صوت من كابوس تخيل .

\*\*\*

ومضى فبراير ومارس وأثنان وعشرون يوماً من أبريل ( وكان يناير شهر  
رمضان يوماً بيوم ) ، من غير أن أسمع منه كلمة واحدة عن « التشكيل » ، ولو كلمة  
« سباب » يهرب بها عن ضيقه هم ، أو يسطيها ، موقفاً له بات في نظري  
مكشوقاً .

وأرجو ألا تنجب إذا ما قلت لك إنني لم أقابل تصرفه بأي استفكار ، لكننة  
ما ألفت منه - أو مررتي - من تصرفات غير مألوفة .

\*\*\*

وقد لا أعطو الحق إذا ما قلت لك إن نبيت الأمر كله أو كدنت . أو هل  
التحقيق لم أعد أنسك فيه ، أو لم يدله وجود بالنسبة إلى ، حتى قبض على .

\*\*\*

وفي المرحلة القصوى يعني أن تدرك أن صلتني بهذه « الزائرة » لم تتم على  
صلتني بالثآمرين ، ولا بلزعم العسكري ولا بإخوانه المبكرين ، وإنما قامت على  
صلتني ( بالثآمر ) ، رأه وحده القى وجه الانهزام إلى ، ولم يوجهها أي شخص  
آخر ، ولم توجهها أية جهة أخرى .

\*\*\*

وعسى أن أكون هذه الصورة قد رسمت صورة صلوة للرحلة الثالثة في موقف  
من « الرجل القى تأخرت عليه » .

## فصل التاسع

### المفاجأة المذهلة

اثنا عشر يوماً مضت من أبريل سنة ١٩٥٧ - ومنها من شهر الصيام  
الذي كان يسير أبريل في الأيام - وكان من عاداتي ألا أذهب إلى مكنتي إلا في  
الحادية عشرة من الصباح لأسأل صياهي مع زوكرى ساعتين من الزمن .. أعود بعدها  
إلى البيت لأنام .. حتى يوقظني أهل البيت قبيل الإمطار .

\*\*\*

وفي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من أبريل ومن رمضان .. دققاً حرس  
التليوي في مكنتي وكان المتحدث زوجة هذا « الشاب » وهي ابنة خاله هـ . ولم أكن  
رأيتها قبلاً ولا بصمت صوتها .

وضعت من السيدة أن روحها دعي تليويًا أسس ذلك اليوم ( أي الإثنين )  
من مكتب شركة مصر « طبران بيجدان الأوبرا لتسلم طرد مرسل باسمه ، فبارح البيت  
ولم يبد .. وأنها سألته في كل مكان يتردد عليه .. وكل صديق يعرفه فلم تستر له على  
أثر . وأن جارة لها .. طُلب أيضاً زوجها تليويًا في القصر .. بعد أن قيل له إن  
« الشاب » أصيب إصابة بسيطة في حادث سيارة ودعي إلى لقائه في مكان حدوده  
هـ .. بعد أن سذرروه إلا يفتلق أولاد « الشاب » وذهب الحار ولم يبد أيضاً .

\*\*\*

ولم يكن المتحدث زوجة « الشاب » .. لا أعرت الحادثة اعتناك .. لأن  
« الشاب » كان لا يدخل بيته إلا وجه الصباح عادة .. وله سهرات لا يزال أن  
تستقره يوماً ويومين .. ولكني أردت أن أحاولها فأوقفت جنتسك في مصطفة الآكابر

كان يزورى .. وصديقاً آخر من «التجلى» كان موجوداً عندي .. إلى الأمام  
والسندقيات علم يثرا 4 على أثر أيضاً .

ولا أدري كيف سر الأمر بي بسيطاً .. هكذا .. ومن غير أن يتورق دعوى أمر  
للزامة .. التي كان قد صوّس إليها ثم حثها .. وحتى هذه الساعة لا أحد تمليل  
لهذه الحقيقة .

وفي اليوم التالي - الرابع والعشرين من أبريل (ومن رمضان) ذهبت إلى مكتبي  
كالعادة .. وفتح لي «تواب العبرة» باب (التاكس) كالعادة أيضاً .. ولكن الذي  
لم يكن عادياً .. إمارات القمر التي خيل إلى أني أرلها مرتسة على وجه الرجل .. ولم  
أنتبث عندها .. ومضيت أصمد للفرج وأفسر إمارات القمر .. بالآثر الذي يتركه  
القصوم على وجه كل صائم .. إيماء في القوى واستقاء في اللون .. وذهولا في النظرة  
أشبه بالظروف أو بالآثر أو بالجنود .

وواصلت الصمود .. وإذا نداء مهيب باسمي يلاحق أدنى ..

وتوقفت واستعدت إلى الذي يتادى فرأيت أمانى شاباً يبين عليه التهديد  
يقول في أدبهم :

— فلان .. ؟

— نعم

— أنا يا صدم .. الصاح (وتحت) إرلهم حليم من اللباحت

— أهلاً وسهلاً .

— والله يا صدم إذا سمحت .. عندي أمر بالتحقيق .. وإن شاء ما ازجيكشى .

— أبداً .. تفضل .

وكان (سامي للكتب) يفتحه في الثالثة من صباح كل يوم .. وكان ابن أحمق (نعمي محيب) الطالب - عائد - في السنة النهائية في كلية الحقوق .. يقيم في غرفة من غرفات للكتب .. ليستذكر دروسه مع إسوان له في مكان مهياً .. ولكن لاحظت أن الطالب (موارب) وماكدت أدفه يمدى حتى حدث لقط .. وألصقت أمام نقة من المخبرين كانوا يجلسون في أول غرفات للكتب وبينهم ابن أحمق وسامي للكتب .  
ولأول مرة بدأ جهازي للتسلل يسلم .

ولأول مرة ربطت بين هذا الشهيد .. وبين « الشاب » الذي لم تصف له زوجته على أثر .

ولأول مرة من شهرين أو ثلاثة .. ذكرت للزمارة والكآمرين . وسورتني الخوف .

\*\*\*

وفزع الصابط من تفتيش « للكتب » ولم يجد شيئاً يريه ..  
وعلمت أن الأمر وصف على طقت الحد .. ولكن الصابط سألني إن كان من الممكن أن أرافقه إلى بيتي في « الفحلة » .. وإلى « القبلا » للتفتيش أيضاً .. فأدرت أن لديه بيانات وافية ولم أهد أشك في أن الإجراء يمتلئ بالزمارة .. وحطرت لي لحظتي في شكل الخاطر الذي يتوهج في الرأس وينطق . - أني ظلت « الشاب » وأسأت به للظن .. وأن هناك - إذن - مؤامرة جادة .. وتآمرين جادين .

\*\*\*

ويبدو أن الصابط كان صاحب ضمير .. ولم يكن أنا تهذيب شكله فقط .. لأنه انتهز فرصة تفتيشه في « دولاب ملابس » وقال في مرح يهيوّن « وقع التصح على .. أنه يرى من هلب الأخط بالأحمر فقط .. أن أخذت مني سمس لللايس المتفحفة

لأن الحقيق قد يستغرق ليله أراكثير . فأدركت حقيقة الأمر . . وملاّت إحدى الحفائب ملابس . . وكان عندي عشرون طبة من سبائرى فأخذتها مبروشتنى نصحه أيعاشع .

وانجبت بنا العربة - بعد التفتيش - إلى طريق تؤدى إلى البلبسية . . ولجأت خرجت إلى يسارها وصرفت من تحت قوس . . أخذت طريقها إلى ملاأأرضه . . حتى وقتت أخيراً أمام مبنى رهيب كتب على بابه : « السجن الحرى » ورأيتى أأنتم :

إذا رقت الراقصة . ليس لوقتها كاذبة . خانضة راقصة

\* \* \*

واستقبلنا صاخ مهذب آخر علت من الحديث أن اسمه « إبراهيم خليل » أولمه « خليل إبراهيم » ورقى الرجل فى حديثه . . وكأننا أأهراء تنزل عليه ضيوفاً . . فصبحت لمثل هذه الرقة . . تستقبل الضيوف فى سخن رسم له الخصوم فى الأدهان صودراً حرجية . . وعلت فقلت لنفسى : « لعل الصور التى رسموها تبين بعد حين » .

وانصرف « إبراهيم حلم » لثناء وأسلمنى « خليل إبراهيم » إلى الجلاويش بعد أن أأهرب لى عن أسفه ونمى لى إنزاجاً قريباً وأدخلت إلى إحدى الجبريات فى « للمضل رقم ١ » ..

ولم أجد فى ملامح الجلاويش الشاب . . ما يسفرح إليه السجين . . فأردت أن أأتملعه . . فشكرت له متاعبه وهو يضع الحقيبة فى غرفتى فاستدار على ضييه وعند ما بين حاجبيه ولم يرد كلمة للشكر التى وسحتها إليه وكنت أسمع صوته . . إذا طرق -جبن آخر باب غرفته من المائل . . كنت أسمع صوت « الشاويش فزاد » وهو يرد على الطرق « طيب . . بزبانة بى . . أسكت » .

ومضى الأربباء ومضى المجلس . . ولا صدى . . إلا صدى صوت « الشاويش » يصدر تلمحاته إلى جنوده . . وإلا وقع حطاه . . وخطام . . يروحون ويميثون . .

## التحقيق

وإذا كنت أرحم لنفسي في لحظة من التحقيق الذي جرى معي في « السجن الحربي » فليس معنى هذه اللسعة أتى سأتابع كل التحقيقات في مختلف مراحلها .. وإنما سمعتها أن لها صلة عوفاً من التاصرة ومراحل كبرى وإعاني .. وأهداف كتابي .

\* \* \*

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين من أبريل (ومن رمضان) جاءني الجلاويش يسي إلى .. أي مطرب في مكتب (قائد السجن) فاستقبلته حتى أردتني ملابس فقال (لاداعي) فخبته بملباي الصيني الأبيض .. ودلنا إلى حجرة القائد .. فرأيت « المحقق » يتصدر « المكتب » وقد حلع عنه سترته وهو شاب فارح المود سمع الحيا ويأسي التكوين نأس النفس به ويسكن الحاسط عندة وتسترج العين إليه أو هكذا قيل إلى ..

وإلى يمين المكتب صفت كراسي شملها ستة أوسمة .. وإلى اليسار صف عدد مماثل شغل عدد مماثل ، وكان معظمهم يرتدون وجوهاً عابرة وملابس باشة قد درت أنهم لا بد أن يكونوا ضباطاً في أرياء مدنية .. وأن يكون المحقق من رجال النيابة والقضاء ، ولم يكن في الفرقة زى عسكري إلا الذي يرتديه قائد السجن .

## الكذب الأبيض

وفي مثل هذه القمصايا لا تصدق أن متهاً يقول « الحق كل الحق .. ولا شيء إلا الحق » ..

وأشرفُ للتهمين من يسمون من « الكذب » بالهون « الأبيض » الذي يمنه للتابع .. ولا يقصيه عن « الصدق » إلا بقدر ما يندل من الجسد في تحجب هذه للتابع .

وكنت خلال الـ١٥٠٠٠ التي قضيتها وحيداً داخل فرقتي .. أكرس جانباً كبيراً من وقتي وتفكيرى لإعداد « الأكاذيب البيضاء » التي أملت إليها ، وأعتقد أنها لا يمكن أن تعرف ، وأنها لا بد أن تمر هيئة وفى سر ، لأن دورى « فى المؤامرة » هين فى حقيقته وبسره .. وبدأ المحقق حديثه سى رقيقاً ومشجعاً وسألتى بما معناه :

— إيه حكاية للمؤامرة دى يا فلان ؟

وكنت قد قررت أن أتجاهلها تماماً ، وحتى « كذبتى الكبرى » قلت فى لهجة من خلاصته منها :

— مؤامرة إيه يا أفندم ؟

والتبس فى وداعة وقال :

— أنا عارف إنك صائم .

— صحيح .

— وأنا صائم مثلك .. دعنا نعملون .

— يا أفندم أنا على أتم استعداد .

— أنا عارف .. وأعرف كلن أنك راجل صريح .. وأؤمل ألا تنسى .. شرطاً ألا تعرف شيئاً عن المؤامرة التي قبض عليك من أجلها ؟

— إطلاقاً .

قلت « إطلاقاً » ولا أدرى حتى الساعة : كيف كان وقصها على الرجل ، وإنما الذى أدرته وأذكره .. أن كلمة : « شرطاً » التي وجبها لى .. وسزنى .. فعل الرنسم على وجهى ياترى انكسار ذلك الوتر .. وإن كان الاسكاس قد ارتسم .. فهل تنبه عليه الرجل .. ومفروض فيه أنه محقق مدرب تمرس طويلاً بالكذب الأسود والكذب الأبيض ويختلف ألوان الأكاذيب ؟

لا أدري أيهما ، والذي أدريه مرة أخرى أن المحقق سمعت قليلاً ثم سألتني فجأة  
وكنت أتوقع سؤاله :

- تعرف فلان ( يعني الشاب ) ؟

- طبياً .

- ولماذا طبيباً ؟

- لأني أمرته مد كان تلميذاً .. محكم أي كنت صديقاً لأخيه الأكبر .

- إذن مفروض وقد كبير أنه هو الآخر صديق ؟

- برضه طبيباً .

- عظيم . مارأيك إذن في أن هذا الصديق هو الذي يقول إنك تأمرت معه ..

وأنه هو الذي صدمك إلى تشكيل للتأمين ؟

وأذكر - أو شعرت ساعتها - أن أصبحت تمثيل للصور وأي كنت أتكلم في  
حرارة يبين عليها الصدق ، ولا أستطيع أن أحتد مدى تصديق المحقق لهذا الذي تهدي  
« صدقاً » أو « كالتصدق » وأنا أجيب بما سمعته إذا لم يكن قريباً من الصم :

- يؤسفني وبكل الصراحة التي أعرفها عن نفسي أن أقرر أن كل ما يقوله هذا  
الشاب غير صحيح ، وأنا شخصياً أمضيت الفيلين في هذا السجن أحاول عتياً أن أجد  
سبباً يبرر اعتقاله ، فلو أي أعرف شيئاً عن مؤامرة شاركت فيها لما أنست نفسي .

### ضمير وذمة

وتوات الأمانة من السيد المحقق وتوات الإجابات مني واختتم هو كل هذا  
الكسر والقر بقوله :

- طيب يا أستاذ سوادى .. أحب أن تلخص لنا في تقرير - وأنت الكاتب - كل



ما جرى بيني وبينك اليوم من سين وجيم وسيضع السيد قائد السجن تحت تصرفك كله ما تطلبه من نسيلات ، من ورق وقلم وشاى وقهوة ، وقد أصدرت تعليماتى إليه أن يحقق لك كل ما يباروك على الإقامة الرخيصة هنا حتى يتيسر التحقيق ، وكلم صائم مثلك أرجوك وأحسب المسئولية أمام الله أن تخطر اليوم حتى لا يذبح الصوم بالقلم للإزلاق إلى أية عبارة قد لا ترضى عنها وأنت في غواك المادية والسبجارة في يدك .

\*\*\*

وأحسنت أرى أمام محقق يعص بين العصور والقمة ، ويعمق قلبه بمشاعر الإنسان ، ومشاعر السلم ، وشجسى سلوكه على أن أقول له :

— مادمت قد ذكرت السبجارة .. فأرجوك أن يكون من حق أن أشكو إليك منع السجائر هـى .

وأبدى الرجل دهشة وقال قائد السجن في عصب :

— إسرف له من الكاتين كل ما يطلبه ، ما هذه التصرفات ؟

— ياخذم ألف شكر ، وأنا على فكره عندى أعلن حوالى عشرين طلبية سجائر فى خزنة أركان حرب السجن ولدى فى « الأمانات » اثنا عشر جنيباً وبعض القروش كانت فى جيبى وقت احتفالى وأعلن أنها تكفى مطالبى من الكاتين حتى نسحروا لإن اختق أن يرسل لى مزيداً من القنود .

وأمر المحقق غنىء بالسجائر وبأولئى منها علبتين وورغم لى أوف أطلب ما أشاء منها .

وأعادنى (الشاويش فزاد) إلى (الزناة) فى شبه من الرقة لم يكن يهملنى هالـه قبلاً . . ولم تكن منفصلة على قدمه أصلاً .. وقال وهو يفتق الباب (تأزم خدمه يا حاج ؟ وابستت وشكرت . فنتسم يقول وهو يفتق الباب ولم ينس المنف فى إعلاقه كأنمود : « يظهر إنك انت الراجل الطيب للى فى جملتك » .

ومن هذه العبارة ، أدركت أن آخرين احتضوا معي ، وأهم شركاء في نفس  
الزائرة .. وحررت أن يكونوا أعضاء فيما كان «الشاب» بسببه «التشكيل السكري»  
و «التشكيل اللذي» ولكن من م ياترى ؟

وأحياناً الجواب .. وإن كان تشكيري قد امتد إلى الكثيرين من الساسة الذين  
يصلحون للتأثير .. ولعل انتهى امتد إلى خمسين منهم ..

### من هو المحقق ؟

وبدا المحقق يوم الثلاثاء ( وقتة العيد ) طاسدعاني مرة أخرى ولم يكن معه  
من ثمة الماهين أحد ، وكان يرافقه كاتب محقق شاب ، أميق هو الآخر ورفيق ..  
وبدا المحقق يفتح محضراً و يقرأ التقرير الذي كنت قد كتبه وبتصريح منه أسئلة يوجهها  
إليّ وأبنت للكاتب إجابتي عليها حتى إذا أتم المحضر قدمه إليّ لأرى إن كان أميناً  
في إثبات ما قاله ، ووقعت بامضائي وشكرت الله على أن احتل لي من تلك التضيقات  
محققاً نظيفاً ومسلماً وصائماً وذا ضمير ولم أر الرجل مرة أخرى ، فن هو ياترى ؟  
والجواب سيجيء .

### التعذيب ؟

وجاءت ليلة العيد ..

وكان كل هي أن ينسرب إليّ من خلال التضيقات قس من نور ، نور يبدو  
شبهاً من الطلة التي أبيض فيها ، أو يربو شيئاً يطمنني إلى مسيرى ، وهأنذا في يوم  
عيدى ، أفضيه خلف أسوار السجن الرهيب .  
ولم ينص لي جنن ليلة العيد .

وكان المرح بدأ على صوت الجلاويش وأصوات مساعدي ، وإذا سعد السجان ،  
شقي السجين ، أو هكذا لاح لي والجلاويش « يندندن » على مطالع العيد .

وخيل لي أن حرب الأصحاب قد بدأت ، لأن باب المعتقل كان يحدث صريراً

مخيفاً كلما فتح وكما أغلق ، كما خيل إلى أن الجاوش ومعاونيه يصعدون بث المخاوف في قلب كل سجين ، لأنهم أكثرنا من فتح الباب وإغلاقه .. وترامى إلينا من خلف نوافذ المعتقل .. نباح كلاب .. تبدى في حيالي كلباً جاحشاً ، أهدتني الشهيم بأنياب لا ترحم ، كما حدثنا قبيل السجن خصوم تامر من هذه الكلاب وما لها من أنياب ، وعن مختلف وسائل التعذيب .

\*\*\*

وجاء يوم العيد ، ولم يحى . مع أي تعذيب .

والذي جاءنا هو قائد السجن يحف من حوله ضباطه ليرحوا إلينا التهانى بالعيد ، وليقدموا لنا الحلوى ، وليزكروا أفعالنا « محبة وتنهي » و « شدة وتزول » ، وعنى القائد بسؤال عما إذا كان في وسعه أن يقدم أية خدمة فسأته عن الطعام ولماذا لا يرخص لأهلنا في إرسائه إلينا من منارلنا ما أكد المرسل أن الطلب سيتحقق في خلال أيام وأخذ مني رقم تليفوني ليصل بان أسحق ، وبر بالمرعد صلا .

\*\*\*

وجاء بالعيد بمشهد بشير العشة .

جاءنا بوصول من صولات السجن عليه سمات الصالحين ومع شيوخ كبير في السجين وقد يزيد ، هو إمام مسجد السجن .. للمائدة ، وكانت عينا الشيخ مليتين بارقة والمخاض - ولا أقول : « والهموع » - وراح يؤكد في تهديج الواصلين والمبارفين أن القروج ياذن الله قريب .. وأن الصبر الجليل هو أمضى سلاح في معركة الشدائد .

وأشهد أني تأثرت بالشيخ والوصول ، أكثر مما تأثرت بالصباط والقائد ، وما كاد الشيخ والوصول ينصرفان ، والباب ينلق على ، حتى شمرت بمجاقتي لللمعة إلى الهموع ، فبكت لأول مرة في سجنى - واشرح لأول مرة صدرى وأحسنت أن الهموع غسلت كل ما كان قد ران على الصدر والقلب والروح من أشتال وآلام وحروح .

وأرجى، الآن الحديث ليجه، في مكانه عن الممثلة التي عملنا بها في هذا السجن  
وكيف كانت «ركيزة» من «الركائز» التي قام عليها تمكيري في «الناسرية» كذلك.

### في النيابة

وجاء دور انتقال التحقيق إلى مثل نيابة أمن الدولة الأستاذ علي نور الدين .  
وكان قد أخذ لهذا التحقيق مكاناً . . عرفة من غرفات الدور الأول في مبنى  
وزارة الداخلية .

وكان المتبع أن يعمل أحد ضباط المباحث إلى السجن فيطلب إلى الجلساويش أن  
أرتدى ملابس كاملة ، ويذهب إلى مكتب أركان حرب السجن فيتمسك ضابط  
المباحث منه فأرغمته في سيارته العسكرة حيث يسلمني إلى علي نور الدين فيحقق معي  
ويعد التحقيق يورد في الصابغ إلى سجنى .

وكان مسمى الضباط يذهبون في حسن الماملة إلى حد بعيد .

وكانت الشوارع في ذلك الحين ( مايو ١٩٥٧ ) قد اردانت بلوحات الهداية  
عن الانتصابات التي كانوا يسمون إجراماً للإقامة أول مجلس أمنة في « جمهورية مصر »  
ليجتمع في الثامن والعشرين من يوليو من نفس العام فكان الضابط يسألني - وقد يكون  
له هدف من وراء حسن الماملة - إن كان يطيب لي أن أخرج على الزينات . . وبأسر  
السائق ميطوف في شوارع عماد الدين وسليمان باشا وغيرهما ثم يذهب إلى أخيراً إلى  
وزارة الداخلية ، وليتقى الساعة أصح قصة ولا اضح كتاباً لأحدثك عن شعوري والحرية  
نشى بسطه أمام القهى الذى كنت أسهر به ، وأشهد : بلخدم الدين أهر فهم يرمون  
بين اللوائد « أسراراً » فوق أيديهم أكوام وأقداح ، ولا يدرون أى نعيم مقبم  
م فيه ، وأن داخل العربة التي مرت أمامهم . . عزيزاً يرفونه لا يملك أن يلقي  
الحمية عليهم .

ولسكن ماننا . . وهذا الشطط ؟

ولسند . .

استغرق تحقيق الحياة سوى أربع جلسات .

و كنت أراجع كل صفحة كتبها كاتب التحقيق قبل أن أضع عليها توقيعى .

وقد قدرت أعضاى مرة واحدة .. لسكامة — لم تنبئنى — من صابط كبير كان يشهد التحقيق — وكانت نفسى أنه لا يصدق ما أُلِيه على الكتاب ، فاحتججت احتجاجاً عنيفاً ، وسارع الضابط إلى الاحتذار وأكده أنه لم يتمد إلى للمنى الذى ذهبت إليه وأوقف على نور العين التحقيق ، وطلب لى فدحا آخر من التهنوة ، وشارك فى تأكيد ما أكده الضابط ، وسرت العاصفة .

ورصبت عن سير التحقيق .

وسد عشرين يوماً من احتفال كان التحقيق قد انتهى بالنسبة لى .

وطلت بقية الشهور الثلاثة التى قضيتها فى السجن الحرى آكل وأشرب .. وأصل وأثرأ .. وأدخن وأفكر .. ولا أجد جواباً كلما سألت نفسى : « وسد » ؟  
تم أسلم رأسى إلى الرماطة وأعظم « إلى المد .. » .. أى عد بشاؤه القدر ..

## صلاح المسموق

وفى يوم العيد الخامس للتورة .. عندما التفتينا عن الحجة — أفراد التشكيل للذى — لأول مرة فى غرفة القائد .. اكتشفت سرأ لم يحل لى قبلا محاطر .. اكتشفت أن الشاب الذى أوليته تقديرى ظناً منى أنه من الأسرة القضاية .. وأنه وكيل نيابة أوفد إلى السجن الحرى للتحقيق معنا ، لم يكن من أسرة القضاء يوماً .. وإنما هو صابط البوليس صلاح المسموق ( أركان حرب وزارة الداخلية يومئذ ومحافظ القاهرة اليوم ) .. وقد رأيت لحساب التاريخ وقد بدأ الشاب يقرع نابه — ساعداً معتولاً من سواعد ناصر — أن أسجل للتاريخ هذه الرواية .

## الفصل العاشر

### عود إلى التعذيب

قد يدور بمحلك — قبل أن نبرح هذا السجن الرهيب — أن تسأل : أين كنا قد  
مينا فيه بقية الشهور الثلاثة ببنفس مطشمة .. بعد أن عوملنا تلك العاملة الطيبة ؟  
وبكل «الصدق الرهيب» الذي أنوحاه في هذا الكتاب .. أقول : « كلا » .  
وبيان هذا « النقي » — وأفضل أن أتحدث عن غشي فقط — أي أمضيت  
الشهور الثلاثة في قنق .. وكنت طوالها فريسة للعارف وهباً لسوء الظن .  
وكان للظن السيء ما يبرره .

وجاءت إحدى الحوادث .. فلم تبرح القنق التي كان يفترسني فقط .. ولا جرت  
الظن السيء الذي كان يلارمني الشهور الثلاثة فقط .. وإنما جاءت حادثة التاسع عشر  
من ما يوتلأني رعباً .. ونفخ ألسنها شجاعتي فراراً .. وكنت أظن — فروراً مني —  
أن الشجاعة إحدى صفاتي .. كبريتي وصمدي .

وبحسن أن أبدأ بالحديث عن القنق .. ثم أنتقل إلى الحادثة التي ملأني رعباً .

### قلق .. وسوء ظن

انتهى التحقيق بالنسبة لي بعد جلسات أربع .. أعلم على حود الذين كانوا  
أن ذكرت .

ولكنني كنت أجهل أنه انتهى ..

وكنت في كل يوم .. وفي كل ساعة .. أتوقع أن يستأف .

ولم أكن أعلم أن للتغلين مسمى - قصة « التوأمة » - ثلاثة عشر .. وأن من بينهم ثمانية من ضباط الجيش .

ولم أكن أعلم أن من بين المكربين ذوى رتب عالية كالأميرالدى عاطف نصار الذى برأس التشكيل السبرى .. والذى اعتبر فى إسنائه إلى اللماش « لواء » .. وأن من بين اللدميين الحمة وزيرين وفديين هما الدكتور محمد صلاح الدين وعبد الفتاح حسن .

ولم أكن أعلم أن التحقيق كان مقدراً ألا يماوز إلماً وكان مقرراً أن يجرى فى سرية .. وأن هذا الوضع كان يحتم على المحقق أن يواصل إليه ونهارة .. وقد يمتد التحقيق مع أحد للتهمين إلى منتصف الليل ثم يستدعى أسر .. وقد يمتد التحقيق معه إلى الفجر أو إلى الصبح ..

\*\*\*

لم أكن أعرف شيئاً من هذا كله ..

وكنت أسترق السمع دائماً . رجاء أن أعرف شيئاً ..

ولم أكن أسمع غير خطى « الجلاويش » متبقة بعد منتصف الليل .. تنبها خطى « إنسان » أسر .. ثم أسمع باب غرفة يفتح .. وينتصب حلقه فلك الإنسان ثم يعلق عليه .. وتفتح خطى الجلاويش - وقد ألتها أذناى - إلى غرفة أخرى .. يخرج منها « إنسان ثان » .. وتفتح خطى الإثنين إلى باب الخروج ليبدو .. ويرسل سريره كأبضع صرحة تشق قلب الكون .. ويخرج الإثنان .. وتلاشى انطلى ..

وأغلل أنتظر دورى .. حتى يعود الجلاويش بالثهم الثانى قبل الفجر أو بعده .. وتسكن الحركة .. وأغمض عيني وأنام .. أنام نصف عين فقط .. لا لقلقنى الذى يلازمى غضب .. بل لأن ( الشاويش فؤاد ) .. طليب له بعد كل ما قام به من « عمليات استيراد وتصدير » إلى مكتب التحقيق .. أن يرفه عن نفسه .. وأن يبنى فى الفجر أو فى المسر .. « عاد السلام .. السلام يا بيل .. بعد الكفاح .. الكفاح الجيد »

وعلى الرغم من أن التحقيق في السجن .. وفق النيابة انتهى .. ولم يستد أحد  
يُستدعى .. ولا تراءت إلى مرة أخرى أصداء تلك الخطى .. برغم هذه الحقيقة ..  
لم أستطع أن أطعن إلى السجن المرعب أبداً .. إلا بعد أن « أسلوا طرفنا » منه ..  
وإرحاء مودعين من القائد والضباط فيه .. بأطيب التحيات .

\*\*\*

وهذا « الثمور » الذى رسمته لك بأمانة .. يكشف عن الأثر الكبير الذى  
ترسيه في الأعمق أكاذيب الخوصوم وهم يبتنون في جناح البلد برون « المواديت »  
ويرددون الأنفيس عن السجن المرعب وما يجري فيه .. وعن لوحة عقلت بياحه  
وكتب عليها : « الماحل مفقود والخارج مولود » لما زار للشير حامر هذا السجن وقراً  
اللوحة غصب غصباً شديداً وأمر بصفها الأخير فوضع .. رحمة برجولة السجن .. من  
أن يعود وليداً .. وأصبح المكتوب « الماحل مفقود » فقط .

كأت هذه « السكتة البائمة » تروى لنا في القهى .. وكنا نصمك لها في راحة  
الثامت المسامر .. حتى دخلنا « السجن المرعب » وحشاه فيه .. وفق فضية كان  
عبد الحكيم حامر نفسه هو الذى تلقى أول بلاغ عنها .. وهو الذى أشرف عليها ..  
وذهب صلاح المسوقى لتحقيقها .. وخرجنا .. ولم يتبر أحد منا « مفقوداً » .

### الحادثة المرعبة

أما الحادثة التى ملأنى رعباً فقد وقعت كما قلت في اليوم التاسع عشر من شهر  
مايو و « أظنه كان يوم الثلاثاء » وكان التحقيق بالنسبة إلى قد انتهى .

كنت في ذلك اليوم أسدى في المعاء من خلال قضبان البافذة الوحيدة في العرفة  
كمدنى .. وكأت هذه البافذة هى التى تصل بين مشاهرى وبين الحياة .. ومنها  
وحدها أتجه دائماً إلى الله وإلى سماء الله .. ومنها وحدها أتلقى أصوات النهار ونسيمات الليل  
في ذلك الصيف .. وغناه تراءت إلى سمى دفقت بحمار يدنى « مسامير » .. أو ينفل  
شيكاً في إحدى الترابزين . وظلت الهفتات تقترب وأما أرحف المسح .. حتى تراءت



إلى .. من العرقه التي تلاصق غرقى .. واستطعت أن أدرك أن الواسع خشية  
ثبت بالتواضع لإغلاظها .

ومشى العجب إلى قلبي .. وذكرت كل ما كان المحصوم يقولونه من التعذيب  
في السجن الحربي ، وإغلاق التواضع .. منه أن نسبح الترفات في ظلام دلس في قلب  
الظهور .. ولا تفسير لهذا الظلام .. إلا أن دور التعذيب قد حان .

\*\*\*

ورأيت السلم الخشبي تضلل ، يد في خارج العرقه .. وثبته على حافة النافذة ..  
ورأيت « نجاراً » يرتقى السلم وفي يده لوح من الخشب « علوم » و « مفصلات »  
و « مسابر » و « مشابك » .. حتى أطل على .. وأنا جالس في سريري والمصحف  
بين يدي .

حدق الرجل بينيه في هيني .. وبان عليه الأسي - أو هكذا خيل إلى -  
ونقلت يمنة ثم يسرة وألقى السلام على .. فرددت التحية بأحسن منها - طبعاً -  
وأنا أنصعب له من بين شفتي ابتسامة راحة .. واتهمزت فرصة صفته وسأله في بيده  
الغروب على أمره :

— اتم حاسلوا الشبك !

وهفت من إجاباته المضطمة وهو يواصل التفتت .. أن تمليات من أو كان حرب  
السجن صدرت إليه بسبل هذه التواضع ولا يعرف لها سبباً .

قلت لرجل فيما يشبه الرجاء أو مريض بالتقلب ( وهذا أيضاً من الكذب  
الأبيض ) وفي حاحة ملحة إلى الهواء في الليل قبل النهار .

وفسكو قليلاً ثم اقترح أن يترك أحد اللوحين بنير « شكل » أو « مشبك »  
حتى يشترط عليهم إغلاظه .. أو ليتمه أي هواء يهب عليه .

وشكرت له حسن صبه وهو كل ما يملكه .. وإن كانت فكرة التصيب  
ظلت تلاصق وتغرض نفسها على تشكيري .

وانتقل إلى عرفات آخر .. وفرغ من المهمة .

• • •

ولم تمض دقيقتان .. حتى سمعت الصابغ يستدعي الجلاويش ويسأل غائباً :  
كيف ترك نصف هذه النافذة بنير « شيك » ؟

وحدث هرج وجبهه بالسلم من جديد .. وارتقاها التجار كاسف اليل . وأدى  
ما طلب إليه وهو يستم ببيلات اعتذار تصلح لي ولرجل من خلفه ذي شأن عرفت  
فيها بداؤه الصابغ .

## وقعت الواقعة 11

وبعد ربع ساعة تقريباً .. حدث هرج جديد .. وترامت إلى أذني أوامر  
الصابغ تمنعت من بين شفتيه في لحظة عسكرية صارمة : « انقل يا عسكري ..  
وترامت إلى أذني أصداة إعلاتق النوافذ .. وجاء دوري فأعلقت نافذتي .. وسبعت  
غرفتي في عمر من الظلمات لا أكاد أتبين فيها بدي .. وأطبق المظنور .. ووقعت الواقعة .

ورسقت عيني إلى السماء .. فالتفت بالسقف ولم تلتق بالسياء .. فلم أقو على  
الصراعة والنباه .. وانهرت دموعي .. وكان البكاء الصامت الثاني داخل مسجن .

وسمعت الصابغ يقول : « مطبوط يا عسكري ؟ » وماذا يقول « طيب انتح بقى »  
وقصمت النوافذ .. وعاد النور .. وتقصمت الصداه .. وتطلعت بين الرمان  
إلى السماء .

ولكن إلى متى .. تظل مفتوحة ؟

ألا يكون الأمر قد أهد نهراً .. ليجرى ما قدر علينا بعد أن يشقوها  
في الليل ؟

وومض رأسى حاطر .. فوثقت من فراشى ودققت الباب يمدى .. وجاء  
الجلووش .. ففتح الباب .. فطلبت منه استعداد « حضرة أركان حرب » وأغلق  
الباب ومضى .. وسد فتحة عاد إلى يظلم « ذكر أسهب الاستعداد لأنه مشغول »  
فقلت له « قل له إنها أسهب خاصة لا أفضى بها إلا إليه » وأغلق الباب .

ومرت ساعة من الزمن لسلها أنقل على النفس من عام .

وترأى إلى أدى هرج بحيات .. ووقع أقلام .

وفتح الباب .

• • •

وكان أركان حرب السجن ضابطاً سودانياً متمصراً .. بشوشاً ومهذباً فصالحى  
وسألنى إن كان في وسع أن يقدم أى خدمة .. فسأته بدورى أن يوضح لى سبب  
عمل الشبك لنا فقلت إن زميلاً لنا — يحاور غرطك — شكاً من البرد الذى يتسلل  
إليه في التجر .. ويصيبه بزكام فأمر قائد السجن بسبل شبايك حشوية للتوافد حتى  
يتسنى إغلاقها ليلاً حرصاً على سلامتكم .

وقلت لصابط إلى على تقيس الجار .. مريض بالقلب وضيق التنفس .. وفي  
حاجة إلى كثير من الهواء في الليل قبل النهار . .

ووعده الضابط أن يرضع الأمر لقائد .. ورطت على القلب باليد .

• • •

وبعد فترة قصيرة — مضت خفية ومطوية — رأيت النجار يرتضى السلم للمرة  
الثالثة — صاحبك الوجه هذه المرة .. وراح يتنزع اللوحين في ابتهاج ورضى ..

ويتلفت بحة وبسرة... ويقول وكأنه نثر بالورقة الزائفة « امت راسل طيب يا صلح »  
الفرح قريب إن شاء الله .. خليك مع الله » .

وما كاد يتوارى عنى - هو وسله الخشب - حتى سجلت فـه شكراً.. واتهمرت  
دموعى للمرة الثالثة والأخيرة طوال الشهور الثلاثة . . وكأت دموع الرطال فـه في  
هذه المرة .. ورايتى أنظر في المصنف أسامى : « ما ينتج الله للناس من رحمة فلا  
يملك لها » .

### يا شبيب . .

وفي شهر يونيو أو يوليو - ندب لسواة الجلاويش محمد حديد « دصه » اسمه  
« شبيب » من أساء الوجه البحرى - وأذكر اسمه لأنه أم الخدمة وعاد إلى بلده -  
وأولانى شبيب عطفه من أول وهلة ولدير سب . . وأمسى سد أيام صادق الود حبه .

وكانوا يدبونه لمراقبتى مرتين في كل يوم « قصصة » في حدائق السجن بعض  
الوقت . . مرة في المسى ومرة بين العصر والمغرب .. وكان محطوراً على الجندى  
( كسبجان ) أن ينس بيت شمة مع التهم ( كسجين ) .. ولكن ( شبيب ) كان  
يحطس النظر من بعيد إلى الجلاويش ( الذى اعتاد أن يراقب الجنود وهو مصصف  
خلف الشجر ) حتى إذا طأن ( لدمه ) إلى علم وجود المراقبة .. انتهى إلى .. يئنو  
كل ما يصل « من أبياء .. وكان أهمها أنه سمع الصباط وهم يتحدثون عن قرب  
الإفراج هنا . . يوم افتتاح مجلس الأمة يوم ٢٢ يوليو أو في عيد الثورة يوم ٢٣ لأن  
قضيتنا تقرر حفظها .

وكنت أصطر مقدم ( شبيب ) كل يوم لأصالة إن كان قد سمع جديداً ..  
فيضيف ما يؤكد أبياءه أو لا يضيف .

وكان يؤسنى أن يأخذ شبيب ( راحة ) وأن يحمل محمد آخر محله .. وكنت  
أمسى مع الحديد إلى ( القصحة ) سلتاً .. وأعود منه صلتاً .

وكنت إذا ناديت الخيم باسمه وقتت بملء فمى : « يا شعيب » أحسنت كأن  
التداء يحمل إلى .. أريج النبي - تسمى شعيب في القرآن - من فرط ارتياحى إلى  
هذا المواطن .. وتفاؤلى ..

\*\*\*

وسألت « شعيب » ذات مرة .. إن كان في وسعه .. ومن غير إخراج - أن  
يقول لى شيئاً عن أوصاف المتقين مى ؟ فبدأ يبدل بكل ما يذكره من أوصاف كل  
سجين لوقال عن أحدم إنه كان كما يقال وزيراً وفدياً للحارجية وعن آخر إنه كان وزيراً  
للداخلية في وزارة الوفد فسأله أن يصنفه لى فقال « أسمر وقصير ولسانه حلو وحسبى )  
فأدركت أنه يبنى ( عهد النجاج حسن ) ببارق « الصمبية » فقد كنت أعره سليم  
الأصحاب ولكن السجن يبدل الكثير .. ولم أهدل جهداً في معرفة من قال عنه  
( وزير حارجية ) وأدركت أنه ( صلاح الدين ) .

وتولى شعيب وصف مدنى آخر أدركت أنه ( للشباب ) وأكد لى حمة الوصف  
عند ما قال ( ويلس نصاره .. وبيد عنك شايخ فسه شويه ) وأصاف أخيراً أن  
حناك شاباً آخر يقولون عنه إنه وفدى واسمه ( أحمد السادة أو السادات ) فقلت له  
( هوه بجانى ؟ ) فقال ( أحن ) ولم يدر بمخاطرى أنه ( أحمد السقا ) ولم أكن أعرف  
« السادة الخامى » حتى أطلب مريناً من الوصف .

وهكذا عرفت أسماء ثلاثة من زملاء الأرمية .. بفصل صديقى شعيب .

وأوصيت « صديقى » أن يصنى في عيد الثورة إلى الإناعة صباح يوم الانتخاب  
بجلس الأمة .. عند ما تخلق الطائرات في السماء .. لإنانا بصرك ركب الرئيس .

وفى ضفى ذلك اليوم .. أصميت بكل أذى .. إلى السماء .. فلم أسمع أى  
أزير أو أى ضجيج ومنيت بحية مريرة .. ولم أعلم إلا بعد أن بارحنا السجن .. أن  
الجلس اصبح جلته - على غير عادة البرلمان المصرى - في المساء ولم يفتتح في الصباح .

وجاء اليوم الثالث والمشرون من يوليو عيد الثورة .

وكنيت قد رأيت فيها يرى النائم حداً لا عمل لتفصيلاته في هذا للكان . .  
وإنما يعينني منه أن فسرت على ضوء الأرقام التي وردت فيه والأحداث الناطقة التي  
تحققته . . بأن الإفراج عنا في هذا اليوم الثالث والمشرين من يوليو ١٩٥٧ أمر  
مفروغ منه .

وتعاقم الإيمان بيده الرؤيا . . حتى ألحبت أعضائي . . ولم أتم طول ليلي . . في  
انتظار صدور القرار بالإفراج . . تفسيراً للحلم واستناداً إلى ما كان ( شبيب ) قد سمعه  
من الصباط .

وجاء الصبح . . ولم يحى الإفراج .

ومرت الساعات الأولى من الصباح من غير أن تحملني إلى أي قرار آخر أو  
أي لدهامس بالقرار . . غزنت . . كأل القرار قد صدر ثم اليس .

وفي المنظر أو قبله . . سمعت سطلي الجاويش تقترب من غرفتي فحقق قلبي . .  
وعند ما فتح بابها ازدادت صررات قلبي . . ولكنه ممدٌ يده بعملية السجائر التي يبعثني  
بها يومياً وأغلق الباب فبنست . . وانقلبت على عني . . أوزب النفس وأزدجا . .  
وأسألها كيف تدهورت إلى هذا المستوى من الصمم و « التخريف » كأنها لم تتجذب  
بالمرة يوماً ولم تحتر وادى للقنطرة ولو عمراً .

وفي هذه المرة من الأسى على تدهور تفكيري اخترع الباب غشاة وصممت  
الجاويش يقول في لهجة المسكري ينغذ الأوامر :

— إنس هدومك وجهز شطتك وكل حاجاتك وانتظر التعليلات .

ووثت من السرير أقامم القرحة وأحاول أن أخفيها وهي تظني وقلت للجاويش :

— له أخفني .

وقال الجاويش :

— الأوامر كده بس .. مايش حرف زوانة .

ومصيت أجمع حاجياتي .. وأتركك لم كل مالست في حليجة إليه من الأطسة  
وارتديت ملايسى وورحت أذرع العرقة .. وقلبي يمدنى بأن شيئاً ما له صلة بالنيب  
يحاول أن يثبت بمشاعري وأن من الخير أن أسطر عليها حتى أرى ما يهتبه القدر ..  
لأن « السعادة » على هذا النحو — وتفسيراً للحلم — لا تكاد تصدق .

ومر الوقت .. ولم يبد الجلاويش .

مرت ساعة وأكتر من الساعة . وبدأ القلق يساور نفسى .. فطرفت إليه  
لجاء الجلاويش فسألته :

— إيه الحكاية ؟

وأجاب :

— خليك لابس واقطر التعلبات .

وحضر غداؤنا اليوم فأعدته مع ( شبيب ) إلى الخلدوم ومعهم ( السواد ) القارخ  
الذى كان قد حمل لى ملهم الأوس .. ولم أهد أنصور أن آكل شيئاً وأنا فى الطريقه  
إلى بيتى .

صلحة .. ١١٤ !

وجاءت الأوامر أخيراً ..

ومشى الجلاويش أمامى .. والجندي من خانى يحمل خيشى وانفتح بلب المتقله  
رقم ١ فى طريقنا إلى مكتب القائد .

ولم ألبث أن وجدت فى مكانى .

رأيت « الشاب » من بعد .. واقفاً .. وعلى سباه كل علامات الأوس والياء

ورأيت شاباً آخر جاء يقدم لي نفسه (احد السقاسكرتير الرئيس السابق مصطفى النحاس) ولم يكن وجهه هو الآخر يحمل بشرة الإقراج .

وسأله :

— ليه الحكاية ؟

وقال ضاحكاً :

— يظهر حابودونا سجن الاستشفاء .. عشان احنا مديين .. وعابزينا نكون تبع النيابة مش القيادة تصحیحاً للأوضاع .

وكان كل تليقي : « ياه ؟ » .

ولم يدرك أحد حتى هذه الساعة .. ما كانت تحمله يومئذ كلمة « ياه ؟ »

وأقبل الأستاذ عبد المتاح حس .. فصاحنا .

ودخلنا إلى مكتب قائد السجن .. فوجدنا قوة من ضباط البوليس جاءت لتتسلمنا .. وانتظرنا مقدم الدكتور محمد صلاح الدين من المستشفى العسكري حيث كانوا قد أجروا له عملية جراحية بسيطة .

وقلنا إلى سجن الاستشفاء .

\*\*\*

وفضحت أبوابه ..

وهبت من ورائها .. سيات جديدة وندية .. سيات الطائفة في السجن العادية .. سيات ضباط بوليس فيه يرحبون بمقتنا .. وسيات ( زملاء .. ١١٢ ) من ( الساجين ) يقبلون علينا ( بالأحضان ) ولا يبالغون أحداً .

واجتمع ثماننا في غرفة العصابط .. أربعة من المتهمين بالانضمام إلى تشكيل .. وخماسم .. التي ضمهم .



ولكن هناك سادساً .. وجهاً جديداً لا نعرفه .. مديناً .. كان يراقبنا في سجننا  
من السجن الحرى إلى سجن الاستئناف و يراقق الصباط .. وقد انصرفوا هم ..  
وتبقى هو ..

من هو؟

## قرار الاتهام

وتبين أنه « المحصر » جاء إلى السجن الحرى ليعلنا بقرار الاتهام .. فطلبوا  
إليه أن يراقبنا لهم الإعلان على (أرض النيابة) لا (على أرض القيادة) أى في سجن  
الاستئناف لا في السجن الحرى .

\*\*\*

وأنتقل عليك فأقول لك بعض سطور من هذا القرار لتستكمل ملامح القضية  
والاتهام فيها إذا لم تكن تتبناها .. ولأثير ذكراها في ذهنك إن كنت من الملايين  
الذين تنبسوها في مصروف كل بلد عربى .

## أسر إحداه

في قضية الجنابة العسكرية رقم ١١٧ سنة ١٩٥٧ الزايل

(١١٣٧ كل شمال القاهرة سنة ١٩٥٧ - ١٧ أمن الدولة سنة ١٩٥٧)

(٧١ حصر أمن الدولة سنة ١٩٥٧)

نحن رئيس نيابة أمن الدولة . . . .

سد الاطلاع على التحقيقات التى تمت في هذه القضية

وعلى ( كيت .. وكيت .. من الترارات والأولسر )

بأمر بإسالة

(وعنا ذكر ثلاثة عشر اسماً) .

إلى المحكمة العسكرية العليا .. لمقتبهم بالواد ( كذا وكذا ) من قانون العقوبات لأنهم في خلال اللدة من شهر أبريل سنة ١٩٥٦ إلى ٢٣ أبريل سنة ١٩٥٧ بدائرة محافظة القاهرة :

اشتركوا في اتمام جنائى المرض به ارتكاب جنابة الشروع بالقوة في قلب دستور الدولة وشكل الحكومة فيها وهي الحماية المنصوص عليها في المادة ٨٧ من قانون العقوبات وذلك بأن يؤلفوا من بينهم ومن ينصم إليهم من ضباط الجيش حصابة مسلحة تقوم بمقر رئاسة الجمهورية باعتيال رئيس الجمهورية والوزراء أو اعضاءهم والاستيلاء على مقاليد الحكم وقلب دستور الدولة وتسيير شكل الحكومة والناداة بأمر ( يقصد محمد نجيب ) رئيساً للجمهورية وتنصيب التهم السادس — أى الدكتور صلاح الدين — رئيساً للوزارة والتهم السادس ( يقصد الأستاذ عبد الفتاح حسن ) وزيراً للداخلية وكان المتهمون الأول ( يقصد الأمير الامى عاطف نصار ) والثانى ( يقصد البكباشى حسن صيام ) والثالث ( يقصد الصاع محمد أمين قورى ) والرابع ( يقصد الشاب الذى لا أريد أن أسميه ) المحرضين على هذا الاتمام ومدبرى حركته ومرفق بهذا قائمة بأسماء شهود الإثبات وغوى شهادتهم ؟

تحريراً في ٢٢ يولية سنة ١٩٥٧  
رئيس نيابة أمن الدولة  
إسضاء (حامد جيونى)

\*\*\*

وبلى هذا تلخيص لشهادة أحمد قدرى محمد ( شاهد الإثبات ) والمليح وصديق الشاب .. سنة ٢٧ سنة وموظف بمصلحة القنون بورارة الإرشاد وصابط سابق ( وكان حصواً في مؤامرة البيوز ماشى للمصرى .. وحكم على قدرى هذا بالسجن حس سنوات مع إيقاف التنفيذ لأنه ساعد في الكشف عن تلك المؤامرة ) .

\*\*\*

وبلى تلك الشهادة تلخيص لأحوال كل منهم من المتهمين .

وتسلم كل منا نسخة من قرار الاتهام . ومعينا إلى الحجرات التي خصصت لنا .

\*\*\*

وأعتقد أن هذا القدر من تاريخ المؤامرة يكفي لقد كبيرك بها ..

كما أعتقد أني بهذا الفصل .. استطعت أن أدرسم للرحلة العائشة .. في موقفي  
من « الرجل الذي تأمرت عليه » .



# افضل كادى عشر

من السجن .. إلى اللبان

كنت أقدر لهذا الفصل أن يسمى - بحكم موضوعه - أقل إثارة من أى فصل آخر .. لأنه يعرض لنا كافة جرت ونحن في سجن الاستئناف .. ولأحكام صدرت علينا.. و « ترحيلنا » - بلمة الإدارة - من السجن الطريف - إن صح أن في السجن ظرفاً - إلى اللبان الرهيب - لبلان طره - واسمه يكنى .

ولكن الفصل جاء .. على غير ما توقعت له - فصلاً مثيراً .. أو هكذا يبدو لي . ويبدو أيضاً أن « الكفر والإيمان » - والأصل فيها أنهما عنوان لا يجتمعان - يبدو أنهما على صيد هذا الفصل يجتمعان اجتناعاً ، بل يلتصقان التماساً ، ويجوزان معركة كبيرة ومريرة ، وإن لم تكن حاسمة .

وعاون على هذا الاتهام ، وجودنا في سجن الاستئناف .

## معركة حامية

قلنا إلى سجن الاستئناف في يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٧

واضرت المحاكمة من يوم ١٢ أغسطس إلى يوم ١٢ سبتمبر .

وصدر الحكم في يوم ١٢ أكتوبر .

ونقلنا إلى اللبان في يوم ٢١ أكتوبر ١٩٥٧ .

وأسدل علينا ستار النسيان حتى أفرج عنا مساء السبت ١٨ يوليو ١٩٥٩ .

وكان في وصي أن أتبع هذه الأرقام ، أودع بها تلك الفترة ولا أزيد ، لأن  
الحكاية وما جرى فيها ، ليست من أهداف هذا الكتاب ، ولأن السجون وحساب  
الحياة التي يجيها القاهلون خلف أسوارها ، إنما تستأهل كتاباً صغياً ، أؤكد أنه لم  
يصدر بعد ، برغم كل مصادر عنها من كتب .

### في سجن الاستئناف

لكن الذي حدث ، أن معركة حامية شبت ، وأن قصصاً مريراً دار ، فوق  
أرض المعركة ، و « الأرض » دارت بين « الكفر والإيمان » وهذه « النفس » ،  
وهذان هما الكتاب .. ولا سبيل إلى التساهل .

فلنا إلى سجن الاستئناف ، وقصبت فيه ثلاثة أشهر كالتي قصبتها في السجن  
المري ، وشتان كان هناك خوف من المجهول ، وكان هنا خوف من المعلوم ، وشتان  
كتابي السجن المري فرأيت لما ترسب في أحضانها من شاتلت الشارع وأكاذيب  
انحصوم عما يجري خلف أسوار السجن الرهيب من تعذيب ، فقصبت كل يوم من  
الأشهر الثلاثة ونحن ننظر المتأصب التي لم نعي . ، وطال انتظارنا لها ، حتى تركنا  
هذا السجن .

أما في سجن الاستئناف ورغم الحكاية التي جرت والأحكام التي صدرت ،  
فقد كانت أماناً فيه كلها سعادة ، إلى رحمتي للسعادة أن تعيش خلف الأسوار .

\*\*\*

كان كل ما في سجن الاستئناف .. بالنسبة لنا .. جيبلاً .. وأقدم احتذاري  
لأندلس ، الجمال .

كانت الحرية مكتوبة لنا ، وإن ساءلك أن أصبحت عن « الحريات » وراة  
التصنيان .

أعدوا لنا نحن الخسة ، خمس حمرات ، وجعلوا بين كل واحدة وأختها ، حجرة خالية ، حتى لا يتصل أحدنا بالأخر - كما يمرى العرف في القضايا المطوية - ولكن « الواقع » أنا كنا نجلس معاً ، وسير معاً ، ولا يفرق بيننا إلا اليوم .

ولم تصدق أبداً منعنا كل هذه الحرية . فبدأت الرواسب تملأ عملها في تفكيرنا ... وبدأنا نعتقد أنها « حرية مدبرة » و « حرية مقصودة » ... وأنا مُنحناها لتتكلم ونثرثر . ومنحوها لتتسع آذانهم علينا ... ولتنقل إلى اللشولين كل كلمة قولها ... فكنا نمسك عن الكلام كما أتيل علينا صابط أو سبجان ... بل كلنا سجم . بعلام سجين ... من المصوص أو من المشالين .. ليسل أرض حبراتنا .. وليصبيه منا بقية من حلوى أو طعام .

وحق « المحكوم عليهم بالإعدام » من أصحاب الأردية الحمراء ... الراسخين في الأعلال .. وكانت حبراتهم امتداداً لحبرتنا ... وكان مرآهم تحفل به النفوس وتقبض له الصدور .. حتى هؤلاء ... كما نتسح إليهم ... وهم يسردون علينا التفاصيل الحقيقية للحرائم للسوية إليهم .. وكان عددهم إثني عشر شخصاً - وهو عدد قل أن يجتمع في سجن واحد وفي وقت واحد ... وقد تركونا ومضوا ... وكل ما أذكره أبداً بعد الحكم علينا تركنا على قيد الحياة السيد أمين ناظر الدرسة ، وكبير التهمين في قضية الجاسوسية ، لتنتق في اليابان بأنه الصابط البحري احمد لطفى السيد .. وبان أخته ( صالح ) المحكوم عليها بالأنشمال الشاقة مع بقية زملائهم للصريين و ( سويتزين ) الاسكتلندي و ( رارز ) اللالطى ( بريطاني الجنسية ) ، تركنا وراءنا السيد أمين مؤمناً بأن الحكم لا يمكن أن ينفذ فيه ، إذا أتبع له أن يشهد مطلع القصر ، في أول شهر عربي .. وعاد إلى حمرته إثر تلك الرؤية فتلا اسم الله ( يا لطيف ) عشرة آلاف مرة ، ومعه صيغة بينها تلقى أسرارها عن اللطابة عند ما كان في بلاد للعرب ذات الأسرار والأحجية خلال الحرب العالمية الثانية .

ورأيها - رحمة بأعصاب الرجل ورغم بشاعة التهمة للسوية إليه - أن تدبر أمره مع بعض القادرين على أن يهبطوا به إلى ( حوش السجن ) ليطالع ( وجه القصر ) .

وليقوم بجريته ، وأجرأها ، وبرضاها ثم إعدامه ، وكنا يومها في « السجن » .

\*\*\*

أذكر هنا كله لتذكرك مدى الحرية التي منحناها في ذلك السجن ، ولتذكرك معها أن ( الحو ) كان صالحاً لتذكير المترجم ، الذي يمارسه كل مواطن في حياته المادية وفي بيته الآمن .. مع الفارق !؟

وكنت - نتيجة لهذا التذكير المترجم - كبير الرجاء في الحكم ببراءة الثلاثة الأواسر في قائمة الاتهام بعد أن قرأت ( ملف القضية ) قراءة واعية ، وسد أن لاحظت أن سلطة الادعاء ( النيابة ) قد رفعت التهمين في ( قرار الاتهام ) ترتيباً ( تنازلياً ) يناسب خطورة ما أسندته إليهم من تهم ، ولا يتصل من قرب أو من بعد بأقذارهم ، والدليل أن الأربعة أو ( المرشحين والدبرين ) جاءوا في مظيمة القائمة وبدأوا بالأمر الإي عاطف نصار والسكباشي حسن صيام والصاغ أمين عوزي و ( الشاب ) الذي أحدثك عنه ( يوم الدين حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة فضلاً ) ثم جاء الدكتور محمد صلاح الدين - على قدره - بدم ( وحكم عليه فضلاً بحقبة أقل من عضوهم خمسة عشر عاماً ) ثم جاء الأستاذ عبد الفتاح حسن ( وحكم عليه بحقبة أقل إلى عشر عاماً ) .

وأنا إذن كنت منطقياً مع قائمة الإتهام نفسها عندما كنت كبير الرجاء في أن يحكم ببراءة الثلاثة الأحيين في القائمة التي ضمت ثلاثة عشر شهياً إذا كانت هناك أحكام بالبراءة وهم بالترتيب التنازلي أيضاً بدءاً من التهم المهادي عشر ( ضحى اسماعيل كوكب و محمد السوادي وأحمد السقا ) وكانت التهم للوجهية إلى ثلاثنا بداية الصحافة - أو في القليل لا يصح نسبتها بالخطيرة - سواء أصحت أم لم تصح ، وتبعت في ذهن القصاص أم لم تثبت .

\*\*\*

واسم ( ضحى اسماعيل كوكب ) كان بالنسبة لي شخصياً ، ( مفاجأة ) أو ( فكاهة ) والسبب أن والده كان ( وفدياً ) ، وكان يسلم معي في جريدة ( السوادي ) وأذكر أنني

— إذا لم نحس للذاكرة — تحدثت ذات علم إلى الروح عبد الرحمن عمار وكان يومها  
وكيلا لوزارة للداخلية وكان أديبا وكان صديقا ، في أمر الطالب الصغير (فنى)  
ابن اسماعيل كوكب المحرق في جريدتي ليطونه بتوضه في قبوله في الكلية المرية ، وكان  
(فنى) مروفا بالممدود والاستقامة ، حتى قد جهل سد نخره كيف يسهر مع أراهه  
من الصباط ، وسهر مع (كته) كما كان دائما يفعل ، وحصل على ليسانس الحقوق  
وهو ضابط ، فضع نفسك مكاني ، وتصور نفسك وأنت تطالع اسمه في قائمة الاتهام  
وفي مؤامرة كبرى تضم وزراء سابقين وصلحا عظاما .

وأرجو ألا يكون هذا الاستطراد قد خرجني عن أهداف الكتاب ، وإنما أردت  
أن أرسم هذا اللون من تفكيرى المادى في هذا الشاب .. صورة الجور الآمن ، واللعو  
الصالح لمراجعة الحساب والجور في السجن الاستثنائى .



وبفات إذن أراجع الحساب كله وأسأل حسى في هدوء ، رأيتها الصريح عبر  
للتعريف في « الرجل الذى تأمرت عليه » ؟

وطالعتني من حديد قصة « السجن المرى » ، وما يلقاه فيه كل من تلقاه  
جلادوه ، قصة مشى بها المنصوم في القلعي والمسكاتب والبور ، وراحوا بها في السواحم  
والبنادر .. قصة أبى زيد اشلالى في ريف مصر وصيدها .

وها نحن أولاء قد دخلنا هذا السجن ، وحشا فيه ، وحرجنا منه ، ولم نجد لشك  
الاتهامات غلا ، إلا إلى كان وحود كلب يمش طول الليل داخل أسواره ، مؤيدا  
لما كانوا يقولونه من كلاب مدرية ، ترك مع اللهم داخل زرائته لتداعيه طوال ليله ،  
وتتناول هشامها بضع شراخ من غنقه .

وسببا على منوال ، في الشك الذى يفتقر كل تفكيرى ، عدت أقول لنسوى :

— قد يكون عند غيرى ، شىء يقال ، عن متاعب صادقها ، وقد تكون بساطة  
الاتهام للوجه لى ، سببا في المصلحة الطبية التى صادقها .



وكان « الاحتال » مقولاً .

ولكن حدثنا وقع في اليوم التالي أجهز على كل « مقولية » في هذا « الاحتال » .

\*\*\*

كان كل منا — نحن الأربعة — يطوى صدره طمأ على احتقال لا نهاية لما حل « الشاب » أو — في القليل — على شعور بالنعور من الاتهامات التي كلفنا لها في « تقاريره » ، ولم تكن تصور وقد جمع « سخن الاستناب » بينا ، أى عذر يمكن أن يقدمه لنا ، أو يمكن أن يملأ به ، ما عرطته في حقنا .

وجاء الشاب ، وتحدث ، وقال كلاماً عجيباً ، قال لهم عذروه ، وأين ؟ في السجن الحرى الذى كنا فيه ، عذروه ، وأملوا عليه ما كتبه في التقارير ، ولم يكن له يد فيما « كتب » إلا « يد المصاغة » وراح كل منا يسأل أحده إن كان قد عذب . . وأجاب كل منا ببساطة أن أحداً لم يذبه ، بل إن أحداً لم يمس بسوء ، وكان (أحمد السقا) هو وحده الذى سجل على السجن سوماً « متواضعا » بحصص اللباس ، لأنه لم يحضره شيئاً منها عند التبيض عليه ولم يصرحوا له باستحضارها من مرة إلا بعد وقت غير قصير ، فلقى في هذا السبيل شيئاً من المتاعب ، انتهت عندما شكوا أمره إلى المحقق .

وإن كان النصوص يكذبون وهم بشرون بين الجماهير تلك الأكاذيب البريئة من ذلك التذيب للزعم ...

وقياساً على هذه الأكاذيب ، يكون الحكم على كل أكاذيبهم عن « الرجل الذى تأمرت عليه » .

### امتحان مقطوع النظير

. وشاء التندر أن يقدم لنا صورة مروعة لحقيقة « الشاب » الذى عاشرنه عمراً ... ولم نعرف من حقيقته شيئاً ... صورة تُرسم اقتداره على « التشكل » بكل ما يشاء من

« أشكال » ... اقتدرنا بسلوك في رزمة « الخلفين » من رجال « الفن » ... ويدخل  
به إلى « وادي عتبر » ... ولكن من باب خلق ... أو من باب « غير خلق » .

ولا أعلن أني نادم على أن أخضع هذه الصورة بغير من هذا الكتاب .. ولا أعلن  
أنني نادم على أن أخضع هذه الصورة تحت ناظرتك لتليل التأمل فيها ... ولتري في كل  
خط من خطوطها دليلاً على أنه لم يذهب قط ... الأمر الذي له صلة بأهداف الكتاب  
ومستويات المقصود ... وتأثرى بهذه المقترحات .

\*\*\*

جاءت المحاكمة ...

وحجى، بما صباح الثاني عشر من أغسطس إلى القاعة التي أعدت لنا كتنا .

وكان قد جرى، بالسكريين من « السجن الحربي » قبلنا ... وأحذوا في « قصص  
الانتهام » الأماكن التي احتاروها لجلوسهم ... وكان كبيرهم « طه نصار » يأخذ  
أول مكان من مدخل القفص .. وقيل في تليل الاختيار أنه أصعب داخل السجن  
شلال ... فإذا صح ما كان قد قيل ... فمن حقه أن يأخذ أول مكان يقفاه ... وكان  
شقيقه « وزير الصحة التنفيذي فيا سعد » يعمل يومئذ كبيراً لأطباء الجيش وشقيقاً لأطباء  
مصر ... وقد شهد كل حلقة من حلقات المحاكمة .

وما كدنا نصل إلى القفص في ذلك اليوم حتى تصاعدت « الترحيبات » بنا من  
رحوه لا أهر فيها — باستثناء قصص كوكب — وسارع « الشاب » فقدم إلينا زملاءنا  
السكريين في « المؤامرة » وقدما لم ... وإلى على وجوه الجماهير التي ضاقت بها القاعة  
علامات الدهشة ... ولعل من بينهم من ظن أننا قوم بمشهد تمثيل .

وكانت الجلسة الأولى جلسة إجراءات ... لأن المحاكمة التي نحا كنا « عسكرية  
على خاصة » ... خاصة بنا تنتهي مهيتها بانتهاء محاكمتها لنا ... والمحاكم العسكرية لها  
إجراءات يختلفها قسم من الرئيس والأعضاء على الصحف أو على الإيجل . . ثم يسأل

كل منهم : « هل أنت مذب » أو « غير مذب » ؟ وعليه أن يقول : « مذب »  
أو « غير مذب » ولا يزيد ... وقتنا جيماً « غير مذب » ووقفت الجلسة .

وحسب بنا في اليوم التالي للجلسة التالية .

## موقفان

وما أزال عند قول أي لن أعرض بالبيان أو باليمين لكل ماجرى في المحاكمة  
من مرافعات أو بحوث أو دفوع .. ولكن موقفين اثنين من المواقف استأذنتك في  
عرضهما لاتصالهما - في تقديري - بأهداف كتابي ، وأرحم إلا أكون  
تداسات التقدير .

## الشاب « الفنان »

كان « الشاب » قد أكد لنا أنه سيقول للمحكمة « الحق ... كل الحق ...  
ولا شيء غير الحق ... » وكان قد أعد لهذا الحق « كراسات » ... مكلف على إعدادها  
أباماً في صبرته ... وحملها معه في الجلسة التالية .

وبعد افتتاح الجلسة .. لفتنا رئيس المحكمة إلى أن التهم منا ، إدا دعي الشهادة  
اعتبر مطلق السراح أو مفرجاً عنه حتى يفرغ من شهادته ، وله كافة الحقوق التي لكل  
بواطن طوال المدة التي تشرقها الشهادة ، وله أن يمتنع بما شاء من مذكرات ، وأن  
المبرة - في القضايا العسكرية - بالأقوال التي تذكر أمام المحكمة لا بالأقوال التي  
وردت في التحقيق .

وأدر كنا أن ما يقوله الشاب في هذه الجلسة هو الذي يقول عليه ، وأن كل ما أدر  
به في التحقيق ، وما كتبه في التقارير ، نسط كل ماله من ( حبيبة ) إذا هو  
تسحب منه .

وعلت إذن قيمة ( الشاب ) .

ونودي .. بوصفه شاهداً .

وسرح من القمص ثابت الحلي ، وأخذ مكانه من كرسى الشهود في ثقة وعرة ، وسلطت عليه أصواء للمصورين ، وأحسن تلقى هذه الأصواء ، ككبير مدرب على وسائل الإعلام .

وكانت المحكمة والله أعلم - أو أغلب العن ولا أحرم - تميل إلى الاعتقاد أن الأقوال التي سيدلى بها أماسها ، لا بد أن تحيى - بحكم منطق الأشياء - مطابقة لما كتبه في تقاريره ، ولما أدلى به في التحقيق الابتدائي أمام صلاح الحموق ، وفي تحقيق النيابة أمام علي نور الدين .

وبدا الشائب بداية تؤيد هذا الاعتقاد .

ولم يفته أن يكون بارع الاستهلال فأصنى صعدت الإكيز والإجلال .. على رئيس المحكمة للوقت .. وعلى أعضائها الصباط المعظم .. وأعلن أنه يلود بجدته برهاني في رئيس هذه الهيئة ، ويطلب حمايته من أي مقاطعة من جانب النيابة أو الدفاع أو الجمهور ، وركز على «الدفاع والجمهور» وأكد له الرئيس - وكان لواء اسمه الحمجوى - أنه في حماية المحكمة ، وأن حريته مكفولة ، وأن له أن يستمرق أي وقت يشاؤه ، هو أو أي شاهد ، وأن يستمين تنا شاء من أسايد ومراعح .

• • •

وكانت هيئة الدفاع رحيمة هي الأخرى - توكيلا وانتداباً - بلغ عددهم ستة وثلاثين محلياً إذا لم تحيى القامكة ، وكان من بينهم أسايد لهم في القانون صدارة . وهم في القفنه أسايد ومراعح ، كالتقى ووحيد وأمت وعمد عبد الله وعيرم ، وكان من بينهم ووراء ساجتون كالفكتور عمده حاشم ومن اشتتلوا بالسياسة أو اشتترفوا القلم كسيد المهيد ناصح واحمد حسين وعلى المولد .

وكان واسماً أن «الشائب» كان محتماً وهو يطلب من المحكمة حمايته من تألب هذه القوى عليه .

ولقد قلت في أحد النصول أن الشاب يحسن التصير «بالنصي» عن لفظي الذي يريد في طلاقة مستأنية ، وأحب أن أصيب — إنصافاً وأمانة — إنه قادر أيضاً على إحداث تأثير في السامعين شأن كل خطيب مدونه ، وإذا «تدفق» قل أن يمتز.

\*\*\*

وبدا يحد ..

وبدا صوته يتفرج في (طبقات صوتية) مرسومة لا يحسنها غير (المطرب المدرج) .. وهو يباهد الله والحكمة والعبير على أن يحيى شهادته على مستوى الشهادة يوم الدين ، سراحة وصدقاً ، لا يزال معها شخصاً أو شيئاً ، ولا يتوخى بهما إلا وجه الله والحق .

وظل يصرب على هذا الرمز — لابهذه الكلمات التي جرى بها قلبى الملف بالصدا ، بل عبارات أشد روعة وأكثر نضارة على لسانه القرب ، حتى أرهفت آذان الجمهور ، وبان على رئيس المحكمة أنه معجب ، فراح يشجع (الشاب) على مسلكه العليب — والسكون بسود القاعة ، والفرحوم بسكو وجوهاً ، واليشر ييسط وجوهاً .

وظل الصوت يتصاعد في تملوج فني ، أوفى سلم موسيقى إلى طبقاته العليا ، حتى إذا استوى عند طبقة «الخطيب» من (درجة مفوه) ، جليل الصوت ودوي ، ورددته جنبات القاعة في رهبة .. وأهلن الشاب أنه يتسم بالله الذي أمر بالحق .. وبالرسول الذي عاش للحق .. وشرف الصلاة وقديمتها ، وشرفه الشخصي إنساناً له عزة المنفذ ، أن كل حرف كتبه في التقاوير ، وكل كلمة وقع عليها في التحقيق الابتدائي ، وكل صفحة ذيلها بإضافاته أمام النيابة ...

\*\*\*

وأتمل قليلاً ، لأؤكد لك أي أحسنت ساعتها أن أفضل الجماهير تركض لاهتة خلف (الشاب) ... واستهوان المشهد أنا للثبم الذي يتوقع الشهادة ضدته حتى نسيته

حكاه من القمص ، وكان واضحاً أنه سيتولها ، سيتول إن كل حرف كتبه ، هو الحقيقة  
بصحتها .

وظلمنا صلا .. مع طارق واحد .

أكل وقال : إن كل حرف كتبه في التنزيه ، وكل كلمة وقع عليها أو ذيلها  
بإضافته ، كذب في كذب ، وتزوير في تزوير ، وكلها ألميت عليه إتمام ، وبعد  
تدزيب يشيب لموله الوليد أو لا يشيب ، فاحدث أد كر عباراته .. وإنما أذ كر  
المسائي ... وأبشها ... وأحاول بقلي أن أحد من البيان قولاب لها ...  
ولا أحسنى موصفاً .

\*\*\*

وصدقني أي فزعت ...

فزعت أما للثيم الثاني عن المنضع أكبر اصحاب جهنم الشهادة ...

فزعت من هول القدرة على النهوض بالهول ...

وشهدت ...

شهدت — وسد سنوات خمس ما أزال أشهد من حيث (البناء الهديني) —

وكان قد مؤلف مسرحي في مطلع شبان — ما أزال أشهد من حيث هذا البناء ، ومن  
حيث التأليف والممثل والإخراج ، أن هذا المصم (الشاب) كان رائعا ، وأنه جاوز  
من حيث التأثير ما كنا نحدث به الجماهير عن كياتنوي الإيطالي — وتلميذه يوسف  
وهي — أو عن سيلفان الفرنسي وتلميذه جورج أميس .

ولكن الأمر كان محكمة ولم يكن مسرحاً .

وكان الله في عون رئيسها .

واستطاع الرجل أن يملأ كرسية بجدارة ، وقال — بند فترة — شباب : « تفصل

قل ما تشاء .. أثبت يا كاتب كل كلمة بقولها » .

و (تفصل) طبياً و (تدقق) .. وأنا أتابع للشهد (الرائع) في دهور (مطلق) -

\*\*\*

لم يسكر (المفريات) التي دسها عليا في تشاربده فقط ، ولا اعترف حتى (بالحقائق) التي اعترف بها (بعض) المؤمنين أنفسهم ، بل أنكر كل شيء ، كل حرف وكل واقعة ، ودافع عن هذا الإنكار بكل قدراته وكل طاقاته ، ودافع دفاعاً يسع به ويسأهل كتاباً يوضح ..

\*\*\*

وكان ما فعله في مصلحتنا طبياً .

ولكن للأمر هنا زاوية أخرى ، أحب أن أظفر بها .

ومن أجل هذه الزاوية ، رخصت لنفسي في أن أصور لك على قدر جهدي ، ذلك المشهد ، ومن ذلك المشهد أصل لك إلى هدنى من الكتاب . إلى مراحل تطوره من الكفر إلى الإيمان .

وإليك الحقيقة التي أراها وأما أظفر من هذه الزاوية :

- هذا ( الشاب ) ، كان يوماً من أكبر أحمرة الإعلام التي كانت تنشر الشائعات في القامعي والمكاتب ، وكانت علام الصدق والإيمان ، بادية على كل كلمة يقولها وعلى كل ما يسوقه ، وكانت هذه اللائم - ( لماناً ) في ( الدين ) ، وحقاً في الصوت ، وتهدساً في البيرة ، كانت كل هذه اللائم هي بينها - التي رأيتها مادية على كل كلمة قلها في الحكمة .

هذا « الشاب » - إذن - « عينة » من الحصوم الذين أصولوني وأصلوه للكثيرين غيري .

وحا هو فاقا يقوم بالصور المصاد .. وفي حرارة وإيمان ودلر رأسى .

ووددت لو تسافت ورأسى فوق الوسادة مساء ذلك اليوم إلى صميم موقفى لأحاول  
إتصاف « الرجل الذى تأمرت عليه » من ضلتي.. ولكن هاتماً ردى وكأته بقولى :  
« كفى يا أحمق .. تذكر أنك الآن حلفت أسوار سجن .. وداخل جدران أربح ..  
انتظر حتى تقضى لك المحكمة بالبراءة وسدها حاول » .  
وأغضت عينى ونمت .

وهذا هو الموقف الأول الذى استأذنتك فيه .

## الموقف الثانى

وجاء للموقف الثانى جسد الحارثة تحميداً .. وردنى عن « الناصرية » من حديد  
بعد أن كاد موقف « الشاب » يخطو بى إليها .. تماماً كما حدث عبر كل المراحل  
السابقة .

كان الموكل للدفاع عنى هو الخايم الكبير عبد المجيد بلع .

وعبد المجيد — ولا أدرى بى كان قد حلور السجين أو لم يماورها بعد — لا يزال  
قوى الصدر جهورى الصوت شاباً فى العاش .. حياناً فى عاطفته .. سريراً فى  
تأمره ..

كان يزمن براءتى — بعد أن رلوى أكثر من مرة فى السجن — إيماناً بحرى  
مع الدم فى عروقه وبتردد مع الهواء فى أماسه .. وساعد على هذا الإيمان أنى كنت  
صديقاً لابنه فلم يكن الرجل يطيق أن يحرى على لسان النيابة أن تذكرى بسوء .

وفى إحدى الجلسات طلب لأحد وكلاء النيابة — أو يمثل الادعاء — من الشبان  
الذين يحدون متسعاً فى مثل هذه القضايا لاستحسان مواهبهم — أن يشتد فى الحق على ..  
فضض الخايم عنى واحتج .. فقابل للدمى الشاب هذا الاحتماج بالرديد من المتضف ..  
عاشل الخايم الشيخ امتسلاً شاباً .. واحتر جو القناعة اهتراراً رهيباً عندما حبلجل  
صوت عبد المجيد يوصف ووجهه إلى النيابة .. وجفنت النيابة من الرصف ورأت فيه



هدواناً غير مسبوقة على كرسيها .. وأصرت على تشديده إلى المحاكمة التأديبية<sup>(١)</sup> .

واتسحب الخاضع يوماً من الجلسة ..

ويبدو أن تهجم الخاضع على النيابة بهذا العنف ملاً صدر المدعي الشاب موجودة على شخصي - من غير أي دخل لي في الخلاف - فأكاد الخاضع ينسحب .. حتى وقف المدعي الشاب لينأر من الخاضع في شخصي وتراجع ضدي ولم يبق في حقيقته شيئاً لم يسدده إلى صدري .. وفي غيبة الخاضع عني .

ولا أنكر أبداً أن للوقف ملاً صدري أنا الآخر موجودة .

ولم أكن واجداً على المدعي الشاب وحده .. فقد كنت أرى في شبابه وطموحه ما يلفت مرارة المصنّب .. وإنما امتدت للوجدة إلى العهد وصاحبه .. وإلى « الناصرية » و « ناصر » .

وكان المدعي الشاب سبياً .. في أن يدفع بي إلى الزوايا .. سطوات وسطوات .. بعد أن كنت على وشك أن أتقدم إلى الأمام خطوة جديدة .

وكان المدعي الشاب سبياً .. في ازدياد موجودتي على « الناصرية » من غير أي دخل لناصر .. تماماً كما كان الخلاف بين الخاضع والشاب .. سبياً في ازدياد موجودته المدعي الشاب على شخصي من غير أي دخل لي .

## الأحكام

وانتهت المحاكمة في يوم ١٢ سبتمبر .

وكان المقوم إن يصدر الحكم خلال أسبوع .

ولكن هيئة المحكمة ظلت تجتمع يوماً وتفنن .. وتضع الميخليات ثم تراجع

---

(١) وما يذكر أن الخاضع الكمي هم قلة لا محاكمة تأديبية ظل يموس عملها بنهم سين حتى هي لا بالبراعة .

والصنف تكتب عن المحكم وموعده .. وتعود فتصل للوعد .. وتعود فتذكر أن الرئيس أهدى إلى الهيئة حينئذ المحكم مرة أخرى وطالت اللذة .

وبدأت الأنباء - من الملمين تنسرب إليها داخل السجن وكلها تجمع على أني برئت من التهمة - أنا وأحمد السنا - وأن نمة حلاقاً نار حول المحكم على عبد الفتاح حسن .

وجاء يوم ٢٠ أكتوبر وروحنا باستعدادنا لسماح المحكم وتواصبنا على أن نتلقاه بشجاعة مهما يكن .. وفضلنا .. وحدث مع السقا إلى السجن يحمل كل ما فوق كاهله صبه سنوات سحر ، مع أشمال شاقفة وعاد « الثلب » يحمل صبه أشمال شاقفة مؤبدة وجموداً في جهيمه .. وعاد صلاح الدين يحمل صبه خمسة عشر عاماً .. وابسامة دأثة على شفقيه .. وعاد عبد الفتاح يحمل صبه إني عشر عاماً .. ولا شيء .

\*\*\*

وصى أن أكون قد رسمت مرحلة جديدة في «وقتي من «الرجل الذي تأمرت عليه» .

## الفصل الثاني عشر

### أحزان وتأملات .. خلف الأسوار

بدأنا ناربنا في « لبنان طره » في صباح الحادي والعشرين من أكتوبر ١٩٥٧  
— عداة الحكم علينا — وانهى بالإخراج هنا في الثامن عشر من يوليو ١٩٥٩ .

\*\*\*

وليس في بيتي — وبجانب « البيان » لا تعرف نهاية ولا يمدّها كتاب — أن  
ذكر لك كل ما حدث لنا أو لغيرنا .. إلا ما اتصل به بأعدائي .

\*\*\*

وأمرد إلى آخر يوم قضيله في سجن الاستئناف .

وكما قد توأصينا — كما قلت لك — باستقبال الأحكام التي تصدر علينا ..  
بأعصاب سليمة ، وأدينا أدوارنا بنجاح .. فلما عدنا إلى السجن كانت تفاصيل الأحكام  
قد سبقتنا إليه .. فاستقبلنا مظلم من فيه بببارات الرزاء .. وأجهش بعضهم في البكاء  
وعادوا تسهوا إلى الاستئناف البادي علينا .. فأخصلهم أن يكونوا « ملكيين أكثر  
من الملك » فاقطب الرزاء إلى تشجيع رقيق .. ونحول البكاء إلى تعلق ضاحك .

\*\*\*

وطالب لنا أن نستر في تحيل دورنا — حتى على أخصنا وفيها بيننا — بقضينا  
السيرة بسيد مشاهد الجلطة التي تلا شلالها آتب الأحكام .. نص للحكم على كل  
متمهم .. وساق على الشجاعة التي تحملت من « فلان » وعن « فلان » .. وظلنا سر  
حتى نمرقنا لتنام .

وأعتقد أن كل واحد منا .. ما كاد يثب إلى سريره ويطلق .. ورره .. حتى  
حسبته قناع التعريف وقذف به من النافذة .. ومضى يعرض شريطه .. أسه الذي  
أدبر .. ويومه الذي أظلم .. وعده الذي لا يكاد يبين .

وأعتقد أن ألوان التصوير عددي لاند أن تكون قد حلفت عن ألوان التنكير  
عند الآخرين .. فأنا مثلاً لم أكن يوماً متروجياً .. ولم أكن أبداً لأطعم .. أذكرم  
«تضلع سباط قلمي .. وأطوى الروح على ما أمنت .. من جروح كما كان يحدث مع  
عبد المتاح حسن كما ذكر أصدائه الثلاثة .. ولم أكن وريراً أحر ورأى ماصياً على  
الستوى القوي وبميتني أن يرى اللس ذلك « المراسح كالجيل « كما كان الأسمع مع محمد  
صلاح الدين .. ولم أكن في شرح شساي أجا عردة شاية .. أقول « بصح سين  
وتمسي .. و « السجن رصيدي في نك المستقل « كما كان الأسمع مع « أحمد السقا »  
وأهجر طمناً عن العرض بالتصوير لشاعر « الشاب » في نك الهبة .. ولله كان أكثرنا  
لذا .. لأن موقفه كان أكثر سوماً .

• • •

أعلقت باب الهجرة .. وأطأنت فنور .. وعتت .. وبنأت أسكر .

والخلة إلى النفس في غرقت السحون .. ليست مبسورة بمساعها الكامل ..  
ففي كل باب « نظارة » يثقت « السحان » أن يظل بها على السحين .. بين الحين  
والحين .. ومفتاح النور من الخارج .. يثقت « السحان » أن يديره إلى الشمال أو إلى  
اليمين .. وكل ما كان لنا من « ميرة » حصوناً بها — كرمنا منهم — أن « السحان »  
لم يكن يباشر حقوقه في التطفل علينا باستخدام « النظرة » .. أو في تنكير صفونا  
بإدارة الفتاح .

نمت لأفكر .. وتراحت الصور .

أنا أحب « النامية » أو أكرهها .. ذلك أمر يحصل بالصبر .

وأنا أجهر بالكراهية أو أحبها .. ذلك وري .. وأنا أحرر يا أملك من الموازين .

أما أن أفضى في السجن سبع سنين .. وقد تحطيت الحسين لأخرج منه وأما  
أرسل في جلد إلى السجن .. محمود الطير .. أو فاقد البصر .. لا شيء .. إلا لأنى  
أقيت أذى .. إلى شب من الشبان .. عرفته عشرين عاماً أو تزيد .. ولم أصنع  
له خلافاً إلا الحير « ولا شيء » غير الحير .. « فيكون جرائى منه أن أتقى في غيبه  
السجن .. بل في غيبه » الليان « بين القنلة والمجرمين .. أما هذا كله .. أمر  
غير مفهوم .

الليان .. ! لها من كلة ! !

غداً - إذن - نرسل إلى الليان ! !

وهل نامل - لا ترى - ماملة المعتقلين من السياسيين فنقل كما نحن ملبسا  
ويحتا الطعام من منازلنا .. أم نامل ماملة المحكوم عليهم من المجرمين - فنتردى  
الملابس الزرقاء التي تثير الشبان .. وتوضع في أيدينا الأعلال .. كما كان الأمر مع  
الذين « برحون » من سجن الاستئناف إلى السجون الأخرى .. على مشهد منا ؟  
وتقل رأسى .. وأطبق « الملمون » على جنى .. المم لا النوم .

وعدت لحقت في الحفائب أمامى .. وكان شعاع من النور خارج النرفة  
ملق عليها ، فدنوت منها ، وأخذت أقلب ما فيها ، في أسى وشروء .. ترى هل  
يسمحون لنا بالأحفاظ شيء منها .. بالملابس الماسلية مثلا .. بشيء من الجوارب  
والفلايل .. بمشط أو مرشاة .. أو مصجون أسنان .. أو بنظارة قراءة .. أو بملاس  
صوفية الشتاء ؟ أم ترام يقصون شعرنا كما ينظرون كما غيرنا ونعدوا مشوة وأضحوكة ؟  
لا أدري ..

وكل الذي أدريه أن السجناء أو « الساجين » الذين رأيتهم سمح لبعضهم  
لبس الأحذية فقط .

و « الأشغال الشاقة » التي وردت في الحكم ، ما معناها ؟ بالنسبة لأمثالنا ؟

وهل نسقى - ومنا وزيران سابقان - إلى الجبل الذي قرأنا عنه .. لنحمل

فزوساً ونضج أحجاراً . وتحت وهج الشمس في الصيف ووابل الأمطار في الشتاء ؟  
والنوم ؟ أفوق ؟ أمش ؟ كالتي نزلها في « زلزلة » النشالين ، وسما « بطانية »  
يماء بها من « الحزاز » ، تقيم بين شيوطها للولم .. وتحمل في طياتها ما لا تدريه من  
جراتهم ؟

كل الشريط مر .. وأنا متكي . بمرفق فوق الرسالة ، أحرق مرة في فضاء  
العرفاء وأحرى في الخفاف ، وشعرت أرى أحترق بكل قلب على كل قطعة من ملابس  
وملحت يدي ، وتناولت حزمة من « القناعات » ، و « بيجمات » من الحرير « قلمتها »  
في سميت ، قطعة بعد قطعة ، تماماً كما جعل القرد مع أطفاله الأحمية ، وهم يُنتزعون  
من بين يديه انزاعاً .

ومن شريط حديد ، شريط « المساحين » الأحرين الذين تردد جنات السجن  
أصداء سخكاهم طوال النهار وولنا من الليل ، وهم « يرغلون » في ملابس السجن ،  
وقد أخضت بالتراب أو ازدادت بالطين ، ولا يشكون ، ورحت أسأل نفسي : أي  
فرق بيني وبينهم ، ولماذا لا يمزنون مثل حرقى ؟

— لا يمزنون .. لأنهم لا يملكون « البيجاما » التي أملكها .

— ولماذا ملكت أنا ، ولم يملكوا .. أم ؟

— لأن فرصة هبت لي فصلت ، صدوت كأنياً ، وأعطيت قلماً وأوراقاً ،  
فبشتُ عن قضية ، وصفت طريق ، وملكيت « بيجاما » ، وغداً سيحتون ،  
وعلى الرغم مني سينزعون « البيجاما » عنى ، أمام « إسوانى » المساحين ، « أبناء  
بلدى » ، وشلهم أقارب لي في قرى ، فكل ذنبهم ، أن أحداً لم يهب . لم فرصة  
التعلم ... فلم يملكوا رغباً ... فبشتوا عنه فصلوا مسطورين . وصفت غير مسطور ...  
ولففتها في السجن ... فزنت ولم يمزروا ... حزنت لأن المجمع يسج لي من حيات

الفرق الذي يتصب من جباههم ، يبجلنا ، وغداً ينزعونها عني ... ولم يمرنوا هم لأن  
المخضع رفض أن يطهيم مقابل الفرق رعيماً ، جادوا إلى السجن ، فأعطاهم الرغيف .

\*\*\*

وترأت لي من حلال السجن للصاعد من لعافق صورة « الرجل » ، وهو يمدق  
بإسماعي عبي ، وكأنه يقول لي : « ألم تكفر برسالتى وكنت أفيها على أساس تكافؤ  
الفرص بين هؤلاء جميعاً ؟ » .

وكذت أعص حياه وأستمر ، ولكن المرة بالإيم ، سيطرت على مشاعري  
فاستويت على مرأيتي ، وتنصت بسوق ، وفركت العينين باليدين وغنمت كمن يصحو  
من حم مزهج : « أهوذا بالله ، ماهذا التكبير للتم ، وماهذه الفلسفة الخنقة ؟ أهذا وقت  
تفلسف ، وعلى هذا النحو القابض ، ويبى وبين الصبح ساعلت ، وكل « عد » بالسبة  
لي هو تبه أصرب فيه ؟ لا محل لقدم ، نم ، وتوكل على الله .. وهوض أمرك إلى الله ،  
أو فاهتير يا أمى أمك مت ، وأمك من اللد تحاسب ، وأن اللدير فى الابيان وللأمور ..  
ها مسكر وكبير .. وواجه الواقع .

وفى طفلة الليل ابنتت ، لأن قدرة الله عند ما ذكرت التوكل عليه ، حمت  
إلى .. روح الكفاة . وشتت بها إلى قلبى المرين .  
ولا يعرف الله إلا سجين .. أو هكذا حيل إلى .

## تحية الصباح

مت .. وصحوت .

ولم أدر - يومها - كيف مت أو كيف صحوت .

والذى دريته أن الساعة كانت قد نطقت السادسة من الصباح ، وأنى لمت -  
وكنت فى طريقى إلى ( الحمام ) - ضابطاً وديماً من صباط السجن ، مدوح ويندعو

— والحيرة تبلو عليه — أمام غرفة الأستاذ عبد الفتاح حسن ، ثم رأيت عبد الفتاح يخرج من غرفته ويتجه إلي ، وبجيبه تحية الصباح ، وبجيدلان حديثاً خاطماً — وبشده من كره ، والرجل يمر بمعدل في إحدى يديه على عيبيه ، ثم برياني فيتلقي عبد الفتاح فألقى بها في غرفته ، وأسمه وهو يقف على الصراط الشاب يمياً مملطة ، ليحصرن له اللباس ، وليكون أول مرتد لها في غير أي تأثر ، وأدركت من الحديث أن لواء اسمه ( محم ) — كان يمشي وكيلاً لمصلحة السجون — اتصل بالضابط تليفونياً وسأل إن كما قد ارتدبا ملابس السجن لتسيء القوة الملوطة بها ( ترحياناً ) إلى ( الميادين ) .

• • •

وكان الأستاذ عبد الفتاح حسن أول من ارتدى صلاملاسن السجن الزرقاء .  
وكت أول من وقت عيابه عليه في هذا الزى المصيب ، وهل مطالع الصبح الذي يقول الناس فيه لباس : ( صباح الخير ) و ( صباح السور ) .  
وكانت لحظة لاهة في تاريخ الشمام ، لمل الثمور بالامتياز الطغى هو الذي أملاها .

وأقبل علينا الدكتور صلاح الدين — وهو دائماً مرح — فقال ومل به صحكة لطيفة عرف بها : « وأنا بدلتى فين يا عبد الفتاح ؟ وفيه بدلة السوادى ؟ أنا عاور أضحها له يابدى ، وانت يا احمد ، هي بدلتك انت بتى » .

وبين الصحكات — التي تحمل في رينها دموعاً محمدت ، كان « الشاب » يمدق فينا هو الآخر في جود ، ومن سيد ، ثم أقبل على الجرد ينهادي في وقار ، أو فما لا أدرية ويصطنع ابتسامة ، ويلقى تحية ، ويتخير زيباً .

• • •

ونزلنا إلى غرفة الأمور . .

وأذكر ولا أنسى أي — وعن في طريقنا إلى هذه الغرفة — ذكرت بالخير



« الرجل القى تأمرت عليه » وكان الطيبى والمغول أن أذكركه بكل ما تحمله للشاعر من سوء .. ولكنى ذكرته بلون من ألوان الخير - غير للمغول طيباً بأطيب التحيات .. عندما غافقتى هينى ، وعمن فى طريقنا إلى الباب - فأققت نظرة تجلج على الفرفة السوداء رابضة فى الركن الأيمن منى ، وذكرت ، كيف كان فى مقفوره لو أنه كان عاملاً إلى الهم وبالمشأ لوجه البطش أن يوجه خطانا اليوم إلى ذلك الفناء القى يحتم أمام هذه الفرفة ليستقبل هيئة للتفتيد ، تنل على القديحة صيمة الحكم بالإعدام ويسأل المسكين عن أية أمنية له فى الحياة .. غير تمنى الحياة .. فيطلب فتاة أو يطلب شاباً .. أو يطلب قهوة .. أو يطلب ماء أو يتمم بدعاء .. أو يرسل سباباً .. أو سراسك .. ونعمى حياته لتتدى فى الماوية ، كما مضت سرخاته لتتبدد فى الهواء ..

ومن هنا كان انلهر القى ذكرته به .

• • •

زلنا إلى غرفة المأمور ، فرأينا ضابطاً فارح السود ، برتة عقيد ، يتحدث إليه ، فلما رأنا ، أنبل بصانح كل واحد منا - وهوون الأمر علينا ، ويؤكد أنها شدة إلى زوال ، وأحاطنا الأمور وصباطه بسواطف طيبة أو بببارات الخماطة ، وأقبل يوزباشى لا نعرفه فصاحنا هو الأحر ، وطلب إلينا أن نحمل معنا إلى « الكهان » ما نشاء من الملابس الداخلية ، وأذن لسكل منا فى « مشط » و « مرشاة » .. وفى « مجنون أسنان » وكل ما نزعب فيه باستثناء « البديل والماطف والبيجات والجلابيب والساعات » فقد نلها وكيل السجن ، وكان أهلنا قد بكروا بالهجرة فتلوها ، وأذن لتفودنا للودعة بأسماننا فيما يسوته « أسانات السجن » فى أن تراقى « الركب » .. وتولى هذا البيورباشى « المتدب » إلقاء نظرة على « الحفائب » ، هى بمثابة « تفتيش » لما يوزعه صابطاً من ضباط « الايجان » - حتى يوروا لنا شيئاً من الكرامة عندما يبلغ أبوابه فندخل إلى غرفتنا من غير تفتيش ، أو هكذا قالوا .. وليس بمستبعد أن يكونوا قد تلمسوا مهمة تفتيش الحفائب « فى سجن الاستئناف » تلافياً لتعاقب فى الايجان ، وحتى نغضى إليه فى غير جلبة من هوات الاستطلاع فيه أو من محبى الفرفة من المأزولين عليه

أو من مونغيه ، ولعل القى آثار هذا التمليل في ذهنى ساحتد ، مونقو المحافظة «القديمة»  
في باب الخلق وم يطلق علينا من التواضع ونحن ونفوق في فناء السجين ، حباً للفرجة  
أو لما تريد أن تسيه .

•••

وبلننا «البيان» .. غير مصقدين في الأعلال ..

ولم يعد شعورنا متجهاً إلى الأسي على ما اتينا إليه من مهانة الزمى ، أو غير الزمى ،  
وإعما اتجه بنا للشعور — أو بي على الأقل — إلى الإرتياح والترحيب بأقل رعاية  
لنقاعها من أصغر ضابط ، وما أشد حاجة السجين — مها يظلم — إلى أقل رعاية من  
أصغر (سجان) .

بلننا (البيان) — وكل حرف من هذه الكلمة يضح بالبشاعة والنقل —  
طاستلنا المدير العلم يحيط به ضباطه — وكان رجلاً مسيباً ، أوتى بسطة في الجسم  
والشخصية — وسيانا أهل نعمة ، يمكن أن تلقى على سجين ، وانهموا بما بدأ إجراءات  
بسطوها — إلى صف من القرفات المتلاصقة يحميها عن جنة للباي باب ، وتجاور  
حدائق القسم العلوى ، ويسون هذه القرفات (إزاداً) يستقبل فيها كل سجين (وارد)  
ليظل تحت الرقابة الطبية أحد عشر يوماً تقريباً ، (يُصنَّع) بعدها أى يوزعون على  
(الصناعات المختلفة) في البيان و (صناعة) السجين الذى لم يماز السجين — ولا يملكه  
مرض خطير — أن يرسل إلى (الحل) ليقطع أعضاراً ، أو ليحملها فوق كضيه إلى  
سكان لها ويكثها فيه أملاً ، إلى آخر عنوان الأشمال الشاقة ، وما أتبعها من فنون .

•••

وكان علينا — إذن — بعد أن سترح أن تزود القسم الطبي .. ليوبرأيه فينا .

وهش لنا الأطباء واكتفوا بالترحيب بنا في اللقاء بيننا وبينهم ما عدا «طبيب أول  
البيان» فقد تبذى بابس الوجه .. ثم عاد بيننا تحياته «على حذر» و «في خفر» فقلنا  
أن يكون تاسرياً أو متعلقاً لتاسرية .. ولم تقف على سر هذه «العدوية» في الحمية

إلا بعد زمن طويل .. عندما علمنا أن شقيقاً له ضابطاً كان متضلاً معنا لخدمة القضية لأنه صديق لماتلف حار رعيم التشكيل العسكري في اللؤامة .. ولم يقدم ذلك الشقيق للمحاكمة وبقي متضلاً مدة ثم أطلق سراحه سد أن ثبت المحققين أنه لم يكن يعلم عن نأسر صديقه شيئاً ولكن ما جرى له .. خلف وراءه أترأ .. ملأ قلب شقيقه الطيب حوقاً .. يضاف إليه ماض طيب مريب .. إذ كان مديراً لميرة إحدى الأميرات .. وذكرى الإمارة ظلت تطارده من غير أن ينكر أحد في مطاردته .. وقيل إنه عرف في اللباز بالتساوة على الجواء .. وقلت إن هذه للتساوة وليدة تلك الحوافر .. وأشد عجباً من هذا كله أن ككتشف في الرجل غير المحبوب من نزلاء اللباز .. إنه « عالم » كبير في « تلرخ مصر القديم » .

وعدنا من زيارة القسم الطبي إلى غرقتنا في « الإبراد » .

• • •

وما كدنا نستريح .. حتى ترامت إلينا أصداء هرج وجلبة .. ثم فتح الباب .. ودخلت ثثة من الصحفيين والمصورين ، ومعهم ( مأمور اللباز ) وبمص الصاط — ومن بين الزائرين زملاء لي وس بينهم تلاميذ كانوا يعملون في ( السوادي ) ، وسلوا .. وعزوا .. وراسوا يطلبون إلينا أن نجلس في أوضاع صالحة للتصوير ، بين أكداس من الكتب كنا نعملها معنا ، وفي يد أحدنا مصحف محتوح .. وفي يد الآخر مسرحية لإبن أوشكبير ، أو لأبي اسم مشهور نختاره عن لأنهم ( شبان عاديون ) لا حسرة لم بتلك الأمور ..

وأعظ لم صلاح الدين في القول .. وأعلق دونهم بانه ، وحمل للأمور مسئولية أي تحايل منهم .

وتوليت من ناسجق إقتناهم بأن من غير اللائق نشر صور لنا بملابس الحسن وأن هذه الصور لا يرضى عنها المسئولون إن كانوا يستهدفون بهذا النشاط لإضادهم .

ولكن فریقاً كان يتتيز فرصة اشتغالنا بالفتح القريق الآخر ، ويلتقط بعض الصور ( اختلاساً ) وانصرفوا .

وأحرف أي - يومها - ظلت حرفتي وأحسنت بالضة التي تلازم طيبتها  
وأجلبني أي كنت يوماً من الأيام من أبلتها . . وتثبت لو كنت « سجاناً » برتبة  
« نقر » ولم أكن « صحبياً » برتبة « أستاذ » .

\* \* \*

وجاء اللدبر - يحف من حوله ضباطه أيضاً - جاء زائراً هذه المرة .

وإلى جوار هذا « العزاز » - الأمير الأي سيد والي - شئ مأمور أول برتبة  
فائقم ، نصيراً مسرفاً في التصرف ، ضيلاً مسرفاً في الضائقة ، مشرب الوجه بالحرمة ،  
أقرب إلى « الأكرام » في السمات وفي البشرة - وكان اسمه رحمة الله عليه « اسماعيل  
طلست » - يتنهما رطط من الصباط ومن خلفهم جنود « سجانون » يحملون  
« كابينات » من الطراز القرعجي الرائق للتصدم في دورات المياه في المسازل .. وقد  
صنعوها - كما حدثنا - في « ورش البيان » ، وأمر اللدبر بوضع كل منها في كل غرفة  
من غرفتنا وقال مبتسماً :

- الحقيقة يا اخوانا أنا صننا إحدى عشرة قطعة ( أي سدد المحكوم عليهم )  
ولكن يظهر أن نصيباً كان في حصة مك قط ( وكان المسكرون الستة قد اختار لهم  
السجن الحر ) فأودعنا القطع الباقية بحارنا .

\* \* \*

وأدرت من حديث اللدبر أن كل ما « صادفناه » من رعاية وحنف ، في السجن  
الثلاثة ، إنما كان « بناء على تمليط من جهات عالية » وشمرت بأمواج من الرضى  
تساب يضاء إلى صدرى موحية إثر موحية ، وأمواج أسمر - سوداء مصفة - تنسل  
خارجة من هذا الصدر ، حذاً إثر حشد ..

وأدرتنا - مع الزمن - أن أغلب المستولين في السجن إنما طلب إليهم  
إحسان ممامة معين قيراطاً .. أحسنوها قيراطين ، وإذا طلب إليهم استخدام « الحزم »  
في معاملة السجن قيراطاً ، حزموا أمرم عشرة قيراطين ، بدافع من رولاب المنفى  
المظلم ، يوم كان السجن مهبط الأدمية إلى حد يثير التثيان ، يعاقب بلبس « انطيش »

فوق جسده المارى عشرة أعوام تسبح فيه الموام ، ويحوى المقتدر الإنجليزي بشيئته من النيايا ، لتخرج على « لابس الخيش » وهو يحذ خسين جطة من غير أن يتن أو يتأوه ، ليثبت أنه « سيدى » أو « متوفى » أو « رجل » .

\*\*\*

وأمر المدر ، لى بالمشرقين على « الكاتين » ، وفى أيديهم قائمة بما لديهم من « مرى وجبة وزيتون وسجاير هوليد » ، وطلب منسا أن نخل عليهم ما نرغب فى شرائه من ما كولات حتى يذهب صابط الكاتين ورجاله إلى السوق لشرائه ، وتبارينا مرحين ضاحكين - وواجب - فى عمل قوائم لا أول لها ولا آخر ، وبدأ بتك للمهارة عهد ذهبى فى تاريخ الكاتين لم يطقه يريقه إلا رجل - لا اسمه - حلف السيد والى فى منصبه - وكان يعيش عمره فى الخوف من للشولية الموهومة وهو الآن يصل حلقة الماش فى بيته - فأضاع كل ميزات ذلك « الكاتين » ، حتى « السكر » فى آخر شهر لنا فى البيان حرم بيته فأست له « سوق سوداء » رهية .

\*\*\*

وأحيراً وقّع الكشف الطبى التهاى علينا فاحتر ثلاثة منا مرضى - لأهم جميعاً دون الستين من العمر - وأكبر الثلاثة صلاح الدين وهو يكبرنى بثلاث سنين وأصغر الثلاثة عبد الفتاح وأكبره بثلاث سنين .. وأضينا بسبب المرض الذى ( اكتشفه ) القسم الطبى من ( الجبل ) ولم يفوا منه ( احمد السقا ) إلا بعد أسابيع قليلة رار فيها ( الجبل ) لزيارات مسودة ، ولم يفوا « الكشاف » من المسود إلى الجبل إلا بعد ثمانية أشهر تقريباً ، وكان يمود متقلاً بقراب الطريق ، ولكنه لم يكن يقطع أحجاراً ، وإنما كان يحمل معه كتاباً ، يشغل به وقته فى مكان ظليل ، يسمح بيته وبين الجلسوسين البريطانيين ( سويرى ) و ( رازب ) وكانت حكومتنا تحرص على أن يساملا معاملة طبية .

وأدركا - طبياً - أن هذا الإعفاء ، كان عطفاً من الجهات المالية ، وكان يسيراً عليها أن تتسو ، وأن تمنع ما شادت فى القنطرة .

ولعل قلبي أتم بقدر من الرضى ، أكبر من القدر الذى أفضت به قلوب زملائى ،  
 - أو قلب صلاح عبد الفتاح على التصديد - وهذه الفتنة من قلبي ، أرى  
 زماناً أن ( أركز ) عليها . لأنها كانت ( للفتح ) الذى أدرته فى ( باب تشكوى )  
 - من جديد - فى حقيقتى ( ناصر ) ، وهذا إذا أسرفت فى تسيبه ( عبد الناصر ) -  
 على طريقة الأجاب - باسم ( ناصر ) فهو اسم فى الحقيقة يستهوى الريشة .

كنت أعمق شعوراً بالرضى من زميلين - أو هكذا خيل إلى - لأهنا وزيران  
 سابقان وأنا حتى من الصغيبين وكان من الكتائب ، ولعلها يريان فى هذه ( الملمة  
 الكريمة ) ، أقل ما يجدر بالملك القائم بالأمر فيما أن يماثل بها حكماً سابقين ،  
 أما أنا فليس من اليسير أن يفردى مثل هذا التحليل ، ثم إن لزميلين الكبارين ،  
 أصدقاء من الكبراء ، وأمهلاً وأقرباء ، أكفاء ليدل الجهور وقهوض بالنسى الجيد ،  
 لى رئيس الجمهورية ( جمال عبد الناصر ) أو لى وزير الداخلية ( روكبا محيى الدين )  
 لإحسان معاملة الوزيرين السابقين ، أما أنا فأسرفى فى ( سواده ) إذا قيل إن لها ( مكانها )  
 بين الأهلين فإن هذه للكلمة نلت ، وهى آخذة طريقها إلى ( القاهرة ) ، حتى إذا بلغ  
 البارزون من الأسرة باب ( ناصر ) ، طلب إليهم - أطلب الطل - أن يفقوا طويلاً بين  
 صف طويل من الشاكرين الكثيرين ، وحسب هذه الأمرة أنها تولت الإحاط على

داخل سجنى معناه صيدى مكنى من الوقوف كرىماً إلى جانب زميلين ، وإذا قيل  
 إن من أسرة والذى وريرين سابقين أيضاً ( حمد الحميد وعبد الحميد عبد الحق )  
 فقرايتهما أولاً بيده ( أولاد بنت خال والحق ) ، وهما أولاً وأخيراً ، يمددان الله على  
 السلامة ، وليس من اللذلى أن يطلب إليهما الزج بنفسيهما فى قضية ( قريب يتأسر ) !

أما أسرة أبى وأمهارى ضد حرت خفيفة إلى الوقوف إلى جانبي ، ولكسها  
 لا تحملى بحكم مستورها الشمس أن ترسل صوتها عبر صيد مصر إلى القاهرة تطلب لى  
 ( انتصاراً ) من الحاكمين ولو كان على رأسهم ( ابن بنى ص ) ، ولو كان فى طليمة إخوانه  
 للتياوى ( ابن ناصر ) .

وقصارى ما بلت أسرة أبى من قدر فى صيد مصر ، هو ( فضل ) لها ( أوجد )

تأبى به - بمسئولية - سائر الأسرء ولا تدرى أنها بهذا (الفضل) قد ارتكبت  
أبشع جريمة ، لارتكابها أسرة في تاريخ مصر الحديثة من حيث لا تدرى ، ومن غير  
أن يتنبه هذا التاريخ على هذه الجناية .

ولعل مما يرثه حثك - قبل أن نخوض غمار السلسلة - وبما يصل بأهدافي من بعض  
نواحيها أن أسمر معك بهذه القصة التي لا تخلو من ظرف وطرافة ، وأنت ترى أن هذا  
الفصل كله وإن اتصل بأحق مشاهري تجاه «الرجل الذي تأمرت عليه» ، لا يخلو من  
روح القصص أو من روح السمر .

### أسرتي .. تجنني على مصر

نعم .. للتاريخ .. أذكر أن أسرتي - العتيبة الآن « في سواده » - لا تزال  
تتم على بقايا آل سلطنت « بلشا » عبر أجيال أربعة بقولها : « إسنا فكبا جدكم  
أبو سلطان من الحبل الى رطلوه به في الصاري .. ولولا جدنا .. كان السنجق  
خدا أجله » .

فأهذه القصة ؟ وكيف كانت جناية ؟ وجناية على تاريخ مصر ؟

لعلك تذكر أن محمد سلطان (بلشا) الكبير (رئيس مجلس النواب المصري  
ولأنقام المذبذبون توفيق أيام حرب عراي) هو الذي خان مصر .. ورشاش البدو ..  
وسكن الإنجليز من هزيمة عراي واحتلال مصر سبعين عاماً .

هذا الرجل كان يقيم في بلدة اسمها « زلوية الأموات » ولعل اسمها الآن  
« زاوية سلطان » أو « قرية سلطان » ، تجاور « سواده » التي ترقد من قديم  
وسنانه مسلة على الضفة اليمنى لل النيل .

وكان الرجل في مستهل حياته شاباً مقتول الساعدين موفور القوة « أفرح الرأس »  
طموحاً ذكياً .. فيه روح الملمرة .. يصل مع أبيه « الجبال » الذي وفد على  
« زلوية الأموات » - قرية للقابر والآثار - يبحث عن عمل له في محاجر نابية لها  
(ليحمل حججه) أسجلاً ويقتات ..

وظل (محمد سلطان) الشاب الذكي الناصر .. يدخر من أجره .. ويرضع في  
مستواه .. ويرضع على مهل إلى صاحب المدبرة في القرية حتى عدا (شيخاً) فيها ،  
ثم (حمدت) لها .

وكان أحد (السنجق) في عصر إسماعيل - إذا لم نحس هذا كرتة - يمر  
(بذهبيته) .. يذرع النيل ويطلق (المدايا) .. حتى إذا جارت (الذهبية) قرية  
سلطان .. قلَّ للماء وسط النيل .. وكثر عند الشاطئ . فاضطرت أن تمأزبه في خط  
سيرها .. وكان على الشاطئ صبية يلعبون تتفخروا (الذهبية) باللوب والأحجار ..  
فأصابوا السنق بطوبه منها وهم يهرجون بأغنية فيها سبب للترك والشالي فهاج  
السنجق .. وأمر بإتقاء مراسى السفينة عند الشاطئ .. وأمر بالقبض على المدة ..  
وبأن يماه به موقوف اليدن .. وأن يُربط بالحبال إلى (الصارى) .. وأنت يمد  
حتى الموت .

وبدا أتباعه ينفذون أمره .

وحضر ذلك من أهل القرية خاطر .. فركب جواداً .. ركس به إلى سواده  
ينقل الأمر إلى جدى الخماس (وكان اسمه حمزه وكان حمدت سواده) .

وكان « حمزه » مشهوراً له بحسن الرأي .. وحل ما تنقد ..

و (سواده) كانت - وما تزال - أشهر قرى النيل بكثرة عدد السفن فيها ..  
ورُوي أهلها من (المراكية) .

وأعمل (حمزه) دكانه .. وأمر سفن القرية أن تخلع .. وأن نسد النيل  
(بالمرض) في صورة (مظاهرة بحرية) تخف في وجه سفينة السنجق ولا تسمح  
لها بالمرور .

وأقبلت (الذهبية) .. ووقف (السنجق) على ظهرها .. وخرج له (حمزه)



في السفينة (الشمعية) التي عقد له لواء القيادة فيها على حد التصير البحري .. وقال  
بمحاط السجق :

— دى عادة بلادنا يا فدينا .. السجق لسا يفوت من هنا .. تحية اليه  
بالشكل التي أنت شايته — عاشان لازم ندع له الدمايح .. وندق الطبول .. ونتمدى  
هدنا ويفرح به الشعب .

وقته (السجق) وسر .. واتصفت أوداجه وتمعاف (بواشد غداً هد واند  
فلاخ تلم) — وقيل إنه رأى الشرق أعين الناس تخاف العاقبة وقبل الدعوة — وأياً  
كان الدمايح .. فقد رست السفينة وصعد إليها حمزه (لتقديم ولاته وتمنياته) هو  
وأهليان اليه .. وما كادوا يرون (محمد أبو سلطان) مربوطاً إلى السارية .. حتى  
تظاهروا بالدهشة فسألهم (السجق) إن كانوا يعرفون هذا (الكلب) فقالوا : هو دابن حنا  
يا فدينا « فأمر أتباعه لحرقه الزناني وهو يقول : « حريس .. حظه تمام .. كان  
يبيس أكل كويس .. لساك جاع اليه » .

وهكذا أحتق القلاح جدي .. ذلك الشاب (أبو سلطان) ليبيش .. ويتصل  
بأسرة الشريفي محسوباً عليها .. لتصل بيته وبينه التديوي بعد أن كان (أبو سلطان)  
قد أصبح (ناظر قسم) مكافأة له على مجامحه في تسخير العلاحين من أهل الدنيا وأسيوط  
في حفر ترعة كبيرة أمر بحرقها الجناب العالي .. ومضى أبو سلطان قدماً يرق الناسب  
المالية بفصل رحاء التديوي إسماعيل ، حتى خان أبو سلطان مصر في عهد توفيق وأسلمها  
للإنجليز .

وكتت أخفض رأسي خبيلاً .. كلما سمعت جاهلاً من أفراد أسرنا .. بمن على  
آل سلطان ذلك الفضل .. ويذكره بالبيانات مجدداً من أجداد الأجداد ، وهو لا يدري  
أنها جريئة في حق مصر ، لتركبها جدي حمزه .. يوم لم يترك للسجق فرصة الإجهاز على  
رأس الأضي ، وكبير الخلوة في حرب عرابي محمد سلطان (باشا) ، وجد (محمد سلطان)  
الحالي .. صديق النجدة المسالمة (جاي مورلاي) قبل الحرب المالية — وزوج بنت  
يهودي كبير في مصر ، و(باشا) لم يهنا (بالباشوية) يوم أنس عليه بها طروق ، فخلع

بدا أيام ، وانتزعت من (محمد سلطان) كما انتزعت قس الأطنان التي اشترها له جده  
(محمد سلطان) الكبير .. بدأ كرق ، بشرة آلاف من الخنفيات ذهباً .. وأقطع  
ما أقطع من الأرض .. تمناً لخرقة عراي .. واحتلال مصر .

## عود إلى اللبان

وأهدوك إلى «اللبان» ، لا أراكم الله إلا مسطوراً على ورق .

أعود لأذكر لك أي انتهرت فرقة إدراكي ، أسبل للمساءلة الكريمة التي  
نقدتها ، وانتصحت جانياً بالقائمقام إسماعيل طلعت .. لأسأله إن كان شقيقاً لمحمد طلعت  
«محافظ السويس يومئذ» — وكنت أعرف أن للمحافظ شقيقاً صابغاً في السجون —  
فقال «أبوه ، مضبوط» فقلت له «طيب قل له السوادى يسلم عليك ومش هاريد هن  
كده» وقال «حاضر» وتركه .

وبدا أيام عدد شهبال الأساربر يحمل لي تحيات أخيه بدأ أن عرف أي كنت  
ماتقداً برلمانياً لجريدة «البلخ» يوم كان أسوه قائداً ليوليس البرلمان ، وكان سيل  
الرد موصولاً بيننا .

ولا نستطيع أن نتصور أي «كسب» شمرت به — بما بيني وبين قسى —  
بتقيام هذا «الرد» بين مأمور أول ، ويوى ، قائما سجين وهو صاحب الأمر والنهي  
في السجن ، وكان الرجل مصدر رعب «للساجين» ، فاسياً في معاملتهم مساواة كنت  
أعطيها — غير أنه في هذه المرة — محرك التقصير به ، بوصفه قصيراً مسرفاً في القصر ،  
وكانت هذه القصة التي يصطنعها ، تحجب طيبة قلبه عن كل سجين ، وكان كل من في  
السجن يتفقون المصداق إذا علموا أنه قام بأجارة متلا .

وهكذا ، بدأت احتمالي ، لأتوازن .

واحتوت أيام الجبر الصبي .

وقلنا إلى الطابق الرابع من المتبر رقم ١ ويسمون هذا الطابق « دور السياسيين »  
لكثرة من أقام منهم فيه .

وفى دخولنا إلى هذا الطابق ، صادفنا طيف جديد آخر ، فلاحظنا أن العرفات  
الجلس الأخيرة من الصف قد أحليت خصيصاً لنا ، وطلبت بباريت ، وأست كل  
فرقة منها صالحة السكنى — ويا يؤسها سكنى — وماج « دور السياسيين » فرحاً  
بمقدمنا ولهم أحسوا أيضاً أن وجودنا بينهم قد يرد بعض غارات السجن عنهم ،  
وأصبحت غرفانا كحلالاً المنحل من كثرة التلاميذ للتسليم والترحيب .

وكانوا يقدمون إلينا بأسماء قصايم إلا إن تميزت ، فمثلاً « دول بتوج حسن  
البها » أى الذين اتهموا بقتله و « دول بتوج عبد القادر طه » و « دول بتوج قصية  
الحاسوبية » و « دول ، بتوج قضية الصهيونية » و « دول بتوج قضية الصولات »  
و « دول التي قتلوا أبورياض عالي » و « دول التي حطفوا البطرك » و « ده ضحى  
يوس ابن م شوكت المتوفى » و « ده كلال عبد المرزى روج زوروماني » و « ده  
عبد الحميد الطرزى وزيدان بتوج قصية مورو »

\*\*\*

أما قضيتنا فأطلق السجناء عليها اسماً لطيفاً لم تشبه عليه إلا بعد أيام ولا نعرف  
« صاحب الامتياز » فى تلك القضية .

اسمها « قضية الباشوات » .

وتتج من هذه القضية أن أسم على " شعب البيان المرزى .. شعب الصحاح  
الساطينين والحراس وصغار الوظائف .. والتموجية .. برتبة لم يتلق مثلها يوماً ...  
أحد من أسرة أبى .. لا من خديوى ولا من سلطان ولا من ملك .

أصبحت أنا الآخر (باشا) .. كصلاح وعبد الفتاح .

وشمرت بالحاجة إلى هذه الرتبة التي لم أفكر في مثلها طوال حياتي ولا أشتيتها يوماً ، شمرت بالحاجة إلى الرتبة الزائفة ، لترط حلقى أما الأعرل إلى أى سلاح ولو ( فاسد ) ، وكنت أصيق بهذا ( الزيف ) أحياناً فأم رد ( السجانين ) عنها ، فبدركنى ( الشب ) - هاوى النظرة - وبنهاى من المحاوة وهو يصرخ فى "جاناً ( غلبا نكسب سورة ) ، وكان مرثسه لا يحاطبني أسلم ( السجانين ) و ( التورجية ) إلا بيهذه الرتبة .

أما ( للتلون ) فكابرا يرفون الحنيفة طيباً .. ويُنضون .

### راحة وتفكير

رسمت لك صورة عابرة لبعض مشاهد السجن وأرجو أن أكون قد رفعت بها عنك .

يبدأنى أرجو أيضاً أن أكون قد سجلت بها عدداً .

وهذا أن تدرك أننا وجدنا فى ( اليابان ) شيئاً من ( الراحة النفسية ) وإن كانت محكومة بالقوانين ... وأن هذه ( الراحة النفسية ) حاولتنى على أن ألم شئت أفكارى ... وعلى أن أجمع أشلاء نفسى ... وعلى أن أبدأ مراجعة ماضى " كله ... وبكل ما حل من أخطاء ... مراجعة أمينة وجريئة ... رجاء أن أرى إن كان قد تبقى لنا غد ... غدٌ لى يمشق أن أحرض عليه ... أو أن كل شىء تبدد .

نحن هنا ... فى الطابق الرابع من السبر الأول فى « ليمان طره » ... وبجلايس السجن ... ولنا ( نمره ) .

ليس فى الإمكان ... أسوأ مما هو كائن .

وعندما يتهى الإنسان ... إلى المترك الأسفل من الجحيم ... يشعر أن أى حركة جديدة ... تمنى الصمود إلى فوق ... أو تمنى التضام ...

وهذا الشعور في ذاته خير ... محرك ... رجاء ... نور على الطريق ...

وبدأت أفكر ..

وبداية التفكير .. أختم الرحلة الثانية عشرة في موقف من « الرجل الذي تأمرت عليه » .



## الفصل الثالث عشر

دفائر قديمة .. وجديدة ؟!

أحب أن أستهل هذا الفصل بحقيقة .. أحش إذا أنا « حبيبتنا » صك .. أن يزيدى هذا « الحبيب » إلى « سوء فهم » .

أحب أن أعلن أن للسمن سخن .. وأن أحاديثي عن « الماملة الكريمة » التي هزلنا بها .. لا تسمى أبداً أما كنا نتجاذب من اللوائح وأحكامها .. أو أننا لم نصادف « بعض المقامب » و « بعض الصابيات » من جناب « بعض الأطباء » أو « بعض الصباط » أو « بعض التصرفات » أو « بعض العلم » .. ولا تسمى « الماملة الكريمة » سبياً أما كنا نعيش في « أمن » كما نعيش أنت « داخل بيتك » أو كنا نتصرف أحراراً داخل محضنا الصغير كما نتصرف حراً داخل المجتمع الكبير .

أبدأ .. أبدأ .. ما قصدت إلى شيء من هذا مطلقاً .

كنا نعيش بالتلقن القدي يعيش بمثل كل سجين .

وكنا ننام بأصاف البيوت .. التي ينلم بها كل المسجونين .

بل لعل رعماء القنطرة من صعيد مصر ورضيا .. أرسى قلوبنا وأرسخ أقدامنا .. لأن لهم أنبأنا بحسب السمن لم حساباً .. بل لعل « المحرمين » من القصوص والشالين أشد استهتاراً باللوائح والظم .. لأنهم أقل حرماً على ما سمي « كرامة » .. بل إن من يسهم من يفتأ بيديه .. إحدى يمينه .. ليتهم ضابطاً يكون قد أنزل به عقوبة .. أو سبباً ما يكون قد ضبطه مطلقاً بقنطرة أنبوس .

أما نحن فأكثر تشكيراً كان مستغداً في المحافظة على ذلك القسط من الكرامة التي وفروها لنا .. أو ذلك اللون من الملمة التي حصونا بها .

ويمكن أن تعرف أيضاً أن « الحرب » دائماً « سجال » بين « السجين » و « السجنان » بلبية الوضع الموروث في السجون .. وما يمثل هذه « الحرب » مشبوبة على القوام .. ولا تخبر الا لتضد .. أن « المحظورات » أو « المنوعات » في أنواع السجون لا حصر لها .. وحتى الرخص به منها .. أجازت هذه الأنواع للسجون في السجون أن يصادوه لأي سبب بين لم أن يتفرعوا به .. وحول هذه « المنوعات » أو « المحظورات » يدور القتال .

ولعل هذه « الحرب » المستمرة .. تحجب وراءها حكمة حمية .. فالذين مستهلك في هذه « الاشتباكات » .. اليوم .. والشهر .. والعام .. وفي ظل اشتغال السجين بالتصايل على الأوضاع والقوانين .. وبالتحضر المستمر لمواجهة ما يجتبه له « عده » .. كما تحلص محاماه به « يومه » .. يخف حل الستين عليهم وسجون .. وتسعون في المائة منهم محكوم عليهم بالأشغال الشاقة للزبدة .

ومداهمة « الغرف » بحملات تفشيشية بين الحين والحين .. بحثاً عن « المتوع » أمر متوقع في كل حين .. ولكم عانيتنا من المروجة وعان الصباط نسب هذه الحملات .. لأن المفروض أن يدهموا « غرفتنا » كما تدهم « غرف الآخرين » .. ومن غير المقبول أن نخلو من « ممنوعات » كالبن أو الشاي .. أو « الزابور » أو « السخان » فكان علينا تلافياً للمروجة أن ندارى هذه « المنوعات » .. وكان على الضباط أن يدهموا غرفتنا .. وأن يخرجوا منها .. ليقولوا للطلين عليهم من الغرفات الأخرى .. أنهم بسورون في الساطة بين الجميع .

كنا إذن نحسب ألف حساب لهذه المناجات .

وكنا نبش في « الفلق » الذي يبش فيه كل سجين .

والسجون لم تستطع حتى الآن أن تتخل من الكثير من « السفانات » التي ورتها عن الماضي المنعم .. ورجلها - في حماية هذه « السفانات » - يحرصون على السلطات التي توهمها لم .. سنة لله في الفلق وفي فرأر السيطرة والاحتلاء والتسلط ومع أن عبد الحكم عامر استطاع بقرار يوم كانت السجون تاهية له أن يرد إلى

السجين المصري «كرامة» ظلت القرون مهددة يوم النوى (الأعلال) التي كان السجين يرسف فيها ويبيت بها طوال مدة ضربه - أي عشرين عاماً أو تزيد - حتى لقد سمى بالسجناء : «معلم اللاسل» .. واستطاع بقرار نين أن يبرمه «الحرب الموان» بين «السجين والسجان» من أبشع أدوات لها أو تقوم لتأرها .. عندما رخص للسجين بالتدخين .. وكاموا قميلاً يشون رائحة فة - إذا لم يضغطوه مثلثاً بلقافة - وكاموا يمددون للرائحة حدداً من الجلطات .. ولقافة حدداً أكبر .. وكان «عبدالمجيد عبدالحق» هو الوزير الأحدث الذي استطاع يوم كان وزيراً للشئون - وعبر اليهود للاضية كلها - أن يصدر قراراً جريئاً بجرم «ليس انطيش» ولم يستطع تحت وطأة الروح الرجسى القمعة كان يحكم .. أن يقدم على ما أقدم عليه عبد الحكم ..

أقول : مع أن عبد الحكم علم حده بقراريه .. سياسة الثوار لزاء السجون .. فإن عقليته «السمعان» بكل ما حملت من صور الرصية لا تزال نسوس السجون سياسة تثير الشيطان .. ويحبها السؤلون في السجون عن الميون يضع حلالات بقميسنها كل عام .. نحية لبعد الثورة .. أو احتضالا ببيد الأم .. إلى آخر أوزان النفاق التي يفتش بها كل وجسى نصرافاً ..

وقد حدث مرة في عهد سيد والى - مدير المبان - أن ضطت مطواة عدد سجين .. وأراد الأمر أن (يسلم) 4 (محصرأ) ليجده .. خاز للدبر وقال لزميله للأمر «تعايقه على اللطواة اراى .. وأت مصرح 4 بشرء البطيخ وعلب الخنصار المحفوظ من السكاتين .. يفتح اللب يايه ويشق البطيخ يايه ؟» ولكن للدبر الذي جاء بيد سيد والى - وهو في اللش - كان من محلفات الإنجليز .. فخرم بيع (السكر) في السكاتين حتى لا يقال إنه يملون للسجين على عمل الشاى ..

وأعجب من هذا الصنف في التفكير أن يؤخذ أربعة آلاف سجين محطية سجين واحد .. وأن يجرموا - وحرمانهم طبيأ - ثلاثة شهور من (نمة السكاتين) لأن (حشيشاً) أو (أفيونا) ضبط في غرفة تضم عشرين مسجوناً ولم يعرف صاحب الأميون فوجب أن يؤخذ المبان كله - ويسون هذا المقلب (نسكديراً) في مختلف



(المنابر) — بحريرة مذنب واحد .. في طابق واحد .. في غرفة سنيها من غير بيته .  
وتنشط ( السوق السوداء ) ... ويزداد ( الوارد ) من خلع الليان ... وترتفع الأسعار  
ويجد ضماق النفوس من ( السجابين ) و ( اللوثيين ) و ( أسطوات الورش )  
و ( المدرسين في مدرسة الليان ) فرصة لا تموض لجلب ( المنوعات ) معهم من خارج  
الليان إلى داخله .. ويتبادل كل سجين : « فم كانت الثورة إذن ... وفيم كان تحرير  
السيد .. وفيم أنتب عبد الحكيم عمر نفسه فوضع الأعدال عنهم ... ليتلقاها مدير  
أو مأمور ويمبدها إلى عنق السجين ... بمختلف الحيل » ؟

ولينهم عاقبوا أو ( كدروا ) المشيرين المقيمين في العرة التي ضبط فيها الأفيون  
وإنما عاقبوا أربعة آلاف برى .

## لماذا .. ؟

وقد تسألني الآن :

— لكن ... لماذا كل هذا الاضطراب وأنت تصع كتاباً عن كفرتك بناصر وإيمانك  
به ... ولا تصع كتاباً عن الحياة في السجن وما يجري فيها .

وجوابي :

— إنما أعرض هذه النماذج ولا أتصد إلى وصف السجن والحياة فيه ... لأن  
( الحياة في السجن ) تموزها محوث ... وددت لو هي الورير الاجتماعي حسين الشامي  
أو الورير المثاق ثبوت عكاشة بدعوة فريق من المتضمين الذين قدر عليهم أن يسجنوا  
لتهبوس بهذا السبه الكبير ... وإنما أعرض هذه النماذج لصلتها بأهداف كتابي ...  
أعرضها لأنها دارت برأسي — قبل أن أكتبها — فأطلت على من خلال هذا الرأس  
صورة قديعة كان خصوم الناصرية قد اختصوا في التفاضلها من ( الد واوين ) والشركات  
والمصامح . تدليلاً على أن ما يقال في خطب الرئيس عن العدالة ... لم يكن إلا كلاماً  
تمر عليه يد الحفائقي فإذا هو زاهق ... وأن الرجسية التي كانت تسيطر على مرافق البلد  
وكننا نجد متنفساً لها وعراء ... عند ما سرزوها للاحتلال وأعوانه ... قد اردادت اليوم

في إدارة هذه المرافق ضرورية ... مستقرة خلف شعارات الثورة ... وحفلات أعيادها ...  
واللافتات تملق على القراءات .

أعرض هذه النماذج الآن لأذكر الأثر الذي خلفته في شمس على مطالع سبغى  
وأنا أحمل على كاهل النفس عبوة السمن السوداء ... وعلى كاهل المسد كسوة  
السجن الزرقاء ...

وأعرض هذه النماذج لأمر أهم وأخطر - بالنسبة لهذا الفصل من فصول - وأنا  
أواجه مرحلة جديدة من مراحل .. وأريد أن أقول لك - بمناسبة (المنوعات) -  
أن الصحف كانت قبل وصولنا إلى اليابان - ولفترة طالت حتى رحص بها - تدخل  
ضمن هذه (المنوعات) ... وكان التصرف عجيباً ... إزاء جيل من المسجونين ...  
يجب أن يهصر بالثورة ويأهدها للثورة .

### خطب الرئيس .. مجموعات

وأريد أن أسطو في قصة الصحف المطبوعة على السجن خطوة أخرى ... هي  
أكثر وضوحاً أو أشد التصانقاً بأهداف كتابي .

كنت قد حملت معي من محلمات (هدايا القهي) في (سجن الاستئناف) بعض  
ما تبقى من الصحف التي كنا نقرأها ... وكان من بينها (نسخة) نشرت فيها (الخطاب)  
الذي ألقاه الرئيس في الصباح (مجلس الأمة) يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٧ أي يوم قلنا  
إليه من السجن الحربي .. ونسخة من (الأهرام) نشرت فيها حديث الرئيس مع رئيس  
تحريرها في ٨ سبتمبر ... وبعث نسخ نشرت فيها أحاديث الرئيس أيضاً مع مراسل  
الإذاعة الأمريكية في الشرق الأوسط قبل صدور الحكم عليها بأبام .

ولم أكن قد قرأت من هذا كله شيئاً ... فقد كنا في شغل عنه بانتظار الحكم  
علينا فلما قلنا إلى (اليابان) ... وعرفنا أن (إحراز) الصحف جرمية يؤخذ عليها ...  
انحذت من الصحف (مفارش) للحجياتي ... حتى إذا جاء الليل ... استنقتها

— إن صح التعبير — لأستوعب ما فيها... وكان الضباط يرونها خلال النهار «مفروشة» ويسأبون عنها... في الوقت الذي كان مذياع السجن يذيع على السجاء فيه كل خطاب الرئيس التي تصبح من (المنوعات) إنفا شرت في (الصحف).

### بداية التفكير

وقضت هذه (النسخ) على.. لا أنساه.. باعتباره بداية لمرحلة جديدة.

كان باب (الزنازة) يفتق في الخامسة أو السادسة من المساء — حسب مواعيد إفتتاح السجن — وكنت أتناول عشاءً وأؤدى فريضتي المغرب والعشاء... وأعد القهوة أو الشاي.. وأستل هذه الذخيرة من أعداد تلك الصحف... وأعكف على قراءة ما بها من أحداث وتصريحات وخطب.. ومنها — وبسببها — بدأت عملية التفكير — في الرأس — تدور.

\*\*\*

وكان في (القبائل) جوارح: حورى الليل.. وجوارح النهار.

جو النهار التي فيه (المساجين) .. أساير هذا .. وأستمع إلى ذلك.. وأرد على ثالث يسأل.. وأضحك لزاح (بتكت) .. وجل (المساجين) حاقنون .. وألوان الحقد لا حصر لها.. ولكل سجين ظروفه.. وعلى ليلاه — طبعاً — يسنى.

وفي النهار أيضاً أجتبع زملائى في (الهننة) — أو في (القضية) — وكنت أترقب في (الورد الحليم) إلى (صلاح) .. وأترقب في (التفكير للشأنم) إلى عبد الفتاح .. ولم أكن أضيع بمرح (السقا) وأشباهه القريبة ينقلها عن مصادر محبولة ويؤكد أنها «علية» وكثيراً ماشرت مصادره قرب الإفراج عنها ولم تشأ الأقدار أن تحقق هذه البشائر لصاحب المصادر، كما لم أكن أضيع (بالشاب) للروف لك. إننا هو خرج من غرفته — التي كان يعيش فيها معزولاً — ليزورنى في غرفتى .. وليشكولى جفوة عبد الفتاح في معامته .. أو حشونة (السقا) في مهاجته .. أو خور (صلاح) في بشانته .. وكنت

أشعر أحياناً بالمطف على (الثاب) بزغم كل ما سببه لنا من آلام وكل ما جره علينا  
من متاعب .. وكان (صلاح) يشاطروني بمص هذا (الشعور) في بعض الأحيان على  
تفيمس (عبد المتاح) الذي كان يتأذى من مجرد وقوع عينه على (الثاب) المروول .  
ولم يكن جو النهار الملى بالصعب . صالحاً للتفكير

\*\*\*

أما حوى في الليل .. فالأمر فيه كان على التفيمس .

كان كل شيء هادئاً . وكأنت القهوة والشاي والسجائر — وهي كل (مكعباتى)  
في الحياة المادية موقوفة . وكأنت نجمات (حراس الليل) تلقى علينا بين الحين والحين  
ومن خلال قضبان (الشراعت) كريمة ورقيقة — وكان اللب الكبير السنه كاه منلقاً ..  
ولم يكن يسمح — عادة — بإدارة المتاح فيه إلا استجابة لاستماتة .. وإذا دار  
للمتاح في أى ليلة .. أحدث صلصة .. وأفظ كل نام .. فإذا استتبنا مثل هذه الحلات ..  
فالسكون شامل لا يتركه في بعض الليال إلا ضحكات بمص (أصحاب المراج) من  
(الساحين) — وفي جو الليل بدأت أقرأ . هذه الصحف .. وبدأت أفكر في كل  
ما جاء فيها .

### والعميل الأهرىكى ؟

ولست أدرى لماذا لم يقع اختيارى — من كل هذه البيانات والمطب التي أتقاه  
الرئيس — إلا على ما يتصل بالانهام « التقديم » الذي أحسن المحسوم عول خيوطه  
حول ناصر من ستين . حتى ردى عن الناصرة أكثر من مرة بيد أن دنوت منها  
أكثر من مرة .. وأعنى به قولم : إنه (عميل أمريكى) .

وقرأت ردود (ناصر) ... وملاً (الزراعة) نور ...

قرأت الردود .. وطويت الصحيفة .. ورفضت عيني إلى السماء . أستوحيا وجه  
الحق في هذا الانهام .

« جويل أمريكي » ؟ نقلت بالكلمتين قبا يشبه العسمة أو المس .. وقت

لنفسى :

— حسناً .. لتعرض الواقع من جديد .. ولتعاول مرة أخرى أن تتحد من  
المصومة . هسى أن ترى وجه الحقيقة .. والجوسا كن ؟ ! اتهموه هذه « العالة » ..  
بدءاً من ( كافر ) يوم التمس الترخيص لتاروق بمبادرة الاسكلتورية سلبا مضاف إلى  
روما . وبأبهة الملك .. ومع صدايقته العالية . وانتهاء إلى العرض الأمريكي بشمول  
السد العالي .. ولم يشأ المصوم أن يبرنوا ( القائد الشاب ) من هذه ( العالة ) يوم تسببت  
أمريكا من التبول كاقفا في فصول سابقة . وقالوا - وصدقنا قولم - إنها إنما تسببت  
لتنميمها أنعمترا .. لينضب « جمال » .. ليؤزم القنال .. لتقاتله أنعمترا ورونا .. لتنفذه  
أمريكا . لتتقاضى الثمن .. لتحل بنفوذها محل النفوذين البريطانى والفرنسى في مصر  
وقنالها في الشرق الأوسط ..

وهأندا أنرا ( حديث ناصر ) مع محرر ( الأهرام ) بعد العدوان بعام . وقد طرد  
الإنجليز من مصر إلى غير رحمة .. وأست القنال ملكا لنا . وبدأ المال يتدفق منها  
على حزينتنا .. فهل ارتفع العلم الأمريكي ( المصديق ) على سارية القنال ؟

كانت أمريكا قد زحفت ضللا إلى الطابفة بالثمن . ولكنها أدركت - كما لم تدرك  
من قبل - أن ( ناصر ) يعرف لها يدها . ولكنه لم يطرد الإنجليز ليأتي بنفسه  
في أحصائها .. ولم يحارب المستمرين ليضون قرارات بانديج من أجلها ..

وبدأت أمريكا تمارس أشد أنواع الضغط على مصر حتى تقبل مشروع أيزنهاور  
— وكانوا قد جندوا للدعاية له . كل أجهزة الإعلام الأمريكي وكل مساهمى الدبلوماسية  
الأمريكية — ولكن جمال لم يكف رفضه .. وإنما جند لمقاومته كل أجهزة الإعلام  
المصرى وكل مساهمى الدبلوماسية المصرية حتى أجهز عليه ، وتيدى أمام المالمين في صورة  
حلف ببداد .

ولاحظت السياسة الأمريكية أن ضرب (ناصر) في (مصر) ظلت أوانه .. وأن ضربه في (سوريا) جاء أوانه .. سوريا كانت قد حدثت حثو مصر وانحمت إلى روسيا تطلب أسلحة تدافع بها عن نفسها ضد أن ضرب العرب حصاراً عليها وحشد الجيوش التركية على حدودها، وتحركت جيوش موري السعيد من ناحية أخرى ، ومصر كانت قد تحالفت مع سوريا رد أي عدوان عنها ، تحت قيادة موحدة معقودة اللواء للشير عامر ..

وفشلت السياسة الأمريكية ، أو هكذا لاح للناس جميعاً .

وفي هذا الحو تحدث (ناصر) إلى رئيس تحرير (الأهرام) وكان طيبياً أن يكون أول سؤال يتقدم به المهرر هو عن ذلك القتل الذي أصاب سياسة أمريكا .

ودعشت وأنا أرى عبد الناصر ينسئ شدة فشل السياسة الأمريكية ويحذر المهرر من مثل هذا الاعتقاد ، ويؤكد أن خير ما يتسناه واصحو هذه السياسة أن يتفقد الناس هنا في شرقنا الأوسط أن هذه السياسة فشلت .

● واستبان لي من (حديث ناصر) ، ما لو استبان (للعصوم) من البداية ، لترددوا كثيراً قبل أن يقولوا له : إنه (عميل أمريكي) .

● استبان لي من (حديث ناصر) أنه كان يعرف خطأ السياسة الأمريكية ومراميتها ويتنبأ عنها لحكمة عنده وهدأ من سنة ١٩٥٦ يوم عرضت على الدول الغربية للمشروع الأمريكي للدفاع عن الشرق الأوسط ورفضت هذه الدول وانتهت إلى ما بعد العدوان يوم حاولت الدول الغربية إلى مناطق خوذها .

● واستبان لي من حديث (ناصر) أنه خاض ضد أمريكا حرباً خفية ومربمة عبر سنوات خمس غيرت أمريكا خلالها كل أساليبها ولم تكن تلبس أيداً ، وتولست بحلف بغداد فازلتها مصر بشن الحرب على الأحلاف فجذب الحلف ، وتولست أمريكا

باحتكار السلاح فسكر بمر الاحكار وتسلحت مصر ، وتولت بتمويل البد  
ثم عادت فتسحبت منه فأمم القتال لبني البد ، وغيرت الأسلوب فدعت المحلثرا وقرسا  
إلى البدوان ووقت أمريكا في وسه فتكرنا لها موقفها ورفضنا الانحياز إليها لأننا  
لا نتحار أبداً . . . فرضت هي أن تعطينا قعاً لتسوع وركع ، فقصنا الجوع على  
الركوع ، حتى حصلنا على القمع من غيرها ، ونحدث الأمريكان عن « الفراغ » القى  
أحدثه انسحاب بريطانيا من القتال . فأبينا عليها أن تسدهي « الفراغ » . . . وأعلن  
الأمريكان في ٥ يناير سنة ١٩٥٧ مشروع أيزنهاور ليزودنا باللساعات الاقتصادية  
والمسكينة مقابل ارتباطنا بالسياسة الأمريكية فرضنا التسوع ، وبدأت الصحف  
الأمريكية تعاتب علماً بمرل مصر عن العالم العربي ، وقالتا بصراحة : « إن الخطر الدام  
ليس الشهوعية الدولية ولسكه القومية العربية التي تمتد من المحيط الأطلسي إلى الخليج  
الفاوسي » .

● واستبان لي من (حديث ناصر) أن هذا كله لا يمس فشل السياسة الأمريكية ،  
لأن المشروع الأمريكي نجح فعلا في خلق أخطار وهمية من مصر العرب على البعض  
الأخر ، وفي تخويف الملوك والرؤساء العرب بأن الخطر الشيوعي القى بدأ ينقص على  
سوريا يوشك أن ينقص عليهم ، وصرفت أخطارهم هذا التخويف عن اسرائيل وبدأت  
الطائرات الأمريكية تحمل إليهم بعض الأسلحة فأطلت عليهم الخدعة — وما تزال  
السياسة الأمريكية تحرب .

قرأت هذا كله ، ودرحت أسأل نفسي وأنا داخل الزنزانة .

— أهذا هو (السيبل الأمريكي) .. القى تأمرت عليه ؟

وهزئت رأسي ولم أجب .

\*\*\*

في هذا الجو القى جرى فيه هذا الحديث كانت أمريكا تهم سوريا رسمياً وعلناً

بأنها اقتت بنفسها في أحضان الشيوعية الأمر الذي يهدد السلام بالخطر !! ويات العالم كله يتوقع عدواناً من أمريكا القوية على سوريا حليلة مصر؟ طابتهز حرر (الأهرام) الفرصة وسأل (ناصر) عن موقفه إزاء التهديد الأمر بيكي للسلح لسوريا الصغيرة؟ وكان المنتوق أن يروغ (ناصر) من الإحامة بسوض دبلوماسى يوماًم حلورة الموقف .

ولكن ناصر، لم ينسض ولم يرغ ، وإعاطال ، وقالمافى إسرار لليبب :

« ومع أن موقف مصر واضح لا يحتاج إلى تحديد حديد ، إلا أنه أعود فأؤكد : أن مصر ستقف بحاسب سوريا إلى غير حد وشدون قيد أو شرط ، ومهما تكن تطورات المصط على سوريا فإن شيئاً واحداً لا يجب أن يبيب عن الأذهان ، ذلك أن جميع إنكابات مصر السياسية والاقتصادية و المسكريفه كلها نسد سوريا في مركتها بل في مركتنا نحن ، معركة القومية العربية كلها » .

\*\*\*

« ويقولون : عمل امريكي » وكررت العبارة ، وحدقت في نجوم السماء — من حلال (الشراعة) — أستوحبها بعض نورها .

وطويت الصحف ، تم عدتُ عشرينها من جديد .

وفرشتها كما كانت ، تحت ساحياتي ..

وكان القمر قد بدأ يرسل خبوطه عبر القنصان ، ولم أكن أسمع غير وقع أقدام السبجان وهو يروح ويحيى أمام (البارين) ، وغير أنفاس السائعين من المدهولين خلف أبرواها .

وتوضأت ، وعليت ، ودعوت الله أن يلهي الرشاد في الحكم على القائد الشاب .

.. ونمت .

\*\*\*

وأرجو أن أكون قد رسمت بهذه الجلوة الأولى في زوايق الحلقة الثالثة عشرة في موقفي من « الرجل الذي تأمرت عليه » .



## الفصل الرابع عشر

### وحدة .. وخطبة .. ونقاش

لقد خرجت - ممي - من الفصل السابق بأن الاتهام الذي طُلَّ مطلقاً بيد المتصوم . وفي لائحة من تاريخ .. وفوق رأس ناصر .. ومن بداية الثورة إلى ما بعد الطوان سام .. تحد أشهر بالنسبة إلى .. ويد أن راجحت تصريحات الرسل .. وربطت بينها وبين الأحداث ، وأما رايض فوق « مرتضى » داخل الزنانة ، ولم يعد ناصر « عملاً أمريكياً » كما قالوا .. بل عاد ( خصمياً لأمرئيكاً ) - كما كان دائماً - وكما تقول الوثائق .



وأحب أن أضيف إلى هذه الحقيقة في مطلع هذا الفصل الجديد . أن انبهار ذلك الاتهام كان المسلم الثاني عن طريق تحول إلى الناصرية بعد تأميم القتال . وبدأت أصحح « كل عيني » على الحقائق .. وإن كان قد تمذر على .. أن أصحح « كل قلبي » لأبي ( سجنه ) ولا أقول : لأنه ( سجناني ) .



وأنا الآن على مشارف العام الجديد - ١٩٥٨ - أرى جيداً وبكل عيني ، أن عهد الناصر خصم لأمرئيكاً التي أبدته في مقاومة الطوان ، كما أنه خصم لاحتلالها وفرنسا صاحبة الطوان ، وسوريا هي الآن الميدان اللبأ للعدام .. وهذا الميدان لم يت مكشوقاً سد الباب الرسمي الذي نشرته الحكومة الأمريكية في اضمال وخصمية من شيوعية حكومة سوريا ، وناصر حليف لسوريا ، وقد أصدر تعليماته إلى (الشير) أن يرد عنها أي عدوان .

وإذن فلندع تلك « النسخ » التدبيرة للفروشة تحت حاجياتي في « الزنانة » ولتتابع

الأحداث عن طريق الصحف الجديدة التي قرأها في «مكاتب الأطباء» أو «بناها» عندنا «بعض الضباط» ، وكل هذه (للناطقة) كانت تتم في أثناء النهار ، فإذا جن الليل رحت أراسج حياة الرجل ، على قدر جهدي ، ولا أقول بتصكير تجریدی ، لأن العسفة التجريدية لانطرق باب السجين السياسي إلا إن كان نبياً ، والسجن لم يشرفه غير التاريخ للتخصص ، إلا يوسف الصديق .

\*\*\*

وخاصة قبل إن مصر وسوريا تبحثان في إعلان الاتحاد بينهما ، وكانت المحسومة بين أمريكا وسوريا قد جرت على كل لسان وفي كل مكان . وأستحدثنا دولياً بنهر القلق حتى على الصعيد الهولي ، فإذا تحقق هذا ، كتحد لأمریکا ، فإن معناه أن عبد الحكيم عامر سيكون مستعداً لإعفاء أسر هندي في مصر ، دفعاً عن أصغر مواطن في سوريا ، وأنى وحده يعلم ، على أي أرض نهالز ، أو بأي أرض نموت .

وتحقق الاتحاد ..

ولم يتحقق (فيدالياً) كما كنا نتوقع ، وإنما تحقق (وحدة) تذيب كل إقليم في الآخر ، والهيبة - كما ترى - أقرب ما تكون إلى الملمرة ، مهية تنويب (المصري) في (الشام) ، من قبل أن تنوب (المصري و المصري) و (الشام في الشام) .

\*\*\*

وأعلنت الوحدة على مراحل ، لا أنكر أمداً رغم نهبي لها أنها بهرتي .

أعلنت على مراحل نبشت لي رائحة ومرسومة ، وكأنها انطلت المنعومة فوق سلم موسيقى مرتب .. يحطوها فنائن على مغرب .

أعلنوا الوحدة (رسمياً) في يوم السبت أول فبراير ١٩٥٨ - هكذا قرأنا

وأنتي عبد الناصر في مجلس الأمة المصري أول خطاب له عن هذه الوحدة في اليوم الخامس من فبراير .

وق خاتمة ذلك الخطاب التاريخي الذي أذيع علينا . أصنعت إليه وهو في رفرق  
الخطاب يقول كأنه يرفق أو يرفق ، ويقول كلاماً أعذب من الشعر ولم يكن شعراً ،  
وإنما كان حقائق ، يقول بالحرف الواحد :

« لقد بزغ أمل جديد على أفق هذا الشرق »

« إن دولة جديدة نبتت في قلبه »

« لقد قامت دولة كبرى في هذا الشرق » ليست دمية فيه ولا عاصبة ، ليست  
عادية عليه ولا مستدبة ، دولة تحمي ولا تهدد ، تصون ولا تهدد ، تقوى ولا تضيء ،  
توحد ولا تفرق ، تسالم ولا تفرط ، تشد أزر الصديق ، ترد كيد العدو ، لا تتحزب  
ولا تتصعب ، ولا تتحرف ولا تنحاز ، تؤكد العدل ، تدعم السلام ، توفر الرساء لها ،  
ولن حولها ، والمشرق جميعاً بقدر ما تتحمل وتطبق . »

\*\*\*

استمعت إلى هذا الخطاب ، ومجيت .

لم أجد لوعة البيان فيه فقط ، وإنما مجيت لمعانيه ، ومجيت لمعانيه ، ومجيت  
للصورة فيه ، ومجيت لتفصيل كل عبارة على قدر المعنى بها ، ومجيت لروح التحدي ،  
وروح الفروسية ، وروح الإصافية ، موزعة بإسكاف وحزم وعدل .

وكانت هذه هي أول مرة ، في حياتي ، أنذوق فيها ( حلاوة ) خطبة لعبد الناصر ،  
ولا تذكرني بالخطاب الذي أم فيه القتال ، فشقان بين مداني ومذاني ، ذلك خطاب  
ملائى زهواً بانتراف حتى كان منتصباً ، وهذا خطاب ملائى فرحاً ، لا بقاء شقيق كان  
منقرباً — فقط — بل بـ ( عودة الروح ) إلى عرى من المشرق ، يعل على العالم دستوراً  
أرساء باسم العروبة ، ولا يشمل إلا بمقتضاه مع من يريد التماثل ، دستوراً خطيراً على  
الصعيد العربي ، ودستوراً رهيماً على الصعيد العربي ، ودستوراً رقيقاً على الصعيد  
الإنساني ، وله ضالية ، وفيه إيجابية ، فيه الأزر الذي يشد ، وفيه الكيد الذي يرد ،  
وفي الحديث عن التصعب والتحزب ، وعن الانحراف والانعياز ، وعن العدل والسلام ،

وعن العداة والاحتذاء ، وعن التهديد والتبديد ، وترك لك وضع النقط فوق الحروف .  
والمسألة — إذن — ليست وحيدة بين مصر وسوريا فقط .

إنما هي أمل جديد على أفق هذا الشرق ، يروى إلى بعيد ، من قريب ، وبين النوبة  
التي ابشت في قلبه ، ( دولة كبرى ) من يوم مولدها ، تستد جلالها من مقومات  
الحضارة التي طلت القرون تستضي في حنايا تاريخها .

وقلت لنفسى أسألها على طريقتي :

— ماذا يريد هذا الشاب أن يعمل ؟ وإلى أين يريد أن يذهب أو هل هي فرحة  
الساعة استفرقتني انفعالا ولا تلت أن تنجاب عني وتحمدي ، كما حدث لي يوم قفنا  
وكدنت يومها من الزهر أرتد طعلا .

وعدت لنفسى أتولى " الإجابة عنها :

— الأمر لا يبدو سهلا ، والجواب يستحق أن يمدد هذه المرة موقف ، أو قلا نفس  
بدي من بحث لست مؤهلا له ، وأنا كالبقة متعب ، وغفأ سأنتقي بإخواني في المهنة  
وزملائي في السجن ، وستدور كل أحداثهم حول الوحدة وخطاب ناصر ، وانظير أن  
أرم أن كنت نائما لم أسمع شيئا ، وأن أسمع إليهم ولا أبدي رأيا .

\*\*\*

وصبح ما توقعته .

وما كاد الباب ينتح ، حتى انقلت منه صحابيا القضايا التي يرهمون أنها سياسية ،  
بما فيها قصة الميبرونية وقصة الجاسوسية ، وأقبلوا علينا وفي كل فم (قصة) أو (نكتة) .

وبحثت شطقي وتلاقيت المروجة ، وأعدت نفسي ، لـلـعلـل .

\*\*\*

وجاء الليل ..

ورأيت أن أعود من جديد إلى النسخ التقليدية للفروشة تحت حاجباتي .

وذكرت أن إحداها تحمل - كما أشرت قبلا - نص الخطاب الذي كان قد ألقاه على النواب في افتتاح مجلس الأمة قبل الوحدة بنصف عام ، وقلت لنفسى : لعل في هذا الخطاب أضواء أقيها على طريق الامة وأنا أحاول أن أهمم الموقف الجديد لأخذ مكانى .

ولم أكن قد قرأت هذا الخطاب قراءة واعية .

كنت قد مررت به كرميا ولم أنلث عنه .

وكنت أعتقد أن كل خطبة ألقاها أو يلقيها إنما هي حرمة من الأباطيل ، يصل بها الجماهير ، على نحو ما يفعل جهازه المحيب الذي أهداه للإعلام وعده إلى شيطان رجيم اسمه حاتم ، وأجج ما روع فيه أن يشرل في نضاعة اليانض وهو يصف لنا طلمة الخليل ، ويتصلى بهذا التصليل حدودنا إلى مختلف الشعوب فتهدى إليه أفئدة عاطشة إلى الأحلام ، وأعصاب مشوقة للتخدير ، وكنت أصدق النصوص وم يقولون إن أمرين لا ثالث لهما هما اللذان نجح بهما ناصر ، ولولا براعته في إعدادها لما ظلمت له قائمة : جهاز الإعلام يفتش النصوص وينشر الأكاذيب ، وجهاز المخابرات يكشف التزويرات ، ويجسد صف كل شعب ليكونوا عيوننا على نصفه الآخر .

هذه هي الصورة المرجية التي كانت ريشة النصوص قد رسمتها لثورة وصاحبها عبر سنوات خمس قصبتها عليهم .



والآن .. ؟

الآن .. وقد بدأت بعض الحقائق تبين .. ؟

الآن .. وقد اسهار اسم اتهام عن اسمه (المسلل الأمريكي) .. ولامت الأفاضل - على اقتراء النصوص - شاهداً لا يمين .. ؟

الآن .. أليس من واجبى نحو نفسى - ومن طلب الاحترام للتكبرى - أن أراجع الحساب كلها وجدت للراجحة سيلا ؟

وقلت : ( نم ) وتناولت خطاب ( ناصر ) في انطلق مجلس الأمة .

\*\*\*

وقرأت : « . . يقول لم . . . بعد أن حياهم :

« لقد كان موعدنا معكم منذ خمس سنوات - أي في بداية الثورة - فقد كنا نتصور ونعتقد أنه في استطاعتنا أن نشق بالمثاليين الحقيقيين للشعب » ، ولكن التجربة ما لبثت « أن أوضحت لنا أن الأمر لم يكن بالنسالة التي كنا نتصورها » .

و « ناصر » إذن يقول للوهاب أن الطليعة الثائرة التي اتجمعت الأبواب عنوة لفتحتها . . . انتظرت « الرحمة للقدس قادمًا إثر خطاها شعبًا يتلقى مسئولياته وينهض بها » فلم يظهر الزحف الشمسي ولم تحقق أسلام التوار ؟

ولكن لماذا ؟

أجاب ( ناصر ) أن الذي حال بينه وبينهم . . . وجود ملك كان لا بد أن يذهب . . . ووجود استثمار كان لا بد أن يرحل . ووجود أحراب كان لا بد أن تحمل . . . ووجود إقطاع كان لا بد أن يُلغى أخاه . . . وحال بينه وبينهم قبل هذا كله وبعده هذا كله ( بأس محيف سيطر على القلوب والمقول ) بسبب تلك العقبات « فإذا الأحداث تدرى على هذا البلد والسالية من شمه نكتي بموقف للصرح ) و « في هذا الطرف . . . صاعت الثقة فلم يد كل فرد فينا يؤمن أو يتق بزعمائه . . . أو يؤمن أو يتق بنبره من للوطنين . . . أو يؤمن أو يتق حتى بنفسه . . . وكان ينبغي للإيمان والثقة أن يهودا إلينا كشم وكأفراد . . . حتى نستطيع أن نشق معكم . وهكذا في الوقت الذي اتصحت فيه معالم طريقنا إليكم وطريقكم إلينا . . . اتصحت في الوقت ذاته حدود المارك التي كان يتعين علينا أن نخلصها لكم . . . ليتم اتحاد شمتنا . . . ويصبح حراً طليقاً . . . ينتفض يده . . . آفاق غده » .

\*\*\*

قرأت هذه السطور وورحت أسأل نفسي :

— أكان حقاً ما قاله أم لم يكن حقاً ؟

وأجبت عن نفسي :

— كان كله حقاً .. وأنت تعلم .

— نعم أنا أعلم .. لأنى (مخضرم) .. تم أنامن أهل الناس بأن كل ما قاله القائد الشاب .. عن الاحتلال والإقطاع .. وعن اللث والأحزاب صحيح .. وأكثر صحة منه ذلك الذى أسماه (الياس الخفيف) .. كان كل شيء ميثوساً منه فعلاً .. وكأنت جريدة (مصر الفتاة) أو (الحزب الاشتراكي) — لا أذكر — بتكسب على عرض صحتها : (ربايلك يا مولاي) وترسم صوراً من شب حطموه وما يزال يقاوم .. وكأنت طالبات (الدرسة السعيدة) يتظاهرن فى ميدان هابدين .. ويردد (الليدنان) أصداء حنّاف غير مسبوقة . ومن فتيات طاهرات عن (بيوت الطهارة) — يقصدن لللكة فريده الطريده — وعن (بيوت الدعارة) يقصدن بيته لللكى الكروم .. بيت مولانا (للث الصالح) .. وكان كل شيء يتروح . وكأنت أسماء (ناهد) و (شيرين) و (ساميه) و (نحية) و (ثابت) و (كحيل) تتردد على كل لسان .. وفى كل سطر .. وكانت أفاصيص كبرى والرشيرا . ومونت كارلو ، ورياض على ، صفحات (بيضاء) فى كتاب (للث السلم) يتصفحها الأجناب ، من ساسة وغير ساسة ، وكأنت أفاصيص السكاباريهات ، واتخاذ كلمة (المصرى) فيها اسماً مستشاراً لحاكم (مصر) فى لياليها الحمراء ، تخرى على كل لسان وفى كل سطر أيضاً ، فى القاهرة : (وفى الأقاليم) وسها جمع (مصطفى أمين) مادة كتابه الطريف عن (مولانا للعلم) بيد أن ذهب !

\*\*\*

وأرجو أن يكون مفهومًا أنى لا أستهدف بهذه المجموعة من المحبلات ، أن أحاطم فاروق ، فليس من أهداف كتابى أن أحاطم ملوكاً أو سوقة ، ولم يعد تاريخ فاروق فى

حاجة إلى اللزيد (من الصفحات السود) وإنما أردت أن أقول إن ما قاله (ناصر)  
عن (الياس الخفيف) كان صحيحاً .

\*\*\*

وكان علي (ناصر) - إذن - أن يرصع هذه الأقسام من الطريق التي تصد ،  
حتى يطبخن الشعب ويزحف .

وكان علي (ناصر) - إذن - أن يموض أكثر من مرة - وأن يحارب  
في أكثر من حصة ، ولو تردى في (القطا) الذي تردى فيه (حذر) ، ولو خالف  
- ناصر - عن أصول الفن السكري وهو الجبدي الذي عرفت فيه (التقريب) شعاعة  
لم ينكرها عليه خصوصاً .

وكان علي (ناصر) أن يحارب حرماً هدامة في البداية ، والأخاض من حلفه  
ترفع ، والبناء في مكانها يقوم ..

وكان عليه أحياناً أن يبعد النقة إلى الحيارى واليائسين .

فماذا فعل ناصر ؟

هل حقق الوعود التي ارتبط بها مع الجماهير ؟

وهل خاض - لم - هذه المارك وقاقل هو وأصحابه بسالة ومهارة وإيمان .  
أم أن كل ما كان يقوله - - إنما كانت دعماً لأجهزة الإعلام والدعاية .  
ولم يد التقادر حاتم في مجال النشر والفكر ولوجبه أياضه في مجال الفن (وقطار الضامين)  
(ومعونة الشتاء) .

تولى (ناصر) محطاه في مجلس الأمة الإجابة .

قال لهم ، إنه بر بما وعد ..

خلق الملك ، قضى على الملكية ، صادر أملاك الأسرة المالكة ، أعلن الجمهورية ،



حلّ الأحزاب ، وسلخ الجيش ، أم القتال ، هزم السفوان ، طرد الاحتلال ، بدأ التصنيع .

ولم يفته كلاماً ، وإنما فقه حقائق .

ولم ينس الحامة البشرية ، فبدأ يني « الإنسان » إلى جوار ( المصحح ) ، وضرب مثلا لكل ما صنع .

•••

وقد حرصت — وأنا اقرأ خطابه في مجلس الأمة — على أن أحتك ما لم أتجنبه من البيانات التي أدلى بها دعماً لما نهض به — وحسبي أن أذكر لك إني سألت غصي بعد أن طالمت هذه البيانات السؤال الصريح التالي :

— إذا كان هذا الرجل قد فعل هذا كله عبر سنواته الخس ، فما الذي حجب هذه الحقائق عني ؟ .. وكيف تراهي هذا المرم مقولاً أمام عيني ؟ .. وأي المرائاة أرتبته على هذا الوضع المتلوب ؟

— مرائاة المصوم من غير شك .

— هل نستطيع هذه المرائاة أن تربك الليل نهاراً والنهار ليلاً ؟

— نعم .. ويلاوها أن تكون قد أوذيت . فيتهم المصوم فرصة شعورك بهذا الأذى .. ليسجوا لك من هذا السمور غشاوة على عينيك ، هي مرآتك التي تربك كل شيء مقولاً .

— يبدو — إذن — أن لكل شيء في السياسة وجهين : وجه يراه الأعمى .. ووجه يراه المصوم ..

— سم .. والمحايلون هم وحدهم المقادرون على التفريق ، بين الصحيح والزائف ، أو بين الأصيل والمهجين ؟

•••

تم هذا «البروج» برأسى، وكانى شطرت نفسى بنفسى، فخرج منها شخصان  
بصاويران، وثلك طريقة من طرق التصكير صاحبتى طوال حياتى، واتسع لها المجال  
فى سجنى، محكم وصى وسيداً داخل عرفة مغلقة.

ومحيت الصحيفة جانياً وبدأت أمكر فى أن لكل شىء وجهين حقاً إذا ما وجد  
لهذا الشىء أضرار وخصوم.

ورأيتى أنشت بهذه (الفتنة) .. وأسر على اختبار مدى الصحة فيها باختيار  
بعض إصلاحات (ناصر) وتطبيقها عليها. والنظر إليها من وجهها وبدأت  
أقول لنفسى:

خذ (هبة) من كل إصلاح وانتظر.

١) خذ الحديد والصلب، مثلاً للصناعة.

٢) وخذ طريق الكورنيش، مثلاً لإعادة بناء العاصمة.

٣) وخذ الأرض التى ورمت على الفلاحين مثلاً لإعادة بناء المجتمع.

٤) وخذ إنشاء الرتب والألقاب، مثلاً لإعادة بناء الإنسان.

وكتبت هذه النقاط بقلى فوق طرف الصحيفة، واتكأت على الوسادة، وبدأت  
أحدث إلى الإنسان الآخر الذى تتاسع منى.

## الحديد والصلب؟

— نحن فى السجن بأسمى، وقد ترامت إلينا عبر التفضيل فرحة المحسوم وهم  
يتولون بإن مشروع الحديد والصلب فشل، وأن مرأى من القرنين امشرح وهو يجرى،  
وأن أموال المسلمين للمساكين ضاعت.

— ولقد رأيتنا بأعيننا من نوافذ اللجان، رككب الرئيس وهو يمر إلى جوارنا  
فى طريقه إلى حلوان لزيارة المصنع، وسرعان ما ترامت إلينا الأخبار بأن الرئيس رأى

في مكتب المدير من الأثاث ( للترف ) والسجاد ( العاصر ) ، ما لا يوجد في مكانه  
بعض الملوكة ، فذهل ، وأمر بالسجاد فرقع ، وأمر بالمدير ففصل .  
وهذا وجه الحصومة للصنع .

وقال أحونا يشجب هذا الوجه ويرد على أسبه الذي تتلصق منه :

— لنفرض أن كل ما قيل صحيح ، فهل يطلب على أمة ناشئة ، تتور على التصلف  
وتتقدم جريئة ومصرة ، على هذا النوع من الصناعات الثقيلة ، فيصاب عرن من الأعران  
فيها شرخ ؟ ومكتب المدير . ؟ لو سلنا جدلا بكل ما قيل ، فإوجه السبب في أن  
يسرف موظف مثله ويستترف ، فيجد أمامه رئيس دولة « ناساً » ، لا يخذله الرمل  
الأحمر تفرش به طرقات الصنع تحية لتقديمه ، ولا خطب التعلق تلقى بين يديه تمجيداً  
لزعامة ، ويدع هذا كله لدراسة الوضع ، فيصبط المدير متلصقاً بالإسراف ، فيأمر  
بالسجاد فيطوى وبالمدير فيفصل ، ولماذا يملو لنا دائماً أن نقول عن « الكروب » ونصفه  
مملوء بالمال بأن « صفته فارغ » ونرفض أن نقول إن « نصفه مملآن » وأنت وأسلاك  
وأشئ أما ساء بهم إلى السجن ، ذلك « النصف الفارغ » .

## وطريق الكورنيش ؟

مسجرة البندادي — أحد الرفاق — يوم كان وزيراً للبلديات .

قال عنه الخليل « إنه تشفق .. وأن للنازلين عشوا .. وأن الرشاوى استعدمت

ولست أدري لماذا نكذبك العين ومصديق الأذن ؟

وإذا فرصنا جدلاً أن بعض ما قيل قد حدث .. فلماذا نحضل بمشربين متراً  
أو مائة من الأمتار بياناً عليها التشفق .. ولا نحضل بكورنيش كامل خلق الناحية  
حلقاً .. وأجرى النيل سائراً وأخاداً .. وكأنه لأول مرة يجري .. وكأننا لأول  
مرة نراه .

لقد ترامت إلى شائعات التشفق قبل أن أسجن .. وجاءني أحد الأطباء من

الأصدقاء ذات ليلة — الدكتور الطيب ناسر — فدعاني إلى ( زهرة ) في عرجه على طريق الكورنيش لأراه .. وكان معنا ( عمود الكونكي ، المحرر بالأهرام ) واتيسا إلى شبرا البلد .. ولم أستطع ليلتها — وبرغم انحصومة — إلا أن أقول للمدتين ضاحكا : ( ان هذا الكورنيش .. من صنع القى بمينك برش باتيس .. من قبل أن تقوم من مقامك ) لقد قالوا مرة بشأن كورنيش الإسكندرية ومن قبل عشرين عاماً أو أكثر ، وأعدوا القول أكثر من مرة ، وبرغم السرعة الضخمة التي ركت رائحتها الأنوف في مصر والخارج ، وعرفها القاسي والذاني عن إسماعيل صدق والنازل الإيطالي ، وأحد صديق مدير البلدية ، وحسين صبري خال « الملك للمعلم » وعايط الاسكندرية .. قالوا برغم هذا كله إن إسماعيل صدق الذي قرر عمل كورنيش الإسكندرية خلق الإسكندرية .. وأن صنيعه هذا يجب كل إسائة له ضد وطنه ..

إذا كان هذا قد قيل عن عدو من أعداء الشعب ، ذهب في التاريخ ، مثلاً لابنسي على البهريه الفاجرة في التفتيل والتخريب ولاء للمستمر ، أفا كان البندادي وهو يخلق النيل خلقاً جديداً ، ويعمل هبة من مصر ولا يعمل مصر هبة منه كما قال هيرودوت ، أفا كان البندادي وهو أحد أبطال الثورة البائة ، جديراً بيمض ما قيل عن إسماعيل صدق وهو أمتى أدوات المختل في هدم موطنه ؟

## والأرض الطيبة ؟

والأرض الطيبة التي نزعنا من الأقطاعيين ، وأهلتي للطمعين من الملاحين .. لقد مشت الثالمان بيضا تقول هيرالستين الخس ، أن كثيرين ممن نسلوا القنادين الخسة هجروها وأن الباقين لا يحول بينهم وبين الفرار إلا الخوف ، لأن كل ملاح قتل هذه القنادين ، وليس في بيته رغبة ، بجز عن الصرع لزرعها ، والتلاح الذي زرع .. استولى الإصلاح الزراعي وبنك التليف ومختلف الجهات الدانة على كل ما حسد أو جمع ، لقاء ما أعطيه من تقاوى وسماد ، وما قبلوه عليه بما لا يدريه ، وهذا الملاح الذي يستفيد اليوم ولا منيف ، كان ناهر الببال أيام الإقطاع ، بطعمه سيده ويسقيه ،

ويجابه ويكسوه ، وإذا أكلت الآلات محصوله أرضه السيد حل محصول جديد ،  
وكما من في « الفار » من « حرمة وحيال » .

ولست أدري كيف كنا نسبح مثل هذا القول الارتياح ، ونتفاهد كأنه يشر بشيوع  
للخمس - وإن كنت شخصياً لم أعضم هذا القول يوماً بحكم احتراي لقانون الإصلاح  
جزائري - ومع ذلك افترضت - جدلاً - أن يكون ما قاله صحيحاً - وأن القساح  
في « التفتيش » و « الموائر » كان يحيا حياة ناعمة ، كالتى يحياها أهل الشمال في أوروبا ،  
هل قصد صانع الثورة بالقضاء على الإقطاع إطفاء المياع ؟ قد يكون الطعام والكساء  
نوعية محتومة وهدفاً ثانوياً للقانون ، أما الهدف الأساسى لتمليك المعلم ، فقد قال ناصر  
عنه للوهاب ما بأتى بالحرف :

« وكان بيننا وبينكم - أى من الثقات والمحوائل - إقطاع استشرى خطره  
واستغل ضرره ولم يكتف بأن يملك الأرض ، وإنما أراد أن يصير لى ملكية الأرض  
ملكية النشر .. وكان لا بد أن يتهى هذا الإقطاع ويحول حتى نلتقى بهم » .

هذا هو الهدف : زوال هذا « الماخر » أو « المائل » ، حتى يتم الاتصال بين  
الفاعلة والقمة ، وبحرور السيد الذين ضهم الإقطاع لى ملكية الأرض ، أو تحرور  
المسعبدين و « للمدينين والأرض » من « سادة الأرض » ، حتى لا يسوقهم « الإقطاع »  
إلى « صناديق الانتخاب » كما يساق القطيع إلى الحظيرة ، ثم يقال « بحق يراد به  
باطل » - أن هذا المجلس الثباى وليد انتخابات حرة ، وأنه يمثل أصدق تمثيل لإرادة  
الشعب ..

ولقد توكلن هنا « الخلقين » و « أرمين » حتى استنتنا له نحن الكتاب ، واستصغنا  
على « الطريق » لأنه « مطروق » ، وجرت أفلامنا مزبدة له وحممة عليه ، وأسسه  
« ديمقراطية » و « حياة نيايية » وكان الضير لا يلبث أن يفتق قفرسها بين الحين  
والحين ، صرخة مدوية ، حل صدعى حادث - محل أو دول - يهز الضائر ،  
فتلقانا السجون تهذب القلم وتزهد الضير ، وتصلح أسلاك الجهاز - والسجن كما  
لا بد أن تكون قد علمت - تأديب وتهذيب وإصلاح ، وكان لها فيه مكان للقرية :

.. معاملة ممتازة أحموها «حرف ا» تتم تحت ظلها بملايك العادية ، وبالعلم يمشك من البيت ، وتلك ابتسامات مردت على المدينة والنفق ، من فئة المتخصصين فيما كان يسمونه « القلم السياسي » في المحافظة أو « القسم المخصوص » في « المناطية » ، ورحم الله كبيرهم « سليم زكي » وما تقيه من مصرع ، وألم كلية الطب .. كلية « الرحمة » ولم يحه قصر السويارة ولا قصر عابدين ، من قصر المينى ، للنسم بالأمين .

## والألقاب والرتب ؟

وشذ « الألقاب والرتب » والقانون الذى ألساها ..

القانون .. قد يبدو فى ظاهره سطحياً وثامياً .. ولكنه كان يوم صدوره دفعا ثورياً يصبه إلى المسق لا إلى السطح .. ويستهدف تحرير الضعدين روحياً وعلى « مستوى الطبقة » كما حررم مادياً على « مستوى الأرض » .

ولا يمتنى أن أحدث عن نحر القانون الذى من على مطلع الثورة .

ولا أظن أنه سيؤتى نماره إلا بعد أن تم الرسالة .. لأن الرواسب الطبقيه ما تزال تسيل حملاً .. ولأن ما صنعه لنا آكل عنان .. والاحتلال .. وصدارة الإضطاع ورأس المال .. وسيطرة ما نسميه « النفوذ والجاه والسلطان » .. وبقايا ما انحدر اليهنا من تقليد للبهاتة بالجد الساج أو العاشر .. أو « الدررور » « الرحب أو « الصنيفة » التى أوقفت الأجداد عليها كذنا من الأطميان .. كل هذه الرواسب لا يلبسها قانون .. والدليل أننا ما نزال — وبعد أن دلفنا إلى الاشتراكية فى مجال سريع ومدخل .. ما نزال تتماثل بالرتب فى كل مكان .. وهم لما سوقها السوداء برغم القانون .. ويمنح كل منا الآخر رتبة « البكوية » محملة أو تحية .. ونصفيها على « اللوظف الصغير » ليهتم بمطلب لنا عنه .. ولا يزال هذا اللوظف يهش لك إنأأت أضيفتها عليه .. ويغرب لها وقد يقضى حاجتك .

ولكن « القانون » كان جزءاً لا يتجزأ من أيمارك التحرير للنفوس ومشارك  
التحرير للقلوب ومشارك التثبيت لمعنى الاستقلال .

فن أي زوايا — إذن — نظر المصوم إلى القساوين .. ومن أي الجوانب  
شئوا عليه المرة ؟

الجواب :

— من زوايا الأكاذيب .. ومن جانب القمص .

ولم تكن تسع منهم إلا أن شيئاً سيبكاً من سرية القوم وحلة الرتب في « مصر  
الجديدة » ( عرف بالطف على النفير وبالصلاة في وقتها وبالصوم في نخل ) كان  
يمشي في الشارع ومعه خادم صغير لا يجاوره سواه .. يحمل سلة ، وتعت الشيخ  
فلم يجد الصبي يتشى عليه أن يضل الطريق أو تدعه سيارة .. وكان الصبي قد لحق به  
فقال له الشيخ في عطف الراء : « تمال يا ولد .. ات رحمت فين يا كلب ؟ » وقال  
الصبي ضاحكاً : أنا هنا يا سعادة اليه .. ما شئش ولا حاجه .. وكان بائع وكواه  
يقفان أمام دكايمها فصاح « الكواه » في الصبي : « ما تقولش يا سعادة اليه ..  
ما فيش حاجه اسمها ييه دلوات » وقال البائع للصبي : « وإذا حد قال لك يا كلب ..  
قل له يا ابن ستين كلب ما يتاش حد أحسن من حد .

هذه القصة .. ذكرت — وأنا في زنزانتي — أن أحد الأصدقاء من سكان  
« مصر الجديدة » كان قد رواها لي قبل أن أسجن .. وكان يروها لكثير من الناس

ولا أنكر أني يومها تأثرت .. ولست قانون الرتب كما كان المصوم يلتمونه ..  
ورحت أحمل عليه .. وعلى روح التضطيم والتمريق فيه لكل ما أمر الله به أن يوصل ..  
وتسفت يومها في تخرج معنى لم يرده الله قط وهو يقول في كتابه الكريم : « ورضنا  
بعضكم فوق بعض درجات » .

والله وأنا أذكر الحادثة في سجنى .. وفي السجن الذي أتى بي ناصر إلى  
غياحه .. هل أرى في القانون نفس الرأي الذي كنت أراه وأنا أعيش بين المصوم ؟

— بكل قوة اليقين .. أقول : « كلا » .

وأخيف إلى هذا « النبي » أن واسع القامون لم يرد أن يتولى « الكواء والباتع »  
تحريض الصبي على شتم الشيخ الصالح ..

هذه أسطاة .. لا بد من دفعها .. ثمتاً صغيراً للهدف الكبير الذي استهدفه المشرع

بل إن غضبة « الكواء والباتع » على ما طلاه — خطأ — إهانة سدتها طبقة  
ظالمة إلى طبقة مظلومة .. تكفيننا .

ولتصل هذه القصية طريقها .. إلى (التصبير عن ذاتها) ، وليكن (الكواء) أو  
(الباتع) سبيء السرك — أو ما شئت وصفاً له ، أو لثقة أذبه — ولكنه بدأ يسى  
« أمسه » وما عاناه فيه من مهانة ، وسأ يذكر (يومه) وما يرجوه فيه من (عزة) ،  
وبدأ يذكر « عده » وما تكمل للناثون به من « حماقة » له ، ثم راح يوجه الصبي إلى  
ذلك المد المشود ، راح يسبق الطريق إلى الشموع ، راح يتحدى خصمه حامل الرتبة ،  
راح يذيب الفوارق ولو بالشتائم ، وإذا كان التهذيب قد نحل عنه والتصبير عن ذاته ،  
هلا أن المجتمع لم يُتيح له فرصة التهذيب .

\*\*\*

وقلت لنصبي :

— لم تكن الناصرة عابثة — إذن — يوم حلفت في الطرقات حسداً من  
القوحات ، تحمل كل لوسة مها كلة كان قد قالها (ناصر) لهذا (الكواء) ولهذا  
(الباتع) : « إرفع رأسك يا أسي » وكان الخصوم يضمكون منها ، جهالة منهم .



## والجيش؟

وأخذت ( غصاً ) طويلاً من ( السجارة ) .. أمير به قارة نفس .. ثم رأيتني  
أمر رأسى في أسى وأقول لهذه النفس : ( ذات الوقت .. انك بكشف هذه الحقائق  
تضئ ضميرك وترقق أحسابك .. وكل كلمة تخرجت من شفئك وأنت داخل الأسوار  
عن رشاد ناصر .. لا بد أن ترسم على شفاه السامعين ابتسامات لا ترضاها .. أمسك  
عليك رأيك .. وأسكن ) .

لم أسكن .. وإن بدا كل شيء حولي ما كفاً .

مشت يدي — على غير وعي مني — إلى المصغفة أو إلى المطبوعة .. وبدأت أقرأ .  
قرأت ما قاله ناصر عن الاشتباكات — التي وقعت على خطوط الهدنة بيننا وبين  
إسرائيل — وعن المارة العائدة التي شنها الإسرائيليون على غزة يوم ٢٨ فبراير  
سنة ١٩٥٥ .

وفي جراءة مجيبة اعترف ناصر خطأ كبير كان قد تردى فيه .. ولم ينتبه عليه  
إلا بفضل هذه المارة .. اعترف أنه قبلها لم يكن يشغل نفسه كثيراً بحظر إسرائيل ..  
وكان يعتقد ( أماناً إذا استطاعنا أن نبقى في مصر هذه الأمة الكبيرة التي نحلم بإنسانها فإن  
خطر إسرائيل يتلاشى وبعدها بلين ) .

ولكن دخان المنارة على غزة .. انقلب عن حقيقته خطيرة .. ( تلك هي أن  
إسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة وإنما إسرائيل في حقيقة أمرها رأس  
حرية للاستعمار ومركز تجميع القوى أخطر من إسرائيل وأخطر من الاستعمار .. وهي  
المسيونية العالمية ) .

واعترف ( ناصر ) أن هذه الحقيقة كانت نقطة تحول في تفكيره ولستبان له أن  
البناء الداسلي لا يكفي وسعد لصيانة أمننا .. ومن هنا كانت سرقة السلاح واحتماره  
وكسرنا الأحكام . وتخلصنا .

وبدأت أريج بنفاكرني إلى ما كان يتوهم انلصوم يوم سلحتنا روسيا  
وتشيكوسلوفاكيا .

كانوا يقولون إن ( ناسر ) يتخذ إسرائيل ذريعة .. ليقم جيشاً قوياً .. يحارب  
به مواطنيه في المنازل .. ويكتم به أغناس كل مراض .. ويرحف به إلى البلاد  
الغريبة المنيرة تحت علم ( الزحلسنة ) .. ليحطها دولة بعد دولة .. كما دخل محمد  
على الشام .

وانقسمت انقسامه باهتة أزعجى بها الغزاه إلى منطلق القدي استلم يومها لذلك  
الانتهام التافه .. وذكرت المدوان .. وكيف وزعت الحكومة على الشعب نصف  
مليون قطعة من السلاح .. وكانت فرصة الممر لو أن الشعب يريد أن يحدث انقلاباً ..  
ولكنه لم يفعل .. فهل مثل هذا الشعب .. هو الذي يسلح عبد الناصر قواته من  
روسيا ليضمد بها أغناسه ؟

وتذكرت ( المدوان ) مرة اخرى .. وتبت أن إسرائيل كانت رأس حربة فعلاء  
ومركز تجميع لقوات الاستعمار .. ومنها - ومن قبرص المحتلة - وثبتت إنجلترا وفرنسا  
على القتال وكان المدوان .

وكذب انلصوم - إن - وصلق ناسر .

وكان ( ناسر ) ملها - إن - عسما جبل بناء الجيش القوي مبدأ من مبادئه  
المتعة من أول يوم في حر الثورة وكان ( محطناً ) عند ما ظن في إحدى الفترات أنه  
لا خطر علينا من إسرائيل .. وكان حصيفاً عندما تبه على الخلقأ وسلح الجيش من  
روسيا .

\* \* \*

جيت غريبة واحدة .. لم تقل الأحداث فيها كتبها بعد .

تلك هي دهوام إن ( ناسر ) إنما يسلح الجيش لينزوه به البلاد العربية .

وها هي ذى «غزوة» الأولى لسوريا .. وقد أعلنت رسمياً بإعلان «الوحدة» ..  
فما الذى ظهر لنا من خلال هذه «الغزوة» ؟

ظهر لكل ذى عينين أن الذى أراد غزو سوريا هو للمستمر بل توارت ابجلازا  
وفرسا خلف أمريكا التى لم تتردد .. وأذاعت بيانها الرسمى تتهم فيه سوريا أنها أمست  
شيوعية حراء .. وتحشد على حدودها حشود تركيا وحشود نوري السعيد بوصفهما  
حزبين فى حلف بغداد .. ولولا إصرار «ناصر» على أن يذود عن سوريا .. ولولا  
حبش «ناصر» الذى انتقلت قواته فضلا إلى سوريا .. لوقعت الواقعة .

فهل كنا نحن الذين مهدد الشقيقة بالثرو ؟

\*\*\*

ونمت أن سوريا هي التى جاءت إلى مصر شقيقة لها .. بمد يد «الوحدة» إليها .  
وتصر عليها برغم معارضة «ناصر» ..

ونمت أن «ناصر» وضع كل قواته ، وكل سلاحها رهن مشيئة الشعب السورى ،  
ومن قبل قيام الوحدة ، بينه وبين شعب مصر ، فهل كانت هذه البداية ، طليعة لإحاءة  
حرمى عملى .. أم كانت طليعة لأمبراطورية ناصرية تحيلوها ؟

لئن كانت الإمبراطوريات تقوم على هذا اللون من الحب والإخاء والإيناز ..  
لدعونا الله للعالم كله أن تقوم فيه أمبراطورية من هذا الصنف .. ناصرية أو أمريكية ..  
أو روسية .. أو صربية يستوى على هرثها صاحب الجلالة ملك الجن .

وأخيراً

أخيراً .. نقل رأسى

واستتر فيه .. أن للتكبير على هذا النحو — ودخل هذا «البيان» لآخر  
فيه .. ولا جدوى منه .. وقد يمرضى قطن السى .. وما أعتانى فى الحنة عن سوء  
الظنون ..

\*\*\*

وطويت الصحيفة ..

ورأيت أن أجد تفكيرى ، حتى أخرج من سجنى ، إن كان قد قدر لنا ، أن نخرج  
منه يوماً ، ومن يدريك ، لعله يكون قريباً ..

قريباً 1154

وسد أسامح ؟ أو شهور ؟ أم بعد سبع سنين ؟ لعله يكون قريباً ..

لم لا ؟ وأبناء البلد يقولون دائماً : « رتنا كبير » ..

وهو ضلأ كبير .. وأكبر مما نتصور عقولنا ..

ونشرت الصحيفة مرة أخرى .. « مفارش لاحتاجنى » ..

\*\*\*

وى ميزانى ، أن هذا الفصل يشكل للرحلة الرابعة عشرة فى موقفى من « الرجل

الذى تأمرت عليه » .

## الفصل الخامس عشر

مهر .. من اللبان

قلت في رفرق الفصل الثالث .. أن طويت على مطلع القبر صني وأوراق ،  
وقررت أن أجد تفكيري ، حتى أخرج من سجنى إن كان قد قدر لي الخروج ..

وايتمت عندما سر بخاطري أن هذا الخروج ( قد يكون قريباً !! )

وأحب أن أسمر معك في هلال هذا الفصل - - بعض الوقت - - وأن أستأذك  
في وقفة عند ذلك الخاطر ، لتري كيف ينسرب نور الرحاء ، إلى ظلمة السجن ، أو إلى  
قلب السجين .. حتى يقوى على احتمال للشقة .. حباً في البقاء وثداً للحياة ..  
وتلك سكة الله ..

\*\*\*

والنور في السجن نوران :

نور ينبثق من أعماق السجين كرد فعل لما يمانيه ..

ونور يتألم عليه ، من المحيط الذي يبئس فيه ..

وهو لا يدري على التحقيق ، أيّ السُورين يسبق أحاده أو يؤخر في أحبه .

ومن السورين ، ترمي السجين يتقوى حرمة السجين ، بأى أمل مصنوع ، أو بأى  
خير مكذوب ، عن عضو مأمول أو إفراج قريب .

والسجين إذ يتقوى حرمة زميله بالأمل « للمصنوع » ، إنما يرجو أن يعود زميله  
إليه يوماً بأمل ( غير مصنوع ) ، بيته هو الآخر فيه ، وهكذا تم السدوى وتنتشر ، وتلقى  
( البشرهت ) في سهوة ويسر ، كما لو قهت صديقاً بادي المرال يريد من الصف أن

يقض<sup>١</sup> قلت له جاك : ( سمعتك النهار جد ، أحسن من آخر مرة ، شفتك فيها ) فيرد عليك راحياً وقد شد قلته : ( وانت كلن ماشاء الله نتعامل الراسد بستسى .. ويمك الحشوب ) .

\*\*\*

وأقوى من هذا التشبيه بالحديث (الصحي) ، ومن هذا التصم بموضوع (السدوي) أن أنتقل بك إلى التطبيق ، ليكون سمر ، ولتصني إلى بعض ما جرى من شخصياً وبوصفي سببنا سياسياً ، حتى يتجسد أمامك للمنى الذى أرى إليه .

والسجين السياسى يمثل ظاهرة التنازل أكثر مما يمثلها « السجن المادى » الذى لا أمل له إلا فى ضو من نصف مدة العقوبة فى عيد كبير كالعيد الماشر للثورة أو فى حادث سيد كمودة الرحلة بين مصر وسوريا .. وقد يتقرر القفو .. ويحطاه إذا لم يشهد له « ملته » أو « دوسيه » بأنه كان فى سجنه « حسن السير والسلوك » .

أما « السجن السياسى » ، فإيكاد يصع قدميه داخل السجن ويلقى السجناء السابقين ، حتى يخفوا إليه ويلتفوا من حوله ، ليؤكدوا له أن الأمر كله لن يحدو أساساً وإن « تهنده » وأثقل « قبضة شعور .

وعلى الألسنة أو بين الأصدقاء قائمة ممددة بأسماء من سبقوك من الأحراب يتلوها عليك كأنها فى كتاب ، فلا يلبث نور الرجاء أن ينسرب إلى قلبك من قبل أن تقصى بضع ساعات فى سجنك ، أسماء من سبقوك إلى (القيان) أو إلى (سجن مصر) من السياسيين أمثالك جاءوا وعلى كواحلهم أحكام ترمد لهولها الفرائس ، وتترجع بين الإعدام — وذاك البقاء — وبين الأشغال الشاقة للزبدة ، وقل أن نجد من بينها حكماً خفيف النزل .. مدته خمسة عشر عاماً ، أولئك جميعاً لم يذهب أسد منهم إلى مدافن الإمام ؟! وإنما عادوا إلى دورهم وكما يعود الكرام ، وبعد بضعة أشهر فى الأمم الأغلب ، وأقلهم حلاً أنطى سبيله بعد عشرين أو علم ؛ أسماء لا حصر لها يحفظونها عن ظهر قلب ، كأنها فى قائمة كما قلت .. ويتلوها كما يتلو القراء السور : ابراهيم عبد الهادى وفزاد سراج الدين وإسماعيل المعصبي وإبراهيم فرج وكرم ثابت والمكتور التنيب ..

وحسين سرى هاسر وعمود عبد المجيد .. إلى آخر القائمة الطويلة التي يحتشمونها باسم (للمم) - وما أبدته من السيلة والسياسيين .. ثم تبدأ الأحاديث عن الفساجات التي صاحبت كل إنزاج تم يقولون لنا أخيراً : ( وادعوا تمسوا أن قضيتكم بتليمة .. لأن الرئيس ما يزعلوش إلا القضية التي فيها اتصال بدولة أجنبية زى قضية الرامى أو فيها جاسوسية زى للصيرين التي في قضية زارب وسوينين ) .

## وزمالة .. السجن ؟

وعشاق هذا الجوالجديد .. وتنفسنا فيه تنفساً عميقاً .. عمق الأمل الذي أرساه في قلوبنا « الزملاء » الجدد ، وليس أعز على السجن من ( زمالة السجن ) ولها أشد رسوخاً في العاطفة - وبمك المنة - من زمالة المدرسة وإن كانت زمالة للمدرسة أبعد جذوراً .

ولا ييب ( زمالة السجن ) إلا ضعف للمستوى الخلقى بين السجناء بإسشاء القلة السكرية التي رمت بها الأقدار إلى هذه النياح ، وقد تخرج من سجنك وكل حلجة فبك تحمق بالحب الحميم لكل سجين ، وقد يفتك أحدم سد الإنزاج عنه - وقد تكون قد نبهت فيد كركب بعمه وتذكركه - وتفرح ببقياه ، وقد يكون في ساحة إلى العطف فتفيض عليه من عطفك كل ما تحمله عاطفتك ، وغاة تكشف لك التجربة الحية من معدن خبيث فيه لا سبيل إلى استخراج الدر منه ، أو عن حصر من عناصر الجريمة لا سبيل إلى أن تطلب له ، أو تستبدل به سلوكاً طيباً آخر ، وقد تمتد يده إلى جيبك وهو حزين وتادم ، ولكنه لا يستطيع أن يرد هذه اليد ، لأنها في الحقيقة ليست يد الرجل الذي عطفك عليه ولا يريد أبناً أن يسي عطفك ، وإعسا هي يد ( العسر ) الرابض في أحامه ، والعسر الذي يجرى مع الهم في هروقه ، والعسر الذي يتردد مع الفواد في أغشاه .

وأعطيك مثلاً طريفاً ما دمت قد اتويت أن أسهر بعض الوقت معك .

كان من بين رفاق في السجن ، سجين متخصص في تزوير الشيكات على الأغنياء

وكان الشلب دمث الأخلاق ، حبيباً إلى كل من عرفه ، وكان يصل في ورشة الأخذية في اليان فأتى هذه (الصنعة) ، وكان يمسدنا بأجر الأرواح منها ويقبل ما تدفعه ولا يساوم ، وقد سجل أرقاماً قياسية في العفة ، عندما كان يقوم عمية الرسيط بين السحاة من ناحية و (الأسطوات للسكين) في الورشة من ناحية أخرى ، فكان ينفق مع (الأسطوات) على أن يحملوا رسائل (للساجين) إلى أهلهم ، ووردود أهلهم عليهم ، ومع الردود كل اللطوب من بن أو شاي أو ملابس أو خود ، لتساء (جمل معلوم) لحامل الردود .

وكان (مزور الشيكات) يرفض أن يتقاضى أى (أنتاب) من زملائه ، و يرفض أيضاً - وهذا هو الأجبب - أن يقاسم الأسطوات (أنتابهم) مع أن العرف في السجن أن يكون الأجر قسمة بين الأسطو والرسيط ، وفقاً لاتفاق بينهم .

وحان حين الإفراج عن زميلنا (مزور الشيكات) ، وخف كل سجين ميسور إليه ، بمسئله رسالة إلى أهله ، ويثي فيها على زميله لحامل الرسالة .

ولم تمص ألام ، حتى اكتشف أصحاب الرسائل أن أخانا الزى العف ، عاوده الداء ، بعد الإفراج ، ففسى السنة ونسى الرثاء ، وافتتح عهده الجديد بالاحتيال على كل من حمل إليهم الرسائل ، وحصل من الأغنياء فيهم على مبالغ طائلة ، وأحدية فاخرة ، وملابس حديثة وبن وشاي ، وحلوى وطعام ، وتوارى في الرعام .

مثل هذه المماذج المنحلة لا تحدها طبعاً إلا بين صفوف المجرمين أرباب السوابق أو الواقين انحلت داخل السجن أسلافهم ، وكان التيار أقوى منهم ، ومعظمهم من أبناء القاهرة والاسكندرية . .

أما القنلة - أحذاً بالتأثر - من صعيد مصر ورر فيها فتدر أن تجرد بيدهم منحللا من هذا الصنف ، لأن (الأخذ بالتأثر) يُلهب في صاحبه - مع الأسف - شعوراً غير عادى برة الجريمة التي ارتكباها ، ومثله لا تعرف (الغلة) طريقاً إلى مشاعره ، ولا يتصرف إلا على مستوى (الرجوة) التي دفنته إلى الجريمة ، وهونت عليه العقوبة ، بل إن من بينهم من تتقدله الرعامة - داخل السجن - على أهل إقليمه كأكات



مقودة الراء ٤ - خارج السجن - هل أهل قرية أو أهل قضاة ، ومثل هؤلاء ، محسوب في السجن حسابهم .

### زعامات .. وتعصب إقليمي

والزعامات خلف الأسوار عرف يحكم ساكنا ، وحدود لا تتخطاها ، وهي أشهر ما تكون بين أهل الصعيد ، وأهل المنوفية ، فإذا تار خلاف بين (أسيوطي) و (منوف) غضب الصعيد كله لابن أسيوط ، وغضبت (المنوفية) وحدها لابن (المنوفية) ، أما إذا تار الخلاف بين سوهاوي وأسيوطي ، غضب أهل محافظة سوهاج كلها لسوهاوي وعصب أهل محافظة أسيوط كلها للأسيوطي ، وهكذا يمشی الخط يضيق ويتسع لكنه لا يتوسى ، والامتور الذي يحكم « أنا وانتموا على ابن عمي .. وأنا وابن عمي هل التريب » .

وكان طريفاً أن تدركني قصة - وبرضى - من هذه القتايد .

كانت قضيتنا تحمل طابعا السياسي ولا تنسى لأي إقليم ... ولكنني فوجئت يوماً بزوار من المنابر الأخرى ... جاؤوا لتسلم على ... بوصني (صعيدياً) مثلهم ... بل بالغ أحدم في التحية - فأنزل والدي ريشي عالي - وهو رجل طريف ونحيف وله شارب . وبايني بالترزمة على أهل الصعيد في كل المنابر ... وحلت الأمر على عمل للزح ولم أهره اهتماماً ... ولكن الأحداث نبهتني على خطورة الوضع فنبهتهم على حقيقة وضعي تغلب أسلمهم في ... ومضوا بالرعاية يمحطون بها كلما لقبتهم بدرجة « سياسي من الصعيد » .

### وزعامة ناصر

وأعلن الآن - وبد كل هذا السر الذي طال - أني لم أكن أسلمر منك لوجه السر ... وإنما لأقول لك أخيراً ... أن هذا « التعصب الإقليمي » عند أهل الصعيد لم يقف عند حدود الصعيد ... وإنما زحف إلى « قصر القبة » في القاهرة لا يزال وشماً ولا شرعاً ... وزحف جليلاً ولم يهرل ... وزحف نحو « جمال عبد الناصر » نفسه .

مع ... قد تعجب إذا عرفت أن الزلمة الناصرية التي تنضوي الآن تحت لوائها شعوب المروية من المحيط إلى الخليج ... وتنطع إليها الميرون السود في كل أرجاء القارة السوداء ... تعسيق في « الأيبان » وتضيق ... حتى تكون وقتاً حل الصيد ... وأحياناً على إقليم واحد هو أسيوط ... وأحياناً على مركز واحد هو أبنوب ... فإذا حدث أن أظنت كلمة نائية من فم صيدين - سياسي أو غير سياسي من القاهرة أو الوجه البحري - مد جمال عبد الناصر ... ثار الصيد كله وسمتهم في القليل وهم يصرخون في عار الحظ الذي « نَبَأ » : « انخرس يا وكد المحروق ... ده جمال سيدك ... وسيد التي فضك » ... فإذا قلت لم تهديهم نارتهم مثلاً إلى جمال حبيب مصر كلها ردوا عاصين ( أسد الصيد بس ) فإذا كان الذي « نَبَأ » من أهل سوهاج أو قنا ... رد أبناء أسيوط ( وكد أسيوط س ) فإذا كان الذي « نَبَأ » من أهل أسيوط للدينة رد أبناء أبنوب ( وكد أبنوب بس ) .

وكنت أصلح بين المتشادين من ( الأسابطة ) وأما زهم وأقول لم ضاسكا : ( أما كان مايش زهم ... غير وكد عاسر ... لأتسناوى يفرد ما كرمهم ( ما ترعش قوى كديه يا بوى ... ما هو وكد جمال المال سميتاه لكم عبد الحكيم ... اسكت بوى ولها ... دانت مقادك عندنا كبير ) ويصفوا الجور وروى .

### عود إلى الدراسة

وأخرج من هنا ( السر ) الذي قضينا فيه بمس الوقت ... إلى جو جديد آخر . ولا أظن أنك سبت هذه اللبلة التي تركتك عنها بعد أن انهدمت قراري (ر إعلان الوحدة بين مصر وسوريا ... بعد أن قررت تجسيد تفكيري حتى أخرج من سجنى . وحلوت أن أبر بوعدي - أو أخذ قراري - وظلت بضع ليال ... أنتقل حلماً بين القرآن وكتب الدين وبين القصص وكتب المصم ... أو الجملات الإنجليزية التي كانت ترد إلى ( الاسكتلندي سوينين ) رأس قضية الجلوسية ، أو ( اليهودي

ماير مايوحلس) أبرز شاب في قصة الصهيونية ... وقد لاحظت أن (ماير) يتبع لهذا - في أغلب الأحيان - الخلات التي تحمل في صفتها أعنف المجرم على ناصر ... ولا أظنها (الصلفة) .

\* \* \*

وكان (سويتزن) و(زارب) و(الصهيونيون الخسة) يتعمقون ما ... ويسلمون على توثيق الصلات بينهم وبيننا وكان الصهيونيون أكثر براعة في توثيق الصلات ... فكثيرم (ماير) إذا لاحظ مثلا أني استغل طل الأربعة الباقين ... أو عز إليهم أن يلتوا بتقلهم على غيري ... وانس وحده في التودد إلي ... حتى أتوم أن الأمر أمر حسب شعصي ... وليس أمر (تكتيك صهيوني) .

وكان الصهيونيون يكترون من دعوتنا إلى تناول الفداء على (مائدتهم ١١١) - في الترفة النفسية التي حرصت لم والتي اقتوا في تسيقها ومن بينهم مهندس بارع في (الديكور) اسمه (ماير زعفران) جميل من الزرانة في ليا طرة (صانق استقبال و هيلتون) - كما أسماها المرحوم اسماعيل طلست مأمور أول الإيوان وهو يفتشها ذات مرة ويجهز على كل جمال فيها ويمدها سيرتها الأولى زرانة بين الزنازين .

ولم يكن الخسة يضيقون بأى مناعب تحط عليهم ... وسرعان ما كانوا يبديون (الزرانة) إلى (المليتوية) من جديد ... غير آسفين على ما صودر أو بدد أو حطم أو مرق ... وسرعان ما كانوا يعودون إلى توجيه دعوتهم لنا ... إلى تناول « الفداء » على « مائدتهم » ولا سيما الأعياد واللواصم التي يسمح لهم خلالها - بأمر من وزارة الداخلية - باستيراد ما يشاءون من خارج السجن من أفضة « نواتم تقايد دينهم وطقوسه » وحلوى غير ما يحمله أهلهم إليهم في هذه الأعياد وهذه اللواصم ... حتى لا يقال عنا أننا نحارب اليهودية كدين ... في حين أننا نحاربهم - فقط - كصهيونيين .

\* \* \*

وفكرت في هذا الاهتمام بنا ... وضاق صدري .

ولم ألبث أن رأيتني — على غير وعي مني — أخرج على قراري — وأفكر من حديد فيها يخص السياسة ... «ويا ليت من قرب أو بعد إلى «الناصرية» و«ناصر» .

وجدتني ذات ليلة أسأل نفسي :

— هل مما يشرفني كعصري .. أن يرى هؤلاء الإنجليز والصهيويون في قضيتنا .. حصومة للناصرية تلتقي بحصومتهم لها ؟ وأن يروا فينا هذه «الصلاحية» لقيام هذا «الود» بيننا وبينهم ؟ وإذا كنت قد سمحت لخصوم «ناصر» — قبل أن أسمن — أن يضلوا بي وأن يتخذوا مني صديقاً لهم وعدواً له ... حتى تأمرت عليه ... وحتى أرسلوني إلى هذه النياح . أما سمح لاسكتلندي كوينين ولطالبي كراب ... ولصهيويين كلير مايو حاس وماير زعفران وروبير وفيليب وخماس نسبت اسمه ... أن يتخذوا مني صديقاً لهم ... لأنني خصم لناصر ؟ ثم لم لا يحملون إلينا من «الأخبار» — نقلاً عن كبار زوارهم كالتبسيس أو التفضل أو كصومعلس العموم الذي كان يزود سوينين وورارب .. كلما قدم إلى مصر وقابل عبد الناصر ليتوسط في الإنتراج من السجينين — إلا ما يدل على قرب روال ناصر .. وأنا تأمرت على ناصر ليزول ... ألبس معنى هذا التوافق أن أماني\* — كعصري وهري — هي نفس أماني\* سوينين وزارب وهي نفس أماني\* أعضاء شبكة التجسس الصهيونية لتلطيرة ... التي أعدم منها واحداً ... واتحر آخر ... وقذف بثالثة إلى سجين النساء في القناطر . وحيء بالحنة الباقين إلى البيان ؟

وشعرت بشيان نفسي ... يلازمه شعور آخر بالمرارة ... والمخاطرة سأ ... ورأيتني أسأل نفسي مرة أخرى :

— ألا يكن زحف هؤلاء الجواسيس السبعة من خصوم «ناصر» إلى لكي أدنو أنا من «الناصرية» ؟

وتنبت ... وابتسمت ...

ذلك - إذن - نبع جديد من بتابع التحول ... وسلم جديد على طريقي ...  
وعين عزيزة ... وثرة ... بالتور و بالهداية ... تنفير الية داخل قلبى ... أترأها من السماء  
هبة ... أم رملها من الله هدية ؟

وتخايل السؤال أسمى ولم أجب .

وقلت أصف نفسى : ما أزال أردد . . حتى حياى هذا الشعور ؟ وحتى أمان  
هذا المنطق ؟

وهررت رأسى أسفاً على نفسى ... ثم عدت فأبيت أن أستسلم لقرود ...  
واستأثت تفكيرى ... ورحمت أقول :

- الأمر واضح ... أماى « وقائع » تطيبى « حقائق » فلماذا أتهيب  
مواجهة الحقيقة ؟

وخفت أن أضف فتاوت قلبى - وكنت قد أعددت « كراسات » أفيد فيها  
ما بين لى أن أفيد من خطرات نفسى ورايتى أكتب ما يأتى :

- كل ما يرضى هؤلاء الأجناس ... يجب أن ينضبنى .
- كل ما يفرح هؤلاء التاكيد ... يجب أن يمزس .
- كل ما يربونه من الشيطان . . يجب أن أرجو من الله شفيه .
- كل وجه يطالهم من الأحداث ... يجب أن أطلع من الأحداث  
الوجه المضاد .

على هذه الطريق أسمى ... إذا أردت ألا أضل طريقي .

وعلى هدى هدى لتقياس السلم ... أستطيع أن أسدد مكافى ... وشمرت  
بالراحة ... وأقلعت عن فكرة التجديد ... ونمت .

وق نومي بدأ جهاز التذكير يعمل .

وخطر لي ... أن وجه القرار مضمي من أحد جانبيه ... وأن لهذا الوجه جانباً  
آخر لم أحاول أن أخضعه إلى جانب أخيه ... لأرى الوجه على الطبيعة ينسره الضوء .

يجب أن أحب « ناصر » لأن « الجوليس السبعة » يكرهونه ؟

جميل .. ولكن أجل منه أن أجعل « ناصر » نفسه موضوع بحث مستقل عن  
عاطفة الحب مني .. مستمدة من عاطفة الكره منهم .. حتى أقتنع أن ناصر - كقائد -  
أهل لمن يحبني .

ويكون السؤال الذي يجب أن يوجه الآن هو :

- من هو جمال عبد الناصر ؟<sup>(١)</sup>

وذكرت مرة أخرى كتاب « فلسفة الثورة » ..

وجهت كيف سيرت به كرمياً - ذات مرة - ولم أحاول وهو يؤرخ لنفسه فيه  
ويقتنه ، أن أعكف عليه دراسة وتحليلاً . . وأن أقرأ في أثناء سطوره ما لم يكتبه  
بالحروف .. وأنا مؤمن - وهوايتي للفضلة دراسة الشخصيات - أن خير مرأة يمكن  
أن أرى فيها أي شخص . . هي المرأة التي وضع الشخص نفسه فيها ويبنه . . ومنها  
يمكن نصيب الوضع الذي تحببه من الصدق أو من الزيف .

وصح عزمي على أن أحصل على نسخة من هذا الكتاب عن طريق طبيب أخصاب ..  
أذا لم يكن في مكتبة القيان . . وأن أحصل منه على كل ما يمكن الحصول عليه من  
الكتب التي تضم خطبه وأحاديث وتصريحاته وبياناته .. ومن خلالها أيضاً .. أستكمل  
ما عسى أن يسوزني من حقائق هذا الرجل . . وفرصة السجن وسكوته « قد لا تنموس

---

(١) من عيالب الصادقات أن الأخط - وأنا أكتب هذا السؤال - تلا من أوراق وكث  
أطب ماطلع من ملازم الكتاب بين يدي ... من عيالب الصادقات أن الأخط أن وجهت السؤال  
نفسه إلى نفسي قسمة « نعمنا بيت لي أن ناصر ليس ولدنيا ولا إخوانياً وليس جيومياً ولا أمريكياً  
نظمت بالمرء « وهو إنسان جمال عبد الناصر فقط .. في هو إنسان جمال عبد الناصر ؟ » .

كجو... و « الليل » في « ززانتى » بالنسبة لهذه الهراة التي استقر رأيت على أن  
أبدأها .. يشبه في ميزاني .. « للسلس » الساكن .. بالنسبة « للعالم المتفرغ » .

ولا بأس بازدياد شخصيتي في هذه الفترة .. فأحاول في الليل أن أجد نغمة ..  
وأن أعد ما كنت إن كان لما غدا .. وأحاول في النهار أن أرتدى « توب قضيتى » وأصغر  
إلى كل حديث .. وأسأير كل تفكير .

### بجدة .. ومن الصحافة ؟

وكان حرفة . لم نشأ أن تتخطى هي داخل سجنى بعد أن تحمل كل الناس هي  
مذ سجت - وهطلت عناية الله تحقق لى الأمانة . وتفردى من « مكتبة البيان » مكاناً  
أواصل فيه بمعنى .. سب « مهمة صحفية » طلب إلى مدير البيان أن أقوم بها ..  
ولاسيل إليها غير « للمكتبة » .



كان الأمير الامى السيد والى - المدير المهيب لمنطقة البيان يومئذ - يود  
لواستطاع « البيان » - على جلالة ١١٩ - أن يصدر مجلة خاصة به تناس « مجلة  
السجون » التي كان يصدرها محمود صاحب ( مأمور سجن مصر في ذلك الوقت ) ،  
وكانت المحلة قد أحررت تقدماً بغير الميرة صلا ، وكانت انتاجيتها تذييل دائماً بتوقيع  
المدير العام لصلحة السجون ، وكان « محمود صاحب » قد روى في تلك الأيام نائباً للمدير  
العام للصلحة وأصبح « لواء » .

ولاحظ « السيد والى » أن اسمه - بل « تحت إسمه » - وزيرين سابقين  
وكانت من الكتب كان يوماً يصدر سمماً ، و « شاباً » كان يوماً يعمل في الصحف ،  
والفرصة إذن مهيأة لإصدار مجلة لبيان ، تصرع « مجلة السجون » .

واتصلوا بنا ، وتباحثوا معنا .

واحذر عبد الفتاح حسن : بأن « القانون » صناعه وليس « القلم » ، والحقيقة

أه احتذر لأنه يرفض أن يجمع بينه وبين « الشب » عمل - ورحبنا نحن الثلاثة ..  
وشرط اتنان منا (صلاح الدين وأنا) أن توقع مقالاتنا بتوقيع مستعار ، وقبلوا الشرط  
آسفين ، ومضينا - وصلاح محقق قديم وكاتب - نعد المدة لمخلصين أو كالمخلصين ،  
والحقيقة أن صلاح الدين وحده كان هو (المخلص) للمهمة - كما دته إذا هو أعطى  
كلمة - أما (الشب) فأخلص لها لأنها كانت تعبه من صمود الجبل ، أما أنا فأخلصت  
لها لأنها كانت تتيح لي قضاء اليوم كله في مكان مريح أجد فيه مراجعي في موضوع  
ناصر ، وبناءي من (متاعب المدير) ، وتوفر لي قدساً من الشاي أو القهوة المتنوعين  
يحينا بهما من البوفيه ، العايط المشرف على المكتبة أو أي مسئول آخر .

•••••

ودع عنك مصير اللجنة ، فإنها لم تر النور قط ، وما كاد الضابط المختص يطوف  
مطابخ القاهرة ويحمل نتائج (الناقصة) حتى فرغ المدير من (المبلغ المطلوب) وعدل  
عن الفكرة ، وتركوا يتردد على (المكتبة) ولم أعلم بهذا الدول ، إلا بعد أن صدر  
عدد جديد من (مجلة السحون) ورأيت فيه مقالا لي مشهوراً فيها كنت قد أعدته  
لجنة البيان التي لم تصغر ، ولم يحمل لي هذا الطلمس إلا (عمود صاحب) نفسه عندما جاء  
البيان في محبة المدير العام فيها يسمونه (التعيش السنوي) ولقيني محمود في حديقة القسم  
الطبي (وهو صديق لي مذ كان طالباً في مدرسة البوليس أيام عزير المصري) وقص علي  
كيف أنه رأى للواد التي كانت قد أعدت للجنة التي لم تصدر فوجد المقال وعرف أنه  
لي قشره في محله ووضع اسمي في ذيله وعمل غلاف العدد .

دع عنك مصير اللجنة إذن ، والذي يهم أن المكتبة عاوتني على المطالعة فترة من  
الزمن ، ثم عدت إلى (المستبر) أقضى فيه النهار كما يقصيه كل سجين ، فإذا جاء الليل ،  
بدأت أقرأ كل ما اتصل إلي يداي من « ناصر » .

## والأحلام والطوالع ؟

وحتى تحي - نمار هذه الدراسة في الفصول القادمة .. يطيب لي وأنا أختج هذا  
الفصل الذي ماج بهذه النماذج من ألوان إنجليزية وصهيونية .. وصحية .. يطيب لي



أن أرم جانبا آخر من الصورة أسميه « الأحلام والطواع » بعد أن حدثتك عن  
الأمل المصنوع الذى يشه كل سجين فى قلب زميله .. رجاء أن يعود إليه بأمل غير  
مصنوع .. فى أفراج قريب أو فى أفراج مأمول ..

و « الأمل للمصنوع » قد يكبد صاحبه جيدا .. أما الأمل السهل المجلل .. الذى  
لا ينتظر حادثا سعيدا .. ولا جيدا .. ولا يكبد جهودا .. وهو يتجدد تلقائيا كما حاول  
صاحبه أن يمدده فهو هذه « الأحلام » وهذه « الطواع » .

\*\*\*

وأول قطر من هذا الميث .. انهمل علينا ذات صباح .. تحت فيه أبواب  
النفوس .. وأقبل الزملاء يقفون علينا تحية ذلك الصباح .. وورأينا عملاقا صم الجسنة ،  
هر يرض للسكينة ، خفيف العليل ، يتقل من ميد فيها يشبه المارة والسجناء فى أثره ..  
كأهم فى مظاهرة ، وصوته يسهته إلى آذاننا مغلجلا فى فناء المنبر وهو يصيح « على  
الطلاق يا بائسات .. أتم مروءة حين بعد شهر . شهر واحد .. على الطلاق » .

وفرعنا من العرصة .. ومن قبل أن صيها .. تم سيطرنا عليها لتستعيد رباطة الجباش  
وتسأل باسجين : « إيه الحكاية يا على » ؟

وكان أسونا هذا هو « على حسنين » لثهم يقتل للرحوم عبد القادر طه والمحكوم  
عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة من سنة ١٩٥٣ وكنت أعرفه من قبل أن يسجن وكان  
يخصنى بتصيب أوفر من وده وجهه .. وهو مشهور بالبطاعة المشهور وبالتهور فى كل  
ما يقول وكل ما يقبل .

وأسفر الأمر كله عن « حل » رآه لنا فى نومه .. وعرانا « القرف »

ولكن العجب أن السجونيين احسوا بالحلم .. وأرسلوا فى طلب إحصائيين من  
« وكلاء ابن سيرين » فى تفسير الأحلام .. فجئى- بوج من السابى الأخرى وقص عليهم  
« على حسنين » رؤيته .. وفسروها بما وامن هوأنا وهوأنا .. وبدأوا يذكرون لنا أحلاما  
سأرت « الهلبن » عبر تاريخه .. تنقأ عين للسكينة « سيجسوند فرويد » وتفسه رأيه

في نيتها إلى الرغبات للكيونة فينا .. وتروى كيف رأى ( فلان ) السياسي ( علان )  
حطاً تحقق بعد أن رآه ( الحلام ) يوماً واحداً .. وكيف وكيف ؟

وأدركنا من تلك الساعة أن الأحلام تلبس دورها لتطير في السجون .

وأشدّ عجباً أن تنزل — على الأيام — إلينا .. فإذا رأيت عرفة عبد الفتاح حسن  
سليقة من الداخل .. وقيل لك أن فيها عبد الفتاح والسوادى فانهم .. ولا تخرج ..  
أه كان يقص على ( رؤيا ) مجيبة رأها .. ويطلب إلى .. أن أطوى صدرى عليها .  
وبدأت الامدوى نزح في سنف .. فأحلم .. ومع الصبح أستقبل ( الرملاء )  
الذين ( سطروا ) لي .. وقد أعددت ( كرسي ) .. أسجل فيها كما جاء الليل .. كل  
ما كنت سمعته في النهار من أحلام الحالمين .. وكل ما كنت أراه في الليل من  
الأحلام ..

أما ( الطوالع ) — بكل فروصها — من كف ورمل .. ورايرة ذلك .. فهي  
في المكان الثاني بعد ( الأحلام ) .

وقد ارتج ( الألبان ) يوماً ( لبأ خطير ) مشى بين طرفاته . ذلك أن سجيناً كان  
في ( سجن مصر ) تحت المحاكمة بتهمة تزيف النقود وحكم عليه بالأشغال خمس سنين  
لغى به ( اليوم ) إلى الألبان .

— وماذا في هذا لبأ أيها الرملاء ؟

فلما إن أحانا السجن الجديد .. يؤاسى الجبن .. وقد صنع في ( سجن مصر )  
الأحاجيب .. وطالعه لا يجيب .

وأرسلنا في طلبه .. وبذلنا جسداً غير عين حتى أذن الأطباء في نقله إلى هنريه  
في طابق تحت طابقنا بعد ( مستشفى ) .

ورأى لنا الزميل طولعنا ، وسعد أياً ما للفراغ عنا ، بعد أن حدثنا حديثاً عجيباً  
عن طولع رأها للشهين في قصة مدير البنك الصناعي ، وتبأ بالبرادة لأحدم —

وهو محمود حنفي صاحب إحدى شركات الملح - وبالسمن للآخرين ولم يكن الحكم قد صدر بعد وطلب أن تعتبره امتحاناً لتقدرته .

وانتظرنا الحكم ، وكان قد نحدد موعد الطق به .

وصدر ، وكان أحونا لم يزل مقياً بيننا ، ويرى محمود حتى صلا وحكم على الآخرين ، وارتفعت أسهم «المراف» الجديد حتى هبطت بسببها أسهم كل «المرافين» في روايات شكبير .

وأعترف أني عشت أنتظر - باهتمام - اليوم الذي حدده أحونا للافراج هذا لأن الذي حدده له صاحب الحلاقة « حريط ملك الجبل الأحمر » وهو سبه الذي قضى لحق بالبراة .

وجاء اليوم ولم يفرج عن أحد منا ، واعتذر أحونا محطاً غير مقصود وقع ، ثم نقل « عطام » على يوم آخر ، وطلب كل يوم حدده ، وكان ظريفاً في شخصه فلم ينطق بأكاذيبه ولم ينزل عليه بسطف .

•••

هذه صور باحة ، استخلصتها لك من السجن القائم ، ومن حلف أسواره الرهيبه قبل أن أستأنف التفكير الجاد في « ناصر والناصرية »

•••

وفي ميران أن هذا التمسك بشكل للرحلة الخلسة عشرة في موقف من « الرجل الذي تأمرت عليه » .

## الفصل السادس عشر

### الوحدة .. والحياة .. والعودة

أشعر أني نثرت رهور التفكير في غناء الزاينة الساكنة .. وهير لياليها الساحرة ..  
من غير أي تسيق يسها .. ومن غير أن أحاول أن أندمها لك باقة إر باقة ..  
والأمسكار كالزهور . وليس تكسب أن أملاً لك جنينات التفرقة أربجا وإنما الكسب  
أن تعرف أوعاز الزهور حتى تفرق بين المال منها والرحيص .. وحتى تشتري ما يرضى  
ذوقك وترفض ما لا يرضيه .

\*\*\*

ولقد وقفت بك - حد سمر طال في الفصل الأخير - عند عزم صبح على أن  
أعرض لاسر معه بالدراسة والتحليل . وقبله وقفت بك عند الوحدة التي أعلنت بين  
مصر وسوريا وحدتتك عن فرحتي الطامية بالخطاب الذي ألقاه الرئيس عن هذه الوحدة  
في مجلس الأمة فجاء دستوراً لانبجاعات الهدوة المطيبة التي قامت على كل المستويات ،  
 وحدتتك مشدوداً إلى « ناصر الصيدي » عن تقاليد الصيد في اليابان .. وحدتتك  
مشدوداً إلى الأمل في الإفراج القريب عن صور باحة من « الأحلام والطواع » .  
 وحدتتك عن جهود لي في مكتبة اليابان .. وخدمات قفصها لنا أطباء وصباط ..  
 واجتمع عندي ثغراً لهذه الجهود .. كتب وصحف وحطب وبحوث تختلت منها أدوات  
لدراستي وتحذت من كتاب « فلسفة الثورة » . قاعدة لهذه الدراسة .

وأرى أن الوقت قد حان . لأن أسق . كل نوع من الزهور في باقة خاصة .

\*\*\*

والسير الطيبى أن أعود إلى موضوع الوحدة .. ثم أنب منه ال « فلسفة الثورة »

ثم انتهى إلى الصورة الأمنية للرجل الذي استخفى على .. ثم أهدى مكانى من الرجل وأدعو الله ألا تطلبنى من دول العروبة أحدثت جديدة تنوق هذه العروسة التي صح عزى عليها .

\* \* \*

وقد عشت فيالي الوحدة - من أول فبراير إلى الثاني والعشرين منه - فوق موجة عالية .. من الفرحه الطاغية بهذا الحدث الكبير .. فقد كان لي مع « الوحدة » تاريخ كما كان لي مع « تحديد الملكية » تاريخ .

وأحس أن أنقل عليك .. إذا أنا قلت لك . فقرات كاملة عن كل كتاب من كتب الثلاثة التي أصدرتها خلال عشرين عاماً تؤيد هذه الحقيقة ..<sup>(١)</sup> ، وحسى هذه السطور من كتابي الثاني الذي أصدرته في سنة ١٩٥٤ « ملكة في البراز » وكنت قد تخيلت به حدود مصر إلى صحيم العروبة فساءلت إن كان من حق أن أعيد سؤالي القديم<sup>(٢)</sup> فيزيه الجديدي ثم قلت بالحرف الواحد :

( وجواي أيها الرفاق .. أني أروم من سنين وسنين .. إلى أمية كانت تبدو للكثيرين بعيدة المسال .. وكنت أراها بين البصيرة مقلة في الطريق . تحجبها عن العيون طبقة من السحاب غير الطيبي .. صنعها يد للمستمر .. ولم تصنعها يد الله .. وهيت بالأمنية « الوحدة العربية » .. حينها مفهومة ومدروسة .. في ولايات عربية متحدة ) .

هذه لحة قصيرة .. من كتاب واحد .. أتعدسها « شاهد إثبات » هل أن الوحدة العربية كانت هدفاً من أهداف من عشرين عاماً .. وأن هذه الوحدة كما تمنيتها وعملت لها - ولايات عربية متحدة - كانت الحلم الذي راودني من أيام شبابي ولا يكون

(١) برمت المؤلف من استعداده لإهداء نسخة من كل كتاب من هذه الكتب لكل قارى، جنبها من سوان مكته ٣٥ شارع جلس اللاحميلي بميدان لاذ اونقل بالتحفة .

(٢) يشير إلى أن اللحن الذي تله فيه في سطور من كتابي الثاني كان قد حله كتابي الأول « البراز في البراز » .. بصية أخرى .

عجيباً - إذن . وأنا أرى « ناسر » يرمح الجلوة الأولى في حلقة الصراع العرقي حول الوحدة العربية ... ثم وأنا أرى الجلوة تتبدى أمامي « وحدة اندماج » - لا وحدة « ولايات عربية متحدة » كما تمنيتها ... لا يكون عجيباً أبداً ... ولا يكون محل تشكك أبداً . . أن أصبح فوق موجة عالية من الفرحه الطاغية بهذا الحدث الكبير .

\*\*\*

فرحت بالوحدة إذن بين « مصر وسوريا » ، وأدركت - كما لم أدرك من قبل - أن ساعة التبعث التي تطلع إليها أجدادنا قد حانت - كما قال جمال - وأنه قد كتب بلبينا بدليل طويل أن يشهد مطلع صباحها - كما قال جمال - وأن الذين تخيلوه في المي قد أصبح واقفاً - كما قال جمال - وأن الذي صمت للمشاقق لتحول دونه قد أصبحت له وحده قوة القانون وقدرته .

وفي إحدى الليالي التي كنت أهد فيها كل ما قلته « جمال » عن « الوحدة » رأيت يدي تنسلل إلى كرامة يبعاء تحت الوسادة ... وإلى قلم رابض فيها ... ورأيت القلم يجرى - وكأن يداً غير يدي هي التي تحمى به - ويكتب الأستة الثلاثة التالية :

١ - ماذا صنعت لنا الوحدة ؟

٢ - ماذا صنعت بنا الأسلام التي رؤيت لنا حلف أسوار اليابان ؟

٣ - ماذا صنعت لنا الرسائل التي كنا قد تلقيناها من الأهل والإحوان من

خارج اليابان ؟

وتنبهت .. فكففت يدي عن الجريان .. وحببت لهذه الأستة النابية تغليبها على قوة حبية لا أستطيع لها دفعاً .. وفي الساعة التي هممت بأن أسمد فيها بالتفكير في الحدث الكبير الذي تم .. فهل تُرى ما يزال شيطان التقدم يطاردني ؟ وهل تُرى ما يزال مصراً على أن يسكر صفوي .. كما رأى لهذا الصفو ظلالاً يتراءى على قسائني .. أوقفاً بضوء في عيني ؟ ثم ما هو سر رغبته في أن يهبط بي من البحث في الوحدة

على « مستواها المرئي » .. إلى البحث فيها على « المستوى الشخصي » ، فيأثني  
« ماذا صنعت لك الوحدة .. بوصفك سجيناً ؟

وقلت وكانى أتمدى شعماً آخر يجلس إلى حوارى :

— سم أقبيل هذا التحدى وأبحث منك موضوع هذا السؤال ولا أروع من أى  
سنيقة .

### ماذا صنعت لنا الوحدة ؟

وقلت في صراحة أجيب :

— لم تصنع الوحدة لنا — بمن أباد « المزامرة السكرى » — شيئاً .. وكنت  
أحب لو أنها صنعت .

وعند هذه الإجابة رأيت الهماكرة وقد عادت لى إلى شائمة جميلة وقديمة — لمالك  
تذكرها — كانت قد عبرت إلينا قضبان « السجن المرئى » يوم كنا « ضيوفاً »  
عليه .. وكانت الشائمة تقول إن الرئيس قرر الإفراج عنا وحفظ القضية — وحددت  
الشائمة فى ذلك الميعن يوم ٢٢ يوليوس ١٩٥٧ أو اليوم التالى له موعداً للإفراج هنا .

وتحقق الشطر الشكلى من الشائمة فخرجنا من « السجن المرئى » فى ذلك اليوم  
فضلا ولكن إلى أبع له هو « سجن الاستئناف » لا إلى بيوتنا كما كان الشطر  
للوضوحى يقول .

وعدت بالهماكرة أيضاً إلى « سجن الاستئناف » وقد أدركتنى فيه ذبول تلك  
الشائمة فقد كان لهذا السجن — يوم نُقلنا إليه — مأمور اسمه « هجت » ظل معنا بضمة  
أيام نقل معنا إلى الديرسان العام .. بعد أن لعب دوراً يحبس « الشاب » لا محل له فى  
هذا العمل .

وكان « هجت » فارح النود .. مبسوط الأشارر .. دعت الأخلاق .. وذات  
يوم كنت أكتب خطأً لأسرقى .. فى مكتب ضابط .. فى حجرة خالية .. من

بين غرقات العور التي هب فيه .. أرشدني إليها للأمر .. وبناء رأيت أمامي ..  
فنسلم الحطاب من ليتولى « تمديره » .. وبدأ يجاذبي أطراف الحديث ثم فجأني  
بقوله إنه كبير الرجاء في برادتنا .. فطاسأته عن أسباب رجائه قال إنه يعلم علم اليقين ..  
أن الإنتراج عما كان قد تقرر لولا « حادث الإخوان » .. وسأته عن هذا الحادث  
فدهش لي على وقال : « حادث الميادين .. ألم تقرأ البلاغ الرسمي عنه في الصحف ؟ »  
قلت : « لا » قال : « لأن الإخوان الموجودين في لبنان طردوا .. أحدثوا قبيل التصح مجلس  
الأمة شعباً حطيراً وتمرّدوا على قوة الميادين ووقعت اشتباهات دامية يؤسف لها .. صغف  
الرئيس ولم يجد الجوساساً للانفراج عسك » .

ذكرت يوماً ( شائمة السجس الحزبي ) - بين وبين غسي - ولم أحدث  
لأمر منها .. واكتفيت بأن أقول له : ( والله يا سيدي .. لو كانت النية متعبهة  
فبترتونا .. لما قدمنا للمحاكمة ) وصمكت الرجل وقال وهو بهم بالانصراف ( يا أخى ..  
ربنا كبير ، وما نفيس شيء ، كثير عليه أهدأ ) .

\*\*\*

وأعود بك إلى الميادين ، ومرة أخرى لا أراكه الله إلا مسطوراً فوق الورق .

أعود لأعيد القول : إن الوحدة لم تصنع لنا نحن أبناء المؤامرة شيئاً وكنت أحب  
لرأيتها صحت ، وحادث الإخوان أسمى ( تاريخياً ) ، والبلو أصبح بالوحدة جيلاً ،  
والمحاكمة تمت ، والعمو في مثل هذا الموقف يعل من شأن صاحبه ، وأنا أرحف الآله  
بما طفتي إلى ( الناصرة ) ، فلماذا لم يقبلها ناصر ؟

ولم أشأ أن تنف مشاعري في طريق تحولت لنفسي :

— إنه — هل أي حال — يملك من عناصر الموقف ما لا يملك .. وهو أندر  
على وزن الأمر ونتأجه قلل له غفراً .



## ماذا فعلت بنا الأحلام؟

وعاد شيطاني يصحك مني ويحسدي وكأما يابئني .. ويقول :

— ندع الجدد قليلا ، ونهرل ، ودعني أسأل : والأحلام ماذا فعلت بهم؟

والحقيقة أن السؤال لم يكن حلولا .. لأن قصة الأحلام التي رأها لنا الحالمون ..  
بليت حداً .. جعلها لنا شملا شاغلا .. حتى أجبر لنفسي أن أتجاسر وأعلن أننا آمننا معها  
وبسببها — وتفسيراً لها — بأن الإفراج عنا بات وشيكا .. فلما أعلنت الوحدة في أول  
فبراير أحجم «المفسرون» في مختلف «المنابر» على أن يوم الإعلان «الرسمي» للوحدة هو  
يوم الإفراج الفعلي عنها .

وأعلنت الوحدة «رسمياً» .. وأفرج فعلا عن سجناء عديدين من «النفقة الذين  
أمضوا نصف مدة عقوبتهم .. ولم يفرج عن «الباشوات» !! ؟

وسفرنا بالأحلام .. وسقطنا «الحالمين» .. وتركت شيتهم أنرا سينغا في غفوسنا .

ولكن «المجبن» لا يذله من «حلم وحالم» ، ولا يذله أن يحلم لنفسه أيما .

وعدنا نولي «الأحلام» بعض «استراستا» بعد أن أكد لنا «المارفون» !! أن  
«الحلم» لا يذنب له .. وأن الذنب ذنب «الفسر» .. عدنا تبحث عن «مفسرين  
جدد» .

ولكن «المفائق» الجديدة كانت قد بدأت .. فرحنا نتطلع إليها .. نتطلع إلى  
عيد الثورة السادس في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٨ ، وهكذا تنقل الأحلام — في النوم واليقظة  
على السواء — تتصل بالمجبن من سلم إلى سلم .. ليقوى على احتمال الحياة .. وتلك  
حكمة الله .

## وماذا فعلت لنا الرسائل ؟

أما قصة الرسائل التي كنا نتلقاها من الأهل والإخوان من خارج البيان فقد تداعت إلى رأسي تلقائياً ولم تكن في حاجة إلى شيطاني .. لأنها حقائق لا شأن لها بالمفسرين .. أو الوكلاء للفوسين من « العلامة السارف بالله محمد بن سيرين » .

كنا قد تلقينا من الأهل في الزيارات ، وعن بعض الأصدقاء في الرسائل أنباء تؤكد أن الإفراج عنا قد تقدر - وفي بعض الروايات للترزة « بات مأمولاً » - وكانت هذه الأنباء معزوة إلى « مصادر عليية » ، وكانت تملأ قلوبنا بهجة ، لأنها قائمة على واقع ومنها على سبيل المثال ، أن ابن أختي الذي سبق أن أشرت إليه كان قد انتهى إلى ، أنه كتب بهي - ويخطه هو - بعض الخطابات لصحفيين لم سكانتهم وكان يعتقد أنهم من خلص أصدقائي ، وأن « أحدم » - وله خطره - أكد له نيا الإفراج عنا في عيد الوحدة أيضاً .

فلما جاء عيد الوحدة ولم تتحقق الأمنية ، جاءت هذه النلية الثالثة ضناً على إبانة .. كما يقول العرب :

وهذه هي الإجابات الثلاث على الأسئلة الثلاثة .

## أطراد الدراسة

تفهم من هذا كله أنني كنت فرحاً بالوحدة ، ولم يسكر فرحي غير هذه « النليات الثلاث » ، ولكن عزمي كان قد صبح على دراسة « ناصر » كلفت ، ومن يومها لم يهتز هذا « العزم » في يدي ، وطلعت أبدأ مصراً على الأبرج سجنى لإكافراً كامل الكفر .. أو مؤمناً صادق الإيمان .. وأكرر دعائي لله ألا يقع من الأحداث ما يؤذي هذه الدراسة .

## عود إلى الوحدة

وعادت إلى « قصة الوحدة » من قبل أن أعود إليها .

عادت إلى .. عن طريق الصحف التي كانوا قد بدأوا يرحصون لنا بلاشتراك فيها وعن طريق أهلنا وعن طريق ( المهراز الإناسي ) للملق في الصلاة على مري أمتار من غرقانا .

ولقد تبيت باهتمام كل ما كان يكتب .. وكل ما كان يذاع .

واستمتت إلى هتاف الشعب السوري لناسر . وكان قد سافر إليهم فداءً هوره في الانتصابات التي جرت في مصر وسوريا .. وثار فيها بالرياسة بما يقرب من إجماع الشعبين .



وكنت أعرف أن الشعب السوري لا يزال - كما كان - من حيث الحماة والحراة .. حليل الفرسان من بني حدان ، كفا كتب أو خطب ، وكفا استقبال أو ودع .. وكفا سلم أو حارب ، ولكن الذي لم أكن أعرفه - ولم أكن أتوقه - أن تبلغ به حماسة الحد الذي قلته المديح إلى أذني هتافاً .. وشكته الصحف إلى عيني صوراً .. حد الجنون الذي لا يكاد يصدق . جنون السحائر والشيوخ والأطفال ، قبل جنون الشابات والشبان والرجال .. حد الجنون الذي يستحيل أن يتحمل ولو استؤجر له للشعب كله .

ولست أدري لماذا طالتني من حلال اللغز ، صورة من أيلم الحراسة ، صورة « لقاء » لم يبرح ذهني حتى اليوم ، لقاء بين شعب مصر التارو « سدر غول » الزعيم ، وكان يومها حانداً من منعمه نحو طوب الشعب وترعاه ، ولكن ( نكث ) كانت « ثورة شعبية دامية » تفرغ كل « طاقاتها » وكل « إرادتها » في استقبال زعيمها الشيخ ، أما « اللقاء » بين « ناسر » و « الشعب السوري » ، فلقاء الفرحة للسالة ، ولا يحتاج أمر الفرحة إلى كل هذا المديح ، فإذا يتسنى هذا « المديح » - إذن - أو ماذا يسمى هذا « الجنون » ؟ ، يعني أن سوريا ترفض إلا أن تفرغ « دهبها الثوري » وطاقاتها

ولادتها هي الأخرى ، في استقبال زعيمها الشاب وعلى هذا النحو التاريخي للذحل ' ادى حيل لي والرايو ينقل « أسماء » إلى ... أن جدران « البيان » توشك أن تنقص .

وكان « جمال » صادقاً - إذن - عندما قال لم في أول مقطع من أول خطاب ألقاه عليهم بعد وصوله إلى دمشق : « إلى أشرف الآن وأنا يسلم بأسماء لحظة في حياتي » .

• • •

ومصت الحطب الناصرية .. « شمسية » .. وعلى مستوى « التنمية » في يومها الأول والثاني ..

ولجأة - وفي السادس والعشرين - وقف « جمال » في دمشق على « قمة موجة جديدة » تهيئ إلى الأذهان ، تلك اللوحة التاريخية التي ركب قتها في القاهرة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وقف يهاجم بغداد ، ويهاجم أوكار الرجعية في كل مكان ، ويشنها حرباً لا تعرف الهزيمة على كل رأس يحمل ذرة من خيانة ، كما أعلن أنه يساند الشعوب العربية كلها وفي غير خفاء ، ويتحدى الاستعمار وأسلانه وأعرانه ، وأعلن أيضاً أن « حلف بغداد » استعمار حديد تحت شكل حديد .

• • •

وكان وزير خارجية العراق قد هاجم الوحدة ، وكادت العراق قد ألامت مع الأردن ( اتحاداً هاشمياً ) ، ضحك منه الناس في كل مكان ، ولكن ناصر لم يضعك بل غضب ، وتحدى هذا الاتحاد أن يبتقى ، وأكد أنه سدا أيام سينشو ( هشياً تفروه الرياح ) .

وأدركت أن القائد الشاب بدأ يصح خاتمة الخطاب الذي كان قد ألقاه على النواب مومع التنفيذ عندما وصف الجمهورية العربية بأنها دولة ( توحد ولا تفرق ، تسالم ولا تنرط ، تشد أزر العديق ، ترد كيد العدو )

## نذير

وفي اليوم التالي - أوى في السابع والعشرين من فبراير - سدد رمح الوحدة  
إلى صدر أعدائها و بالأسماء وفي غير خفاء فقال للسوريين على مسمع من العالم :

« لقد قام سمير الرطاي في عمان بالقبس على الأحرار . ولكنه لن ينلت من  
قبضة الأحرار » .

وتحدث عن بلش أعيان ورر خارجة العراق فقال :

« هؤلاء انطونة العرب لم يوم قريب » .

وتحدث عن فاضل جمالي فقال :

« إنسا لن ترد عليه .. ولكننا نتركه لشعب العراق ليحاسبه .. ليحاسب  
انطونة .. فيحاسب أهوان الاستعمار في كل مكان » .

ولم بعد الأسر - إذن - أسر خطب تلقى أو تحيات تزيى .. إنما هي حرب  
الشعوب العربية يملتها « ناسر » على « انطونة من حكام العرب » .

\*\*\*

وفي الثامن والعشرين من فبراير نفسه خطب في الوفود اللبنانية والأردنية فقال لم  
بعد أن حياهم :

« لا طائفة ولا إقليمية .. كلنا رجل راسد .. كلنا عرب » .

والمعروف أن ( لبنان ) جنة الله في ( الشرق ) لا يحب فيها إلا ( الطائفة ) مصدر  
كل فتنة بين أهلها .. ضميحة ( ناسر ) بوصفه ( راعي الوحدة الأكبر ) بأنه ( لا طائفة )  
و ( كلنا عرب ) إنما هي دعوة صريحة من الدعوة التي ( تجمع ولا تحرق ) إلى الشقيق  
القي ( يسرق ويحرق ) .

تقرر — إذن — وفي الأسبوع الأول من قيام الوحدة — أن يهاجم معاقل الرجعية الأردنية في شعص ( سمير الرفاعي ) ورجعية عبد الإله ونوري السيد المراقبة في شخص ماش أعيان ومرجان وقامل جمال وأن يدعو ( لبنان الطائفة ) إلى ( لبنان العربية ) في أشخاص وقودها الزائرة .

وفي مارس بدأ القائد الشاب يصق هذه الاتهامات كما زاره عربي وعاد يدكّر ( لبنان الثائر ) بأنه عندما قلم ليكافح الاستعمار الفرنسي ( كانت سوريا وقف معه في خط النار وكانت مصر تنبئ فيها الغلوب ) والتمنى وقف ولم يتردد مرة ٠٠ لا يمكن أن يتردد مرة أخرى .

وعاد يتحدث في صراحة إلى مرجان — رئيس وزراء العراق يومئذ — فقال : « إن ما فعله شعب مصر في السويس ، سيفعل شعب العراق في حكمه ٠٠ وتعدى ( مرجان ) أن ينزل إلى شعب العراق في الشارع ٠٠ ليرى ( الخائف ) . »

وحيل لي أن ( ناصر ) لا يمكن أن يوجه هذه التهديدات — وباسم الشعوب العربية — إلى معاقل الرجعية ٠٠ وبالأسماء .. وهذه القوة ٠٠ إلا إن كان قد ملأ يده من اتهامات هذه الشعوب .

### بعد العودة

وعاد « ناصر » إلى القاهرة ٠٠ أشد إصراراً على مهاجمة الرجعية في كل بلد عربي .  
عاد يحدث شعب مصر عما قبله من شقيقته الشعب السوري ] ويقول في صراحة :  
« من دمشق بنظرة عائرة إلى الحدود ٠٠ كان من الواضح أن هناك جيوشاً تتحرك ٠٠ وأن هناك تهديداً سلفاً ٠٠ كما أن هناك تهماً تكال من غير حساب ٠٠ كانت هناك غير الحدود محاولات لتضييق الجبهة الماخلية ومحاولات لتفارقة بين الشعب والجيش » .

وألقى بعض الضوء على هذا الذي يجري عبر تلك الحدود ٠٠ فذكر ( السودان )

وما خلفه من مرارة في (حول الاستعمار) .. فراحت تبحث عن صغار القنوس في  
السلطنة ، فحدث انقلاب في الأردن بعد أن ظن هذا الشعب أن مليكه بدأ يمشى إلى  
الأهداف الوطنية معه .

وبين - إذن - أن الرجل يركز مدعماً من الآن .. على بنداد وحصان .. وإن  
كانت الثورة .. قد بدأت تعمل عملها على الأخرى في لبنان .

\*\*\*

في زقاق الساكنة وميت هذا كله .

وأدرت أن الوحدة .. ليست إلا مركز تجمع .. وشعلة انطلاق .

وتطلعت إلى (السف المقدس) - كما أسماه - يتأهب للوثوب .. ويتأهب  
لتحرير الشعوب ..

وحسن القسام العربية .. بدأت إذن تبين .. على وجه القائد الشاب .

وتلك آخر طبعة من القائد العربي .. لا (أمركة) ولا (جلنزة) ولا (شيوعية)  
فيها ولا (إثنوية) .

فهل من الخبير أن يعود إليه هو .. ومن بدايته .. ليراه تحت الأضواء وعلى  
حقيقته .. بدلا من الفف والهوران حول الأحداث ، وهو نفسه حاسمها ، كما قررت ،  
أم أن الأحداث حاسمها ، وقد بدأت تتجمع ، وتلقى عيوطها إلى يده مستعرضة إلى حين  
عن دراسته ؟

ولم استطع أن أجييب وتركت الجيوب للأحداث .

\*\*\*

واعتقد أيضاً أن هذا الحديث عن الوحدة ، يشكل الحلقة السادسة عشرة في موقف  
من « الرسل التي تأكرت عليه » .

## الفصل السابع عشر

### ثورات ونكسات

كنت على الطريق إلى يوليوا أو « نموز » .. أهنو في شوق ولمعة .. إلى يوليوا أو إلى « نموز » ، ولم أكن أتوقع أن يقع خلاله ما وقع .

كستأشتر بهذا الشهر دائماً، استشاراً « تاريخياً » بحتاً، لأنه اردان على طريق التاريخ ، بثورات إنسانية غيرت مجرى التاريخ ، ولكنني في هذا العام ١٩٥٨ لم أكن أهنو إليه على المستوى الثوري أو الإنساني ، وإنما كنت أهنو إليه على « المستوى الشخصي » ، على مستوى « إطلاق سراحنا » ومن هنا كررت دعائي ، ألا يشهد هذا الشهر أحداثاً جديدة تصرفني عن دراسة « جمال » أو تصرف « جمال » عن رعيته وبتدنية في إطلاق سراحنا .

وكانت « الأحلام » قد نشطت في ( دور السياسين ) نشاطاً فاق كل حد حدثتك عنه . . .

وكانت أباء أهلياً والتصلين بنا من خارج ( الأمان ) قد نشطت هي الأخرى حاملة إليها ما يسمى أحلاماً ، حتى « أنير مزارعي » - الصحفي اليهودي الذي أبعده عن البلاد من عامين - أرسل إلى قبيل يوليوا ١٩٥٨ خطاباً عن الطريق الرسمي - أهدى إلى إدارة السجن - يؤكد فيه أن الإفراج عنا في ٢٣ يوليو قد تقرر ، وقد صجبت لهذا الخطاب ، لأن « أنير » خير من يعرف الطريق إلى مراسلة السجن عن غير طريق البريد ، فلماذا وقع اختياره على هذه الوسيلة ؟ وأخافني القدر من كل قلق ، فأتاح لأحد الأصدقاء الضابط انضباط من « حامل بريد الأمان » - قبل أن يمر البريد بالأمور - وجاءني الصديق خطاب « أنير » سلباً غير مفوض . وإن كنت لا أشك في أن أنير إنما أراد أن يخدعني .

وكانت الثورة في لبنان قد اشتد أوزارها .



وبدا « للراغبون » يركزون اهتمامهم على « لبنان » ويرون أن المراك إنما يقوم فيه ... بين « جمال عبد الناصر » مثلاً في الثائرين على مستوى الروبة ... وبين « كميل شمعون » مثلاً في « الطائفة » — على مستوى الثورة .  
هنا ما قرأته .

أما أما فكنت أحس أن « جمال » لم يكن طرفاً في القتال رغم إصرار الحكومة اللبنانية على أن السلاح يهرب من « الإقليم الشمالي » إلى الثائرين في شمال لبنان ... وكنت أحس أن انتفاضة لبنان التي تحولت إلى ثورة إنما كانت انتفاضة الروبة فيه ضد الاستعمار والرحمية .. وعندما اندلعت نيران هذه الثورة في لبنان ... لم تكن « الجمهورية العربية المتحدة » قد قامت — وإنما بدأت انتفاضة لبنان شعبية وعربية ... لسبر عن غضها على موقف لبنان الرسمي من مشروع أيزنهاور .. وكان للشروع كما قلنا قبلاً قد صدر في الخامس من يناير ١٩٥٧ وكان « ناصر » قد قاومه وأيدته شعوب الروبة حتى أجهز عليه ، ولكن « لبنان الثورة » سرحت على إجماع العرب وقبيلت للشروع ، فاستقالت للمعارضة من المجلس النيابي وانتقل الأمن ... والتحدثت قوات حكومة ساي الصلح الماضيين من الشعب في الطرقات ... وصرح الزعماء ... وجرت الانتعابات وأسقطوا هؤلاء الزعماء فيها .. فاتهم الثائرون حكومة ساي الصلح بالثروير ... وقاد « رشيد كرامي » المركة في طرابلس وخصمت أرضها بدماء القتلى والجرحى ... وكانت الثورة ... فإذا كان « للراغبون السياسيون » قد جعلوا « ناصر » طرفاً في القضية فلأن « ناصر » كان « التعم الملامع » الذي تطلع إليه ثوار لبنان — كما يتطلع إليه الثوار في كل مكان — وإذا كان المرادون قد جعلوا من كميل شمعون طرفاً أسر فلأن كميل — المحاهد القديم مع الأحبار أصبح في نظر الثائرين ومرأ قوى الرجسية التي كانت توحد بين حلف بغداد .. وبين احتلوا وأمريكا .. وبين عبد الإله ووردي في العراق ... وبين الملك حسين في الأردن ... وبين « القوميين السوريين » في كل مكان .

## مفاجآت

وجاء يوليو ... أوجاه « تموز » •

وكنت أعد أيامه على أصابع اليد عدداً ... فلماذا مضى منه يوم ... قلت - على طريقة المراقبين في لبنان الامتحنات : « باقى من الزمان ٢٢ يوماً » ... وإذا مضى منه يومان ... قلت : « باقى من الزمان ٢١ يوماً » .

وكان عبد الناصر يحوض معركة القنوية الريفية من سفوف دمشق والقاهرة وفى حلب والإسكندرية ... ضد الرجعية فى البلاد الريفية .

وكان كميل شمعون يتودد « للمجروح المصاب » فى مجلس الأمن عن طريق وزير خارجيته شارل مالك .

وكانوا قد ألبوا علينا السودان أيضاً .. فبدأ جو العلاقات بيننا وبينه مشحوناً بالتوتر ...

وقرأنا أن حلب بدأت تقرر حذوه فى آخره فى ١٤ يوليو على أهل المستويات ليشهد من جانب الرأى للام قهصل والأمير عبد الإله ونورى السيد .

وبرغم استمرار خيوط يوليو فى يدي ... فقد ظلت حربياً على « هدية يوليو » .

وفى اليوم الرابع عشر ... عدت أحابى وقلت كالمادة - أقصد عيد الثورة السادس الذى أنلف على مقدمه : « باقى من الزمان تسعة أيام » .

• • •

ولكن الساعة دقت فى الرابع عشر من يوليو ... ومن ( تموز ) ... ولم تنتظر أياماً للتسعة .

دقت الساعة فجأة .. !!

وتكهرب جو « اليابان » ... وعلت فيه الجلبة والصوماء .. وأمسى درر  
السياسين خلية من سلايا النحل تطن بالسؤال وتطن بالجواب . 'ولا يف أي سمين  
متقف عن الخلوة بأى سجان جاهل ... لبأسه في لفقة وتواضع : « إنه حكاية  
العراق » !!!

وأبناء « العراق » في ذمى .. لم تكن تجاور وصول عواهل الرجسية فيه إلى  
« مطار استانبول » في نفس ذلك اليوم ... تعرف لهم الموسيقى وتطلق لتحتهم  
المدائح ويستقبلهم جلال بايار وهدنان مندريس .

وتقول : « ثورة في العراق ؟ »

\*\*\*

ثورة في العراق ؟ وناصر ؟ أين مكانه ؟

وتقول : مكانه سيد .. سيد .. ولله الآن على الطريق .

كان قد سافر إلى ريوى ... وأسى محادثاته مع نيتو ... وأدع أنه يتهم أن  
يبهر على طهر الباهرة « الحرية » عدائ ذلك اليوم .

وتوالت الأنباء .

قيل إن الشقبلي في مطار استانبول قد رجفت قفوسهم خشية أن تكون الطائرة  
التي تقل أطفال بندق قدصلت طريقها .. أو قتبت حتمها .. لأن الوقت مر .. ولم تصل  
الطائرة .. وقيل أن نأ « حاجباً » قد وصل إليهم بدلا من الطائرة

وتوالت الأنباء ...

وعرف (البيان) النبأ كما عرفه العالم كله - وأكد الضباط والأطباء - في البيان -  
أهم سموا صوت عبد السلام عارف من محطة بندق يقول : « هنا الجمهورية العراقية » .

\*\*\*

## عبد الحكيم عامر

وكان لعبد الحكيم في ذلك اليوم موقف ... لا يقفه إلا عبد الحكيم .

تلقى فجر ذلك اليوم من قيادة الجيش الأول في دمشق نبأ الثورة في بغداد وانتظار التعليلات . وناصر و بوهوسلاويا أو في عرض البحر .. والوقت لا يعترف إلا بالتصرف العاجل .. ولا يعرف الصنف ولا التردد ، ولم يصعب « عامر » ولم يتردد .. وأصدر أمره إلى جمال فيصل . أن يستعد لحوض المركبة إلى جاب الشعب العراق الناثر . وأن يقف إلى جاب التوار . وبنا بتلقى التعليلات من « ناصر » .

## ومفاجآت .. أخرى

واصل عبد الحكيم بحال .. فأمر بإعلان التعمية العامة . والوقوف على قدم الاستعداد لمعاونة التوار إذا تطلب الأمر . . وتملقت الأضراس ببغداد .

وسى الناس كل شيء .. حتى الثورة في لبنان .

وسببها أما أيضاً مع الناس .. وإن كنت لم أمس أهدأ . الإفراج في يوليو ولكن قصة « الإفراج في يوليو » أمت . ولها مدان عبر اللذان .

لم أعد أطلب الإفراج للإفراج .

أصبحت أطلب الإفراج اليوم لأحوض العار .. ولأهل السلاح .. سلاحى الذى علاه الصدا . لأهل قفى مشرعاً .. ولأرسل خلف الأحداث صرخاته . بعد أن فقدت كل قدرة على الصمت . هكذا تميث في تلك اللحظة .

وحيل لى أن « ناصر » هو الذى ضلها .. وهو الذى أعد لها . وهو الذى أضرم نارها .

كان قد قالها لتورى ومرجان .. وكان قد قالها لفاصل وبلش أعيان .. والهور آت

عل عمان - والثورة لا بد أن يشتد ساعدنا في لبنان . وأصداء الأحداث لا بد أن ترد  
أصداءها أرجاء الشرق العربي في كل مكان .

الزحف للقدس التي حدثنا عنه . ما هو ذا يبدأ .

مرت هذه القصة الماطية بي . فشتها مسحوراً بها يوماً وليقة .

•••

ولكن همة التضكير لا بد أن تدور .

وعاودني داء السنين والجلب . وبدأت الأسئلة تتراكم أمامي :

— ما هو موقف إنجلترا وأمريكا وشركات النفط من هذا الانقلاب ؟

— وهل تزحف قوى الدولتين تحت حكم (الاتحاد الهاشمي) إلى بغداد وتفشل ثورة  
الجبش كما فشلت ثورته في عهد رشيد عالي ؟

— وهل تمد يد العون (المسكوي) إلى الثوار . فنرى أضنا في حرب مع الأردن  
ومع الاستعمار ؟ ونحن محطون من ناحية بمحكومة شمعون في لبنان . ومن ناحية بتركيا  
عضو حلف بغداد ومن ناحية تالكة بإسرائيل ؟

ثم قلت مخاطب نفسي :

— وأنت؟ ما هذه الصرخات المحسومة التي ترسلها وقد تحطيت الحمين .. وتتحدث  
عن القلم الذي يشرح . والمار الذي يمانس .. وتتصور بقل المراقق — لا بقل النقد  
السادس — أنهم إذا أخذوا سيلك . فسحوا الخيال أمامك . ووضوا حريديتك المنة  
تحت قدميك . وفرشوا لك الأرض بالرمال الأحمر والورد الأبيض ؟

وتواري « الخيال » بحر مه .. « أمنية » حبيبة لم تعد بالحياة إلا لحظات ..  
وقفت يتبع الأحداث .

•••

وعشنا في ظل العروبة الزاحفة يوماً واحداً واية ، استمعنا خلالها إلى مراسم عراقية ودراسم ، كان المذبح يلقيها وكأنه يُسبِّحها ، مراسم بالماء لللكية التي سطلوها ، وقيام الجمهورية العراقية ، ومرحوم بتشكيل مجلس السيادة يمثل سلطة الدولة في (القمة) ، ومشروع بتشكيل الوزارة الجديدة يمثل سلطة الشعب من (القاعدة) .  
وتوالت الأنباء ودودة وحبية .

نأ يقول : إن أول عمل بانثره مجلس السيادة كان برقية إلى ناصر « بريد الفجر والاعتزاز نقدم اعترافنا بالجمهورية العربية للتحدة » .  
وبأ آخر يقول : إن الجمهورية العربية للتحدة أبرقت إلى مجلس السيادة تعترف بالجمهورية العراقية الجديدة .

• • •

وقال الناصيون من السجاء : « مصر وسوريا والعراق ، في وحدة ؟ تبقى ضاعت لبنان » .

ورد الصهيوني السجين : « تبقى الحرب العالمية » .

وقال سحون مصري يمد كأنه يمزح : « تبقى ضاعت إسرائيل » .

ورد الصهيوني وكأنه يمزح أيضاً : « دى تبتى من الفترات إلى الليل » .

ورأيت لأول مرة أمراة إليهم وأقول (جلداً) للصهيوني الذي يتردد دائماً إلى :

— كان غيرك أشطر .. يا حليم

ودعش الشاب للهجة الجدد في حديثي وسألتني :

— مين كان أشطر ؟

ولم أتردد في أن أجيب :

— بن جويون وإيدن وموليه .

وصحك الزاهمون .. وشمل ( الردود ) ولكنه لم يلبث أن انشغل للوظف من  
المروجة فصرح كماً سكف وهو يقول : « ده يظهر الأستاذ .. بقى من متوع  
ناصر خلاص » .

• • •

عشاقى حو هذه الروية يوماً وليجة كآقلت .

أما اليوم الذى تلاجما ، غشاء ينقل الفرحة من سامرنا ، إلى سامر سوبينين  
وزارب فأبناء صهيون .

جاء يحمل بأ زول القنوت الأمريكية من أسطولها السادس إلى أرض لبنان ،  
وهبوط القنوت البريطانية على أرض الأردن .

وأعترف أنى وجهت .

ورادى وجوى أن الثورة فى لبنان كانت قد أوشكت على الإنهاء الملاح بيد أن  
تراحم شمعون عن محاولة إدخال تعديل على الدستور بمبزه بمجديد ترشيح ضمه لقرينة ،  
ونزل الأمريكيون إلى لبنان وارتفع رأس شمعون ، واشتدت عضبة الأحرار فى كل  
مكاف ، وبدأ اللد الروس يتدّظ وهو يرنو إلى العراق ، وتكهرب الحو السياسى  
فى العالم كله ، إيداناً تحرب الشمس ، ومقدم الليل ، أو مذبراً بشنوب حرب عالمية -

• • •

ولسكن أهل «الليان» لم يشاركو فى الشمور مقدم الليل ، أو هذا ما تصورته .

كان السجين الذى يحامس « الناصرية » ، بنقى اللحظة التى تندلع النيران فيها  
وشعاره : « ليس فى الإمكان أسوأ مما هو كائن » ، وأى ( دهكة ) قد يركب موجنها  
إلى خارج الأموار وينجو ..

أما أشبه لطلاب اليانسين من القنفة والحرمين ، فقد بدأوا يفكرون أعينهم ويعكرون

و (عدم) ، أصبح لم (غذ) يتحدثون عنه ، وراحوا يقصون علينا من ذكريات-  
(أمسهم) ، طرفاً عن (المدون ، وأيام المدون) ، وكيف سمح لهم يومها بالمشارة  
في القتال ، وكيف دربوا عليه فعلاً - ولولا وقف هذا القتال لخرحوا إلى أرض القتال  
وماتوا فوقها أبطالا أو عادوا إلى بيوتهم أحراراً ٠٠ ولا عرو - إنن - إن تطلدوا اليوم  
إلى موقف مماثل ، أو إلى حرب قادمة .

وأحس المستولون في «البيان» مشاعر السجاء فاشتدت الرقابة على كل سجين ،  
وتوات أوامر (التشديد) من (مصلحة السجن) ، وسد أن كانوا (يتساقطون) منا نحن  
الحمة ، إذا خرجنا من (المنبر) إلى السفن وحدائقها بأي حارس مختاره عن أو بنو  
حراس ، لم يعد يسمح لنا بمبارحة (المنبر) إلا تحت الحراسة ويأذن خاص ، ولم أدرك  
وقتها سر هذا التنوير في الماتح .

\*\*\*

وبرعم هذا كله ، ما كاد الليل يبي ، وما كدت أحلر إلى عسى حتى مدأت  
أفكر وعلى النحو التالي :

— ونامر ؟ أين مكانه ؟ بحر الآن عباب البحر فوق ظهر سميته (الحرية)  
كما أديع ؟ وهل تصل (الحرية) سائلة إلى الشاطئ المصري ؟ والأسطول السادس ٠٠  
أليس في وسعه أن يفعل شيئاً ؟ وغرامات إسرائيل ٠٠ ألا تستطيع أن تفرقها وقد تمحدد  
موعد وصولها وعرف خط سيرها ، من ميناء بولا ، إلى ميناء الاسكندرية ؟

\*\*\*

ولجأة - وما أحوجي إلى استخدام هذه الكلمة في هذه الأيام - حانة ٠٠ وعلى  
حين عفة مني ومنك ومن كل دولة ومن كل فرد ، وفي اليوم المحدد لوصول (ناصر)  
إلى (الاسكندرية) ، ومراسم الاستقبال تعد ، وكل العالم يتسامل عن (الند) ، وكل  
مواطن يسمم بكلمة : (وبعد ؟) ، حانة هيبط في مطار (المرء) في دمشق (طائرة)  
كالتق هيبط في كل وقت ، وفتح بابها ، ونزل منها (جمال عبد الناصر) .



واهتزت أسلاك البرق ، إلى مختلف أرجاء الأرض ، تحمل الدنيا ، كما لو أنها حملت  
نياً هبوط « أول رجل » على « سطح القمر » ، وسى العالم قصة لبنان والأردن ، وبدأوا  
يلتفنون حول أجهزة الراديو ، تحكي لهم حلقة جديدة من حلقات للارد العربي ، وكيف  
يرحف ، بل كيف (يتصرف) ..

وحسكت لم هذه الأجهزة أن (ناصر) سمع وهو في عرض البحر أسماء احتلال  
لبنان والأردن ، فأدرك أن «الأس» — وهو ابنة وصع العالم على حافة الحرب — لم  
يضمعه للرة على الحانة بحيث يشده إلى الوراء أو يورده عنها في اللحظة المناسبة كما كان  
دائماً يفعل ، وإنما وضع ليتردى فيها هذه الرة كما هو واضح ..

أدرك (جمال) هذه الحقيقة الهامة فأمر بالسودة إلى يوعوسلانيا ، واتصل بمجروشوف  
فأرسل إليه طائرة ألقته إلى موسكو وهناك اجتمع به ثم طار سراً إلى دمشق وأذيع البيان  
الرسمى عن الاجتياح بين القطبين .

• • •

وعرف الشعب السوري نياً وصول عهد الناصر ..

وزحفت بلاد الشام .. إلى قصر الصياغة في دمشق فخرج إليهم وخطب فيهم  
وقال لهم :

« أيها الإحوة .. إن راية الحرية ارتفعت في دمشق ، وهي اليوم ترتفع في بندا ،  
وسترتفع عدأ في بيروت وحما والجزائر .. » وارتجت جنبات دمشق التبعاء ..  
وارتجت تبعاً لها جنبات الليان .. وهي تردد أصداً المتكاثرات التي يتقلها المدباع  
عن الفجاء .

• • •

وفي اليوم التالي ، قابلاً (أمور السادات) الوفود الزاحفة إلى قصر الضيافة بأن  
وقف في شرفة القصر تحف به وجوه لا يبرق أهل الشام شيئاً عن أصحابها وقال  
يقدمهم إلى الجماهير : « هنا هو عهد السلام طرف وأخواته جاموا من بندا إليكم » .

• • •

وفي هذا اليوم نفسه التاسع عشر من يوليو - أو من تموز - وقعت اتفاقية تلان أن البعثين مصران على الوقوف كبلد واحد في الدفاع ضد أي عدوان يقع على أي منهما .



وعاد عبد الناصر إلى القاهرة) ليشهد العيد السادس لتورته .

وطار إلى ( القاهرة ) - أيضاً - ثلاثة من وزراء (المرافق) يمثلون الثورة العراقية في الاحتفال بثورة مصر ، ونقلت إلينا الصحف ، صورة (جمال) والعماد في عربية مكشوفة وإلى جواره رئيس الوفد العراقي .



واستمنا إلى خطاب جمال .

واستمنا إلى الخطاب التي ألقاها وزراء العراق ..

وفيمنا أن (الوحدة) بينها .. على الطريق ..



وفي نفس الشهر وصل إلى القاهرة رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية السوفيتية بدعوة من المشير حاصر .. فقبله السرب على أن الطريق التي احتارها .. ليست مفروشة بالورود .

واستقبل ( على صبرى ) .. وزير الخارجية بالنيابة يومئذ .. السفير الأمريكي في القاهرة لينبه - في صورة (تبليغ شفوي) - إلى أن القوات الأمريكية إنما نزلت إلى لبنان بناء على طلب الحكومة اللبنانية ، ولم يبر السياسة للمصري تبليغ أمريكا أي اهتمام وهو الرجل الذي كان يسئل في صمت ، مراقباً لمصر في مؤتمر لندن ، وخاض غمار المناورات الدولية من وراء ستار كعادته .. وشهد معارك انقلاب النرب وسهم (دالاس) و (منزيس) .



ونخل ميزان القوى يتقلب ، هبط الإنجليز والأمريكان على الأردن ولبنان هبط  
ترموتر العروبة ، ورجلنا على القلوب بالأبدى ..

وطائر جمال إلى موسكو ثم هبط فجأة في مطار اللزة ، فهبط ترمومتر الاستعمار ،  
ودبط الرجسبون على قلوبهم بأيديهم .

وكانت الإذاعة للمصرية تتابع هذا التطور بكل إسكانياتها ، وكان (صوت العرب)  
يملاً أرجاء الوطن الكبير زهواً ودويماً ، وكنت طوال اليوم والليل ، أسمع حشداً من  
الأناشيد الثيرة ، فبدأت أصنى إليها ، بعد أن كنت أرى فيها مجموعة من القمو الرخيص  
يؤلفه مأجور ، ويلحسه مخمور ، ويتنيه تائه من طلاب الطهور .

بدأت أواكب التطور العربي بكل طاقات تكويري .

وبدأت أرى المركب الكبير ، مقبلاً على الطريق ، بكل طاقات انخيلال في<sup>١</sup>  
وها هي ذى مصر وسوريا واليران ..

وغداً الأردن ولبنان .

والجزائر لن تبدأ حتى تتأثر ، ويومها تحي - إلينا ومن حولها تونس والجزيرة  
وليبيا لتصافح الشرق ، وتمب معها من دم المستمر .

( ومن الخليج إلى المحيط ) لم تنحل - إنن - عبتاً .

( ومن الخليج التائر ، إلى المحيط المادار ) لم تنشد - إنن - عبتاً .

وأنا المتآمر على ( ناصر ) ، لم أخرج - إنن - من العراسة فاشلاً ..

لقد دوت من الناصرية ورددت هبها أكثر من مرة ، وها هو مدها للتوري  
يرتفع بي إلى مستوى يقرب من الإيمان . فهل أنا على باب تحول كبير ، وراشد ؟

هذا سؤال ؟

ولكن هناك سؤالاً يقابله أراء يزحف إلى نضى .  
وأفضيت به إلى الكفص بصوت مسروع ولم أتردد :

— سم ما سر هذا الصمت المحجوب الذى لف قصة الإفراج هنا بعد كل هذا  
التواتر أحراراً .. وأبناء ، ومن داخل اليابان ومن الأهل فى الخارج ؟ وهل نذهب ضحية  
الاحتلال الأمريكى والبريطانى ، ولا يؤمن جانبنا فى هذه الآونة ، كما اتصح من مسلك  
السئولين فى اليابان وهم يشددون الرقابة علينا ؟ وإلى متى نتظر ؟ قيام الثورة مثلاً هل  
التحاج الماشى إليهم الذى تبقى ؟

•••

إن العلاقات بيننا وبين العراق تمشى وفى تبات إلى مصيرها الحبيب المحنوم .  
وهزيمة الرجعية فى لبنان .. أسست واضحة .. وميزان القوى يميل لمصلحتنا .  
وأنا وحدى الحائر بين «سجنى» الذى أضر من ظلماته ، و«سجتي» الذى أعجب  
إلى كل انتصاراته ..  
لا بأس بهذه الحيرة ، ولا ضير ، والمد كفيل بالإجهاز عليها ، أما اليوم فيحسن  
أن ندف بهذا القفص عند هذا الحد .

■ ■ ■

وعسى أن أكون قد رسمت به للرحلة السابعة عشرة فى موقفى من «الرجل الذى  
تأمرت عليه» .

## الفصل الثامن عشر

### ركود سعيد . . ونشاط شقي

ومر بنا « أعطس » في ركود سعيد.. كركود المحارب تام بنزواته ، واسترخى في نشوة .. بحمص المنام .

ولم تكن التحركات للصربية خلال ذلك الشهر .. إلا لهم السمل.. والتأهب للهد للقبل.. فالجمهورية العراقية تمشي إلى أهدافها مطمئنة إلى أحوة قادرة.. وعبد الحكيم هامر يعطى إلى السودية لتوثيق غس الأخوة .. والقاهرة تستقبل الأمير البدر لباحث للسولين في قيام « مجلس الدول العربية » .. ومهرشولد يحىء إلينا لباحثنا في مشروعات التنمية في الشرق الأوسط .

كل ذلك كان يجري في هدوء - عبر أمطس - وعلى المستوى السياسي .

أما على المستوى الداخلي .. فإننا لم ندع شسيراً في أرض مصر لم تتحرك داخله لتبنى .. ونفى .. ولم تلهها معارك السياسة عن معركة البناء يوماً .

\*\*\*

وحادث رائع ثم أيماً تحت مياه القاهرة .

قامت حكومة مؤقتة لجزائر قوامها تسعة عشر وزيراً واحترفا بها فوراً .

\*\*\*

شيء واحد كنت أخشاه على مشارف ذلك الجو السعيد ، سرعة دوران العجلة

في الإقليم الشمالى .

كانت لدى فكرة قد بدت من سوريا الشقيقة ، كنت أعرف أن بين شمها وحكامها تقاضياً يتبع وبضيق ولكنه قائم ودائم ، كنت أعرف أن شمها صلاتك الوطنية .. وأن

معظم السياسيين فيها يتجهون بالوسطية .. كنت أعرف أن كل دولة عربية غنية كانت تتبنى حزباً أو أكثر من الأحزاب السورية ، وحتى حزب « البعث » المنضم بالفلسفة كانت تتصارع داخله للمطامع . ما بين « حلقى » شارد .. وحوارات طامع ، وأصارع في الجيش مخدوعين ، وأصارع من الشبلي مندفعين ، وكنت أعرف أن القبلية في سوريا ما يزال لها شأن كبير ، وأن العروذ لم تقايد في السويداء — أم قرام — وما حولها ، وأن العلويين في بلادهم لم تقايد أخرى ، وأن الزعامات في دمشق الفتيحاء تخاضم الزعامات في حلب الشهباء ، وكنت أعرف أن الرأسمالية في سوريا قوية وعانية ، وأن التجار لا يتداولون غير التهرب عملة لهم ومرزقاً ..

شيء واحد كنت أحشاءه : سرعة دوران المحلة ، في بلد تتجانب القلة المسيطرة فيه كل هذه الأهواء المتضاربة والمصالح المتناقضة ، والمطامع التي لا تقف عند حد .

•••

وومض اسم العراق وأنا أسكر في سوريا ، خيل لي — في حدود معلوماتي — أن العراق من حيث التنافس أشد استعصاء على العلاج من سوريا ، ولم أشأ أن أوصل البعث في العراق فعدلت أبحث الموقف في سوريا ..

•••

كنت أتوجس خيفة .. ولكن لم أكن بأنسا ..

كانت الوحدة — من فرط إيمانها — تلوح لي والهاً مهيماً .. تتكسر عند قدميه كل خلاقات البنات والبنين وها هو كل شيء يتقدم ..

صدر قانون الإصلاح الزراعي في سوريا .. وهض الفلاحون لناصر ، ووجه الإصلاح .. وفرحت ؟؟

وأسمى قانون الميثاق .. ولم أفرح ، لأنى — في حدود معرفتي — أنهيب الاحتفال السنيف والجريء والسريع بالشيرة إلى سلطان القانون .

وعدت فقلت :

— ولكنها ثورة وليست إصلاحاً ، والثورة إنما قامت لتفضي على المتناقضات في المجتمع ، فكيف تناقض نفسها في أبرز أعمالها بين إنلهم وإنلهم ؟

وعدت أسفه هذا الرأي وأقول :

— ولكني أعرف أن «المنضبط» — إحدى هويات الحقبة — إنما يسبق بينه مستويات «متأقفة» أو على الأقل «مقاربة» ، ومصر وسوريا لا تماثل بينهما في المستوى ولا تخارب ، مصر قطعت أشواطاً ، لم تقطع سوريا منها بعد ، شوماً ، حتى في «الأدب» ، شبت مصر من «الواقعية» ، في حين أن ( الوجبة الكلاسيكية القديمة ) ما تزال هي ( المطلق للفضل ) عند الأدب السوري ، كأنه لم يرل أديباً (أمويًا) يرضيه من الملائك أن يملح عليه حكمه وأن يقول : « يا غلام ، أعطه ألفه دينار » ، ولا أقصد طبعاً تلك الفئة من الأدباء المتكلمين ..



. وبرغم هذا (الهياج) — بين الشخصين الذين يبشآن في شخصه يقي المزدوجة — عادت الوحدة تلوح لي من خلال هذه المخاوف والهأ مهيباً ، تنكسر عند قدميه حلاقات البنات والبنين .

ودكرت شمائل العروبة وثقاليد القليلة عبر التاريخ العربي ، وكيف كانت العدالة تستهويها كما كانت شمائل النبوة والنجدة والكرم تستهويها ، فظهر هر بن عبد العزيز في نفس الرقة التي تحدثت اليوم عنها ، فبهرت بده واستقامت له في يسر رائع ، هذه الائمة تطدئن (ناصر) ، و(ناصر) لم يذهب إليهم ليأخذ منهم ، وإنما ذهب إليهم ليمطيهم وليأخذ بأيديهم ، وليتقدم بهم ولا يتخلف .

## رشيد عالي الكيلاني

وأضيت سجدت أترأ .. وأفكر هل هذا التصو .. فإذا اضطرب حبل التفكير في يدي .. حدث إلى القرامة وكان كل تفكيري يدور حول أبرز حداث خطير يخص شخص وقع في ذلك للشهر .. واستفد كل طائفت ذهني .. وأعني به سفر رشيد عالي الكيلاني إلى بغداد .

. وسنك في أن تسأل هذه المرة عن الرابطة بين عودة زعيم العراق إلى العراق وبين

شخصي .. حثك هذا لاشك فيه ..

وإسماي بسيطة ، وهي تماثل أستاذنا لما سبقت ..

إجابتي : لأن لي مع رشيد علي .. تاريخاً .

• • •

سافر رشيد عالي الكيلاني .. الزعيم العراقي الحر القديم .. عائداً إلى العراق .. بدعوة من النوار العراقيين الأحرار الجدد .. ليتسروا باسم الوطن الحر ممسحين به المستعمرون وسوري والأعوان .. وليردوا إلى رشيد أمواله التي صادفها عبد الإله ثم اغتالها .. وإن كان الشر جميعاً .. يمحرون عن أن يردوا إلى رشيد .. سبعة عشر عاماً من أغل سنوات السر .. قصاصاً مقرباً حزينا .. ومؤمناً وصبوراً .. ما بين إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية . والملكمة السعودية .. والقاهرة أخيراً .

• • •

كان البيا بالنسبة لي ... « ساراً » و « أكثر من سار » .

لقد قلت عنه في كتابي « عند مشرق العروبة » الذي صدر في سبتمبر سنة ١٩٥٧م وقبل اعتدالي بشهور : وإنه ما يزال — وقد جرد من إسكابات الكفاح ... كبير الرجاء في أن يعود ويخود<sup>(١)</sup> .

(١) لك في ذلك الكتاب وأنا أحرص لرحماء العروبة فنادج ضيقة . بأن بالحرف :  
« إذا انتقلت إلى رشيد عالي الكيلاني في العراق — وهو اليوم صيب صر — فقصه لم تنب من أدمع الليل ... وسها تحبف الآراء على حركته من حيث النتائج ... فإن أقل ما يقال عن الرجل أنه أول رئيس للورداء في بلد عربي تحتله بريطانيا — سيده البر والعر يوشد — قاتل بريطانيا — وإذا قيل إن اغتاله رشيد في سنة ١٩٤١ كان مسكراً بسبب أن يقال إنه كان أبعاً وشياً ... فقد رضى أن يأخذ بريطانيا في إزالها إلى العراق ومضى يبيعه إلى مطار الحامية وقاتل ... يبدأ كان التوفيق قد تحمل من رشيد ، وإذا كان الأرض قد حمله ... وإنما كان الألمان لم يبيدوه .. صر رشيد إلى أوروبا ... ولجأ إلى ابن العمود عبد العزيز — فأكرم وعادته ... وجاء إلى مصر من عابدين ولا يزال أكرم لأمير ... إذا كان هذا كله قد حدث ما نرجه الذي سبنا من تاريخه أنه قاتل ببيعه وشعبه أكبر قوى المستعمرين في ذلك اليوم ... وأنه ما يزال — وقد جرد من إسكابات الكفاح — كبير الرجاء في أن يعود ويخود ...



وها هو ذا يعود .

والأبصار كلها تتطلع ... وكلها أيضاً تتوقع أن يعهد إليه بحاس السيادة في رئاسة الجمهورية أو في رئاسة الوزارة ... وتشكيله الوزارة يعني « الوحدة بين مصر والعراق والجمهورية العربية المتحدة ... الحدث الذي ترتد لمجرد تحريك فرائص العرب والرجعية العربية .. والشوعية التي لا تنفي هذه الوحدة بالنسبة إليها ... إلا أن يتركز عملها في الشرق الأوسط كله ... في قسمة تجمع واحدة .. وهي لبنان .. ولبنان اليوم محتلة بالأمريكان خصوم الشيوعية ... وهي غداً متحررة من هؤلاء ومن أولئك .. وحسنة التاريخ التي يتشوق بها الشيوعيون هي التي ستضح الطريق أمام لبنان الحبيب ... ليمشي غداً إلى الصف وليأخذ مكانه بين الأشقاء تحت الراية ولا يخذ الشيوعيون يومئذ مكاناً لهم فيه .

هذا ما كان متوقفاً أن يحدث ... لو أن الركب واصل سيره ... ولكن الركب توقف .. فنروي أتوقف أنا الآخر قليلاً ... لأحدث عن « تاريخي مع رشيد عالي » لأن لهذا التاريخ صلة بأهداف كتابي — ثم نلتقي مرة أخرى على أرض العراق انري ما جرى على الرجم السائد .

\*\*\*

حدث ما حدث لرشيد ... وقصته مع السعوديين معروفة ... حسن بداية وسوء نهاية ... قصته معروفة يوم ضاق بآمر أمير الحسيني المتطلع يومئذ إلى امير الطوروية عربية مركزها القدس يحسبها الصليب النازي ... فرأى رشيد أن يترك له ألمانيا ... واستطاع أن يصل إلى السعودية متكرراً — بمدرسة رهبية شربنا جاباً منها في « السوادى » بتم رفيق له سورى ... ودخل على عبد العزيز آل سعود في « مجلس » وأخذ مكانه بين الحالمين ... وسأله عبد العزيز عند انتهاء المجلس إن كان الضيف مطلب قتال الصيف ما مناه « عري مستجير يريد أن يجيره ... وأرجو ألا يكون الأمر فوق طاعتك » وغلن الملك أن القتيبة التي تطارد الصيف قوية ، وعمر على الملك هذا الصعدى المهذب قتال الضيف « عبد العزيز في طاعته دائماً أن يجير ... مهما يكن أعدائك ... أجرباك يا رجل » فكشف الضيف عن وجهه وقال للملك « أنا رشيد عالي ياساحب

الجلالة وتمامك عبد المرزوقه — وكان ملكاً — وقال (أجرناك يا رشيد) وخص  
عبد المرزوقه الفطري مرا كما سلباً رائماً ... حتى تضام وضوا الطرف عن  
المطالبة برأس رشيد .

وظل الرجل مقياً في السودية حتى مات عبد المرزوقه .

\*\*\*

تلك قصة نشرت ... وقرأها كثيرون ... وأحبك منهم .. وأنت  
إذن تعرفها .

أما الذي لا تعرفه ... فهي قصتي مع رشيد لأنها لم تنشر .

وأما لا أشرها اليوم لأضها في الكفة القباية لكفة القصة الأخرى ... ندأ لك  
أورئيس حكومة ... إنما أشرها ... لأن لما كانت صلة بأهداف كتابي ومراحل  
بطوري إلى (الناصرية) .

وتقد فنت بسيرة رشيد كبطل من أبطال التاريخ ضحي بكل ملايينه وممتلكاته  
في سبل وطنه .. وعرض حياته وحياته أسرته للخطر .. واحتل في تاريخ الفداء السياسي  
اللكان الذي احتله تولستوي في تاريخ الفداء الإنساني ... كلاهما إقطاعي ورأسمالي ...  
وكلاهما نزل عن المال والإقطاع ... وتولستوي عرض نفسه هذه القصة لوحشية زوجته  
واضطهادها له ... و رشيد عرض زوجته وبناته القشريد والنائب والعرية ... وعرض  
نفسه للوت عارياً ... وللدهانس متضياً ... وللحماية لاجئاً ... ولثربة دامت سبعة  
عشر عاماً ...

فنت بسيرة رشيد ولم أكن أعرفه ... وفتحت في صدر جوبندي «السودي»  
وحدثت عنه ... وكنت أفتن دائماً بكل حركة فردية تحمسم الرجعية الثانية ... وتحمسم  
للتصير للسلط ... وتحمسم الطمعة من المالكين ... وكنت يومها أشد أيضاً أزر الحركة  
التقدمية التي أعلنتها الأمير إبراهيم ... من «عدن» ضد أبيه الإمام يحيى حميد الدين في  
«صنهاء» وتلفت أزيد الأمير إبراهيم ... وأنشر في «السودي» أهدافه وتدابيره ...

من غير سابق تصارف حتى نجحت الحركة وقتل الإمام ثم حدثت للكسبة وقتل الأمير  
وان الوزير وعادت الرجسية أشد ضراوة على يد الإمام أحمد « أمير المؤمنين .. !! »  
الحلال في « المين الخصره !! » للهابة ...



وأعود ... إلى « رشيد » وانتصاني به ... وكفاسي من أجله .

شاركت بجهدى المتواضع في جريدتي ... في بذل السامى التى شارك فيها  
« الكتيرون من زعماء البروية ... لدى الأمير عبد الإله ... وقد حسبناه « مريباً » ...  
واقررت « السوادى » بشر الصورة الزركوفرافية للريضة التاريخية التى رفضوها  
لذلك الأمير تحمل توقيعاتهم ... وطلقنا نقد النصول الصائبة عليها ... وثبت أن  
« عبد الإله » هو عبد الإله ... وعد ... وماطلل وسوف ... وأحياناً رفض ... وكان  
كل ما أملكه أن أجتى ... ولم تند بمتقى ولا صفة جريدتي ... حتى يصدق  
« ناصر » بصدق العراق ... فذبح عبد الإله .

ويبدو أن « رشيد حالى » « العراق » تأثر وهو يتقم في (الرياض) أو (السعودية)  
بظروح صيفة (مصرية) كدفاع عنه وهو فى محنته ... لا يملك لأحد نقماً ... وكان  
للك عبد الميرز قد يسر لزوجة رشيد وبناته أن يقمن فى القاهرة ... على مقربة من  
أهل النوار الأسرار من الضباط أنصاره من أعضائهم عبد الإله فهرب النساء والأطفال  
إلى القاهرة ... ومنهم حرم الشهيد محمود سليمان وطفله :: يرعاهم شقيقه (محمد سليمان) .  
وكتب (رشيد) إلى أهل فى القاهرة ليشرحوا لى باسمه ذلك الجهد الذى أبذنه ..  
وجاءنى محمد سليمان ومعه نجم السهروردى للدرس العراقى الشاب « وزوج إحدى بنات  
رشيد » والياور المسكرى السابق لرشيد - وسيت اسمه - ومعهم الدكتور الطيب  
ناصر ليقدمهم لى : . وألح محمد سليمان<sup>(١)</sup> - وذاكر هذا الإسم واقرأ الخامس - فى أن

(١) محمد سليمان ... صدقى الهنيد ... ظل لاجئاً سياسياً فى القاهرة سنين وسنين ... يحصل  
حظف الجيتى ... ولا يستطيع العودة لى وطنه ... حتى بدأت له السامى فى فى الجباسة البرية  
وغلل يرقى حتى أصبح معروفاً على إدارة الدول فيها ومرت له لى نمية الكعير بعد كل ما عتاد ...  
حزناً ولا أمرى كين ... حين وزيراً للدول فى حكومة عبد الكرم هم ... ولا أبعد حتى الساعة  
تسبباً لهذا العجب .

أنفد زوجة أخيه الشهيد لأرى طفله البطل الصغير المدلتار .. وفي أن أنفد أسرة الرئيس رشيد «لأن معهم رسالة منه ويخشه يحبون أن يسلّموها لك» وزدتهم .. وأحست من يومها أنى غدوت واحداً منهم .

• • •

ومرت السنون ..

وذاث يوم أسخطني الدكتور الطبيب أن رشيد حال وصل من أيام إلى القاهرة .. وأنه زاره في فندق هيلو بوليس .. وأنه يريد أن يراني ونهبتنا معاً .

• • •

واستقبلني الرجل بالقبلات وظلال العمود تروح ونحيب في عيبي .. وبصيات المناصب .. تهذب على وجهه في صورة تجاميد .. وكان يرتدي جلباباً صيفياً أبيض وعباة خفيفة يسونها « رفيف » وهذالا أسود .. وأمضينا وقتاً طويلاً .. في جلسة لانسى .. وهو يقص علينا .. ببص ما لقيه في السعودية من كرم عبد العزيز .. وببص ما قدمه لعبد العزيز من مشورة .. وببص ما لقيه من مستشاري عبد العزيز من دس غير كريم . واحتم الرجل قصة الإلحاح السكرية .. بقصة مضادة لا تكاد تصدق — لو لم يكن (رشيد) صاحبها ورأوها — ويكفي أن أنقل منها آخر عباراتها .. أمراً تلقاه حياة — ومن غير سب — بمبارحة السعودية فوراً .. وعلى طائرة ممتدة .. ولم يسمح له حتى بلباسه .. ولم يسمح له — طبعاً — بحسب أى مبلغ من أمواله المودعة في المعارف لأنها صودرت — ثم قال بحالتي :

— ولكن بارك الله فيهم سمحوا لي بأن أرتق إلى صديقتك (نجم السهروردي) مطار المسكين إلى القاهرة ليكفون في استقبالى .. ولولا هوده .. لما وجدت أجر هذا الفندق الذى ترانى مقياً فيه .

## رشيد وناصر ؟

ثم انتقل الحديث إلى عبد الناصر - ولم يكن رشيد يعرف أن من خصومه  
هذه في برامة وحرارة أن هذا الشاب قد عوض الله به شعوب البروة خيراً .. عن كل  
ما لقيه من المستعربين والطامة والمالكين .

وسأته إن كان يقول هذا القول بحامقة بوصفه نزيلاً على مصر ولاجئاً سياسياً  
عند ناصر ؟ ونفى رشيد أن يكون هو .. هذا الرجل .. وأن يجرى حديثه مع السواوي  
هذا المحرم .. وعاد ما أكد أن الله عوض به شعوب البروة خيراً .. وأجزل في التمويض  
وأه يقرر هذه الحقيقة عن يقين بها .. وقد دعى إلى لقائه .. وتحدثنا طويلاً .. وخرج  
مقتنعاً بأن الحقيقة تفوقت على كل ما كان يطوى عليه شيأه .

وأكد رشيد - وهذا هو الذي ينبغي في المرحلة القصوى - أن كل بلد  
عربي يستعمر بفضل هذا الشاب .. وأن العراق سيكون في العليمة ... حراً كريماً ...  
وأه هو - أي رشيد - لا بد مائد ... وأنه سيهود ليقود ... وسيكون أول إجراء  
يتخذ مع مصر على المستوى الفردي ... دعوة توجه منه إلى شخصي الضيف لأرور  
العراق ... ولأعرف أن بنداد ترى الجليل .

\*\*\*

وتلك هي أوجز خلاصة لما حدث بيني وبين رشيد .

وأرجو ألا تكون قد نسيت أن هذا الشريط كله - شريط الأفكار التي  
سقتها لك مساق القصص - قدم أمام عيني اليلة - إحدى ليالي أغسطس -  
وأنا في غرفتي أقرأ نأ عودة رشيد عالي إلى بنداد .

لقد عاد ...

ولا أشك في أنه سيقرده .

ويومها .. سأكتب إليه ... وسأقول له : « تذكر أن صديقك القديم سجين...  
قل لصديقك الكبير ... يأمر بفتح الباب للناس » .

\*\*\*

وتدرك من ذلك الجو الذي رسمته لك أن سحبر جاء وملأه النشريات والأمل .  
طار رشيد إلى وطنه ليسترد ماضيه ... ونحن وال عراق ... في ارتقاب الأمل  
المنشود . . وعندما أغلقت الأردن الحدود بينها وبين الإقليم الشمالي فتحملنا مع العراق  
الحر ... لترسل إلى اللادقية أكديماً رهية من الأسلحة والمتاد والذخيرة ... ومن  
الأنام والقنابل وقاذفات الصواريخ والبنادق والسيارات والرادار والمدافع ... تنقل من  
سوريا إلى العراق . . ليتسلح الشقيق الذي نحرر .

## وطائرات أكتوبر ؟

وكا ازدان سحبر بمنزلة رشيد « رشيد » إلى عاصمة الرشيد .. جاء أكتوبر بمحادث  
جديد سعيد .

حدث هبوط نبع عشرة طائرة من أحدث طائرات « الميج » .. إلى مطار  
« الحباية » بين هتافات الجماهير العراقية .. يميزها « ناصر » سلاح الجو العراقي ..  
وكانت الأسراب العربية يمرضها الجوى في سماء بغداد والنساء يزفرن .. وحناجر  
رجال والشباب تكاد نكث ضجيج « الميج » .

\*\*\*

وفي وسمى أن أقرر أن « أكتوبر » كان شهراً هديماً . تطر جو « الزمانة »  
خلاله بأريج العروبة للمساعدة .. وحطاب إلى « الناصرية » خطى واسعة .. لو لم يختم  
بنياً من أخصاب هرة بالنة .

● في أكتوبر سافر عبد الحكيم غامر إلى موسكو .. وفوجيء السلام بانفاته

مع روسيا على تمويل الرحلة الأولى من السد العالي وأسقط في يد من تحب ، وهت  
الذي كثر .

● وفي أكتوبر انسحبت القوات الأمريكية من لبنان والقوات البريطانية  
من الأردن .

● وفي أكتوبر توقيع الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية بيننا وبين العراق .  
كان كل شيء .. يمشي إلى أهدانه .

ولكن بعض الأطباء والضباط ظنوا إلى أن أمموا خربة بدأت « المحطات  
السرية » تذيبها علينا ، ولا تكاد تمدق ..

وقيل إن محاربات الاستعمار بدأت تسيل داخل العراق بالانفاق مع الشيوعيين  
المصريين من سوريا ويذيعون بين الجماهير أن كل ما يقدمه ناصر للعراق من مساعدات  
إنما يقصد به الاستيلاء على نفول العراق تحت اسم الوحدة ..

وقيل إن انقسامات بات ملاحظها على وجوه الثوار العراقيين وبدأ فريق  
منهم يطلق اسم « القوميون » على دعوات الوحدة ويصورهم في صور المملاة  
للهداية للناسرية الزاحفة .

بدأ الاستعمار يسيل .. نن .. ومنه الشيوعيون في العراق .

وجأت .. أقدم السودان — يد مناورات عابرة — على الماء اتفاقية النيل من  
جانب واحد .

وبدأ الاستعمار يسيل — إذن — في السودان .. وحده على هذا الصعيد .

## تفجير في الجامعة

وقد مجلس الجامعة العربية في نفس الشهر جلسة خاصة يستقبل بها وفد تونس الحلبية بمناسبة انضمامها إلى الجامعة ، وأقيمت خطب الترحيب من كل رؤساء الوفود ، وكان الجو هربياً خالص العروبة .

ولم يبق إلا أن يصف مندوب تونس ليشكر .

ووقف ولكنه لم يشكر .

وإنما وقف لينار بياناً مكتوباً يهاجم فيه الجمهورية العربية المتحدة .

ووقف عبد الحميد غالب رئيس وفدنا — وهو معروف بالانزاع والخبرة — فقال بين ذهول السامعين إن كل ما قيل — إذن — عن خطط تدبير داخل الجامعة ضدنا، لم تكن وكالات الأبناء التي أداها متحنية فيه كما ظننا .

وانسحب هو ووفده من مجلس الجامعة .

وهكذا وثب الشقاق إلى بيت الأسرة من نافذة جديدة .

ومجبت للأحداث وما تصنع بنفوس الناس ..

ذكرت .. فصبحت .. فصبحت .. فسكت ..

ذكرت الصديق القديم — حبيب بورقيبة — وهو لاجئ سياسي في القاهرة وكان يتردد على مكنتي في «السوادي» — مع الصديق التلطيني الأقدم محمد علي الطاهر ورفق المناصب التي كان بورقيبة يلقاها فقد كشت أحب في عينيه الحياة التي نطل منها حراء قانية .. ترسل دائماً وهباً من النار ، أو ثوباً من اللحم .. كيف وقد أجلسه بلاده على كرسى «الباي للمسلم» ، لا يملأ هذا الكرسى العربي العربي بكل الطاقات الثورية التي كانت فيه ؟ وكيف أجاز لنفسه هذه العلة ؟



## ونكسة في العراق

وأجيب من هنا كله ، أن تلقى هذه الخطبة التي تردت فيها تونس صداها عند  
دعاه للفرقة في العراق وعلى مستوى الدولة ، فيصرح وزير خارجيتها - وكان يومها  
في نيويورك - أن العراق متضامن مع تونس .

- نصح الاستعمار - إنذار - في السودان وفي تونس والعراق .
- وبدأ الشقاق يدب كما قالت الأبياء بينهم الرعاء في العراق .
- وبدأت أضغ يدى على خدى وأنا في زرانيق وأقول حزينا : يا خسارة يا عراق .

• • •

ولكن نؤذير جاء ..

ورفضت يدى عن خدى .. وبدأ أول الفئيش .. وغضبت على استعجاب : مرحبا  
بك يا السودان .

جاءت الأخبار أن جيش السودان .. ناز .. على أحزاب السودان .

• • •

ولم أستطع أن أقول شيئا إلا أن « ناصر » ما يزال على الطريق رابط الجأش  
موفور الإيمان .

أما أنا ..؟ أنا .. ما يزال أيضا على الطريق .. ولكن الوقت لم يمن بعد ..  
ولعل الذي حان .. هو رجائي أن أكون قد رسمت بالصدق المسكن هذه  
المرحلة الثامنة عشرة في موقعي من « الرجل الذي تأمرت عليه » .

## الفصل التاسع عشر

### كفى سجنًا

مشيت معي فضلا منك - ولا أقول « مشيت بك » - نبر الحياة في السجن ..  
واقعة بعد واقعة في السر ، وشيراً بعد شهر في الزمن ، وهاجئة بعد هاجئة في الفكر  
والقلب معاً .. حتى لقد شعرت أني خرجت بك - أو كدت - عن موضوع  
الكتاب .

وإذاً على - إذن - أن أعرضك عن هذا اللون الذي استهواني من « لزوم  
ما لا يلزم » بجملة أطوى بها سنة ١٩٥٩ في هذا الفصل القصير ، فأشير إلى بعض  
« المالم » على الطريق ولا أروض ، وأعمل عندما له علاقة بأهداف الكتاب ..  
ولا أفرح .

ومعاً له علاقة بهذه الأهداف - أو على التحديد بمراحل تحول ذلك « العطف  
السكريم » الذي تليها من الرئيس مثلاً في (المائة السكرية) التي يتندر على أي سا كم  
من لحم ودم ، أن يرتفع إلى مستواها ليأمل بها خصوصاً تأسروا عليه ووقعوا في قبضته .

### نكسات ... ومفاجآت ... وفتاح

ويجوز أن يكون واضحاً ، أن النصف الأول من سنة ١٩٥٩ لم يكن يبشر بأي  
عزوة جديدة ، أو بأي مناسبة سعيدة - على الصيد العربي أو على الصيد البدوي -  
يبتهج بها (جمال) ، فيأسر بإحلام سيلنا ، بل - على النقيض - لاح لنا أن خيوط  
المعارك بدأت تتلوى في يد القائد وتشابك ، وديع الأحداث بدأت تهب على المنطقة  
على غير ما اشتهى وقدّر .

بل تهبت (السكة) في (التراف) ، وكأنها مناسبة لعروبة كأم ، وغيمة لكل  
عربي ومأم .

كانت نكسة لم تجل أبداً بخاطر .. وهي وحدها التي أستاذتك في أن أمثل عندها  
حزيباً .. وفي أن (أركز عليها) قليلاً ..

•••

و (الراقي) في رأي بلد نس ..

وهو أشد تماساً في (قبضة ناسم) منه في أسفك القنرات .. التي حكاهما تاريخه  
للنعم بالنائب ..

وإذا كانت (بنداد) قد سقطت في قبضة السور ، وغلت وحدها تمانى (التتريه)  
قروناً .. فالنول كانوا (منيرين) وكانوا (أغراباً) .. و (البربرية) كانت (صفة) لهم ..  
تلازمهم .. والمصر كان يحتل مظالمهم .

■ ■ ■

كانت أسرة (محمد علي) تحكم مصر .. وتار (الضباط الأحرار) ثورة بيضاء ..  
وحرروا مصر من حكم هذه الأسرة .. وكانت القيادة في يد مصري شباب .. طرد  
الاستعمار .. وقضى على الإقطاع والاحتكار .. ومضى يبلاده قديماً إلى مكانها .. جزياً  
لا يتجزأ .. من الأمة العربية .

•••

وكانت (الأسرة المشيمية) .. تحكم العراق .. ونسج (الضباط الأحرار) في البلد  
الثفيق على (منوال مصر) وتاروا .. واختلقت الظروف فكانت (ثورتهم حراء)  
وعزنام .. سحلاً بعض الأسياد من الحساكين وقطعوا بعض الرقاب في (القصر  
الملكي) وعزنام .. وتسلم القيادة عراق شاب .. تخففنا إليه .. وأخذنا بيده ، ووقفنا  
تنود منه أقوى دول الأرض .. وعرضنا أنفسنا لمدوان جديد — كان متوقفاً — من  
أجد .. فما كان منه إلا أن انقلب علينا ، ثم عاد فاقطب على بلاده نفسها ، فأغرق  
طرقاتها في بحر يلج من الهم .. وسحل (زملاء الأحرار) في الشوارع .. وزج بمن  
نجا من (السحل) في السجون .. وفتح الأبواب على مصارعها .. أمام الشيوعية

والاستمرار - معاً - يتناولان في تثنية الروبة الصاعدة .. وفي تثنية قوائمه التنداعية ،  
وراح ينادى قى المجموع بنفسه ( زعبيا أوسد ) ، وأصمك الناس ولم يضحك ..

وهكذا غشيت الروبة ناشية المزجة في ساحة النصر .. وبأن أن كل شيء ممرض  
للضياح إذا لم تمتد يد الله إلى هذه الرقة اللرية بأرحمة الحماية .. لتفعلها من ردة  
الاحتلال إليها ، أو من سيطرة الشيوعيين عليها ..

وكنت أشعر أن ( يد الله ) لا بد أن تمتد .. وبدأت أرقب ما يحدث ، وقلبي يمترق ،  
وحيني على ناصر ، وما هناك يصنع ، والعراق بسيد ، بسيد ..

\*\*\*

ومضى ( ناصر ) سليم الأوصاب ، يسألج ( القديحة ) التي أصابت ( مصدر العراق )  
بطريق التهوين من شأن قاسم .. ويثير ضحك الجماهير - واليهال سود - ويسميه  
مرة ( قاسم العراق ) ومرة ( آثم العراق ) ويميط اللثام عن شخصيته وعن اليهود التي  
بدلها - أمى « ناصر » - في سبيل إعادته إلى حظيرة الروبة .. ويكشف للناس يد المستعمر ،  
والميل الأحمر ، ويمخر أى طامع من محاولة ( التندخل ) على مستوى العلوان ، بعد أن  
سكت عن ( التسلسل ) على مستوى الإفراد ..

مضى ( ناصر ) ، سليم الأوصاب ، وعميق الإدراك ، يهذى نائرة الثائر حتى  
يصفى أنصار قاسم أنفسهم بأشهم وتساقط أوراتهم ورقة بدورقة ، وتندفع الروبة  
نمناً لتنبأته من ( ششوفه ) تماماً أو هادين يقضيها حاكماً ويمضى ، يمضى وأبدي  
المراتيين أشهم ... إلى نفس المصير الذي مضى إليه زعيمه نوري وأميره عبد الإله .

\*\*\*

ومضى ( ناصر ) يفتى سوريا ومصر في انزاع وجد .. وكأن كل شيء في العراق  
هادى ..

\*\*\*

ومضى ( ناصر ) أيضاً يصفى الجيوب مع الدول المادية ، ويستند الانشقيات مع الدول

المسألة ، حتى نزيل العالم أن التكتلت التي أصيبت بها العروبة على أرض العراق لم تعد  
عائلا من عوامل التنوير للركب العربي .

وهكذا طب الجراح في مهارة ، وعرف كيف يضحك وفيه مضم بالمرارة .

\*\*\*

وأحب أن أقرر أي خرجت من التكة العراقية وقد زادني احتراما لشخصية  
هذا القائد .

ولمّاك تدرّك الآن - وقد تلبّد جو العروبة بالسوم - ما صيته عند ما قلت لك  
إن النصف الأول من سنة ١٩٥٩ لم يكن فيه ما يبشر بخرّب الإفراج عما على الرغم من  
أن صلاح الدين كان قد نقل إلى قصر العبي .. وبعد الفتح حسن كان قد نقل إلى  
مستشفى القرداش ..

\*\*\*

وما كاد يوليو يبدأ - وفيه عيد الثورة السابع - حيث تزدهر الآمال في كل  
عام .. حتى كنا على يقين - نحن الثلاثة المدين حطّوا - من أن التكبير في إطلاق  
صراح السياسين في هذا الجو المكثف ضرب من الخيال لا يحمل أن ينشئ  
بأطرافه حائل .

\*\*\*

وفي الرابع عشر من يوليو أو من تموز - عيد الثورة العراقية الأول - استيقظت  
من النوم وتناولت إنظارى ، ومرت ذكرى العراق بخيالي ومر معها صدر البيت  
المشرف : « عيد بأية حال عدت يا عيد » فمزّت رأسي في أسي ، وجاء أحد تموجية  
المستشفى يقول لي إن ( طبيب أول اليابان ) يريد أن يراني ، وكانت مثل هذه الدعوة  
عادية .. بالنسبة لي وزملائي في التضية ، وبالنسبة للطبيب كلاً تلقى من الإدارة الطبية  
بالديوان العام استفساراً عن الحالة الصحية لأي منا ، فهو في هذه الحالة يستدعي

المستفسر عنه ليرى ورده ، وليرد على الابويان رداً (روتينياً) مأثوفاً يذكر فيه الورن ،  
والأمراض ، ولا شيء .

وارتديت ملابسى وذهبت إلى المستشفى بصحبة التمورحى .

وما كدت أقرب من لها المديدى المتفوح حتى سمعت الجلاوش .. رتبس  
التمورحى ، ينادى فيهم : ( إنتباه ) فأدركت أن المدير لابد أن يكون نادماً ، وتلعت  
خلقى لأحبيه فلم أجد أحداً ، ورأيت الجلاوش يتقدم منى ضاحكاً ويهجم على عنقى  
بذرايمه ويقبلى ، ودهشت لهذه العابطة التى لم يسبق لها طائر بينى وبينه وقلت له  
عائياً : ( إنت اعمت ؟ ) فلم يزال اعتراضى ومال إلى أذى هاساً : ( ألف ميروك ،  
جه أمر الإفراج حكم ، س ما تتولتى إنى قلت لك ) ..

- صحيح ؟

- والمصحف الشريف ، أمال أنا اجرات ويستك إزاي ؟

وشكرته طيباً ، وشيت سه .. أجازبه الحديث وأطيل فيه ، حتى أسهر على  
أهصابى ، فلما استمدت هذه السيطرة أتعبت ثابت الخطى أقرب إلى الدبوس إلى مكتب  
الأطباء فقال طيب أول وهو يحسب أنه بدلى مفاجأة لاهل لى بها :

- منى يا همى سوادى ، ما انتش عاير تسمع محاسرتى الى حاتقيا عليك فى المكتبة  
يوم الاثنين القادم علشان تقول لى ملاحظاتك عليها ؟ كرهنا خلاص ؟

وقلت وأنا أنظاھر باللهشة :

- إيه الكلام ده ؟ مين قال لك إى شى حا اسمها ؟

وقال وهو يهقهه برغم ما عرف به من ميل إلى الجدل العارم :

- والله العظيم ماتت اسمها .. ميروك يا أستاذ سوادى .

- حل إيه ..

— حل عتنا بأه .. الرئيس ياسينى انتطف وأمر بالإفراج عنكم وأنت  
تصاهل والله .

وقلت فى تبات :

— وحدى ؟

— كلكم ..

— الحمد لله .. الرئيس ييجى منه كده وأحسن من كده .

وتبارى الأطباء فى التهنئة مسجيين بثباتى .. وهم لا يعلمون أن للقاعة استنفدت  
قوتها من قبل أن أقام .

### فى طريق إلى الحرية

كان ذلك يوم الثلاثاء الرابع عشر من « يوليو » ... وأقول الآن بلاء فى =  
« ومن تموز » .

وهو — كما تعرف — العيد الأول لثورة السراية .. احتفل به كل حاكم على  
طريقته .. خصيه « قلم » بالقم .. وعلمه « ناسر » بالزود .. وكان لنا — نحن  
الثلاثة الذين حُفوا — وردة منها كبيرة وذات أرجح .. هدية منى الذكرى الأولى  
لثورة الرابع عشر من « تموز » .

طرقت العكرة رأسى .. واتسربت إلى قلبى .. فاذا القلب وثاب إلى « الناصرية »  
فى سرعة « الذى عنده علم من الكتاب » .. ولولا حرصى على أن أبدو ساعة النصر  
« وقوراً » .. لمضت من أحماق غير مخلوع .. باسم « الرجل الذى تأمرت عليه »  
عضوياً ..

كان الخبير .. قد ملأ « حباب البيان » .

وكان الزميلان قد لحقاني ..

وعندنا نحن الثلاثة .. تربط بيننا القرحة بعد أن فرقت بيننا الحنة .. وبين حشد من اللوثيين .. اختل مع « المنظم » واختلط فيه السجين والسجين .

وأهود وأقول إن خبر الإفراج جاء يوم الثلاثاء ..

ولكن الإفراج ضمه لم يتم إلا يوم السبت ..

هذه الأيام الأربعة التي استغرقتها « الإجراءات » .. كانت كلها أفراساً لا أساهاً .. ولا أستطيع — وحتى هذه الساعة — أن أعرض لها بالتفصيل .

فرح لنا .. كل سجين .. مع أننا عائدون إلى بيوتنا وم باتون .. فما هو التفصيل ؟ لا أدري .

وكل الذي أستطيع أن أدريه .. أن السعادة بمنذقيها وحلاوتها — وكل ما يتبعه الرواى الوثائق في وصفه لها — لم أهرقها طوال عمري إلا في هذه الأيام الأربعة التي بدأت في ١٤ تموز وانتهت في مساء الثامن عشر منه ..

أسعد أيام الحياة وأحلاها .. عشتها في زراثة .. وخلف أسوار ليمان ١١٢

\*\*\*

وأطوى عنك ما جرى خلال الأيام الأربعة .. إلى كتاب آخر عن حياة الحيارى ولذهورين خلف أسوار السجن إن قدر لهذا الكتاب أن يصدر .. وأطوى أيضاً وصفد حلقتنا مع صباط الحرس إلى وزارة الداخلية .. وأطوى كذلك رقة صباط اللياسث المصانة .. وم يهربون لنا عن أسلمهم في أن يكون فضل الرئيس في الإفراج عنا مقدوراً منا .

والهم أنى وضعت قدمي في عربة « لنا كسي » .. وقلت لسانق لقدمي لا أهرق :



« الفحالة يا أسطى » وقال الرجل مجملًا : « من عنيه » .. وإذا نى أرد صادقًا وكأني  
أهني كل حرف : « تسل عنيك » قلتها .. وأنا أحس .. أن نى في هذه اللحظة من  
لحظات عمرى ، شحنة من الرضى ، تكفى لإدخال السعادة إلى كل قلب ، لو أتيح لى  
أن أشرها ، هل أهل هذا الكوكب ، قلتها وأما أعظم سيداً : « كفى سجتاً » .

\*\*\*

وحرام أن تسألنى الآن ، عن « مكانى » من « الناصرية » ، فنى مثل هذا الهواء ،  
لا يسلم الجلوب من الشطط ويستحدث ، وتحدث ، بيد أن تستر الحياة بالشاعر .  
وبعد أن أجمع من « الجلوب المر » خيوط الحقائق ، فى يدى .

وأرجو أن أكون قد رسمت بذلك الرصف مرحلتى التاسعة عشرة فى موقفى  
من « الرجل الذى تأمرت عليه » .

## الفصل العشرون

### مع الأحرار . في الجوارح

وسود الآن مما إلى « الحياة » .. وأتصد نفسي ولا أتصدك لأنك « حر » .

خرجت من السجن إلى « الحياة » .. أحمل شحنة من « الشوق » إلى « الأحرار » ..  
ملهوقاً على أن أضيق إلى صدرى كل « شيء » .. كنت أحس إحساساً مريضاً  
وعميقاً بمنصل الله على .. فلم أكن أضيق شيء ..

وعدت إلى « فينكس » « مقهى القديم » .. في عماد الدين .. ثم لم ألبث  
أن عدت إلى « مكتبي » وكان منطلقاً .. فجددنا شبابيه وامتحن — وبدأ الصحب يترددون  
عليه من جديد ..

\*\*\*

وبعد عودتي إلى الحياة بأيام خمسة .. احتضنت مصر بعيد ثورتها السابع .. وألقى  
الرئيس خطابه التقليدي .. وفي هدوء البيت الآمن — حيث أيام لأول مرة ملء جوى —  
بدأت أسمع الخطاب — بقل واع .. وقلب متفتح .

أقول ( لأول مرة ) .. وأهوى كل حرف .. فقبل السجن .. كانت سموم  
الحصوم — حاملة الجراثيم السود — جراثيم الشكوك والأكاذيب — قد انسربت إلى  
كل خلية في الخبز .. ثم وثقت إلى القلب فنشرت أشباح الشك على كل كيانه .. وتركته  
مختل الضربات يخفق حفاقة الخوف من كل تصرف تقدي لنامر .

أما اليوم .. فقد عدت إلى الحياة .. وفي القلب طهر .. وفي النفس سكينه ..  
والخز — ولا أعنيه بالمعنى التشريحي — جهاز استقبال ودمع وواع .. لسكل ما يلقاه  
من تبا .. وجهاز استقبال منصف وهادىء .. لسكل ما يتولاه بالبحث .

وكان في عيني كما قلت قبلا - وما أزال عند هذه الغنية - أن أضع بكل ما أمك  
من طاقة الإنصاف .. كل اتهام وجهه الخصوم إلى القائد الشاب عبر السنين السبع .

يبد أن الخطاب الذي ألقاه في العيد السابع .. جاء بالنسبة لأهداني ( ثروة )  
لا تقدر .. ألقاه وكأنه عناني به .. وعنى كل أمثالي .. من الذين ضلوا .. صادقين في  
المسلة - وساء الخطاب .. حصيلة فريدة - تشيخني عن كل تحصيل - للتورة وما صنعت  
عبر السنين السبع .. بكل رشادها وأخطائها - وعلى كل المستويات التي عاشتها .

وسألت نفسي :

- هل الخطاب فريد في بابيه بين الخطب .. أو هو قلبي الذي تفتح .. وعقل  
الذي أدرك .. وعيني التي انجذبت عنها المشاورة .. ونفسي التي تحدثت من سكون الرزانة  
صومعةً تطهرت فيها ... وحلست من كل عاشية غشيتها . فلما خرجت إلى الحياة .  
وضعت الرؤبة أساسها ؟

لعل الاحتمالين صحيحان ...

## أسلوب جديد

وحديثي منك من الآن - إذن - يلونه ونضى الجديد ... ولا محل لأن أناقش  
الخطاب ... وهو فيما أذكر من أطول الخطب التي ألقاها ... لأنني أشعر أرى مقدم على  
أسلوب غير ذلك الذي تناولت به أقوال الخصوم ... مقدم على أسلوب أقرب ما يكون  
إلى (البحث أو المحرس) ... وأنا أرسم آخر الخطوط لآخر اللراحل في تحول من الكفر  
إلى الإيمان ... وعلى إذن أن أسلط لعدو الدراسة في هدوء ... وكل ما يهمني الآن  
من الخطاب الذي ألقاه أن أتجس من (نوره) ما يضيء طريقى ... وأعتقد أن هنا  
(النور) سيظل يمشي بين يدي حتى يذوب - في رفرق الكتاب - في وهج  
(اليثاق) .

## الرجل البناء

وسيلى ... أن أخلق هذا (الأسلوب) على (جمال عبد الناصر) .

لقد قال لنا وأعاد القول — عبر السنين التي نأد خلالها الركب — أن بناء السدود والمعاصر أمر ممكن ... وأن إصدار القرارات والتوانين (أمر عين) ، وأن الصموية كل الصموية ... في (الغاية البشرية) ... في (صنع الإنسان) .. في (بناء المواطن) وأخذ على عاتقه مهمة هذا البناء .

و (ناصر) — إذن — هو الرجل البناء :

والبي الذي أقمه — ولا يزال يملو به طابقاً فوق طابق — هو ما نسميه (الناصرية) ... وللذهب الذي التزمه في إقامة هذا الذي هو (الناصرية) نفسها .  
و (الوظائف) الذي اتسع لها وحدد معالمها ... هو ما أسماه أخيراً (الميثاق) .



وعلى مطالع الثورة أصدر كتابه (طفقة الثورة) .

وهذا (الكتاب) — إذن — كان (مقدمة) و (بداية) ، و (الميثاق) — إذن — كان (نتيجة) و (نهاية) .

ولقد — إذن — إلى المقدمة من بدايتها .

ولسكني يستكمل البحث ملاحه ... وتحظم للفراسة حلقاتها ... يصح أن أربط بين (البداية) و (النهاية) أو بين (فلسفته) و (سياسته) .. وأن أخطر في البناء الذي أقمه . . هل خالف فيه عن تلك المصطلحات التي قامت عليها هذه الفلسفة — وعن تلك الاجتماعات التي مشت فيها هذه السياسة ... أم أن الأمر كله كان (قدرأ مقدوراً) لا فضل له فيه ... وكان (حظاً) محمداً ... كما يملو لخصوم أن يسوه ؟

## مؤمن .. وجاد

وأول ما أسارع إلى إثباته في هذا الفصل أن حبيبة دراساتي المهمة التي انتهت مخروص من السجن .. وحصيلتي دراساتي المأدبة ... بالعقل الراجح والقلب المنفتح بد أن عدت إلى الحياة ... انتهت كلها إلى ( حقيقة كبيرة ) لعل ( الأمر كله ) يتركز فيها ... ولعلها تنبئ عن الخوض في الفلسفة وفي الدراسة وإن كنت أبوى أن أحوض .

هذه ( الحقيقة الكبيرة ) أرمع اليوم رايتها بقلبي ... فوق سارية كتابي ... وملء قلبي ارتياح وملء عقلي اقتناع وملء ضميري سكينته . .

هذه ( الحقيقة ) تقول : إن هذا الرجل ( البناء ) مؤمن وساد ... مؤمن بالرسالة وجاد في البناء ... مؤمن — في قرارة نفسه بأنه يحمل للأتالي .. رسالة إنسانية ... ومؤمن بأن قوى الأرض جميعاً بما فيها ( قتال الكوكبات ) التي لم تصنع بد — لا تستطيع أن تنزع هذه الراية من يده .. وهذه العقيدة من قلبه .

وتستبين هذه ( الحقيقة ) من غير حيد ... إذا نحن ألقينا نظرة شاملة نجرها الطريقة التي يخوض بها المارك ... لسجد دائماً أسما مارك ( دفاعية ) وإن تبدت في نظر السطحين ( هجومية ) .

إنه بيني ... ويلتزم الخلد مستقيماً كما تقضى أصول البناء .. فيدهوه الشعب العربي في سوريا مثلاً إلى ( الوحدة ) ، و ( الوحدة ) في سياسته يمتصها التاريخ — وهو إذ يستجيب لهعوة الشعب السوري إنما يمشي مع تيار التاريخ ولا يقاومه ... فإذا كان المحصور في الأردن أو في العراق يتبرون وصول قواته إلى سوريا عدواناً وهوماً ... على ( الللال الحبيب ) الذي يملكون به ولا يتبرون وصولها دفاعاً عن سوريا التي يتأمر الاستعمار معهم عليها ... فذلك شأنهم ... وإذا جاوزوا مطلق ( النقد ) أو ( الاستياء ) إلى نطاق ( التخريب ) أو ( المؤامرات ) قد فرضوا عليه للركة فرضاً ... وحق عليه أن يخوضها ... وم أحرار أن يصفوا عليه الوصف الذي يطيب لهم .

ونعود إلى النظرة التي نلقينا على طريقته في المارك «المنغامية» التي تفرض عليه فلاحظ إنه لا يبالي في هذه الحالة .. أن يكون خصومه «دولا عنلى» تمك أن تحو يلاده .. عن المراقبة .. أو أن يكونوا .. أفراناً يقنون في وجه هذه الرسالة .. فلذا أصابه في إحدى المارك «سكة» .. قابلها بقلب لا يعرف الفزع ... وبأعصاب لا تهتز ولا تضطرب .. ووقف رابط الجأش يصارح مواطنيه علانية بكل الأخطاء التي وقع فيها .. ويسبها «تجربة» و يرض أن يسبها (هزيمة) .. ويطن في جان ثابت أن «الذي يمل» هو وحده الذي لا يحطى .. فلذا أسهر المحصوم فرصة هذه الانتكاسة ... ودرأ أن يفرضوا عليه معركة جديدة .. أملا سهم — وهو منتب — في أن يتراجع .. شد فادته على الثور ، وحاض للركة الجديدة بأعصاب أشد سلامة وصلاية ... فلذا أحرر الصر ... حذر مواطنيه من (البطر) ... ونه على (السد) وعلى ما يحمله من خطر .

وهذه الملاحظة نفسها تستطيع أن تمنح سلامتها ... في مارك البناء الداخلي بعيداً عن الحدود والمحصوم . والمزامرات ... والسلاح ... وخذ مثلاً لهذا اللون من المارك السلمية (الإطار) الذي اختاره لفلسفة الرسالة ... في البدء اجتمع فكرة (هيئة التحرير) ... وقامت الهيئة ، وشئ بالتجربة ، فلما استبان الأخطاء في «تصميم البناء» لم يتردد في تطويره إلى (الاتحاد القومي) الأول والأخير ، فلما استبان الأخطاء ، لم يهتز للمول في يده وهو يعلم المبى الذي أقامه بالسر والفكر ، وبالأعصاب والقلب ، وبالجهد والفرق المتصعب ، ليقيم فرقة المبى الجديد للسل ، حتى إذا وضحت الرؤية تماماً وعثر على (السدن) الذي ظل الصر يبعث عنه مؤمناً بالشور يوماً عليه ، تقدم إلى شبه في غير زهر ، ووضع بين يديه خلاصة الأخطاء وحصيلته التجارب ، ودعاه للسل ، واليهوض بمسئوليائه .

\*\*\*

هذه (الظاهرة الخطيرة) في تكوينه الشخصي وهذه (الحقيقة الكبيرة) في الرسالة التي يحملها ، كان لها أكبر الأثر في تحولى ، نعم ، أصبحت أعتقد ، أن (إيمانى أنا)

بجلاصة (إيمانه هو) ، كان شقة التحول ، في تحول من (الكرامية) ناصر إلى (سب) كما  
وليد الهراسة بالمقل الرواسي ، واقلب للمصحح .

### فلسفة الثورة

هذه الحقيقة الكبيرة التي اعتدلت إليها ، لن أضع خيوطها تحت من يدي كما  
كانت كل الخيوط تحت .

هذا الرجل يحمل رسالة .

ولابد — إذن — أن يكون له من (مقومات الشخصية) ما جعله (جاداً) في  
أدائها ، وحلمها ، وما سكر له ، من هذا الحلم ، ومن هذا الأداء .

ولزاماً — إذن — أن أعير حياته ، لأعرض لأمرين عبر هذه الحياة : الأمر الأول  
مولد شعوره النامص بحاجة بلاده إلى كمامه كنفرد ، ومسايرة هذا الفسوس في الشعور  
حتى ينبثق مكان الرضوح فيه — والأمر الثاني : مولد شعوره بحاجة إلى الجماعة وتنظيمها  
ككعب أصيل وقاعدة طبيعية لهذا الكفاح ، وكعب أسير لتلقى الثمر .

والأمران يتصلان بأهدأ أوثق اتصال ، الأول يكشف عن وجهه (الأصلية) في  
(الرسالة) ، ومدى «الجدية» فيها وعن جذور (الثورية) في (شخصه) وعن مدى (الطاقة)  
في هذه «الثورية» والثاني : يفصل بين (شعبية) وفردية ، أو بين جوهر الديموقراطية  
التي ينادي بها ، و (الديكتاتورية) التي عقلت بأمر الله .

وكتابه (فلسفة الثورة) ، هرفق رأيي — ويعد كل مطالعته ودراساتي —  
(مفتاح) للتوقف كله ، ولله يهدينا إلى ما هو أبعد .

### بذور وجذور

وتبدأ مهنتي بالبحث عن « جذور الرسالة » في « أعمق ناصر » .

وفي « فلسفة الثورة » حاول هو أن يبحث عن « بذور الثورة » في نفسه . .

ناد بذاكرته إلى اليوم الأول الذي اكتشف فيه هذه البذور .

● ورأى أن ذلك اليوم أبدى في حياته من أزمة تلبس الضباط في سنة ١٩٤١ لأن تنظيم الضباط الأحرار كان في ذلك الوقت قائماً بيأثر نشاطه .

● ورأى أن ذلك اليوم أبدى في حياته من فضيحة الأسلحة الفاسدة . . لأن التنظيم كان « موجوداً قبلها » وكان نشاطه « وراء الضجة التي طالت حول الأسلحة الفاسدة »<sup>(١)</sup> .

● ورأى أن ذلك اليوم أبدى في حياته من يوم ١٦ مايو سنة ١٩٤٨ بداية الحرب في فلسطين . . لأن حللاً للضباط الأحرار كانت ( تدروس وتبحث وتتمسح في الخنادق والراكرز )<sup>(٢)</sup> .

● ورأى أن ذلك اليوم أبدى في حياته من حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وإن كانت هذه العظيمة ( ردت الروح إلى بعض الأجساد وعرفتهم أن هناك كرامة يجب أن يستملوا للدفاع عنها ) .

● ورأى أن ذلك اليوم أبدى في حياته من ذلك ( الثوران ) الذي عاش فيه طالباً يمشي مع المظاهرات في سنة ١٩٣٥ .

وأتضح له — بعد أن لاحظ أن تلك البذور لم تكن كاملة في أمهاته وحده وإنما

---

(١) صحيفة الأسلحة الفاسدة .. كان قد أنزلها الربيل « إحصان ضد التدوس » في مجلة « روز اليوسف » ومع إيمان بأن إحصان « شان » في كل عمل ياتوره .. فقد كتبت أشد إعجاباً بأن وراء ريشة القتال الذي أحسن رسم الفضيحة ثورة أشد جهده لبيان التبرة .. ولم أكن أعرف أنها ثورة « نشاط الأحرار » إلا من كتاب « طفلة الثورة » .

(٢) وقال ناصر في كتابه يشب على نشاط الملايكة في فلسطين ما يأتي بالمرء :  
في فلسطين جاني صلاح سالم وركبنا على الدين وانخرنا الحصار إلى الفارحة وجلسنا إلى الحصار لا صرف له نتيجة ولا نهاية ، وكان حديثنا التامل ولنا الذي جيب علينا أن نحاول إيماننا . وفي فلسطين جلس إلى حوارى كمال الدين حين فقال لي وهو ساهم الفكر شارح النظرات : هل تعلم ماذا قال لي أحمد عبد العزيز قبل أن يموت ؟ قلت : ماذا قال ؟ قال كمال الدين حين وفي سوتة برة عميقة وفي عيبه نظرة أعمق : لقد قال لي : إسمع يا كمال ، لقد ميفان الجهاد الأكبر حول مصر .



( ولدت في أماننا حين ولدنا . . وأسماك كانت أملا مكبوتاً خلقه في وجدانا  
جبل سبقنا ) .

ويبدو أنه أحس أن قارئه كان ينتظر منه تحديد اليوم فصلا ولم ينتظر الحديث  
على المستوى التلسي الذي ارتفع إليه .. فاحتر بأنه يعيش وهو يضع الكتاب في دوامة  
وأن الذين يعيشون في أعماق الدوامة قد تحلط عليهم بعض التفاصيل البهينة لها .

## البذرة والنبت

لم يستطع أن يحدد اليوم الذي اكتشف فيه بذور الثورة في نفسه .

وهو على حق — من حيث البذور — وهي بطبيعتها غير قابلة للبحث عن وقت  
إيداعها . . لأن البذور إنما تنقيها يد الله في الصدور . . كما تلتقي يد الملاح في أرضه  
بذور زرعه .. فإذا مررت بالأرض سد إلقاء البذور فيها .. لم تر شيئاً .. أما متى تعرف  
أن هذه الأرض أودعت بذوراً .. فتد ما يظهر التفت فوق الأرض . . وال لحظة التي  
تقع أعيننا فيها على هذا النبت .. هي التي تحدد يومه وتؤكد أن بذوراً أقيمت في أرضه .

وسواء أكانت هذه البذور ( أملا مكبوتاً خلقه في وجدانا جبل سبقنا . . )  
أم كانت أملا مكبوتاً .. رسنته في أعماق عقلنا اللاواعي .. أجيال وأجيال .. و تراث  
إنساني صارب الجذور في تاريخ الإنسان .. فإن ( رملاء جمال ) في الشدة وفي المدرسة .  
وفي البيئة وفي الطبقة . . وفي الصبا والشباب . . وفي الكفاح وفي السلاح . . كلهم . .  
أو جلهم — كان له الحظ نفسه من ذلك ( الأمل المكبوت ) . . . . . ومنهم من زاملوه في  
كل مراحل الشأنة . . وفي كل ألوان الكفاح . . ومنهم من ثاروا معه . . وأكفوا  
وما يزالون يؤكدون .. أنهم ( رجال غير عاديين ) .. وأقول أن ( رملاء جمال ) . . أو أنك  
وهؤلاء — ورغم التماثل والزامل — لم يخرج منهم إلا ( جمال ) واحد فلماذا ؟

هذا هو السؤال .

وهذه هي ( البذرة الخاصة ) التي تستأهل البحث عنها في ذاتها ( وفي خاصياتها )

قبل البحث عن « الغصية » التي تحيي إليها وتشاركها فيها كل « البذور المشية » .  
أو قل : هذه هي « البذرة الخامسة » التي نستطيع أن نهت عن « اليوم » الذي ( نبنت )  
فيه لتتعقب الثبت من يومه الأول إذا تمكنو البحث عن ( البذرة ) في ذاتها .  
وعن سر تكويناها . وإنما منا . . بأن أسرار التكويز ، تظل تضرب في زمن لا يعرف  
مداه إلا الله راجعة بنا في تسلسلها إلى الزراء عبر ملايين السنين . . أو عبر التاريخ الإنساني  
الطويل . بل عبر أرل لا مدويه . . إلى خالق السكون وصاحب سره المكنون .

### في المدرسة مثلاً ؟

ولقد قرأت كثيراً مما كتبته . . وأتبع لي أن يكون من بين صحى أساتيد  
تلقى دروسه على أيديهم وشبان اتصل بتاريخه . . تاريخهم . . ومواطنون يعرف كل  
سهم شيئاً عنه في مختلف مراحلها ولست في حاجة إلى أن أسمىهم . . أو أظر إليهم نظري  
إلى ( المراجع ) و ( البحث الأكاديمي ) وإنما أنا أعتزم ( معارف ) وقت عليها .  
أستخرج منها ما تدل عليه . . لأرى هذا القائد أسيراً بين بصيرتي . . أو بين ريشتي .  
وفي الصورة التي ثبتت سلامة همتي . . لرسالة التي يحملها . . ولأوجه « الجلد » فيها .  
وللتقطعة ، التي اطلق منها ، وللطاقة التي تسلك بها ، وللخواص التي أهلتها لها ، وللأدوات  
التي غلت نفعها للطائفت وتلبب المواهب ، وتولد من كل ( دفع توري ) ، قوة ( لدفع  
آسر ) علم يهدأ ، ولم يلحظ ، ولم يرهف ، ولم يتردد ، ولم يلق الرابة يوماً .

وأماي الآن (حقائق) نشر جانب منها ، وعرفت أكثره من المصادر التي أشرت  
إليها فدعنا نرحم ، بين رياضها ، فترة .

● في سنة ١٩٣٠ وكان تلميذاً صغيراً يبلغ أحد عشر عاماً ويمشي في علمه الثاني  
عشر ، لم يكن بأن يبدو خلف بائع حلوى يشتري بقرشه شيئاً منها ، كلا . . في ذلك العام جرى  
حلف مطاهرة وآغا تشنك مع ( البوليس ) في ميدان المشية في الاسكندرية ، وهي تهتف  
بجسوط الإنجليز والعلامة ، ورأى نفسه يتعرض فيها و يضرب مع الضاربين في رجال البوليس

وليصاب مع المصابين بمرح ، وليرود إلى منزله يحمل أول روسام حمله ، من غير أن يفهم شيئاً  
فإذ انتهى هذه الحادثة ؟

تمى - في رأيي - إن هذا الصبي ( توري بالقطرة ) .

وهذا ( المسمى ) هو أول مظهر ، للنبت وقد شقت البذرة الأرض من فوقها لتطل  
على سطحها ، وأنا أرى أن لحظة اندفاعه تلك ، تحدد اليوم الذى يبحث عنه في  
( فلسفة الثورة ) .

• • •

ولا أشك في أن أهله .. وصفوه في ذلك اليوم بأوصاف شتى ، بمفردات وحمل ،  
« بشتى » و « عنريت » و « جن مصور » و « هوه ساه وصال للطائرات ؟ » و « الولد ده  
مش حايمبها البر » .

ولعل « العبارة الأخيرة » قد قيلت .

إن كانت هذه العبارة قد قيلت ، فقد كانت « صوت القدر » ، يصب في آذان  
الأرض « صورة الند .. » أو « حير الند » .. من غير أن يدري « مرسل العبارة » ،  
أى صدق أرسل .

• • •

وهذا كله من ناحية « جمال » وهو يبحث عن يومه في فلسفة توريته .

أما من ناحية فأنا أبحث عن « بذرة الرسالة » لاعتن « بذرة الثورة » ، لأن  
« الثورية » ، وقود الثورة ، ولأن « الثورة » ، أداة « الرسالة » ، وفي رأيي أن انخراط  
الصبي وهو في طامه الثانى عشر في مظاهرة تهتف لمصر وتضرب « البوليس الظالم » -  
وصورة البوليس كانت في تلك الأيام ممكوسة على ذهن كل صبي بأبشع صور النظم  
فيها - تمديد لا شك فيه لأول نبت توري فوق سطح الصبي ، ولأول يوم تواجد فيه  
مع القدر إن كان لا يد من حودة إلى قصة القدر التى وثقتنا على أوتارها أول ألسانها  
في تمهيدى الكتاب .

ولو أن «الصبي» رأى للتطهرين يحطون الذكابين ونهبون القعب أو الفاكهة أو الحلى أو الساعلت أو الأفضة أو الأحذية ، تجاض غلرها وشرى وباعا - كما يقول ابن شداد - قلنا إن الصبي إنما « تمتع » ليشتم ، ولقيدنا الحادث في حسابه للدين « بذرة من بدور التسمية » لا الثورية .

ولو أن «الصبي» وقد حرج .. حرج يجرحه على جريدة « البصير » أو « وادي النيل » ، وطلب أخذ صورة له كبطل صنبر ، لقيدنا الحادث في حسابه للدين « بذرة من بدور طلاب الشهرة » على طريقة الصور التي يراها فوق المشاشة ، وليسها كانت « ستاً » طهر « لبذرة » كنت .

### مصر الفتاة ؟

(٢) وعلى مطلع العام الدراسي في سنة ١٩٣٤ التحق مدرسة « النهضة المصرية الثانوية » بالظاهر ، وما كاد يبدأ الدراسة حتى كان محط أظار الأتراب ، لأنه اندفع في صمت وجد يسهم في جميع أوجه النشاط رياضة وخطابة وتمثيلاً - ديامو .. لا يعرف الهدوء ولا الراحة - ثم لم يلبث أن انضم عليهم فناء المدرسة وهو يحمل شارة ( مصر الفتاة ) وكانت يومئذ شيئاً (شبابياً) و (تقدمياً) و (شيراً) ، كان زعيمها أحمد حسين ثوري النزعة ، وكان قد قام وهو في الخامسة بمشروع القرش سنة ١٩٣٣ فلما فرغ منه أغراه مجامع في الاتصال بالمجاهير والتأثير فيها بنحوض غلر السياسة فأسس جماعة ( مصر الفتاة ) وزعمها ، وكان ساعدها فيها ، حتى رضوان وكال الدين صلاح ، وكان من بين الشبان البارزين فيها محمد صبح ، فلم تفت (جمال) هذه القرصة لتفتبر طاقته الثورية فيها ، فالتحق بها ، وتحمس لها ، ولم يترك اجتماعاً تقدمه لم يشهده أو لم يشارك في النقاش وفي الشجار ، وفي مقارعة الحجة بالحجة حتى إذا عاد إلى مدرسته راح يشر مبادئه جماعه ، ويتبع كل شاك ، فإذا انتقل أترابه إلى (المزاح) على المستوى القدي يجرى عادة مع التلاميذ اعترلم ، ولأذ بالصمت ووقف بيدياً ، كأنه شيخ وقور يتفرغ عن التبول إلى تصرف الشباب الطائش<sup>(١)</sup> .

(١) وأنا أعنه في تصرفاته على روايات أغلبها عن أبي من أساتيد حما برسي المهدي رحمه الله وأحد حواري القرن - وكلامها كان يدرس لغة عربية وكلامها كان صديقال .. وأولها كان أساتذاً في ذات علم .

## فدا تنى هذو الرقاع ؟

تنى - فى رأى - أن هذا الصبى أوتى من الصبا طاقة شاملة وكفاية غير طوبة  
وتنى أنه صبور على المل ، جاد فى عمل ، وتمنى إذا آمن بالفكرة ، فنى فيها ، وداد  
هنا ، وقابل فى سبيلها ، وتنى أنه بطيبته مزول من الصنار والمضاهة ..

## والقيادة ؟

(٣) وفى أواخر سنة ١٩٣٥ أذاع سمبول هور - وزير الخارجية البريطانية -  
تصريحه المشهور يرفض فيه عودة دستور سنة ١٩٢٣ ( وكان إسمايل صدق قد اصره  
دستوراً فصفاً واستبدل به دستوراً مبيياً آخر ) فثار الطلاب وخرجوا إلى الطرقات  
واندفت الجماهير نشد أروم ..

فى تلك الأيام ظهر الجانب الوفاء من هذا الفتى ..

ظهرت شخصيته بكل مقوماتها فنظم من الطلاب مظاهرة ، وقادها إلى ميدان  
باب الحديد فى نظام عجيب ، ليلتقى بطلاب المدارس الأخرى ، كان قد عين فريقاً  
من الطلاب يتولون (المتناف) بعد أن حدد لهم (المباراة) ، وعين فريقاً ثانياً لحماية  
المظاهرة والالتحام بالبوليس ( عند الروم ) ورسوم لهم طرائق الالتحام . . والفرومى  
يكون ، والكر وكيف يكون .. وعين فريقاً ثالثاً للدهاية لدرسته بين طلاب المدارس  
الأخرى ، وللاتصال بزعماء هذه المدارس والتعرف عليهم أثناء المظاهرات ، ودهوتهم  
للاحتجاج به بعد أن يروا ثمار تنظيحه .

وردت خطورة للمظاهرات ، التى اشتهت يلزعام الزعماء على التكنل ، وتأليف  
الجهة الوطنية ، وإنما يمتننى من البحث أن فنانا استطاع أن ينظم للمدارس الثانوية  
تشكيلاً رائساً ، وكانت الانتصايات لهجنة التنفيذية العليا للطلبة على الأبواب فانتصب  
مثلاً للمدارس الثانوية فيها ، وقاد جمعهم قيادة رشيدة لا يلمها إلا المدرسون عليها ،  
والتقلت له محق (المصور) يومئذ صورة نشرت له وصكتبوا تحتها اسمه لأول مرة رعباً  
(صبراً) بين زعماء الطلاب الثائرين ، وقاد طوى هو تلك الفترة المشبوبة - على كل

الروعة فيها جسارة تناهت في التواضع وهو يقول في « فلسفة الثورة » بحثاً عن يوم  
اكتشاف البنزين في نفسه أنه أبداً أيضاً من « الثوران الذي عشت فيه أولم كنت  
طالباً أمشي مع الطائرات المانفة سودة المحطور » .

فإذا يعني هذا الذي ترمي به كرمياً وأسماء « فورانا » ؟

يعنى - في رأيي - القدرة المتوارقة على التنظيم ، والسيطرة عليه ، وحسن توجيهه  
له ، بل إلى تشكيل التلاميذ الذي أطلقه « فني » وأسماء « فورانا » ، كان النموذج البدائي  
أو الصغر ، لنفس « التشكيل » الذي أطلقه من الصبيل الأحرار ، وهو « شب » ، وسيطر  
عليه ، وأحسن توجيهه .

والفارق يا « أسى » ، أن « أخانا المتقي » في تشكيل التلاميذ سنة ١٩٣٥ ، ضرب  
وحبس وأصيب رصاصة ، وذهبت جهوده عمياً ، لأنه كان يطلب الاستقلال والحرية  
هتافات ومظاهرات ، أما « أحرنا الشاب » في تشكيل الصبيل في سنة ١٩٥٣ علم يصرب  
أحدًا ، بل خلق ملكاً ، وتوج شعباً ، وصنع تاريخاً ، وحرر شعوباً ، وأسس قنوة ،  
بسطت جناحيها بالنور على كل فج من فج العالم معتم برورقتي هما على كوبا وأمريكا  
اللاتينية ، بعد أن أنارت عمائل آسيا وإفريقيا ، وانتهت بالاستثمار إلى قرار بتصفيته .

### والديكتاتورية ؟

وهنا ينهض اعتراض يتصل بأهداف الكتاب وأكاد أنتشر فيه ، لأن المصوم  
ما يزالون يوكونه ويرددونه ، وهو اتهامهم إياه بالبروع إلى الديكتاتورية - فهل كان  
بحاج هذا المتقي يومئذ في السيطرة على مدرسته وعرض رعايته على طلابها إرهاباً بالنهضة  
التي توجه إليه الآن وهو زعيم ؟

الجواب ( الكبير ) هل ( السؤال المتطير ) يبينق من ( حداث صغير ) أسوته  
إليك في سطور ..

كان ( جمال ) ضواً في ( مصر الفتاة ) كما قلت .. لأنه كان ( ثاراً ) ، ولأنها  
كأنت ( نائرة ) ..

وكان يوليها كل قلبه الغض .. وكل طاقاته (الثورية) .. ويساهى الآخرين  
أو يستداهم بحمل شلوتها فوق صدره ..

وذاذ يوم ظهر الفتى بين أترابه .. وصدره غير مردان بالشارة ..

وعرف الأتراب أن (جمال) لم يضل عنها قط ، بل حلها وألقى بها فوق الأرض  
بمد قماش طويل وحاد .. وداس الشارة بقدميه في غير تردد ولا رحمة ..

فهل تعرف السبب في هذا (الاغلاب) غير المتوقع ؟

السبب أن (جمال) رأى — خطأ أو صواباً — أن زعيم الجماعة نزاع إلى  
(الديكتاتورية) ، وأنه يسخر جهود الجماعة لإعلاء شأنه هو .. قبل شأن مصر .. ولبناء  
أعباده هو .. قبل أعباد مصر ، واحجج وناقش ، ونفاض غبار المحسومة وماصل ، حتى  
التنع أخيراً — خطأ أو صواباً أيضاً — أن أحمد حسين يريد أن يكون ديكتاتوراً —  
كوسوليني وهتلر — وجمال لا يكره بكل قطرة في دمه إلا الديكتاتورية ، ومن أجل  
هذا ضحى بالجماعة وداس الشارة ، وراح يبحث عن مجال شبابي جديد يفجر  
فيه طاقاته .

• • •

هذا الفتى الذى فعل هذه الفعلة صلباً ، هو الذى اتهمه الخصوم بالديكتاتورية زهياً  
ولقد وقت برع سقى تحت هذا الزوم ، ووصفت بكل قطرة في دمي أيضاً أن  
أضوى تحت لواء هذا (الديكتاتورى) ، حتى صحت ..

وكان لى عذرى ..

وكان كل الذين ضلوا .. صادقين في الصلة مثل .. لم عذرم ..

كان حال في مستهل حكمه يحس كل الخيوط في يده .. ويستأثر بكل السلطات  
وحده ، وكان من حقنا فضلاً أن نسيه (هتلر) ..

ولكن القى فانا ، أنه إما جمع كل السلطات في يده ، خوفاً عليها من أن تملت كلها ، وترسح إلى الأحراب مرة أخرى ، جميعاً فأقام بها بناء مشتمراً ، وها هو ذا يهود في خشوع فيرد الأمانة إلى أهلها ، ويسلم الشعب في ( الميثاق ) ، المبني والمنفتح معاً ، ويقف أمام الباب الكبير ، جديداً ، ( ديدباناً ) ، وطرماً لا أكثر ..

## وتخرج ؟

وتعطي الفتوة وتخرج ..

وفي متباد التي يزملها ، وفي السودان التي يزملها ، وفي القاهرة وغير القاهرة التي يزملها ..

وهرف كيف يختار الرفاق ..

اختار منهم ، أصدقاء المكرة ، وأصدقاء المتينة ، وأصدقاء الاحماء ، وأصدقاء الأسلوب ، وأصدقاء المهوى ، ومشوا في الصف إلى التشكيل من غير تشكيل ، وباهوه بلزامة تلقائياً من غير أن يدهوم إلى البيعة ، ووضعوا أيديهم على عيزة القيادة فيه من غير أن ينادى نفسه قائداً ..

وس هذا المسق في هذا التواصي ، ومن مدى الصدق في هذا التأسي ، تدرك مدى السلامة ومدى الصلابة في الأساس الذي قام عليه المبني ، ولا تدعش أبداً للصلبة التي ربطت بيته وبين عبد الحكيم عامر مثلاً — حتى لقد أسماه بسبب الناس يوماً بالرجل الثاني في الدورة ، والحقيقة أن القوة ليس فيها رجل ثان ولا رجل ثالث ، وإمسا فيها قلوب تواصت بالمثل وتواصت بالقيم ، وتبادرت في قائد ، وفيها القائد الذي يتروج وينجب فيسقى وفه ( عبد الحكيم ) .

ولم يكن المجد رخيصاً إذن ، ولا كان وليد صدفة ، ولا كان ( خبطة ) من ( خبطات الخط ) كما كان المحصوم يقولون .

لقد بدأ كل شيء يتكشف على مهل .



والخفايا قد تستخفي طويلا ، ولكنها تظهر يوماً .

وها هو ذا .. ( ممل ) على طريق الكفاح ، رافع ومضى ، وقد ظهر أخيراً على الطريق وبعد عشرين عاماً ولم يكن أحد قد تسلم به قبلاً ، ولا سطر لقائد الشاب أن يشير إليه يوماً ، وهو أكبر دليل على أن ( الثورة ) في جمال عريضة فيه عرافة لهم في المروق .. وكانت ترضه لخطر من مطالع السر ولم تكن له منيا .

### عزيز المصري ؟

وأعني بهذا « الممل » .. ذلك « القاء » الذي تم بين عزيز المصري وجمال عبد الناصر ومعه خمس صم .. والتقطه الشعب أخيراً وعبراً من مم « جمال » وهو يحطب .. ويشير إليه ولا يتوسع .. ليكرم به رجلاً يباشر الشيوعية في داره ويمشي إلى القسطنطينية ووجب أن يكرم .

تم من عشرين عاماً .. وفي سنة ١٩٤٢ .. نلح ثلاثة من الشبان الثائرين .. جمال وبندي وكمال الدين حسين .. يبحثون عن الثورة في عسكري شيخ .. مجرب ومدرب .. ويظفون الباب على صاحبها من غير أي تطرف سابق .. ويسألهم عن صفتهم ويقولون إنهم صباط صغار في الجيش .. في حاجة إلى من يرشدهم إلى طريقة لتحرير بلادهم .. ويصبح الشيخ الشجاع فيهم وفي غير محوط ولا تخرج : « الثورة ... ولا شيء غير الثورة .. ولا يعني أن تكونوا ضباطاً ثائرين .. أو جواسيس على .. لقم السياسي » ومن ذلك اللحظة أدركوا أن لهم تحت سماه البلد أباً روحياً .. يتخذون من ثورته ملأ<sup>(١)</sup> .

(١) وإذا كنت لا أستطيع تحديد دور حرير المصري في توجيه أولئك الثوار فإن أستطيع أن أرى صباه على بسبب الثورات التي جرى بها لهم جمال وهو يقول في كتابه « وما أكنز الحسط التي وستها في تلك الأيام وما أكنز الثبات التي سهرتها أعد السنة للأعمال الإيجابية .. كانت حياتنا في تلك الفترة كأنها قصة برابيه شيرة .. كانت لنا أسرار حاله .. وكانت لنا رموز .. وكنا نشد بالظلام .. وكنا نرس للندسات عوار التنايل .. وكانت طلفات الرسائل من الأمل » .

### فأنا تسمى هذه الوثيقة ؟

تسمى - وهذا رأيي - أن من أبرز صفات هذا الشاب إحصاء الاختيار .. لمن يرشده رائداً .. ولن يملوه أختاً .. وتسمى أن الرابطة بينه وبين صحبه أعضاء القيادة قديمة ، وأن الفكرة تجمع بينهم من مطالع شبابهم ، وأن الأمر كان من بدايته جنكاً لا شك فيه .. وإقديماً لا جُبِين يتلثه ولا ضعف يبروه .. وحسبك أن تعود إليه زكريا يحيى الدين وصلاح سالم اللذين اتحما حصار التولوجا زحاً وتحت طلقات العدو وفي فدائية قَلَّتْ مفاثرها ليقابا « جمال » .. ولينبأحت الثلاثة في أمر مصر .. والحصار مضروب حولم . « والتند » .. تُغمُّ أمره عليهم وأهم<sup>(١)</sup> ..

ولم يكن الأمر - إذن - أمر شبان ظرفين يتظاهرون أحياناً .. أو أمر قومس يتسجل أحياناً .. أو أمر جهالة تده حقاقة ..

### وأنا .. أعرف « عزيز المصري » ؟

فقد تكون مفاجأة لك ، أن أتهز هذه الفرصة - وعزيز للمصري على قيد الحياة والشهود باستثناء اثنين أحياء - فأردى لك قصة لم تنشر .. لتري أن عزيز للمصري كان يدق الثورة قبل قيام جمال بها بششرين عاماً .. ولم يكن مجيئاً - إذن - أنه يقول لجمال وصحبه « سد عشرين » ومن غير أن يعرفهم : « الثورة ولا شيء غير الثورة » .

أردى لك هذه القصة - وأرجو أن يتبينها أحد الضباط الأحرار من بلعوا في الثقافة والنسب شأواً ، يفرض عليه حماية التراث القومي ، وأضئ به الأديب الفنان

(١) ولقد وفر « جمال » إحدى حاسناتنا - بعد نجاح الثورة - وسبق بإجماع الأساتيد فيها - وكل منهم يريد أن يقدم شبه بدلا من أن يقدم له أمكارة ، فتلتصم أن يؤدي كل منهم واجبه وهو في مكانه ولا يقب على فكه للوقت في كتابه : « ولم أبدأ أن أتول لهم إن سلمت أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا أساطين في كلية أركان الحرب ، وهذا دليل على استباهم في حاجتهم كجنود متعزبين وقتلته لم أبدأ أن أتول لهم إن ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة هم عبد الحكيم طاهر وصلاح سالم وكال اثنين سجنوا رفوا ترقيات استثنائية في ميدان القتال في فلسطين » .

العالم ثروت مكاشه ، أرجو أن يبنى هذه « الحلقة من تاريخنا الثورى » قيتحرمى من  
عزيز المصرى بيانها وينهض بقلمه — ويكتب من كنبه — بحمة تبيانها .

• • •

كان ذلك قبل أن يترك جمال وصاحبه .. باب عزيز المصرى بحمة أحوام  
أورمانية .

كان عزيز مديراً لمدرسة البوليس ( كلية الشرط الآن ) وقد بحث الحياة فى  
شرايينها وأقام صلاة للحاضرات فيها ، وحام بأصدقائه الكفاح القدامى — للتتبيين —  
من أمثال الرحوم الدكتور نصر فريد ليحاضروا الطلاب لقاء مكافآت ، وكان لبلوك  
الطلبة الصباط حكمدار شاب واسع الأفق والحياة — هو الرحوم الميوز باشى عبد الحكيم  
الشريبنى ( من أسرة الشريبنى المعروفة فى بلدة دجلا — أسبوط ) وكنت صديقاً  
لبعد الحكيم ، أتردد عليه فى مكتبه — وكنت قدمت استفتائى من جريدة « كوكب  
الشرق » الرمديّة فرأى عبد الحكيم أن يفسح لى مجالاً فى المدرسة أكتب لهم منه  
ما يحتاجون إليه من بيانات ومحاضرات ومقالات وخطب لقاء مكافأة أيضاً كما كان  
عزيز للمصرى يفتل مع نصر فريد .

وكان عزيز يقيم فى المدرسة مع روحته الأمريكية التى حربت بعد ذلك بطولها منه  
إلى أمريكا ، وكان بولى عبد الحكيم ثقة لا حد لها ، وكان — أى عزيز — يعتقد أن  
عبد الحكيم خلية ثورية لا شك فيها ، وكان لبعد الحكيم طائفة من الشبان التابعين  
كلهم يومئذ برتبة ملازم — باستثناء ( الميوز باشى ) حليل الهديب — ومنهم الرحوم  
محمى الدين أحمد ابن عم زكريا محمى الدين ، وقد توفى من بضعة أحوام وهو كبير  
الصلبين فى كلية الشرطة ( نفس المدرسة ) ، ومنهم عبد الحميد خيرت ( محامض سوحاج  
الآن ) وعمود رياض ، وعمود الشافعى ( مدير الأمن فى محافظة الاسكندرية الآن )  
والسيد عبد الحفيظ ( فى الملش الآن ) .

• • •

ووقع اختيار الملك فؤاد على أحمد حسين وعمرزى للصري ليرافقا ولي العهد (النجيب ١١٢) و(أمير الصعيد ١١٢) فاروق إلى لندن .. رائدين وشرهين على دراسته .. وإعداده للثقل .

وقبل أن يسافروا .. أسرَّ عمرزى للصري ( إلى عبد الحكيم الشريفي ) بما يتويبه وقال إنه سيد الأمير الصغير (إعداداً) لا يحول بخاملر أبيه . . وسيخرج منه ملكاً ثورياً غير مسروق في تاريخ اللوك .. وسيود به ليظهر مصر من المستعمرين .. وأن على ( عبد الحكيم ) أن يد نفسه لكفاح ثوري قريب .

\* \* \*

وسافر عمرزى .. وبدأت خطباته ترد على عبد الحكيم .. ( ولا أشك في أنها محفولة عند آل الشريفي .. لأن توفيق شقيق عبد الحكيم كان قد تزوج امرأة أخيه ليربي أولاده ) .

وكان ( عبد الحكيم ) يولفي ثقة لاحد لها أياً .. ويدعوني إلى بيته في مصر الحديثة ويطلبني على هذه الخطبات ، وفيها يرسل عمرزى صرخات نارية من ( العهر ) الذي يدفع إليه أحمد حسين ولي عهدنا الصغير .. وأن خطبتي مزيز إلى الملك فؤاد بالشكاية والاحتجاج لم تكن تلقى أى رعاية ، وأن ( يدأ ) ذات سلطان في القصر تحمي حسين من هذه الاتهامات .

واقدي يهني أن عمرزى المصري .. كان يلح على ( عبد الحكيم ) أن يُبد خلاياه الثورية ويتأهب .. حتى يمرد مزيز .. وكان عبد الحكيم يضحك ويسأني : « إيه فكرك ؟ الرجال حا يوردناى داهيه » وكنت أقول : « ولا داهيه ولا حاجه .. ما نجيشى أمله فيك لما يهسى ونشوف تكتيكك إيه ونحكم » . ويقول عبد الحكيم : « الرجل مندفع يا عمده .. ده يقومك وهو في الستين من العمر الساعة خمسة الصبح و بينتلون شورت ويمررى رى البن كذا كيلو لو جريها أى شاب متنا يقطع قلبه » و يضحك عبد الحكيم ويقول : « طيب يا سيدى ملينى إالى إنت هايزه » وأمل .. وهو يكتب بخطه .. ويظل مزيز يكتب .. ويظل عبد الحكيم يرد ..

وأحزن خاتمة لقصة أنى لا أعرف على التحديد .. مصير الثورة التي كان يعد لها  
عزيز لطرده المحتل و « حكم البلاد دى بثلاثة أو أربعة مخلصين » - كما كان دائماً يقول -  
لا أعرف مصيرها في ذلك القلب الذي لا يشيخ .. لأن عبد الحكيم الشريفي عليه  
رحمة الله ذهب ضحية حادث وقع لسيلته في الطريق الصراوى .. ولا أعرف حتى  
الآن إلا أن « جمال » مع صاحبه زاروه في سنة ١٩٤٢ فقال لهم « الثورة ..  
ولا شيء غير الثورة » فأعلنوها في سنة ١٩٥٢ وأستطيع أن أرى بيني خيال دموع  
الفرحة وهي تنساق يومئذ من بيني عزيز للمصري .

### من هو جمال ؟

وأحب في خاتمة الفصل أن أراجع معك بعض ما وقفنا عليه من جواب الشخصية  
الناصرية ومقوماتها ، عبر إني عشر عاماً ، من سنة ١٩٣٠ عندما هتف في ميدان المنشية  
وضرب ، حتى عام ١٩٤٢ عندما قال لم عزيز « الثورة .. ولا شيء غير الثورة » .

اكتشفنا في هذه الشخصية الحقائق التالية :

- ١ - ثورية فيه كاتمة من الطفولة .
- ٢ - طاعة نشاطية لا حد لها .
- ٣ - قدرة على السيطرة تضعه دائماً في مركز القائد .
- ٤ - قدرة على التنظيم يفكر مرتب .
- ٥ - قوة على الإقناع إذا هو ناقش أو خطب .
- ٦ - قوة على التجميع إذا خاض المجمع .
- ٧ - حب للعمل ، و قدرة على التوجيه ، وحزم في التنفيذ .
- ٨ - حسن اختيار للأصدقاء .

٩ — البحث عن التجربة والأنتفاع بها .

١٠ — إيمانه برسائته .

هذه المعالم المشرفة - تبدو واضحة على طول الطريق الذي تباررت فيه شخصيته  
بدءاً من عامه الثاني عشر وانتهاء إلى عامه الرابع والعشرين .

\*\*\*

وأرجو أن أكون قد استطعت أن أرسم المرحلة العشرين في موقفى من الرجل  
الذى تأمرت عليه .

## افضل كجاردى وبعشرون

### اغتيالات .. وصرخات

رأيت وأنا أدرس الرجل « البناء » من « بدايته » .. وأصمى مع لى صديقاً إلى ما انتهى إليه من التشويخ ... أن أحادى أربز العالم على طريق الصمود ... حتى لا تضع من قدى الطريق<sup>(١)</sup> .

وأبرز للمالم على مطالع الطريق هو كتابه : « فلسفة الثورة » .

منه ألتقط « المارة » ... عند كرنى بالتهمة ... فأعرض لها بالبحث ... وبين وجه الحق .

ومنه ألتقط « الرأى » ... وأسطر فى القدى وقع ... وهل خائف « الزامع » عن « الرأى » أو لم يخائف ؟ وأسطر فى « الحطلة » ... وأسطر فى القدى وقع . وهل تمت سداد الحطلة أو أن الفساد هو القدى ثبت ؟

وقصة « الاغتيالات » فى « فلسفة الثورة » هى إحدى كتابات الدراسة ... وأوتر أن أتحذ منها حللاً لحنا الفصل .

\*\*\*

كان جمال قد استقر رأيه على أن « العمل الإيماني » يجب أن يكون طريقه .

واحترب أن « الاغتيالات » توجهت فى خياله للشتمل فى تلك الفترة على أنها « العمل الإيماني » القى يراه وجلس إلى رملانه ... ووقع اختيارهم على « لواء » معروف كواحد

(١) « وضع من قدى الطريق » تصير نزل على كليل الداوى فى سيفوتبه القسرية الزائمة « لا تكذبى » بقرى الصير مشورا على لى ... ونظمت عليه ... لرأيت أن أزد الفصل للماسه .

من رجال الملك<sup>(١)</sup> ... يجب أن يزول من الطريق ويعترف « جمال » أنه كان في حيرة  
تتمزج فيها عوامل مناشكة « من الوطنية ومن الدين ، ومن الرحمة ومن التسوية ، ومن  
الإيمان ومن الشك » ومن العلم ومن الجهل .

وكانت « انعطة » أن يطلقوا الرصاص على الرجل .. وهو عائد إلى بيته  
في الليل .

وبقدرة « جمال » على التنظيم ... رتب « فرقة الهجوم » ... و « فرقة الحراسة »  
التي تحميها ... وفرقة نائكة لتغطية الأساليب والإفلات ... وخرج نفسه مع جماعة التنفيذ  
وأطلق الرصاص ... ونجحت انعطة .

ومن هنا ... تبدأ مهتمق ...

من هنا أنت مدهو ... إلى الإصغاء بكل جوارحه فيك ... إلى هذا اللون الساحر  
من التفريد الإنساني المرين: « وقلعة دوت في سيمي أصوات صراخ وحويل ... وولولة  
امرأة ... ورجب طفل ... ثم استنائة متصلة محومة ... وكنت عارفاً في مجموعة من  
الاشعالات الثائرة ... والسيارة تندفع في مسرعة . ثم أدركت شيئاً مجيباً ... كانت  
الأصوات ما زالت تتمزق صمى ... الصراخ والحويل والولولة والاستعانة المحسومة ...  
لقد كنت بمدت عن المسرح بأكثر مما يمكن أن يسرى الصوت ... ومع ذلك بدا  
ذلك كله كأنه يلاحقني ويطاردني ... ووصلت إلى بيتي واستلقيت على فراشي .. وفي  
عقلي حتى ... وفي قلبي وضيري غليان متصل .. ولم أتم طول الليل .

وهنا أتمهل ... حتى تضع يدك إلى حواريدي ... على جمال « الإنسان » بكل طاقاته  
الروحية — بعد أن رأيت في الإعداد والإقدام وإطلاق الرصاص بعض قدراته المادية .

\*\*\*

---

(١) لم يتأ « جمال » أن يدكر اسم « اللواء » في « فلسفة الثورة » ولكن الصفح يوم  
محاولة اختياله صاحبه لتسريته .. وكلمته تعرفته ... و « ليل طرة » حرفة إر الثورة وهو اللواء  
حسين سري حارس .



هذه « الشحة » من العاطفة هي أكبر « سلم » على « طريق شخصيته » ... تنمو  
في حياة المرسين ...

ومثل هذا « الإنسان » لا يمكن أن يكون « الهيكاتور » - الذي حدثني عنه  
« المنصوم » - والذي يمشى إلى « أبعاده » فوق الأشلاء والجماج .

\*\*\*

ويضى الرجل - وهو مستلق على الفراش - في « ديالوج » طويل ... بينه  
وبين نفسه ... يسألها : إن كان على حق فيها فضل ... وإن كانت هذه الوسيلة هي  
الوسيلة التي لا مفر منها ... وإن كان مستقبل بلده يمكن أن يتغير إذا خلصناه من هذا  
الواحد أو من واحد غيره ؟ وأحس « أن المسألة أعمق » كما أحس أنه ليس مهماً أن  
يضي من يجب أن يضي بل اللهم أن يضي . من يجب أن يضي . . .

وسمع هاتفاً يقول له : « وإذن ؟ » .

وأجاب هو : « يجب أن تتغير طريقتنا » .

وأحس براسة صافية ... « ولكن الصفاء ... ما يلبث أن تحترقه هو الآخر  
أصوات الصراخ والمويل والورلوة » ووجد نفسه يقول فجأة : « ليه لا يموت » .

\*\*\*

وما كان أسلمه في الصباح ... أن يُهرج إلى إحدى الصحف ويحد أن الرجل  
الذي در اختياره « قد كتبت له التجاه » .

\*\*\*

وأعتقد أني بطلع هذه « التبريدة القريفة » على « شريط كتابي » قد وضعت  
الرجل « في الصورة » ... وأصفت إلى خطوطها الأساسية ... خطاً جديداً .

## عني على سوريا

وأحي « فلسفة الثورة » جابياً ... لأعود إلى حيث المراحل ... بعد أن كشف لي كتابه عن جوانب فيه لم أكن أبداً قد تنبته لها ... والذي سفته لك هو جانب واحد منها .

وكنت قد وقفت بك عند التمسكة في العراق ... وكيف طالها حتى خدرها ... وسحب النطاء فوقها ... وانطلق يني لمصر وسوريا .

ونحن الآن نواجه عام ١٩٦٠ فما هي اسكاساته يا ترى على شحنة ( الإيمان ) التي خرجت بها من سجن وغذيتها بالدراسة طاماً ؟ وعلى أي الصور ... وجدت المصوم للذين حلقتهم قبل السجن بكل ما برعوا فيه من أحاديث الإلهام ؟

\*\*\*

وجدت خصوصاً قدامي . لم تطور الأحداث تفكيرهم - وإن جددت شعورهم - وشيخ لي وأما أنظر إليهم أنهم ماتوا تماثيل من الحجر ... اقرأ فوقها نقوشاً باعثة ... تحمل أماناً قديمة ... قلنصر الذي عاشوا فيه .

ورأيت خصوصاً آخرين لم تطور الأحداث تفكيرهم ولكنهم ليسوا تماثيل ... وما يزالون يتكلمون ... ويرددون - ولكن في خفوت - نفس الاتهامات المعيبة الرثة وما يزالون يحملون بأشباح تهبط من السماء أو تنشق عنها الأرض لتتولى هي النضاء على ناصر .

أولئك جميعاً أودعتهم ( متحف الفكر ) حلي . . ومضت أبحث عن غيرهم .

\*\*\*

وجدت معنى رأيت قريباً آخر من المصوم ... طوروا تفكيرهم ... وطوروا شعورهم ... فبدوا أكثر شأباً ... ولكنهم لم يقصدوا بالتطور أن يتسنى لهم إلى

الإعلاء بناصر... وإنما طوروها تفكيرهم في الأحداث.. وأروا أن لا محل لأن يتكروا على الرجل « انتصاراته » ، فاعتزفوا بها ، وعلفوها بما علفوها به ، وركزوا على « سوريا » وانتظروا « الحير » منها ، و « انخير » في ميزانهم هو « انسالما » هنا ، والاضعاف في « تقديرهم » زوال ناصر ، والذى يميل بهذا الانفصال — في رأيهم — قيام « الاتحاد القومي » في إقليمنا الشمالي .

وأعترف أن « الخوف » قد « داخلني » ، أو ضايقني ... انطوف على ناصر هذه المرة وليس من ناصر .

وضعت « عيناً » على سوريا ، و « عيناً » على الاتحاد القومي ، وبدأت أصني .

وطاوت على الخوف ، رأي لي في سوريا ، سبق لك أن طالمته في فصل سابق ، رأي في شعبنا للنشج ، وللتلطم أبدأ إلى القائد ، يتود انتفاسته ويمجد أحماده ، ورأي في الزعامات والقيادات والرجسية والاقطاع ، والاحتكارية والأحزاب ، وكيف يرتدى الساسة مسوح الاشتراكية للاجهاز طليبا ، وكيف يتسربون إلى عصوية الاتحاد القومي للسيطرة عليه . وكيف يأخذون باليمين وبالشمال من كل ملك أو حاكم أو مستعمر .

وكان لي رأي في ( الاتحاد القومي ) مذ كنت في ( اليابان ) لم أقله لك ، ولم يسر خروجي من السجن وانحامي للناصرية من هذا الرأي .

وقسرة الاتحاد ترامت إليها ونحن في ( اليابان ) ، وكان الذي بشر بها في اللذباع هو ( أمود السادات ) .

ورغم ما بذله أمود من جهد في التصياغة وروعة في الأسلوب ورصانة في الإلقاء ، لم أستطع أن أفهم شيئاً كثيراً .

وخرجت من السجن أسأل الأحرار عما فهموه ، بعد أن فتح باب الترشيح أمام كل مواطن وبشير أي قيد أو أي شرط فقد كان واضحاً لي أن الرجسية بكل مستأها ستطت نقلها على هذا الاتحاد لأن كل ما حدث للاقطاع لم يجرده من قوة المال ، ولأن الرأسماليين ما يزالون يملكون الملايين . ولأن الحرييين من أولئك وهؤلاء ما يزالون

أقرباء ، والذي لا يريد أن يرشح نفسه منهم لأى اجبار ، يستطيع أن يدفع أحماء  
أو ابن أخيه للتشجيع وتكون النتيجة قيام برلمان كبير باسم قدامى المحاربين أو أبناءهم  
أو أقربائهم ، فما الذى ستكون قد صنمته ؟

وإذا كان هذا هكذا ، بالنسبة إلى مصر المستقرة ، ومصر التي خطت من غير  
شك أكثر من خطوة إلى قلب الاشتراكية ، فكيف فكر الزعيم الراشد في تصدير  
هذا النظام إلى سوريا ، وقد حدثت عن الزعامات فيها ، لينتقل إلى مقاعد الاتحاد  
القومي حماة المهريين وأحزاب الشركة الخماسية والرحمية نشد أزدحم ملايين الدولارات  
واللهيات تتدفق إليهم عبر الحدود من لبنان والأردن ؟

وسأنى الموقف ، وتقبض قلبي إشفاقاً ، وتثبت لو كان في يدي قلم ، لأرتفع فوق  
المخاوف وأكاشف الزعيم برأى وليسكن ما قدر أن يكون .

وهذا الشعور من جانبي هو الذى يسنيني .

أنا — إذن — أمشى إلى الناصرية جباناً .

\*\*\*

ولم أهد أطيق أن أصنى إلى المصوم .

وكنت أود دائماً أن أصنى إليه هو . . . كلما تحدثت وكلما خطبت .

وها هو ذا يطوف بسوريا ويخطب في اللاذنية وهكا وديرازور وحلب وحمص وحمص  
والسويداء ودرعا ودمشق . . . كان يحط على المستوى المرمى .

كان يخوض تحرية وهبة وجديدة .

ووجه اعتماني هذه التجربة يرحم إلى جوانب أخرى من شخصية «البهاء» كنت  
أوتران أرجى . الحديث عنها إلى أن أعرض للبتنى . . . ولكن يبدو أن السياق  
يفرضها الآن على ريشتي .

وفي « فلسفة الثورة » حديث عن الوضع العربي له صلة بما يجري الآن على المستوى السوري لأن سوريا أتت لنا أن تضع « الوحدة » موضع التنفيذ كتجربة أولى .

وفي « فلسفة الثورة » - في جزئها الثالث - كلام عن الثورة التي معنى عهدها .

وهنا نحن أولاء ومن بداية الثورة وهو بهم موضع كتابه .

\*\*\*

كان مجلس يوشد في غرفة مكتبه وسرح مخواطره ويسأل نفسه :

- ما هو دورنا الإيجابي في هذا العالم العربي المصطب ؟ وأين هو المكان الذي يجب أن هوم فيه بهذا العور ؟

كنا على مطامع الثورة كما قلنا .. وكان كل عمل داخل حدود مصر .. ولكن خواطره كانت تدبير العالم كله .. وهذا هو جمال عبد الناصر الذي تربث عنده قبل أن تعود ونمبر السنين إلى الحديث من جديد عن سوريا والاتحاد القومي .

كان مجلس في غرفة للكتب ليقول لنفسه : « إن القدر لا يهرل .. وليست هناك أحداث من فصل الصدفة » وراح يتساءل :

(أ) أيمكن أن تتجاهل أن هناك دائرة مريية تحيط بنا .. وأن هذه الدائرة منا ونحن منها ؟

(ب) أيمكن أن تتجاهل أن هناك قارة أمريكية شاه لنا القدر أن سكون فيها .. وشاه أيضاً أن يكون فيها اليوم صراع مرير حول مستقبلها وهو صراع سوف تكون آثاره لنا أو علينا سواء أردنا أو لم نرد ؟

(ج) أيمكن أن تتجاهل أن هناك طغى إسلامياً تحمسنا وإياه روابط لا تحرقها الضيقة الهيئية لحب وإنا تشدها حقائق التاريخ كذلك ؟

## دور يبحث عن بطل

ولم تنف المواقف به عند هذا الحد وإنما شردت به إلى الشاعر الإيطالي بيراندالو  
وقصته : ( ست شخصيات تبحث عن ممثلين ) وقال أي جمال :

( ولست أدري لماذا يميل إلى دائماً أن في هذه المنطقة التي نبش فيها دوراً هاماً  
على وجهه يبحث عن البطل الذي يقوم به ) وأن هذا الدور بعد أن أرفقه التجوال في  
المنطقة قد استقره للطلاب على حدودنا ( يشير إلينا أن تتحرك )

ونقل أن يكون الدور دور زعامة و ( إنما هو دور تفاعل وتجاوب مع كل هذه  
العوامل يكون من شأنه تضجير الطاقة الهائلة الكامنة ) .

\*\*\*

ولم أكن هازلاً - إذن - وأنا أقل إليك فقرات عن كتابه .

تقد بات للملاح كلبها ، ووقفه ، ومن حيث أراد له قدره

دور هام على وجهه يبحث عن بطل ؟

ولم يتصور ( حال ) انه هو البطل ، تصور أن الدور تفاعل وتجاوب مع العوامل  
التي أشار إليها .

وصح ظنه مع ( تعديل حضري ) . . كل لابد لهذا التفاعل من وعاء صالح . .  
وكان هو الوعاء الصالح . . سوتة خذرة الله . . فكان قدراً من أقدار الله ..

وضع شه في خزمة ( الدور الهام ) فوضع القندر كل ( الدور ) بين يديه لينهض  
به فكان البطل .

\*\*\*

ولسكني نموذجاً أخرى إلى سوريا .. يحسن أن طوف مع بتاريخ المنطقة العربية  
التي تعتبر سوريا ( قلباً ) لما نرى منه أسما عات معنا نفس المن وعاشت معنا نفس

الآزمات . . بحمة الصليبيين وبحمة اللنول وبحمة المنيابين وبحمة الاستعمار ثم امتزجت منا بالهين فتقلت مراكز الإشعاع من مكة إلى المدينة إلى الكوفة إلى دمشق إلى بغداد إلى القاهرة.

وملاحح الرمي العربي بدأت تتسأل إلى تشكيه تليذاً بقود المظاهرات وبهيف يسقوط وعد بلفور من غير أن يحد في شبه صدى عاطفياً لهياتف ، حتى بدأ يدرس في كلية أركان الحرب «حمة فلسطين» فلما بدأت ( حرب فلسطين ) كان مفتتما في أمماته « بأن القتال في فلسطين ليس قتالا في أرض عربية وهو ليس انسياقاً وراء عاطمة وإنما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس » .

\*\*\*

وأحسبك الآن تدرك - كما أدرك - أنه لا يحمل رسالة إلا وهو مقتنع بسلامتها ( في أمماته ) وأن الوحدة مع سوريا والبلاد العربية لم تكن حلاً من أسلام الامبراطورية القنصرية التي روج لها المنصوم . . وإنما كانت واجباً ( يحتمه الدفاع عن النفس ) .

\*\*\*

### أريد دليلاً!

بين أيدينا الآن حادث . . الشاهد عليه خصم له ولا يستطيع أن يكره . . إنه أمين الحسيني مفتى فلسطين ..

غضب صدور قرار تحسم فلسطين في مجبر سنة ١٩٤٧ دعا ناصر إنخوانه الضباط الأحرار إلى اجتماع ، وقرروا مساندة للقائمة في فلسطين وذهب جمال في اليوم الثاني إلى الحاج أمين في منزله بلزيتون وقال له : « إنكم في حاجة إلى ضباط يتقودونه للمبارك ويدربون للتطوعين ، وفي الجيش المصري عدد كبير من الضباط يريد أن يتطوع » واستمهله الفتى حتى يستأذن حكومة القنراشي .. ورفضت الحكومة .

وهنا يقول جمال بقله :

( ولم نكت ، وبسببها كانت مدفعية أحمد عبد العزيز - القنراشي المصري الذي

قاد قوات المتطوعين قبل أن تقرر الدول العربية الاشتراك في الحركة - تلك المستصراة اليهودية جنوي القدس وكان قائد المدسية هو كمال الدين حسين .

فأين النغمة هنا . وأين الإمبراطورية الناصرية ؟



أريد دليلا آخر ؟

هذه المرة .. حسن إبراهيم وعبد العظيم البمدادي .

تم سفر ( حسن ) إلى ( دمشق ) واتصل بيدهم ضباط فوزي الفواقجي ، المحاهد العربي اللبناني و ( وضع حسن إبراهيم وعبد العظيم البمدادي خطة جريئة لقيام بعمل حاسم في الحركة التي نتمتع لها قوات التحرير ) .

أندري ما هي هذه الخطة التي اعترزم الرجال تنفيذها برغم أنف حكومتها ؟

الجواب بتولاء مطار سلاح الطيران المصري يؤمئذ ، وتتولاه الحركة التي بدأت فيه ، ( وبرز فيها نشاط واسع لإصلاح طائرات وإصلاحها وجهود واضحة في التدريب سرت كالمخفي في قوس عدد من الطيارين ولم يكن هناك إلا قلائل يعرفون السر ) .

كأما ينتظرون أن يحيى الإشارة السرية المتفق عليها ، فيخلق الأبطال من صباط الجو الأحرار إلى جو فلسطين ليصموا حداً للحركة الحاسمة في الأرض المقدسة ثم يودون بمطار دمشق ويتقربون مصائرهم .

ولم تنفذ الخطة لأن الحكومات دخلت حرب فلسطين رسمياً قبل مجيء الإشارة ولينتها لم تدخلها .

ذلك هو تشكيل الصباط الأحرار قبل ثورة مصر بسنوات أربع ، فهل كان جمال بريد أن يتهم إمبراطورية ناصرية في فلسطين ، وهو وإخوانه يقتلعون حياتهم وخيمه هكذا وكأمراد لا ورن لم يؤمئذ وعلى مذبح فلسطين البلد العربي البعيد ! وهل



يقاس هذا الإيمان برسالة الوحدة على مطالع الصبي ، والشباب .. بمن ضاقوا برسالة  
تفرجوا عليها ليكونوا انصاليين في سوريا وسفاحين في العراق ؟

أردت ان أقول إنى اجليت بهذه الزمات عبر دراساتي لماضى عبد الناصر وجه  
الحقائق ، فناء هذا الوجه وقوداً جديداً لمراسل ، وأنا أنب إلى ( الناصرية ) وثياً .

## أفريقيا .. ونحن حراسها ؟!

ولا ندع من الآن « ناصر » .

وهل الكتاب شيء ... غير تحول من الكفر به . إلى الإيمان ؟

حان لدراسة أن تكمل ... وحان لكل القيمات أن تستين .

ومرة أخرى ... إليه ... وهو جالس وحده في غرفة مكنته بسرح محاطره وتنتجه  
إلى القارة السوداء التي لا نستطيع أن نحرف عن الصراع الحبيب الذي يدور في  
أحماقها ... فيرى أن شعوبها سوف تظل « تتطلع إليا نحن الذين نحرس الباب الشمال  
لقارة » وأنا لا نستطيع بحال أن نتخل عن مسئوليتنا « في الماونة بكل ما نستطيع على  
نشر السور والحضارة حتى أحماق القارة السوداء » واللسنة ليست مسألة عاطفة وإنسانية  
وحيرة ومسئولية فقط وإنما هناك مسألة أخرى وسبب هام هو أن « السبل شريان الحياة  
لوطننا يستمد مائه من قلب القارة » .

ولعل القارىء الآن يدرك سر الوفود السود الذين يترددون على القاهرة ... وسر  
رعاة إفريقيا المضطهدين أو السكالفين وهم يتحفون من عاصمة مصر الناصرية مراكز  
لقياماتهم . وسر الطلاب السود الذين نجى بهم لنيلاً وموسم نوراً ... ليكونوا الطلائع  
الثورية في بلادهم .

• • •

بل إن ابتسامه تملو شفتي اليلة وأنا أكتب لك هذا الفصل وأذكر أنى كنت

ظهر اليوم أجلس في المقهى بجانب شاب ليبي مبتور أحد القرامين وقال إنه هو الذي  
سف بيوت الضباط البريطانيين في طبرق أثناء العدوان على مصر تاراً لها من العدو  
وأنه رغب في أن يراني فأرسله إليّ المجاهد الليبي الكبير واللاجئ السياسي الكريم  
صديقنا صالح أبو بصير وكيل مجلس النواب الليبي الأسبق ...

وكان مع الشاب الليبي شاب أسر فاحم السودان وسمي التقاطع اسمه (٤٤) جمع  
بينهما فندق واحد ... جاء من قلب القارة السوداء مع إخوان له كثير .. أحبوا  
ناصر ... فأصروا على أن يروه ... وعلى أن يملأ لهم رموسهم نوراً ... وعلى أن يقدم  
إلى بلادهم سكانين منه ليحرروها .  
وسألت الليبي : ولماذا ترضيان في رؤيتي ؟

وقال الشاب : نحن في ليبيا نمرتك كاتباً وقد أردت أن أسألك - وقد قرأنا  
من للزائرة - وأيك الآن في ناصر... والشباب الإفريقي عرف قصتك فأحب أن ينضم  
إليّ في سؤال . . . وقلت لها طبعاً ما يسرنى الله لأن أقوله ، وإنما الذي يسيئ ... أن رسالة  
ناصر التي كسر بها حصومه من بني مصر ... وكفرونا معهم بضع سنين .. آمن بها  
شباب القارة السوداء ولم يصدقوا أن كاتباً مصرياً يمكن أن يتأمر على « ناصر » وانضم  
« محمد » إلى « الليبي الذي نسبت اسمه » ليسألني الرأي في « ناصر » .

وقد يكون مفيداً أن أسأل الخصوم الآن بمناسبة الشاب الإفريقي : إن كان  
عبد الناصر ينوي أن يتخذ من آلاف الطلاب السود الذين يعدون علينا ليجلأوا رموسهم  
موراً « طواير خناسة » تهبه نياسالاند ورواندي وأوراندي ورنيجار وموزمبيق لنزو  
ناصرى ... أم أنها شحوب القسرة تتصلع إلينا ولا نستطيع أن نتصلع عن  
مشئولياتنا تجاهها ؟

ولا أجيب .

## الدائرة الثالثة

أما الدائرة الإسلامية الثالثة التي سرحت إليها حواطره ... وامتدت عبر قارات ومحيطات ... وضمت مئات لللايين من الإخوان في القيدة فيكفي أنه اتخذ منها معبراً إلى صداقة البلاد التي يعيشون فيها ... إلى بانديوج وميلانها العشرة التي هزت قوائم الاستعمار وأرست أساس تصفيته ... في العالم كله وبمواظفة هيئة الأمم أحياناً... وأعلنت بين للسكركين قوة إنسانية رهيبة تعتنق الحياض الإيماني وتدعو إلى التنايش السلمي وتحمل على كتفها في وجه الاستعمار ورأس لئال والصهيوية والشبهوية نفس الرسالة التي حملها المسيح في وجه الرومان الذين طمروا واليهود الذين ضلوا .

وإنني للدائرة الثالثة هي التي فضحت له الباب إلى الدائرتين اللتين لم يرد ذكرهما في « فلسفة الثورة » وقام لها كيان ... خارج غلاف الكتاب .

### وبعد

فأحسب أنني لم أحاد الكتاب وأنا أدرس شخصيته وأصفه فقط ... وإنما نهلت من عباراته حتى ارتويت .

وفي ظل هذا الارتواء أرجو أن أكون قد استطعت في وضوح أن أبرد بعض الجلباب الرصاة من ذلك للارد الذي شق للرسالة طريقها فوق الشوك وبين عصف الرياح ، وفي حو تألبت عليه فيه أقوى دول الأرض لم تهتر في يده الزاينة ولم يركع ، وساروب وما يزال بحارب .

كما أرجو أن أكون قد استطعت أن أكون أميناً وأنا أرسم المرحلة العشرين من مراحل في موقف من « الرجل الذي تأمرت عليه » .

## الفصل الثاني والعشرون

### آمنت إلا قليلا

بعد ليل منم طال مداه .. هاأنذا أراه ..

أراه بكل عيني البصرة .. وبكل قلبي المنتوح ..

( رى اشرح لى صدرى ويسرلى أمرى واحلل عذبة من لسانى بيقموا قولى ) .



هبرت منك مره — مد الله فى عمره — بدما من صباه ..

وتفانلت فى مقومات شخصيته ، بلحاك « تحتها » عن « البذرة » و « فوقها »  
عن « التنت » وصاعداً فندما .. حتى « فة السود » — وما كفا فى سكون السجن  
على دراسة الأحداث فى هدوء .. ومتحرراً عند السجن من كل تأثير أو تحيز خلفته  
رواسب الشائعات أو أكاديب الحصرم .

وخرجت من كل تلك البحوث بمحيقة أرائها ثابتة — ولا أعنى « الحفيظة »  
بمعناها المطلق — وهى تقول لكل من يبحث عنها ، أن هذا الشاب ، هبة من السماء ،  
ورسالة من القدر ، فى فترة من فترات التاريخ ، يسمير خلالها وجه التاريخ ..



وعلى ضوء هذه « الحقيقة » ، لا بد أن تكون قد اعتدت أنى وقد رأيت « ناصر »  
بكل عيني البصرة .. وبكل قلبي المنتوح .. لا بد أن أكون قد آمنت بسلامة  
« الناصرية » .

ولسك أود ، أن أقول بملء القلب والقم ، وبملء الصبر والإنداك : « م » .

ولكن ينادى - أحسبها ولا أراها - تتسأل إلى فى - من خلاف - لتضع  
الكلمة فوقه ، حتى لا أتوقها ، وصوتاً من الأعماق يسلب عادتنا ورزينا إلى أدى  
ليقول لى : « تمهل » .

• • •

وأعترف أن كل الإلهامات التى وجبها إليه ، نهارت تحت أقدام الهراست  
اتهاماً بد اتهام ، واستثناء بمص « الجيوب » أظن أن « تصفيها » الأحداث والأيام .  
لقد درسا « الشخصية » بكل قدراتها وطاقاتها ، وبكل خاصياتها وميزاتها ،  
ودرسنا الرسالة بكل أهدافها وانماهاها ، ودرسنا البناء القدى لاح فى البداية طقلاً يشتره  
ثم نما ، وواصل النمو حتى أوشك على أن يتكامل ويستتر ، فما القدى يحول دون الإيمان  
السكامل إذن ؟

تحول دونه المحبوب التى تنتظر التصفية ، يحول دونه الموقف « المسيح » فى سوريا  
حتى يعالج ، وتحول دونه الثمرات الفتوحة فى الاتحاد القومى حتى تسد ، وبحول دونه  
حدث جديد وقع فى هذا العام ١٩٦٠ ولم أستطع أن أفهمه بعد ، وأعى به « تأميم  
الصناعة » أو ما أسماه « تنظيم الصحافة » ، وبحول دونه تلك النشاط الاستمارى  
المتقع القدى بدأ يستغنى حلف المارك والحاكين فى المنطقة ، وبدأ ينثر هوامل الإغراء  
بين الضملاء وليس أكبرها شأنًا - عامل الذهب الوهاج ينثر فى أسواق السياسة بسخاء ،  
وبحول دونه شكوى « السوق » فى مصر « سوق الأفراد » ، من الكساد القدى ساد . .

ولكن من حسن الحظ أن كل الذى قلته لم يبد - على كثرته - وعلى صعوبة  
المفردات والبيانات التى استرحتها للتعبير عنه - تظلا فى ميزان الإيمان ، وإن كان يحول  
دون درجة (التسام) أو دون بلوغ (الكال) ودون الجهر به أو إصلا فى الناس  
أو إشهاره على الأثهاد ، وهو بينه ما أسميته « جيوباً » أظن « تصفيها »  
حتى أقول على القلب والإدراك والقدم : « اشهد اللهم أى أمنت » .

• • •

## تأميم الصحافة

وأحون أمانة الفكر - (كسادن) متواضع في آحر صف من صفوف (السدة)  
الساجدين في (الخراب) - إذا أنا أكرت أن عملية التأميم لهذا الجهاز الفكرى هاتنى  
لأول وهلة ، وألقت على نفسى غلا قائماً لا يواهم الأضواء الجديدة التى تنشر حناياها .  
وسألت نفسى :

- كيف نطق القوة ، تنظيها من تنظيها - اسمها الاتحاد القومى - أدوات  
التصير عن «الرأى الحر» ، وهى تزعم أنها إنما تصل على (تحرير الرأى ؟) ، وهل سلفت  
تصرفات (الاتحاد القومى) عسه من اختلاف الآراء فيها ، حتى يتحكم هذا (الاتحاد)  
في آراء الآخرين ؟

ولم يطل الوقت هذه (المصيبة) إذ دعا (الرئيس) كبار الصحفيين إلى اجتماع  
(مفتوح) - (أو (مربح) - عنده معهم ، وناقشوا معه الوضع كله ، وطلعت علينا  
الصحف بما أسمته (محضر الاجتماع) ، و«مر» (مقهاى) بعض الصحفيين الذين شهدهوه  
وقصروا على كل ما جرى فيه ، ما شرعته وما لم يشر .

وفهمت أن (الرئيس) لم يكن راصياً عن هذا الجهاز الخطير من أحررة الإعلام ،  
وأنه لاحظ - وحق - أن حياز للصحافة ليس (الجهاز التنورى) الذى كان مرجواً  
وهو لا يؤيد الثورة التى نبشها عن إيمانها ، وعن تعامل معها ، وعن إدراك حقيق  
لرسالتها ، وإنما يؤيدها بالطريقة التقليدية التى حرى عليها في جهود الملك والأحزاب ،  
يكيل المدح لهما كم جرافاً ، ويحمل على كل رأى يمارضه أيضاً جزافاً ، ويشتم كل  
خصومه في الداخل والخارج بنفس الطريقة ، وأنه - أى الرئيس - إنما أسم هذا الجهاز  
أو نظمه ، ليحرره من سلطان الإعلان ، وسلطان رأس المال ، ومن الرغبة في الكسب  
ومن الرغبة في الاستئثار ، وأمه ليتيح الحرية لكل الأعلام داخل الإطار التنورى  
واليدى. السنة ، وليصير الكتاب الأحرار في العهد الجديد - جماعة البتائين بأوجه  
الخطأ أو أوجه الصواب .

وهلت أن (الرئيس) دال على سلامة ملاحظاته بما يكتب في الصحف والمجلات ، هي تستفد منظم قولها ، وتبدد كل طاقتها ، في نشر الصور المارية ، وأبناء الساطلين بالورثة ، والأماكن الزائرة بالمجون والمخاضة ، والتقصص المثيرة للفرائز السود ، وكأننا لم نثر ، ولم نسير ، ولم مهدم ، ولم نظهر ، ولم نرُس مبادئ . ولم نعلن أهدافاً ، وكأننا ما نزال في عهد الملكية والإقطاع ورأس المال ، وخطف الزوجات وقتل الأرواح ، وكأبري ونيس ، ومونت كارلو وباريس ، ثم كأن هذه ( الأمة ) لا وجود لها ، وكأن هذه الصحف لا مكان فيها للقرية والملاح ولا مكان فيها للصنع والمامل ، ولا مكان فيها للمامل والبحوث .

\*\*\*

علمت كل مدارس في الاحتجاج — وما أشرت إلى جانب منه — وبدأت العساوة تتجلبب عن هنيئ ، وبدأت العتمة تنحسر عن حنايا النفس ، وبدأ هذا (الجيب) يصفى ، وبدأت أرى في (التأسيب) غير الرأي الذي بدال لأول وهلة ، مشدوداً إلى مفاهيم نَشَتْنَا بها عمراً ، يوم أن كنا نتحدث عن حرية الرأي ، ونزعم الرأي في بنك ، وعن حرية الأقلام ، ونسبح الأقلام بالممارسة .

أقول (بدأت) أرى ، ولا أقول : (انتهيت) إلى رأي لأن (الشیطان) إنما يزداد ضنطه ، كلما ازداد (المؤمن) إيماناً ، وتعد عاد شيطاناً ليسأل :

— وهل تنقئ العسائر ، ويصنع الترمي على الواجب ، ويتحرر القلم من الطامع ، وتشنح النفس الخائفة بالطاقة الثائرة . - محطاب يُلقى ، في اجتناع يُبدد ؟

وتولبت الإجابة :

— طبعاً : لا ، ولكن من بين الصنفين والكتاب ، من ودوا حناو رخص لحم في القند المراء ، والأطلاق ، ولكمهم يترددون — ولا أقول يخافون . وعلمهم اليوم أن (الرئيس) لم (يؤزم الصحف) ، إلا ليرد على الأقلام حرمتها ، وليتيح للنفاد اصطلاحاتهم ، وينسج للآراء في الاختلاف وفي الصراع ، عليهم بهذه الحقيقة — والدة

بين أيديهم - لا بد أن يتجه بالسيفنة انجلماً جديداً ، وحتى ( الثاقبين ) - من حلة « المرمار والذئب والطار » - سيحاولون أن يشقروا الانجباء الجديدي ، رحمة ببيوتهم وقد تنقل إلى قلوبهم - مع الزمن - عدوا .

\*\*\*

وحق عام ١٩٦١ لم يكن التأسيه قد آتى ثماره .. أو عكس على الأعلام كل آثاره .. أو خلق طائفة من الكتائب الذين كنا نحلم بأن يلتقى بهم على الوضوح الثورى الجديد .. إذا استتبها عدداً منهم كانت ملامح النور تلمس بين أيديهم قبل أن تؤسم الصحافة .. فرادهم التأسيه نوراً .. فإذا قلت مثلاً أن ناقداً كبيراً مثل « مندور » قد ملأ حاج للصحف بحثاً وشدوا وأعلى لمركبة الفكر .. حياة وجهياً .. ووصل بينها وبين المجتمع الثورى الجديد وما يستهدف .. فإن « مندور » كان كاتباً يموج بالحياة قبل التأسيه .. وكان نائراً على كثير من الأوضاع ومن أبناء جيلنا القديم .. وإن قلنا مثلاً أن شاباً مثل أحمد بهاء الدين وثب إلى التفاعل مع الثورة بحملى واسعة في زمن قصير .. واستوى حل سرفه محضر المنت وارف الطل ناصح التمر .. فقد كان هكذا يبدو لنا من قبل أن تؤسم الصحف ..

وإذا قلنا إن أدبية كبيرة كالليلة عائشة عبد الرحمن « بت الشاطي » قد عرفت كيف تصل بين تخصصها وبين مجتمعا فأسمت داخل مصر وخارجها بما يرفع من شأن « القلم » في يد « المرأة » فإن « بت الشاطي » كانت هكذا من قبل أن تؤسم الصحف شأنها شأن مندور وشأن حسين فوزى وشأن كثيرين ... أما الذين نضجوا مع الثورة مثل بهاء الدين فهم بضعة يبدون على أصابع اليدين .. وأما أمثل « ولا أحصر » حتى لا يسقط اسم من أسماء الصحب فيحطب ... وما إلى شيء من الحصر ... أفتصد .

ولكن عام ١٩٦١ ما كاذبى .. حتى ظهرت « بعض » أمراض « الطائفة الثورية » على الصحف ... وأعاد « الرئيس » كل صاحب دار أمت إلى دله ... فاستقرت النصوص واستقامت الأعلام ... ووصحت لفناهم ... وبنأ « الركب الثورى » يتحرك .. وأعاد الحصر من سلطان « الإعلان » ومن سلطان « رأس المال » في الانجباء بالصحف انجباء « علياً » متواصلاً وأصبح من للأثوف أن يطوف أى صحفى بأ كبر بلاد العالم غير مهال



أى مال يفتق في رحلته ... بعد أن كانت العيون تتح و تضم من فرط الفحول ...  
يوم كانت « أخبار اليوم » توفد محرراً مع كبير مصوريها إلى الشام ليأني بأخبار  
« الإنسان العرال » ... ولم يمد يدهش ظريء لوطائف « أيس منصور » باليابان وجزر  
الفلوأي مرة أو مرتين أو ذرع العالم شرقاً وغرباً و شغل الطالبات بأبياء « السلة » ..  
أو بموسى صبرى ... يطير إلى أمريكا اللاتينية ليحمل تحياتنا إلى أخيها كاسترو الثامر  
في كوبا ... وإن كنا نزال في أول الطريق .

## وفي هذا العام الجديد

وأمام هذه الخفايق ... وعل مطالع سنة ١٩٦١ شرت أن بينى وبين الإيمان  
بالسامرية مسافة قصيرة ... تقوم عليها للمالم التي اعتبرتها « حيوباً » ... ومسا كافت  
« سوريا والاتحاد القوي » .

وكثر العائدون من سوريا .

وكثرت الأحاديث الروية لنا منهم أو المنقولة إليهم .

قيل لنا أن أموال الملك والمالكين .. بدأت تتدفق عبر حدود لبنان والأردن .  
وأن للمأجورين من الممارين بدأوا يعجرون بمض الفرقعات في قلب دمشق . وأن بعض  
السياسيين ممن محوا عن المناصب الوزارية وعير الوزارية قد نشطوا نشاطاً ملحوظاً . وأن  
عض « الضباط » الذين أحيلوا إلى الاستيداع يحملون الاتصال ببعض الضباط العاملين  
ليحدثوا حدثاً . وأن ضابطاً سوريين آخرين من الموثوق بهم إنما يضعون شارات الولاء  
فوق صدور منفضة بالمداء . وأن جواسيس الاستخبار زاد تسلهم . وأن الكلام عن  
الانفصال لم يمد خاتماً . وأن التحريض عليه لم يمد حافياً . وأن عهد الحميد السراج  
أعرف الناس بأوثك وهؤلاء يحذر منهم . وأن القيادة المصرية تحب أن تحسن الظن  
فيهم ، وأن القوانين التي تفس نظام التند والاستيراد والتصدير أفرغت نهار التهريب  
وأصبحو يتوقون المزيد من هذه القوانين . وأن الحبهة المحاصمة لنا في سوريا — ومن  
ورائها ذكاء الاستخبار وذكاء الرجبية — أسست جبهة حيفة وحرية .

وقيل لنا أن (الاحماد القوي) مني بجنحة كبيرة ، لأن فريقتا كبيراً من أنباع الإقطاع ، والمسلمين عند رؤوس الأموال ، قد نزلوا إلى الجهاز وسيطروا عليه ، وعلأوا يشنون العارة منه .

وبدأت أفكر في هذه الحقبة ، من غير أن أفكر في الردة ، بعد أن آمنت بناصر ، وبقي القليل لكي أومن بالناصرية .

وكان يميزني أن هذه القوة المسيطرة والمستطبة لم تكن هي الشعب السوري .

وحرحت من الفرض كله ، بأن هناك أخطاء ، والأمل مقفود على أن يدركها رجل الذي يمتدح دائماً بالأخطاء .

### ومصر تشكو

والأدهى ، أن مصر بدأت هي الأخرى ، تشكو .

ولا أعني : (مصر الدولة) التي ملأت كرسياها في الساحة الدولية محذارة وشرف وأخذت مكان الصدارة من الجهة الحياضية بين للمسكرين ، تقلاً بحسب حسابيه . وفرضت طسعتها الناصرية بقوة (القدوة) على شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، لوكل الله نزاعة إلى التحرر ، وزكّت بأعظم إمبراطورية في التاريخ إلى دولة مهزورة في الصف الثاني .

ولا أعني (مصر الأمة) التي تحلصت من الملكية والأحزاب والإقطاع ، وأمتت القتال ، ومصرت مؤسسات المال ، وأحالت الحراب إلى عمران ، وأقامت المصانع والمدود ، ودخلت حصر الفضاء .

وإنما أعني (مصر الأفراد) ، الأفراد من بينها شعروا بأنقال فقرة الانتقال ، وكساد التجارة على مستوى الفرد ، وبان عليهم أنهم يماون (ضيقاً) في الحياة اليومية أو (ضيقاً) في القوة الشرائية .

هذا (التمن) الذي كان لا بد أن تدفعه (مصر الأفراد) لأعداد (مصر الدولة) ولبناء (مصر الأمة) ، أتاح للخصوم فرصة ، مشوا فيها بين الناس الذين لا يعنيه من السياسة غير (التمن) يقولون لم يكن (الناصرية) ترسل أموالهم إلى (سوريا) وإلى الصومال والكومو وإلى (الزوج) في (مجاهل إفريقيا) غير ما يرسل طسماً إلى الجزائر الحاربية .

وراد (التمن) المدفوع (فداحة) يأس الأضياء — من المصريين والأجانب على سواء — ومحابلهم على تهريب أموالهم إلى الخارج مما أتتبه الدولة كثيراً ، وصرف جابياً من جيد العاملين فيها إلى مقاومة هذا التهريب ، وإطال التعامل ببعض أوراق النقد ، الأمر الذي ترك أثراً غير عين في السوق ، فاضطرت الدولة إلى فتح أبواب الوظائف فيها على مصاريفها لكل من يحمل مؤهلاً ، حتى لا يجد للمستورون والرجيون في ضيقه وفي صبه تربة صالحة لردته .

وأشد سوءاً من كل هذا سوء أن الرحمة في سوريا — سوريا التي تمدها بكل ما ملك القلب من (حب) ، وبكل ما حمل (الجيب) من (نقد) ، وبكل ما حصلت (الدولة) من (خبرة) — راحت تقول للمواطن السوري ، أن (ناصر) إنما جاء ليحتله ، وبترزع خبرات بلاده ، ويخبر يثروها يستولى عليه ، ويشق الطرقات ليسهل مهمة جيشه .

## هناك أخطاء

ولو أن هذا كله كان قد قيل عبر السنوات التي حلت — بدءاً من الثورة وانتهاء إلى الراجح — لسكان وفوداً لأحقادي ، ولسكرت من نقائى في الناصر على (ناصر) من غير حاجة إلى التشكيل الذي قام ، ومن غير حاجة إلى (الشاب) الذي ضمى إلى التشكيل .

أما الآن ، أما هذه المرة ، فشكل هذه الأقوال لم تزل منى ، ولم تزحزحني عن المكان الذي أوقف فيه ، كنت قد درست الرسالة فكرة وعقيدة ، وكنت قد درست

( ناصر ) من البذور والجذور إلى الثبت والعمود ، وإلى القمة التي تحمل الثمر ، وتحفبه  
عن العيون تلك الجيوب التي سلقها الأخطاء ، وسلفتها السرعة في البناء ، وآمنت  
بالأسباب التي دعت إلى معونة سوريا والجزائر ، بل إلى معونة الكونغو والصومال .  
لم أتزعزع ، ولم أتزعزع .

وإنما رحمت أقول لنفسي موجع القلب : إن هناك جيوباً ولا بد أن ينسئ  
( ناصر ) بتصفية هذه الجيوب ، وأن هناك تنترات ، ولا بد أن يسد ( ناصر ) هذه  
التنترات . . .

وعسى أن أكون قد رسمت بهذا القصل التصير هذه المرحلة الثابتة والعشرين في  
موقف من ( الرجل الذي تأمرت عليه ) .



## الفصل الثالث والعشرون

### وزلزت الأرض زلزالها

وأقبل عهد الثورة التاسع ، أو أقبل يوليو من سنة ١٩٦١

وكنت - أنا وحرمي - في مصيف الاسكندرية ، فنظرت مقدم ناصر في السادس والعشرين لير أمامنا على طريق الكورنيش ، ولأمامي (الجديدة البصرة) منه ، وهو على قيد أشجار أو أمتار مني .

وكنت أتبع أنباءه وأقول لزوجتي إن قلبي يمدني بأن هذا العيد يحمل (معاينة) لا أعرفها على التحديد وإنما أحسها مقبلة في الطريق .

وكانت تقول لي وهي (ناسرية) من تقديم :

- دامت قرّبت خالص ، طيب إليه موضوع المفاجأة دي ؟

وكنت أجيب في حرارة الوداع :

- مش عارف ، موضوعها شي . لا أعرفه ، بلا الفراغ ، ويصحح الأخطاء ،

ويبد الترات .

\*\*\*

ومن اليوم التاسع عشر أو العشرين ، بدأ النيث ..

وخيل لخصوم أن الأرض بدأت تزلزل زلزالها وتخرج أنفاسها ، وقال الخصوم يومئذ : (مالها ؟) وكانت هذه الكلمة ، هي كل الحصيصة التي فيهم ، وهم يرون كيف يتصل الله عليهم بصفات منه وأسماء تسوها - من أسمائه الحسنى - وفي طليعتها (المتنم) و(الجبار) و(الحكم) و(العدل) .

أما الجماهير فكانت فرحتها طافية ، كانوا يرقصون وجوههم لله شكراً و عرفاناً  
وكان سبحاته يتجلى عليهم وكأنه يقول لهم بلسان هذه الملايين التي نوات : « فتصحا  
أبواب السماء بماء مهب ، وغرنا الأرض عيوناً فالتفتي الماء على امر قد قدر » .

أما أنا فكنت أطوف بالبيت أهيء مشاعري التي لم تكذني وأردد كالحنون :  
( سد الثغرات ، أصلح الأخطاء ، أكل البناء ، ملأ الفراغ ) .

صدرت قرارات يوليو .. قراراً بعد قرار .

لم يكن إذن غافلاً عن الحقائق ..

كان يمد لأصحاب رموس الأموال في الجبال حتى يشقوا بها أحصم وحتى يشهد  
العالم عليهم وقد استشرت ضراوتهم .. واستخدموا المال في التأسر على بلادهم ..  
وهربوا الجانب الأكبر منه - وهو مال مصر - إلى لبنان وسويسرا وغيرها .

أرسل بهم للضربة .. وتركهم مواطنين أحراراً يعيشون في الأسواق مع اللاشين ،  
بل لقد ترك لهم أكثر مما يكتفونهم إذا أرادوا أن يكونوا مواطنين شرفاء .

## وماذا قال ؟

وندع القرارات الآن لنصي إليه وهو يحطب ، والحطاب في يوليو في هذا العام  
غيره في كل الأحوال ، إن مجتمعاً جديداً يستكمل ملامحه الأساسية . هكذا قال جلال  
في حلال الحطاب ، وهكذا كان يبني أن يقال ..

وجاءت هذه العبارة جواباً على سيرتي وسيرة الملايين ، لم يكن المجتمع القوي قد  
والمنحصر .. قد استقر .. وكنا نأمل ، ولا نجد محيياً ، لأنه لم يكن قد استكمل « ملامحه  
الأساسية » .

نعم كان قد نادى بالرسالة الاشتراكية .. ومهد لها و بشر بها .. ودعا إليها ، وقصو  
على الإقطاع ليمهد الطريق أمامها ، ولكنه لم يكن قد وضعها موضع التنفيذ بناءً متكاملًا  
وإنما خاص بها - ضد رأس المال - الحركة بقوى غير متكافئة ، فكان سلاء

مدجيباً بالحق ينلدي به ويدعو إليه ، وكان سلاحهم مدجيباً «باللايين» التي انصبتوهة من المواطنين .

وكان زود الجيش بالأسلحة في سنة ١٩٥٥ فأصبح جيشاً ، زودت الاشتراكية بهذه القرارات فأصبحت اشتراكية .

كانت الحرب بين الاشتراكية ورأس المال حرباً ظلمة ، وكان (المواطن) هو الضحية فيها .. المواطن المادي الذي لا يتكلم إلا بلغة (الرفيف) ولا يضيئ إلا بأرمة (القرش) وكان على حق في أن يضيئ ، أما اليوم فلا حق له ، لأن (الحق) كله أهدى إليه ، وليس معنى هذا أن الجيوب التي كانت فارغة من المال قد امتلأت به ، أو أن حركة السوق (الفردية) في ميدان رأس المال (الخاص) التهمت ، قد راجت بسحر ساحر بعد طول كساد ، وإنما قضت الهوة يرد حق المواطنين للمواطن ، ولا بد أن يحتاج (نفاذ) هذا الحكم إلى بعض الوقت ، وإلى بعض الإجراءات شأن كل حكم يصدره أهل قضاء مختص به .

إن (حل أمين) يقول لك في إحدى يومياته في جريدة (الأخبار) ويقول بحق (وكذلك وأنت تشكو من ارتفاع الأسعار نسي أن سعرك في السوق قد ارتفع أيضاً) نعم أصبح المواطن (رفقاً هاتلاً) بحسب الدنيا حساب ولم يد (صفرأ بين الملايين) كما قال الكاتب .

هذا وجه آخر من أوجه قرارات أول يوليو .

أصبح المواطن (رفقاً هاتلاً) لأن أمة جديدة تتحرك .. ولأن أمة جديدة تتحمل مسئوليتها لتكون قوتها الحرب جيماً) كما قال ناصر في خطابه .. ولأن (أمة جديدة تמיד كتابة التاريخ والأحرار جميعاً في كل مكان لتكون لنضالم قاعدة ، لتكون لسلامتهم حصناً وقلمة ، لتكون قوتها دعامة لسلام ودعامة لمعارك التحرير )

هكذا قال « ناصر » وهو يترجم قراراته ...

ولا يعني هذا القول أننا لم تكن قد فعلنا شيئاً قبل هذه القرارات ، كنا فعلنا وفعلنا .

حتى دخل العالم كله بما ضل ، ولكن هذا البناء للشاعن الذى قام على أساس قوى ، كان يبين على يصر (الطوايق) فيه (خلل) ، كان هناك فى الشرطات (ميل) يتنذر بالخطر .. كانت هناك أخطاء ، وجاءت هذه القرارات فاستقام البناء واجتدل ، واستراح البناء واستقر .

إن الجماهير استطاعت فى هذه السنوات التسع أن ترسم خريطة أمنها من جديد وبفسها كما يقول ناصر ... وبربته كما أقول وأسر على القول .

لقد تم عمل كبير عبر السنوات التسع ، ولكنه كان مرمصاً للضياع والانهيار لو لم تتداركه تلك القرارات .

● « إن مئات الأتوف من العتئين .. من الملاء ومن للتخصمين يقودون اليوم من مراكز أبحاثهم ومعالجهم .. سرقة تطوير شاملة .. تمنح أمتهم حياة جديدة خصبة وخلاقة » .

● « إن مئات الأتوف من الصباط والجنود يربضون اليوم بأقوى الأسلحة على حدود وطنهم يحرسون نصاله » .

● « إن ملايين الملاحين القرين كانوا فى بلادهم بلا حتى ولا أمل يبتون اليوم على أجهار الكبرى أعظم الأعمال الهندسية فى العالم على نهر القرات ونهر النيل » ويقول القرات لأننا نتحدث حتى الساعة عن يوليو ١٩٦١ .

هل هذا سر يشدو به ناصر ؟

أم هو حقائق لا يستطيع أن ينكرها .. حتى للكبار ؟

ومع روعة هذه الحقائق .. كانت كلها - ولا أمل التكرار - معرضة للاهتبار لو لم تتداركها قرارات يوليو .



## الشيء الرهيب

هذه القرارات قد وضعت عيوننا على شيء لم تكن علم من أمره شيئاً .  
وعلمنا به اليوم . يصرم بين ضلوعنا ناراً لا تنهدأ .. على الرجعية ورأس اللال ..  
ولولا حكمة القائد وسلامة أعصاب العليوب .. لجن الجيش ولما للريض .  
ولولا بنية دين أسكت علينا إيماننا بالله لكفرنا بكل شيء واليهاد بالله ..  
ولاحرقنا إلى اليسار في حنف غير مسروق .. واحتفنا مبادئ « ماركس ولينين » ..  
وأخذنا مرغبين برسائل « ستالين » ..

هذه « الحقيقة » لم نضع يدنا عليها .. إلا بعد أن أذيت القرارات .. وتولت  
جريدة « الأهرام » نشر « القوائم » التي كان قد أعدتها « البنك المركزي » لأصحاب  
الأسهم في بعض الشركات .. وكنا نتاجها في كل صباح . وكل منا ينظر إلى أخيه  
ولا يجد كلاماً يقال .

## من الذي كان يملك ؟

وخرجنا من القوائم ونحن تسائل :

— من الذي كان يملك مصر ؟ وهل كانت « دولة » كما كان يقال لنا ..  
أم كانت « ضيعة » كما نقول لنا الآن هذه القوائم ؟

— ومن كان صاحب هذه « الضيعة » .. وكيف استطاع أن « يسخر »  
لسل فيها — وقاء الخبز الجفاف والتوب للمزق — أربعة وعشرين مليوناً يستثنى منهم  
تصف مليون من اللواتين ومن في مستراحهم يمدون القوت والسكاه بالترق للتعصب .  
— من ؟

وتولت « القوائم » الإجابة فقالت بلسة الأرقام والحقائق :

— كان الذي يملك مصر .. « طائفة » من سفاذ الآفاق .. والقوادين

والبنايا .. ومن لصوص متخصصين .. من اليهود والأرمن ومختلف الجنسيات .. وكل من فتح للسكاري « خبارة » أو أدار لمابين « بيتاً للدعارة » أو جلب من « فيينا » الرقيق الأبيض .. ويلبهم بعض مصالحى للحاء من بلاد شقيقة ومن الرأسماليين والإقطاعيين ومن أسام الرئيس الماطلين بالورثة .. في مصر

\*\*\*

كان من قرارات يوليو الكبير - على سبيل المثال - القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦١ بتحديد ملكية القرد في ١٨٩ شركة حددها القانون ونص على أنه لا يجوز لقرود أن يمتلك من أسهم هذه الشركات ما يزيد قيمته السوقية عن عشرة آلاف جنيه وتزول للدولة ملكية الأسهم الزائدة وتسد الحكومة قيمتها بموجب سندات إسمية على الدولة لمدة خمس عشرة سنة وجائدة ٤ ٪ سنوياً .

ومن إذن أمام قانون واحد - مثلث به - من عشرات القوانين .. يحكم صفاً واحداً من أصناف الشركات التي أمت أو حددت فيها الملكية .. شركات بينها ولها عددها .. والمسام فيها لا تحتل أسهمه كل ثروته .. والدليل أن ما تملكه أسرة « عبود » فيها يقدر بنصف مليون من الجنيهات مع أن ثروته تجاوزت ثلاثة وثلاثين مليوناً من الجنيهات .

وأحب أن نلاحظ أن جل هذه الأسهم مملوك ليهود من الجسرين .. ولأجنيبيات يعرف الجسع الرائق منهم « طاهرات » محترقات وهاويات .. ودع عنك القلة من المائلات ذات السمة الطيبة .

ويقراء المصريون « التوامم » ويتلفنون في ذعر وفرح .. ولا يجردون كلاماً يقال :  
أهذه ثروة مصر .. وفي هذا الصنف قط ؟ وما هي البقية إذن ؟ وما الذي كنا نملكه ؟

ويوجد من يقول لبيد الناصر سليل القرية المارقة في القل والهافة : كيف أمت ولماذا أمت !!!

## دعونا نصير ...

نم . . لتدرك الحقيقة . . ولتدري أضنا . . ولتحدد مكاننا . . دعونا نصير وعلى جنبنا طائر إن أسكن . . أى جانب من هذه القوائم . . مجرد نظرة مليتها على أنة قائمة ولا أكثر . . لأن قوائم هذا الصنف وحده ملأت ٢٥٨ صفحة من القطع الكبير في كتاب « الثورة الاجتماعية » وكل صفحة حلت خمسة وعشرين اسماً . . ونحن إنذن أمام ستة آلاف وخمسة اسم تقريباً .  
هي نظرة عابرة وساطفة إنذن .

## ثمار الجند

وأنا أحس الرأس احتراماً أمام بعض الأسماء لبعض العلماء أو الأطباء أو التجار الذين عرفوا بالأمانة وجمعوا هذه الثروة بالكفاح والصبر . . وكلها تناهت في التواضع إذا قبست بنورها ولا اعتراض لي أبداً على أسهم قيمتها ثلاثة عشر ألفاً من الجنيئات يملكها الدكتور « محمد كامل حسين » مثلاً . . ولا على من يملكها « الدكتور مورو » مثلاً ولا على مبلغ يماور الألاف المشترة بمبلغ ثمانية يملكه أديب كبير مثل « محمد كامل سليم » أعرف أنه « نحويشة العمر » بدأ من مطالع شبابه سكرتيراً لسد وانتهاه إلى سدائه سكرتيراً عاماً لمجلس الوزراء والمجلس النواب . . قصيراً .  
هذه الأرقام ومثلها لا نستوقف أحداً .

إنما يستوقى اسم رده « نادى السيارات » في عهد الملك . . وردده سهرات القمار التي كان « جلالتة » يفضل بالمشاركة فيها . . اسم أحرف أنه جاء من لبنان « قديراً » . . وقد أصبحت الأسمم المقيتة بأسماء أطفاله وآله في هذا الصنف الواحد من الشركات تجاوزت خمسة ملايين من الجنيئات . . فما هي إنذن ثروة هذا الرجل . . « فرنسوا تاجر » ؟ وكيف جاء بها . . وكيف جاءت إليه . . وعلى هذا النحو ؟ وما هو القدر الذي حربه إلى لبنان سبباً على منوال صديقه ( كافرورى ) وراقصه  
( معاصي ) ؟

وهذه واحدة . .

ويستوفى اسم رجل مذهب من غير شك.. وقد ولي مرة وكالة انجليزية ولا مطمئن على كفايته .. وأسلتاه وما الرماية على لك لأنه خاله .. ولأنه حفيد سليمان الفرنسي وأولاده ولأنه زوج ابنة عدلى يكن ، يستوفى اسم .. لا تضمن فيه شخصياً أو فى حلقه أو فى كفايته .. وإنما .. لأسمه له فى هذا الصنف الواحد من الشركات جاورت قيمتها أربعمائة ألف من الجنيهات .

وأسكت أدباً ولا أسهب .. لأن الرجل كافت مؤدب .

وإنما أقول نلصوم ناصر : تأديروا أمم أيضاً .. ولا تقولوا له ؛ كيف أمم ؟  
أولمذا أمم ؟

وهذه ثمانية..

ويستوفى اسم (ساحى) وقد استفرقت أسماء الأطفال صفحة .. وجاوزت الملايين قيمة .. فباله هو الآخر .. وكيف بلغ ؟ وهل يدر الحلال كل هذه الملايين يا رب ؟

وهذه ثالثة..

ويستوفى اسم مهم كبير أعرف قلده ووزير سابق لم تطلق به شائبة .. وقد ملك أطفاله ومن هذا الصنف وحده أسهماً جاورت قيمتها ربع مليون من الجنيهات ؟ أترام إذن قد اتقى تروته من العمل مستشاراً للأمريكان فى شركاتهم .. أم تراها ( الخلمات ) درت عليه كل هذا الملايين ولم تدرها على ( يوانكاره ) الذى ولي رئاسة الجمهورية الفرنسية ثم عاد ليعمل محامياً .. ليبش .. أنا لا أريد أن أقول لهذا الوزير شيئاً لأنى شخصياً أستمره.. وإنما أريد أن أرجو من أمثاله ألا يقولوا لناصر .. كيف أممت ولماذا أممت ؟

وهذه رابعة..

## والأجانب ؟

هذه لحة عبرت بها بعض من وقعت عيناى على أسمائهم عبراً من المصريين .

أما الأجانب فلا سبيل إلى الخوض فيهم .. ولا أشعر بالرضية في أن أخوض في هذا البحر الزاخر بالزبابة والتحلل والتساعفة والمظارة ، وحسبهم أنهم جموا واختصموا وسرقوا .. وحصلنا بمص ما جموه .. واستفردناه . وغفر الله لهم ما هربوه إلى الخارج وما أعقوه على السنين .. وما يتخوفه حتى الآن من العيون .. وإن كان يطن في تصرفنا ( الرحيم ) أننا أخذناه منهم ( ما نحن ) وتركناهم أعيناء ولم ( مصادر ) . بل دفنا على أقطاب النمن ( فوائد ) وهي صورة مفرحة للصير المصري .

لكن لعل ضميرك يهدأ ، إذا هربنا قوائم هؤلاء الأجانب . والتفتنا منها بعض الأسماء ، وثبت أنها أسماء ( حبيبة ) لنا و ( حمية ) ؟ وليست ( دنجلة ) علينا ولا ( عربية ) .

• كورنيكا • مثلا ، هل تجبهه ؟

غانا ، وجيوقاني رعاشا والمزينة ( جوريت مجوري ) ، والنالية ( اريت مجوري ) والأعل ( هيلين مجوري ) ، أليست كلها أسماء حبيبة وحمية ؟

واذكر في التنوذة ( آل فركوح ) ، إنهم كانوا قوما صالحين ، مراد وأليير وإميل وإندوارد فركوح .

واذكر معهم آل ( أوفلاديا سالم ) وفي اليهود البائدة كانت لهم قصة — موريس وأليير وإميل سالم وكلمهم بالملايين .

أما آل ديب — رضى الله عنهم أو لم يرض — فكل ما ملكوه مائة وسبعون ألفا .

ثم دع حناك ماتوسيان ومالكوريان ، أولئك ملوك التدخين ونخون المشرة إن أشرنا إلى ملايينهم ولها أقل سوماً من ملايين سوام ، ولكن لدينا من الأسماء التي تنهى بـ ( آن ) ولارنيان أكنداس يملكون ملايين وملايين ، ومنها عابله جوجايان — ولارنتاك جوجايان ، وأما هيدنا كفوربان .

ولا تنس الـ « أوس » ولا « آس » من أزماتنا الإغريق وعدم لا يحمى وحل  
مبيل القافية « ديمتري كوبرس » و « يتولا فرنكيسكوس » و « اندروس » و « سوتير  
بونا كامس » و « أرتيس » و « ليلاك لانودا كيبس » .

وإذا لم تكن قد تشرفت بمعرفة اللوابة خارتيكاجولر فاحضر إليه باسم مصر  
الناصرية « الظالة » التي أمته ولم يكن — وحده يملك ، ومن هذا الصنف وحده أيضاً  
إلاً ٥٣٢٢٣٩ جنبها في حين أن التريق مزب للصرى ملت « نحو يشة عمره » — ويدخل  
بها ثمن بيته الذي باعه في حين شمس — مبلغ ١٨٩٨٩ جنبها .

ودعك من حصاني وشقال ومارى صوصه ومارسيل ليثى وثبرا تكاملولى وهيلين  
لكبح ولنده اسماعلون .. وحزن آراريان .. فكلها تثير المشيان .

\*\*\*

كل هؤلاء كانوا يملكون مصر .

كل هؤلاء كانوا يسيطرون على رأس المال في مصر .

وكل هؤلاء هم الذين يقولون لناصر : كيف أمعت ولماذا أمعت ؟

وعن نفسى

هذا عن النظرة العابرة من أجلك وحتى لا تمل ..

أما عن خسى فلم أعبر .. فقد قرأت .. وترينت . ووعيت .. وغشيت .

وإذا كنت قد خرجت منها موجه القلب ، متضخاً بالجراح ، فزأني أنها حملت  
إلى قلبى « شحنة » من « الحقن للقدس » على كل حال مشتل ، مصرى أو غير مصرى ،  
و « شحنة » من « الحب الأقدس » .. لئلى جرد هؤلاء للمضلين من هذا السلاح  
للدنس .. فظهره .. وردده إلى أهله كرمياً غير مدنس .

\*\*\*

## نعم يوليو الكبير

و يوليو في عام ١٩٦١ يوليو كبير ، لأن القوانين التي صدرت فيها قوانين كبيرة ، وكلها من النوع الذي لا ينسى .

والكتاب ليس سجلاً لها ، وإنما أشير إليها ، لأنها هي «دفتى» الأخيرة والكبيرة إلى الناصرية ، أجهزت على كل شك وكل تردد ، لأنني استطعت على أعضائها أن أرى صورة واضحة المعالم والتسميات للمجتمع الجديد الذي يبنيه ( ناصر ) .

وقد صدرت قوانين يوليو الملكية الزراعية تحديداً جديداً أيضاً .

وقال المصوم : « ألم تقل لكم أن ناصر لا وعد له . . . وغداً يهبط بالمائة الجديدة إلى حسين فداناً وإلى خمس إن واثته الظروف ؟ » .

وقلنا : حهانة ... لم تعد المائة مسألة «وعد» يرجع فيه ... أو «ظرف» يواتيه .

المائة مسألة خلاف جذري في المفاهيم .

مفهوم « الثورة » عندكم إنها تمييز في شكل الحكم .. تحدد شكله .. فوجب وضع حد لما تملكونه ..

والثورة على هذا النحو تصبح « اخلاقاً للحصول على السلطة دون أن تتجاوز ذلك الحد لتصبح معنى اجتماعياً بعيد الأثر عميق الحضور » كما قال عبد القادر حاتم وهو يقدم لهذه القوانين .

إن ما تسمونه «وغداً» أو «حداً» إنما ينسئ وضع حد للتقدم .. والثورة لا تعرف في التقدم بمواطنيها أي حد تقف عنده ، إلا توفير الرخاء لهم جميعاً .. وتهيئة الفرص المتكافئة أوسعهم جميعاً ... ولن نقول لذي عنده كفاية : « قف » وإنما نقول له : « مزيداً من التقدم » .

تقدمت الصناعات المتقدمة ... وأمت الشركات المستعدة ، وحولت إلى القطاع

العام ملكية النصف في الشركات للتوسعة ، وتقرر أن توزع أرباح الشركات على  
الساكنين والموظفين والمال ساء ، وأن يكون للموظفين والمال ممثلهم في مجالس إدارتها ،  
كما أتمت البنوك ، وأصبح الاستيراد والتصدير عملية ناسئة أو ناسبة أو خاصة لقطاع  
العام — وكرم أن يزيد مرتب مواطن على خمسة آلاف جنيه في العام وتفاضت الدولة  
تسعين في المائة من أي دخل بعد أن يصل إلى عشرة آلاف من الجنيهات سنوياً .

وبات على وجه التحصع الجديد كل قسائه الإشرافية .

الإشرافية بدعاتها التين قوم عليها : الكفاية والعدل .

والكفاية تقتضي توجيه كل الطاقات إلى الإنتاج ومن هنا كان الإقتصاد موجهاً .

والعدل يقتضي إعادة النظر في التوزيع ليمود أثر الإنتاج بالخير على الجميع ، كل  
حسب إنتاجه ، ومن هنا كانت القوانين المالية الجديدة وإشراك العمال والموظفين  
في الأرباح .

وهذا كله يصنع « الوطن » .

وتجى أن نصنع « للمواطن » .

\*\*\*

وصنع « المواطن » تكلفت به القوانين الجديدة التي تسمح كل فرد « فرصة  
طليقة تتحرك فيها مواهبه ليعطى للوطن كل ما يقدر عليه من طاقة الفكر والعمل » .

\*\*\*

ويحسن أن نقف عند هذا الحد ليرى القراء أي أثر تركته هذه القوانين في عاطفتي  
وإدراكي ... وأنا أحملني لللطمة الحرام بين السكر والإيمان... في طريقي إلى « قلب  
هذا الإيمان » كما رأيت في تطور مراحل عبر القصور السابقة .

لم يكن يحول بيني وبين الترتوب على « قلب النور » غير تلك الأسماء التي استنتجتها



الرجبية في سوريا ، وقوضت بها « الاتحاد القومي » هناك ، كما أوشكت الرجبية في مصر على أن تقوض أخله فوق هذه الأرض الطيبة و « كان لا بد لنا من أن نجرد الطبقة التي تحمكت فينا في الماضي من أسلحتنا بطرقتنا ، بطريقة سلبية ، بطريقة مايفهاش دماء ، بطريقة تتدش مع طيبختنا ، بطريقة تتششى مع تقاليدنا الربية » .

بهذه المباراة اعتنر القائد من تأخير الضربة كل هذى السنين لتجىء في حينها ، بيضاء كما كانت الثورة نفسها بيضاء .

وأنا من أشد أنصار هذا « البيهش » .

والهدوية لا تؤمن أبداً بالصرية « المرء » .

وقد مشى القائد السرى على سهل ، ولم يسجل ، ولم يتقل ، ولم يلع في الدم ، ولم يثار ولم يفتقم .

ولكن يبلو أنا تأخرنا بعض الشيء ، ودخل القطار بحسته الجليظة الآمنة .. بعد الموعد بدقائق ..

واتهز الخضم فرصة للفتائق وتسلل .

ولكن .. لا بأس .

المهمة أجل ... من الفتائق ومن التسلل .

إنها رسالة تبنى على أسس .

وإنها أهداف .. تتحقق هدفاً بعد هدف .

وإنه تلافى طبقى يزول بالحكمة ومع الزمن .

وإنها إشتراكية ناصرية وعربية لا يشتمها صاحبها من ماركس ولينين ، وإنها رأسمالية متليفة غير مستهولة لا يشتمها صاحبها من الاحثكارية الأمريكية أو الاعلبيزية .

إشترائية لا تتحدى مبادئ الإسلام ... ولو أنها ضلت لرجعت عنها القهقري ،  
إلى التآمر عليها جاداً هذه المرة ... لا مصعباً إلى حديث شاب من الشبان عنها ، ولهذا  
قلت في فصل سابق : كل شيء أقبل التهاون فيه إلا ديني وري .

\*\*\*

قال ناصر وهو ينقلب عن قرارات يوليو .

« في أيام عمر أمموا الأرض ووزعوا الأرض على الفلاحين » .

وأقول أيضاً خلا عن قراماتي إن ان الخطاب كان يرى أنه ما من أحد إلا وله  
في مال الدولة حق يتناوله « فالرجل وبلاده ... والرجل وقومه ... والرجل وغناؤه  
( أي كفايته ) ... والرجل وساحته » وهذا سبق « عمر » جميع فلاسة اليسارية من  
ماركس وإنجلز ولينين وستالين ... بفرون وفرون .

بل كان « عمر » مصرأ لو استند به الأجل على أن يصادر كل فائض على حاجة  
أي غنى وقال في آخريات أيامه ما سماه :

« والله لو استقبلت من أمري ما استدرت ، لأخذت فضول الأغنياء ، فقسمتها  
على فقراء المهاجرين » ...

وبرغم هذا الدستور الخطأ يقال لناصر : لماذا أمت ؟

\*\*\*

يا أسى العربي ..

أرجو ألا تسألني بعد هذه القرارات إن كنت أمت أو لم أؤمن والخير  
أن تسألني :

— متى تشهر إيمانك ؟

\*\*\*

وأرسي . الإجابة ، إلى فصل مقبل ، وكل مرجوي أن أكون قد رسمت بأمانة  
هذه المرحلة الثالثة والعشرين ، في موقعي من « الرجل الذي تأمرت عليه » .

## الفصل الرابع والعشرون

من يوليو «الكبير» إلى الميثاق الأكبر

استكمل المحض بقوانين «يوليو الكبير» ملاحه الأساسية .

وتبدى المجتمع المشود ، واضح المعالم وضاه السياسات .

ولكن القوانين شملت — باستثناء قانون واحد — إقليمنا السوري — فاعسى أن يكون وقع هذا التفجير التورى الرهيب على الإقطاع ورأس المال والحريين السامين فى هذا الإقليم ؟ وأى فرصة تتيحها هذه القوانين ، لتوثيق الصلات من جديد بينهم وبين الاستثمار والصهوبية على ما عسى أن يكون وقع هذا «التفجير» على «الرجسية الحاكمة» فى كل ( بلد عربى ) ، وهى ترى أن (الأشراكية الناصرية) لم تمد نزعف على مهل — كما كانت عبر السنوات العشر تقبل — وإنما (اطلقت) ، واطلقت (تركس) إلى (أهدانها) ، تدمر كل من يحاول أن يسوق ر«ككضها» ، ونهز يديها الإثنيتين معاً ، وبكل قوة (الحق والعدل) فيها ، كل ملاح وعامل ، وكل غافل منها أو نائم ، فى هذه الرقعة العربية الحساسة ، التى يقع الحدث فيها على شاطئى الخليج ، هيردد صدها خلال ساعات على شاطئى المحيط ؟ رقعة عربية حساسة تموج إقطاعاً — ولا بقاء للإقطاع فى يد الإقطاعيين إلا بدمعة النلاح — ورقعة عربية حساسة تعيش فوق بحيرة من البترول ، ولا بقاء لمائد البترول فى يد الحاكين ، إلا بدمعة العامل ...

وقوانين (يوليو الكبير) توقظ الإثنتين معاً — الملاح والعامل — ومجهز على الإثنتين معاً ، الإقطاعى والحاكم ... ودع عنك من نجر عليهم بسف تلقأى وفورى من أصحاب الشركات ورموس الأموال والمصانع ؟

إن « الكرسي » كلها تهتز تحت أولئك جميعاً بدءاً من قرارات « يوليو الكبير » ...

و « كرسى البقاء » يهتز بدوره تحت « الجلوسه العربية نفسها » بعد أن ظلت تجمع تحت سقفها « للسلح بالبنفاق » بين « الأعداء » في صور « الأصدقاء » رمزاً « شكلياً » لفكرة « القومية » أو لفكرة « الوحدة » ...

لم يعد هذا الكرسي قادراً على أن يثبت .. بعد قرارات يوليو ...

إن كل حصو فيها تمحك بلاده .. حكماً رجسياً موروثاً له جهازه الفكرى الذى لا يمكن إصلاحه .

و (الناصرية) تمزق فتوة ذلك المحباب الذى كان يسدل فوق كل وجه رجس .

وكل (عامل) من (المهيط إلى انطليج) يسأل اليوم أساءه : (أين حقوق ؟ أنت إنساناً ؟ أنت عربياً ؟ أليس لى مثل ما لأخى المصرى - ومثل ما لأخى (السورى) ؟ ) .

إن حال البترول فى الظهران وليبيا .. وقطر .. وغيرها .. كلهم يلتفون فى هذه الأيام حول (أجهزة الراديو) يصنعون إلى صوت (الرائد) و (التساند) وهو يؤمم الشركات والمصانع والصارف ويسلب المال للمصريين والسوريين ريع أرباحها .. ويشركهم فى مجالس إدارتها .. ويشرع لهم من « الحقوق » ابلدينة .. ما برد عليهم بعض ما سلب من هذه الحقوق (قديماً) .

وهو يأخذ من الملاك السى .. ليعطى الفلاح المدمم .. ويمجد دخل الفرد .. حتى يبدأ أبناء (القاعدة) .. يأخذون طريقهم إلى (القمة) .. وحتى يتصالح أبناء البروبا جيماً .. فى منتصف الطريق .. أحوة متمايين ، ومشككتين فى الفرص - على (سرر) - أو على (حصر) - متقابلين ..

أى (أعداء) لهذه القرارات ... ترددها جنبات كل بلد عربى ... فى قبض كل حاكم رجس ؟

وأى رعب دب في أوصال المستمر وهو يرى (ناصر) ، يرفع هذه المشاغل ، أمام القلاح والسامل ، في هذه الرقعة الكبيرة التي تملك أكثر من نصف بقول الملم ؟

• • •

والمستمر كان يحس أن عبد الناصر لابد أن يتناح وتبانه .

وقد رأى الاستمرار أن يتنزع زمام المبادرة من يده ولو دفع ثمنه ، دماً مسفوحاً ، ومبارك مفتوحة ...

وبداً فلا ..

بدأت (فرنسا) تتحدى على صديقتها (تونس) ، وجرت (الدماء) في (بنزرت) .  
وانتهزت (انجلترا) فرصة حماقة غير مسبوقه في تاريخ الرعونة اطلقت من قم (المريض الأوحده) - وأنا أحصف ولا أشتم - يهدد بها (الكويت) الحبيبة ، أن تتقبل الوضع على (مراته) إغاثاً لنفسها ، من ذلك (الوباء الوائد) ومن ذلك (المؤرخ الأحمق) الذي اكتشف فجأة ، وفي زاوية متضخية من (كتاب تاريخ) مزعوم ، أن (الكويت) جزء لا يتجزأ من (العراق) ، وكان (الكويت) ، إربانا عربية ، وكان (الدين بصر) (المريض الأوحده) على تحرير أرض العروبة منهم (شيوخ هولنديون) أو (أمراء من الأراضي المنخفضة) .

ظنت «انجلترا» - وكانت منطقية مع سياستها - أن الوقت قد حان لاستغلال «الحقبة القاسية» في تثبيت (الجيبة العربية) ، لأن أي بلد عربي يماون (الكويت) لابد أن يناصر (العراق) والعكس صحيح ، وتحركت القوات من (كينيا) ، وتبينت أحاطيل الملكة نحدتنا عن نظرية جديدة اجكرتها قواتها الضاربة وأسمتها (القوات الناعمة) ...

• • •

وهكذا لاح أن (الوحدة العربية) بعد أن وضعت موضع التنفيذ بتقيام الجمهورية

العريضة المتحدة .. باتت (أى الوحدة) في مهب الريح .. خرقاً برمجة ..  
وأشلاء، متناثرة .

• • •

وكان (ناصر) قد تسائل في (غلسفة للتبوية) .

— أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا وأن هذه الدائرة منا  
بوتحن منها ؟

وقال عن هذه « الدائرة العربية » أنها امتزجت معنا بالتاريخ « وسين وقتنا تحت  
سنايك خيل التزاة كانوا معنا تحت غس السنايك » وهاهى « الكويت » تقع تحت  
سنايك خيل المحتل من جديد — ورضائها هذه المرة — لتصد عنها غزواً هريباً يندى  
له حين الروية . وهاهى تونس تكاد تترك .. وإذا عاد الاحتلال الفرنسي إلى كل  
أراضيها ، أصيبت ثورة الجزائر في مقتل .  
فماذا فعل ناصر ؟

إذا تحرك لبعدة تونس والكويت .. فإسرائيل واقفة بالمرصاد لتستغل الفرصة .  
وإن هاجت إسرائيل .. فليس بمستبعد أن يتصل الأردن بالرجية السورية ليحقق  
حلته ويضرب « الوحدة » في قلبها الناض .. أو يضرب « جمال » في « سوريا »  
كان الموقف يحمل أى « شجاع » على التردد .. وكان « التردد » يسى فى لاموس  
الرجية « سكة » وكانت « الحكمة » تضى على « ناصر » بأن يترث .. فى إسداد  
« قرارات يوليو »

ولكن « ناصر » لا يجب أحياناً أن يكون « حكماً » لأنه ليس « سياسياً »  
معتزلاً « كما قال ذات خطبة ..

وقد رأى أن هذه « الحكمة » تصيب من « الرسالة » مثلاً

ولم يخالف ناصر عن « الرسالة » ولم تهتز « الراية » أبداً فى يده .. ولا  
« معتز » « المعتبة » أبداً فى قلبه .. ولا اعتزت « الكلمة » أبداً فى « فمه »

وأعلنها مدوية على العالم كله .. أنه سيخوض للركة إلى جانب حصه « بورقيه »  
وسيمح تحت طلبة كل إسكانيات الجمهورية العربية للتحدة .. وسارع فأرسل الأموال  
والسلاح والأطباء والمرضيين والأدوية .. ووقف في الأمم للتحدة يثير المضير المالي  
ويؤلب الدول الحرة على فرنسا الباغية .

وأعلنها مدوية أيضا ضد قلمه .. قال له إنه يبارك وحدته العراق والكويت  
إذا أجمع عليها الثمانيان .. ولكنه ينكر سياسة الصم بالقوة ويقف بكل ما يملك إلى  
جانب « الكويت » واتجه « ناصر » إلى خصومه في السعودية والأردن وإلى كل  
بلد عربي يهيب بهم أن يتضاموا معه في إرسال قوات عربية لتعطيل « الكويت »  
من قوات التصبر .. واتجه إلى مجلس الأمن يطالب انخراطا بحسب قولها من  
« الكويت » .

وبلغ أهدائه في تحرير « الكويت » وحمايتها .. وفي رد المدوان الفرنسي عن  
تونس .. وعن تسويق الثورة الجزائرية في كنفها<sup>(١)</sup> .



وكل هذا الذي صد « ناصر » — وعلى شطوره — ليس بذى بال إذا قيس  
بما هو أسطر .. أو بالأدعي والأمر .. وبالجزء التي لا تحط بيال بشر .. بقرارات  
بوليو يملها في هذا الجرم المكر .. ولا يبال أن تثير عليه نائرة الحاكين الذين يملونونه  
في « الكويت » ضد قلمه .. ولم يسلضوه في موقفه من تونس لا لشيء إلا لأنه  
« الرسالة » التي يحملها فرضت عليه أن يذيع قراراته

وقلت لسي :

— هذا هو ناصر .. أراه رأي الدين بالدين .. وأراه أيضا بمل وهي ..  
ومل قلبه .. ومل وجداني .

---

(١) وفي الكتيب عن « السياسة الصحية » بين فرنسا وتونس .. و « السياسة الصحية »  
بين إنجلترا والعراق .. وذلك بحيث لا يصل بلعطف الكتاب .

ودار رأس الرجبية تحت ضربات ( يوليو الكبير ) كما لم تدر تحت ضربات  
العتين النسخ الحافظة بالخطى للستانية .. وبالخصوصة يليها صلح .. وبالصلح تليه  
الخصوصة .. وخصير الملك الهامشي الحسين بن طلال .. يتحرك مرة في شهر الصوم ..  
ويذبح رسالة بأسلوب عبد الحميد أو ابن القنفذ .. ويرسلها إلى أخيه ( جمال ) ..  
بصيدها أحوته في الروية وأحوته في الإسلام .

• • •

دار رأس ( الرجبية ) الحماكة بعد ضربات ( يوليو الكبير ) كما لم تدر من  
قبل .. وتصلحت رموسهم مع الرجبية غير الحماكة في دمشق .. ومع المستمر ( بستر  
خلفه اليهود ) ووضع الاختيار على ( سوريا ) .

ونتم الاتفاق

وكان التهيد آخفاً منه من قبل ذلك بوقت غير قصير ، كما حدثت في فصل  
سابق ، كان الجو ملبداً ومهياً ...

وبدا المال يتدفق ، جارفاً هذه المرة ..

وبدا الصلاء ينقلون تحت أستر الظلام إلى بيروت وحمان وإلى جيف ولوزان .

وقيل إن ( عبد الحميد السراج ) صرخ واستنثت ..

ولكن ( القيادة المصرية ) رأت أن تظل ماضية في طريق البناء ، وتطبيق  
القوانين والقرارات ، والأرضن بالثقة على أي ( ضابط سوري يتعاون معها ) ، ولم يدر  
بجملها مثلاً أن الذي يدبر مكتب ( للشير ) في دمشق على رأس المتأمرين .

اسمرها عن كل الذي يجري ضد قرارات يوليو في السراييب لتطبيق قرارات  
يوليو في المدائن والقرى ، ولتأخذ بيد الفلاح السوري والمامل السوري إلى مكانه ،  
الذي أعد له .

وعلى خفة منا ، سددت الرجبية ضربتها ..



وكانت الضربة أليمة ، وموجعة بالنسبة لنا ، وكارثة وخيمة بالنسبة للشعب  
السوري ..

وكلنا نذكر كل ماجرى ..

### البيان الناصري

كلنا نذكر .. ذلك البيان الذى أذاعه « ناصر »

وكلنا نذكر .. ذلك « التفرد » وكيف وقع .

وكان في وسعه أن يجهز على حركة الانفصاليين في ساعات ، لو أنه جرى على عشر  
مشار ما يجرى عليه « قاسم » في « العراق » .

ولكن « ناصر » .. لا يسجل أحداً .. ولا يقطع رقاباً ..

و « ناصر » الذى لم يمتص له جفن يوم حاول أن يقتل رجلاً من رجال الملك  
وغثت الأصوات تطن في أذنيه وتطرد النوم عن عينيه .. ولولة امرأة .. وصراخ  
طنل .. ليس هو الذى يتصور أن جندياً مصرى يقتل جندياً سورياً .. ولو كان في  
قتل هذا الجندى المراد إقتل لسورياً .

وعادت الملعقة السامرية تأخذ مكانها من كرسى الأستاذية حزينة هذه المرة  
وملائحة .. ثم لم تلبث أن ارتفعت إلى مستوى اللوقف بكل جلال فيها وبكل حق  
في الإدراك ... ارتفعت فوق كل الآلام وفوق كل الجراح .

\*\*\*

وأشهد .. وقد سمعت كل خطباء عصرى باستثناء زملائه التوار الذين استمعت  
إليهم عن طريق للذباغ ولم أر منهم حتى هذه الساعة أحداً .

وأشهد وقد استمعت بكل شبابى طالباً إلى سيد زغلول سيد خطباء هذا الشرق  
غير متازع .

بل أشهد وقد استعنت إلى ناسر شه يوم أمم القنسات ويوم الجلاء ويوم  
المسلون .. ويوم قرارات يوليو .. وفي كل مناسبة خطب فيها .. مستصراً  
أو مهزوماً ..

أشهد بعد هذا كله أني ما استعنت في حياتي بكل أغناسي اللامنة .. وبكل  
قدسية الشعور المسيق في حرنى .. وبكل جلال الجمع العربي للهن في عيني ..  
وبكل خلجات الخجل للعروبة في مشاهري .. أشهد أني ما استعنت غير حمري  
إلى مثل ذلك البيان الهامى .. ولا إلى مثل ذلك الصوت المسيق الأحنس ..  
ولا إلى مثل ذلك الإتياء الطبيعي المادي .. ولا إلى مثل ذلك الترفع الباكي .. أو  
الهكاء للترفع .

يتى - وكان ليبتها بموج الصيوف - كان كله يكي .

ولم يكن بكاء ضف أبداً .

والدليل أنهم تساقوا عبر السهرة - وسد الصحوة - في الرحان لا على  
« حردة الوحدة » بل على « موعده العودة » .

وراهن أحدم على شهر .. وخسر

وراهن ثمان على ثلاثة .. وخسر

وراهنت ثلاثة على ستة .. وكادت في أوامر آذار تكسب

و « الوحدة » حتى الساعة لم تند ..

وعسى ألا يجاورها القدر هذا السلام الذي نيشه .

ووددت لو أراهن أنا الآخر .. جنلى .. وهو كل ما أسكت .. على هذا للوعد  
الذي أناشد القدر ألا يتأخر بسودة الوحدة عنه .. حتى يحدث أبلتونا في المد ..  
من « علم المدر » ويؤرخوا له .. ويؤرخوا به .. ويقول أحدم « ولقت وإسفاه

على مطالع عام النصر « ويقول أخوه « بعد عام النصر بيوم « ويقول الأخير « بعد عام النصر .. بعام » .

## وزارة .. وبيان .. وبناء

وأريت بعد ذلك « النصر » التي أحرزته الرجعية على أرض سوريا .

أريت لأرى وأمكر — في الصلة بين المحرس القاسي التي تلقيناها ، وانطلق الرشيدة التي خطوناها بعد ذلك البيان المؤثر ، لأتأمل إن كانت هذه الخطى المحببة ثمرة تلك المحرس القاسي ، أم هي خطى مدروسة ومرسومة ، التي ( المحرس ) أضواءه على الطريق أمامها ، فلم تضل بعد ذلك طريقها .



ثم حدث بعد خسة أسابيع من حادث « التفريق » للوقت — ولا اسمه « الاضلال » أبداً — أن عدلت هيئة الوزارة لتفق من عضويتها الوزراء السوريين الذين كانوا في « القاهرة » من مهام قد يرجعهم القيام بها أو هكذا خيل إلينا .

وحدث أن توالى اجتماعات الوزارة الجديدة برئاسة عبد الناصر حتى إذا انتهى اجتماعها الثامن أذاع هو بيانه التاريخي الثاني في الرابع من نوفمبر ، عن خطى جديدة لتنظيم العمل القومي .



وأما إن كنت محققاً عند ما فكرت في الصلة بين أحداث سوريا وهذا البيان .

وصحیح أن قرارات « يوليو الكبير » كانت تستجيب حتماً ، تنظيمياً شاملاً داخل إطار محكم ، يمكن لها من أن توضع موضع التنفيذ الحكيم ، بعد أن سدت كل ثغرة في البناء ، وبانت كل التسهلات على وجه المجتمع الجديد .

ولكن أكثر صحة أن بيان الرئيس الذي تقدم به لتنظيم الجديد أشار إلى وجوب

استمرار العمل الثوري وإقامة تنظيم « يوفز » للحماية ضد المؤامرات التي تستهدف تمويهه » وأكد دور « الجمهورية العربية للتحدة » كقاعدة لحركة الطلبة المادفة إلى تحرير الأرض العربية وإلى تحرير الإنسان العربي ...

وهذا التصير الأخير يماز الحدود السورية ويتخطاها إلى كل بلد عربي غير متحرر فهو تمييز « تمسح » به المعلقة ، ولا تحف به عند سوريا ، لأن سوريا في رأينا لم تنفصل ، وأنوى دليل احتفاظها باسم « الجمهورية العربية للتحدة » .

\*\*\*

وأحداث سوريا — إذن — كان لها المفضل في أن يحيى « التنظيم الجديد » باشمول الذي جاءنا به ، وبالهدفة التي قام عليها ..

لقد قال البيان التاريخي الراجع ما يأتي بالحرف :

« إن المسئوليات الضخمة الملقاة على شعب الجمهورية العربية المتحدة ، تجاه واجبه التاريخي كقاعدة لحركة الطلبة العربية ، المادفة إلى تحرير الأرض وإلى تحرير الإنسان العربي من كل سيطرة أجنبية ، ومن كل استغلال خارجي أو داخلي ، استعماري أو رعي ، أصبحت تحتم نسبة القوى الشعبية في الجمهورية العربية المتحدة وتنظيمها ديموقراطياً على نحو يكمل استمرار العمل الثوري ، ويضمن تجديده ، ويوفر له الحماية أمام كل المؤامرات التي تستهدف تمويهه . وكذلك يؤكد للأمة العربية دورها في دفع التقدم الإنساني وتطور الحياة بالكفاية والمعدل وما أساس الاشتراكية وجوهرها » ..

\*\*\*

واضح إذن .. أن الرسالة لم تنته خيوطها في يد حاملها قط .

وواضح — كما ترى — أن ما يملئه « ناصر » في أواخر سنة ١٩٦١ ليوضح موضع التنفيذ في سنة ١٩٦٢ هو عين ما جاء في « فلسفة الثورة » وعلى مطالبها ..

والجديد أن قرارات يوليو ... حققت الاشتراكية ، وأن التنظيم الجديد ، يحقق الديمقراطية ... وأن أحداث سوريا ، حدثت على أن عمد أيدينا إلى الأضمة فوق وجوه الرجعية الحاكمة وغير الحاكمة في المنطقة العربية فسرقها جهرة ... ونسب العالم أن الجمهورية العربية بدأت تحمل مسئولياتها الضخمة تجاه واجبها التاريخي ، وأنها كقاعدة لطلحة ، مصررة على أن تحرر الأرض العربية كلها ، والإنسان العربي في أي شبر فيها ، من أية عبودية يفرضها عليه مستعمر من الخارج أو عميل من الداخل ، أو رجعي حاكم . وهكذا كشف الطلاء وروح انقضاء ، وكان ذلك كله حصل العربية التي سلبتها الرجعية إلى قلب العروبة في سوريا .

\*\*\*

ورأى البيان أنه قد حان ، أن توضع حصية التجارب الثورية التي عاشها شعبنا ، وأن توضع مع هذه الحصيلة آمانه البسيطة وأن يضم هذا كله إطاراً شامل يصع منها منهاجاً واضحاً للعسل الثوري الوطني .

\*\*\*

وذكر البيان ، أن الشعب وحده هو الذي يستحق عليه الآن ، أن يتقود التطوير بنفسه وأن يشرق طريقه إلى ضده الذي يتطلع إليه ، ويناضل بشرف لكي يشرق غره .

\*\*\*

وتقرر أن يصدر قرار جمهوري بتشكيل لجنة تسمى « اللجنة التمهيدية للمؤتمر الوطني لفنوى الشعبية » لدراسة الطريقة التي يتم بها تجميع ممثلين للقوى الحقيقية الأصيلة للشعب لكي تجتمع في « مؤتمر وطني » من « طريق الانتحاب المرء » على أن ينقد هذا المؤتمر في سنة ١٩٦٢ ليستمع إلى تقرير يقدم فيه الرئيس مشروع ميثاق للعسل الوطني ثم تجرى مناقشة التقرير بواسطة المؤتمر وبلجانه ، ثم تكون الحصيلة النهائية بمثابة البلمرة السلية لميثاق النضال الوطني الشامل لأساليب العسل الشعبي وأهدافه ، ويكون هذا

الميثاق أساس الاتصافات العامة لانتخاب اللجان التأسيسية للاتحاد القومي في كل قرية  
ومدينة لتكون قاعدة لل مؤتمر العام للاتحاد الذي يقرر وضع الدستور العام .

\*\*\*

والبيان لافت .. في بعض فقراته ... إلى « جديد » لم يعرفه أى تنظيم  
سابق ...

نم لتعنى البيان إلى جديد فيه ... هو « تجميع ممثلين لقوى الحفوية الأصيلة  
للشعب » ... وإلى « دعوة الشعب إلى تسلّم زمامه وتسيادة التطوير وخلق طريقه بنصه  
إلى عده » ...

وإنّ فأحداث سوريا أدخلت على المنجم كلمة « التطوير » .

وإنّ فالسوس الذي كان يتفرق وعظام الاتحاد القومي ... اكتشف ...

والخطأ — إنّ — سيصحح ...

ومعك قرارات يوليو ... وعلى هذا التنبيه على الأخطاء ... سترغ من  
« كل البناء » ...

قرارات « يوليو الكبير » استكمل بها البناء الاجتاهى ملاعبه الأساسية ...

والتنظيم الشعبى ... آت حل الطريق ليقوم عليه البناء السياسى ...

ومن الحصيلتين يقوم كيان الثورة الجديدة في إطار محكم اسمه « الميثاق » مبرأ  
من كل حابي .

هذا ما لتعنى إلبان إليه .

\*\*\*

أما الذي لم يلتفتى ذلك البيان التاريخى إليه ، فهو هذا « الميثاق » ..

كنت أتصور أن يكون « الميثاق » أى شىء .. إلا الشىء الذي كآه ..

\*\*\*

ومع هذا .. فبم السبحة ؟

يحسن أن أتف بهذا الفصل القصير عند هذا الحد .. ولا تسألني : متى موعد الإيمان .. بشهر ؟

إني أحاز فترة يحسن فيها ألا أسأل أو أسأل ..

يحسن أن أعيش هذه الفترة .. بكل عيني مبصرة وبكل عقلي واعياً .. وبكل قلبي مفتوحاً ..

\*\*\*

وأرجو أن أكون — على قصر الفصل — قد استطعت أن أرمم المرحلة الرابعة والمشرية في موقفى من « الرجل الذى تأثرت عليه » .

## الفصل الخامس والعشرون

### من قبل إلى ما بعد الميثاق

أجل يا أختي العربي المساعد ..

ها نحن أولاء نكاد نشقى في « زفر » هذا الكتاب .. و « الحلم الكبير » الذي انتحناه به في « التمدد » .. قد تحول نسلا « في حزة وشموخ إلى حقائق تدبر الرموس » .. « والمجتمع الجديد » . الذي كان موضوع « الحلم الكبير » في التمهيد .. ها نحن أولاء « نراه اليوم رأى العين وهو يقوم » ..

• • •

ولقد قلت لك في صدر كتابي إن « الميثاق » لم يكن أبداً بداية التحول في موقفى « من الرجل الذي تأثرت عليه .. وإنما كان ذروة هذا التحول .. ولم يكن أبداً « بداية » الطريق .. وإنما جاء « نهاية » الطريق .

وكان « إيماني » بالأسرية .. قد استوفى كل مراحل .. وبلغ « ثماته » كما رأيت في التحول السابقة — ولم يكن قد بقي إلا أن يحيى حدث مشير .. أركب أنا الآخر قفة موجته .. وأشهر « إيمانى بناصر » .. في « إنسياق انضالى » له كل مبرراته .. ساحلها منه كل « كبرياء المحلى » — وما أشد التنوُّف فيها — وشاقاً بين جموع الهياميه وصفوف الترددين .. طربقى إلى ( محراب الحق ) .. في شجاعة وشرف .. وفي غير حيرة .. وفي غير تردد .

• • •

وجاء « الحديث المنير » .

جاء « الميثاق » الكبير .



وها هو ذا يذاع على الناس ( بياناً للناس ) .. ليناقشه الناس .. وليقروه .  
ثم ها هو ذا .. يقره مؤتمر من الشعب ، فيذاع على الشعب ( بلاغاً للشعب )  
ليحصل منه كل الشعب .

وهأنذا أقرر في غير تردد أن ( أشهر ) إيمانى ..

وهأنذا أبحث عن طريقة تحقق لى هذا ( الإشهار ) ، وتحقق لى كل أركان  
( العملية ) فيه .

\*\*\*

ولكن هناك مرحلة أخيرة تبدأ من قبل الميثاق ، وتنتهى بعد الميثاق .  
بدأ من هذا العمل نرسم هذه المرحلة ..

### اللجنة التحضيرية

ولعلك تذكر البيان السياسى الذى لا يسى — بيان الرابع من نوفمبر ١٩٦١ —  
الذى عرض بالتحديد لمالم التنظيم الشعبى الجديد .. وكانت الخطوة الأولى فى ذلك  
( التنظيم ) تشكيل ( اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ) لترسم اللجنة  
طريقة قيام المؤتمر ، وليناقش المؤتمر الشعبى ، ميثاق الشعب .

\*\*\*

وشكلت ( اللجنة ) ونهضت بواجبها ، ورسمت الطريق ..

وأخون أمانة للراحل ، إننا أما أحدثت هذه المرحلة ، ولم أقل لك إن هذه اللجنة  
كانت ( تجريبية مثيرة ) ، على طريق ( الديمقراطية ) ، وكانت التجربة الأولى التى  
( تمارس ) فيها ( الحرية ) إلى غير حد ، أو إلى الحد الذى يتحلى لنا عنده ، ( مجلس  
المسوم ) فى بريطانيا بكل ما حمل تاريخه من حق فى المباحة بحرية الرأى ، تلك الحرية  
التي تنظمها داخل المجلس ( كراييج المجلس ) وترسمها خارج المجلس ، الهيئة التنفيذية

للحزب الذي ينحى إليه العضو ، كما تعلق الغاش الذين يرمون أن يجرده ، بالتحاه  
سياسي للحزب ( رأى ) فيه ..

•••

أحب أن أقرر — بوصفي (ناقدًا برلمانيًا) سابقًا عامرت (الشيوخ والنواب)  
السابقين قرابة العشر من السنين في كل برلماناتهم ... وكنت أفردي في قهدي بطريقة  
تركت على تلك الجلسات بصماتها ... أحب أن أقرر في هذا الفصل — وهذه الصفة —  
أن اللجنة التمهيدية (وثيقة شرف) لاشك فيه ... لأول تجربة مثيرة .. مارس الشعب  
فيها ( حرية الرأي ) على ( مستوى البرلمان ) .. بكل ما تمنيه ( الديموقراطية السياسية )  
من المعنى الواسع لكلمة ( برلمان ) ...

### بيان الرئيس

وإذا كنت أصوف إلى هذه « الحقيقة » أن البيان الطويل لل... الذي احتج  
به الرئيس أعمال هذه « اللجنة » وما اتسم به من سراحة جاوزت كل « الحدود  
التقليدية » التي يلتزمها رؤساء الدول في العادة — كان « التور » الذي غمر القاعة ...  
وسهر الأعضاء ... فاندسوا في إثره — وعلى أضوائه — يمارسون الحرية على أرفع  
مستوياتها ... فهذا القول ... « واقع » تقتضي أمانة للراسل التي حسنته لإشهار  
« الإيمان » عند إعلان « الليتاني » أن أسجل في هذا المكان ... لا أن أربيه لونا من  
ألوان « النماء » الذي جرى بمس الكائنين على أن يزجوه إلى الرئيس كما كتبوا ...  
اتصل « النماء » بموضوع الكتابة أم لم يتصل .

قد كان ذلك البيان .. ( سرًا موضوعيًا ) أحيانًا يذ صح التفسير . . « سرًا  
موضوعيًا » بين ( قوم ) اجتمعوا بكبرهم .. ليشاوروه في أمورهم .. فجاء ( السر ) ...  
وثيقة شرف أخرى ... لأندلس الثوري ... ولونا مشرقًا من ألوان ( الرأي الحر )  
و ( الرأي الجري ) .

•••

لقد صرح « إخوانه » بكل كبيرة وصغيرة .

قال لهم إن مهتهم كبيرة في خدمة أمتهم التي أخذت على عاتقها بشرف وساعة أن تطور سيئاتها في جميع المجالات ، والتي أخذت على عاتقها « أن تكون لاهثة لتحرير الأمة العربية كلها سياسياً واجتماعياً » ...

لم يحف عليهم هذه الحقيقة الخطيرة برغم (التفريق) الذي كان قد حدث بيننا وبين إقليتنا الشمالى ... لأن الأمر لم يد أمر تحرير هذا الإقليم من براثن الرجعية وإنما هو أمر تحرير (الأمة العربية كلها) لا (سياسياً) ومن (الخارج) فقط ... بل (اجتماعياً) و( من داخلها) أيضاً ...

ولم يكن المنطاب خطاب انتصاح كما كان مفهومًا ... وإنما كان وصفاً لتجربة العمل الثوري كما بدت له طوال الفترة التي عاشها ( مع نضال هذا الشعب العظيم خلال سنوات حافلة ومليئة بالأعمال البكبرى ومليئة بالمشارك الكبرى ) ... معارك مع الاستعمار ... ( تبدأ بإطلاق الأكاذيب وتنتمى بإطلاق التسابل ) ومشارك مع الرجعية ( تبدأ بمظاهر الهبة ... وتنتهى بطعنات في الظهر والظلام ) ومشارك مع التخلف الطويل ( الذي أرضنا عليه والذي ورتنا منه ما يمانية شبتنا من المشاكل المساتفة ) ومشارك مع أخستنا ( مع حط الصفف فينا ... حتى لا ننسى على الطريق أهداننا ) .

هذه الألسامة تحمد ذلك الموضوع ... الذي جرى في خطابه بحرى السر .. وهو يحدتهم عن ( المرحلة القادمة .. مرحلة الثورة الاجتماعية ) .. ولما كالكال جذورها ولما حط سيرها وهي نتيجة كفاف طويل وشيجة وهي وتسميم .

وحدتهم بدءاً من الثورة عن كل للراحل ..

ودت أن الرجعية كانت هي التي تنوق المركب في كل مرحلة .. في موضوع الأحزاب ، في قصة الأرض والإقطاع ، في مشكلة رموس الأموال ، في كفافنا مع الاستعمار « في أزمة مارس - بقصد ١٩٥٤ - الأزمة التي حصلت في مجلس الثورة والى وقف فيها عمد بحيب في جانب والثورة في جانب كانت أسلاً بفعل الرجعية « التي

« استطاعت أن تخنه بأنه يستطيع أن يحكم البلد لوحده » ... في التصحيح و(رأس المال الجبان) ... في المدون ، في الحصار الاقتصادي الذي هزمناه ، في (الائتماد القوي) أُنقِذت الرجبية شيئا وتسلت إليه (وانصحك علينا) .

أرأيت إلى أي حد ، جاوز الرئيس كل الحدود التي يرسمونها لرؤساء القبول ؟  
بجله فيه يقول لأعضاء اللجنة ، وجلبهم كأموأ أعضاء في لجان الائتماد القوي (انصحك علينا) علينا ، يتي (أما واتم) ..

أرأيت إلى أي حد؟ الرجبية (شاطرة جداً) ، و( طالما الاشتراكية يعط بس ، م ميسوطين ، طالما الاشتراكية شعارات بس ، م رعلابن ليه ؟ ده م هابزين كده ، ومستعدين يحطوا شعارات في الاشتراكية أد الهى بقولها عشرين مرة بس مانحطش الاشتراكية موضع التنفيذ وما طبقهش ) ..

\*\*\*

وبدأ الأعضاء يؤمنون بأنهم مدعوون هذه المرة إلى العمل الثوري الجاد لا إلى « ائتماد قومي » تسيطر عليه الرجبية .. ولا إلى « اشتراكية ديوموغرافية تمارنية » تقوم على الشعارات الزائفة و«البفط» ضد منافذ الطرقات ..

\*\*\*

آمن الأعضاء بأنهم مدعوون هذه المرة إلى العمل الثوري الجاد .

وكيف لا يؤمنون وهو يتحدث إليهم على مسمع من العالم كله عن حوادث الرشوة ، التي كشفت والفساد الذي يمارل أن يبسط ظله وكل ما كان انلصوم يتجرون به ، ويحسبون استملا ، ويملاون به الصدور أحياناً ..

وخطراً إذا أنا توقفت عند سراسة الرئيس سطوراً لأقول هنا ومن تاسيتي وهذا القول هو جوهر كتابي :

« وكل ماعلاً التصوم به صدرى فضلت الطريق مسنوراً ، وصفتها صادق الصلة » .

وأعود إلى خطاب الرئيس ، إلى السر اللوصوى العجيب .

إن الأخصاء يصمون الآن مهورين إلى ذلك « الرجل الذى تأمرت عليه » يقول لم على مسح العالم كله وفى بساطة الذى لا يجب لير الله أى حساب :

« يعنى تقريباً أنا فى يوم من الأيام قلت إن الرعية والرأسمالية المتصلة بدأت تمهد الثورة ، والثورة التى قامت سنة ٥٢ صاحت » .

أريد مزيداً من الصراحة ؟

\*\*\*

« البلد يعلسكها » ٪ وفيه ناس كثير المهاده بعد القوام التى نشرت فى الجرائد يقولوا .. الله .. أمال كانوا ساكتين ليه من سنة ١٩٥٢ » .

هكذا ناب « جمال » من أى عضو ينظر له هذا السؤال فأعلمه نفسه وبدأ يعدد المقبات التى كانت أمامه .. وظل يتغطاها غيبة بعد غيبة .. متأصياً بدستور الله وقرآنه الكريم الذى أنزه فى ثلاثة وعشرين عاماً وكان فى رسمه وهو القادر أن يبره دفنة واحدة لكن « ليه ربنا عمل كده ؟ حتى بطينا العرصة والهايل أو الوسيلة التى تُهدر نسل بيها فى حياتنا وفى ديانا » .

وكان لا بد بعد التلمب على الصواب من دليل ينتج ميوننا على الأخطاء نتيجة لتعاريفنا الريرة ، ومن هنا دعيت اللجنة لتضم مؤتمراً يقدم إليه مشروع ميثاق يصبح « دليلاً للعمل » لأنه « نتيجة لدراسة مشاكل المجتمع » ، المجتمع الذى حرم بنوه من تكافؤ الفرص ، و « ابن الطولى يطلع فلاح وابن الإقطاعى وابن الباشا يطلع سحادة ليه » .

هل يشك الأعضاء بعد هذا كله فى أهم مدعوون إلى تحريد الرعية من كل

سلاح في يدها ! ومن عزها بيدها عن البناء الثورى الجديد ؟ « الحرية كل الحرية للشعب » هذا هو مفتاح التبعاع الأوسع ، ويؤدى فيجب أن يبرل عن « المؤتمر الشعبى » كل أعداء الشعب ليستطيع المؤتمر أن يتناقش الميثاق ، وأن يلقى باسم الشعب هذه المسئولية التاريخية من غير أن تتكبر مأساة الاتحاد القومى أو شعارات الإشتراكية الكلامية .

\*\*\*

تحدت مهمة الأعضاء وآمنوا بسلامة المهمة وخطورة المسئولية ، وأرسيه أسس « الصديق الرقيب » بيد الرئيس ، وتوخاه في كل كلمة قالها ، لم يحسب حساباً لتبر الحق ..

تحدت مهمة الأعضاء « كل الحرية وكل الديمقراطية للشعب ولا حرية ولا ديموقراطية لأعداء الشعب » .

ولسكن عملية التحديد تلقى خلافاً على رأى المر الذى دعاهم إلى ممارسته في أوسع نطاق بشرى ممكن ، فواجه الحق في هذه الملاحظة ؟ وجه الحق أن الذى كان رأياً له .

وهو يدعوهم إلى إبداء آرائهم بنس المصراحة التى التزمها في حديثه .

وهنا يحى « وثيقة الشرف » التى تحدت عنها .

هنا يحى دورى لأسأل :

— هل نكسر الأعضاء على أعقابهم وتهيبوا الدعوة ؟

والجواب :

— ايدياً .. لم تهيبوها .. بل شبروا عن سواهدم وخاضوا عمارها أشداه طلقاه بكل حاتمى هذه الكلمات من معان ، ولم يخطر ببال عضوان هذه الدعوة إنما وجهت إليهم

أترأ من آثار الاضلال الذي أسلب «جمال» بعد الاغلاب السوري .. أبداً ..

« فيه ناس قالوا إن الإغلاب الرجبي في سوريا هو» التي فجر الثورة الاجتياحية هنا في مصر ، ده كلام لا نصيب له من الصحة لأن إسنا بنادى بالثورة الإجتياحية من أول يوم .. »

إذن ما هي الحقيقة ؟ أجلب :

« الى أقدر أقوله : إن الإغلاب الرجبي في سوريا كان رد فعل رجبي لثورة الإجتياحية التي أعلنت في يوليو من أجل مصالح الشعب ومن أجل مصالح الجماهير .. الإغلاب الرجبي في سوريا يبدينا يمكن أسلفه خدنا منه دروس وخذنا منه عظة ، خدنا منها دروس كيف نسلت الرجبية وكيف شكلت نفسها .. إزاي مأمون الكزري كان مثلاً رئيس لجنة اتحاد قومي .. »

### عفا الله عما سلف

وتملة أراي مشدوداً إليها وأنا أدلل على أن اللجنة التحضيرية كانت (وثيقة شرف) - لا شك فيه - لأول تجربة مثيرة مارس الشعب فيها (حرية الرأي) على (مستوى البرلمان) .

قال لم جمال :

« بعد الوحدة ما جاءت ، فيه قصايا كانت موحودة .. فتددت .. هل حابتندي بعد الوحدة غنتح تاني هذه الخفاكم وتفتح هذه المنفصلت ؟ قتلت عفا الله عما سلف ) .

وقص عليهم قضية كانت قائمة هي قضية الهندشي ، وكان المتهم الأول فيها مأمون الكزري .. وبعد قيام الحكومة المركزية طالب بعض الوزراء السوريين محاكمة المتهمين في هذه القضية ، وكان الهندشي قد اعترف على مأمون الكزري وصبري العسل بالرشوة التي كانوا قد أخذوها ، ورفض (جمال) واكتفى أن يطلب إلى صبري العسل أن يستقيل بعد أن ثبت عليه ما ثبت ولا سيما في محاكمت بدلا ..

وكان مأمون الكزبري الذي عفا عنه هو أول رئيس وزلوة في الاغلاب السوري  
النادو ...



ومهم الأعضاء إذ أن سياسة النفو مما سلف من الرعية هي التي جرت علينا  
كل الناهب التي عايننا منها ما عاينا ، فهل قال الأعضاء : ( آمين ) - و ( آمين )  
هنا لا تغبار عليها وتلوح كأنها كلمة الحق بعد أن أيدها (الواقع) الذي (وقع) - كلا ..  
بل وجد من بين الأعضاء من طالب باستمرار سياسة النفو .. والزيد من النفو ..  
واشدد في المطالبة وبلغ بها وأمر عليها ، حتى لاحظ الأمن العام والأعضاء أن كلاماً كثيراً  
مما قاله هذا المارض يبني هذه من محاضر الجلسة ، فكان جمال عبد الناصر هو الذي  
حمى حرية هذا المصو ، وأمر جمال على ألا يحدف من الضبطة أية كلمة تقال في اللجنة ،  
لأن أعمالها جزء من التاريخ ، ولأن حرية الرأي مكتوبة للجميع ، ولأن هذه ( الحرية )  
إذا لم تمارس ها فلا مكان آخر لها تمارس فيه ، وإذا لم تنض بمشورياتنا كاملة لزام  
هذه الحرية فلا جدوى من أي مبنى نبنيه ..

وتصدت بالمرض ( خالد محمد خالد ) بل خيف أن تتردد الصحف في نشر كلمته  
كاملة فهبطت التعليلات ليلا على الجريدة الناطقة باسم الحكومة (الجمهورية) أن تنشر  
كلمة (خالد) كما قالها .

## الرئيس والمعارضة

وعند « خالد محمد خالد » أحليل الزخرف .

لقد طرح « قضية » وثيقة الصلة بأهدافنا ... وليس بالمعين أن تطرح مثل هذه  
« القضية » ولا أتأمل جددها .

و « خالد محمد خالد » من حيث هو « خالد » لا يبنى أهدافنا ... في قليل أو كثير  
- برغم إيجابى به ككاتب ومفكر - أما « القضية » التي أثارها ... فتضيق تهاوت  
في الخطورة ... ولعل الرئيس كان مشدوداً إلى غرض النقاش بهذه الخطورة فيها .



كان هناك يمارض مبدأ « المنزل » .

وله الحق في أن يمارض أى مبدأ ... وأن يقاوم أى اتجاه .

تد قتل في شجاعة محمد ه :

« صدقوني أيها السادة ... ليس من صالح أحد أبداً ... أن يسلح الشعب في  
فترته الانتقالية هذه بشارات عيفة.. أبداً ... يجب أن نسلحه بطيبته — طيبته الطيبة  
والبنقة والرفاء والحب — فنسلحه بطيبته هذه ، وهو شعب ذكي وقوي ، هذا ما أريد  
أن أقوله ، وسأظل أقوله ، وسأظل أنادي به لأني أومن بشي » .

وذكر أنه لا مصلحة له فيها يدعو إليه ... لأنه ليس غنياً ... وذكر قصة محضر  
رآه وهو طبل يجبر على ماشيتهم لحساب التعتيش الذي كان أبوه يقاومه ... ورأى الجند  
يتنزهون أباه وهو يلبس القوم وفي منتصف الليل ... وأعلن أنه كان محطاً حين طلب  
للرزولين « الرحمة » وأنه إنما يطلب لهم « العدل » . لأنه لا يهين أن يؤخذوا أبداً  
بحرية لم يرتكبوها في المجتمع الاشتراكي الديمقراطي الثوري .

ولست أشك في أن كثيرين — من المنصوم والأسار — أجبوا بشجاعة هذا  
« العضو » ... ولعلني أنا أيضاً لم أظت من شعور الإحجاب به ... رواسب من ماضيها  
ليس من السهل أن تتخلص منها ... رواسب إيماننا بالصيف الأهل إذا هو عارض  
الحاكم القائل ( بالحق أو بالباطل ) رواسب من ماضيها الذي رسب فيها الكراهية  
لحاكم .. واعية أو غير واعية .. عمياء أو مبصرة ... محنة أو مبطله .

\*\*\*

ولو أن الأمر وقف عند هذا الحد .. لما استكملت « القضية » ملاحمها ..  
ولما انصلت بأهداف كثنائي ... وتكون — أكثر ما تكون — رأياً يديه ...  
ويطلب من الرئيس فيه .. مزيداً من التسلمح .. بل لعل لي مصلحة في أن أناصر  
« حاله » ... لأن أول طائفة تهر حرماً ... هي طائفة المحكوم عليهم ... وأنا تأمرت

وحكم على ... فانتدج اسمي تحت بند النزل الأول ... بالحق أو بالباطل ... وبينني  
إذن في المرجحة التصوي أن أسمر « حاه » .

لكن الأمر كانت كان أكبر وأسطر .

الأمر أن « خاه » كان يرى أن « التسلمح » لدى يدعو إليه ... هو الحرية  
التي صاها في كتبه ... وهو يطالب بالزيد منها إلى أردنان أن تدعها ... والحرية التي  
صاها هي الديمقراطية شكلها الأوروبي والأمريكي ... أو مفهوم المربين لها ...  
والمثلثات التي تحرسها .

وكل معنى من هذه المعاني يستأهل أن يناقش ... وأن يناقش في عمق ووعي .

وقد رد الرئيس على الموضوع أكد له أن العملية ليست أن عطل لم الرحمة أو أن  
عطل لم العدل ... إنما العملية عملية معركة بنوعها ويجب « أن أظن على أن الجيش  
الذي ممي ويقاوم في المعركة ... قياداته قيادات مؤمنة بهذه المعركة ... فلذا  
لم تكن القيادات مؤمنة .. فلذا كل المسار الذين سآخدم ممي سيكونون ضحايا  
لعدم حسن اختيارى لهذه القيادات » .

والسلبية إذن — وأحداث سوريا لم تكن يحدث — عملية تأمين لهذه الثورة  
الاجتماعية ويجب « أن أوفر لها سبل الأمن .. ولا أقول سبل الإرهاب ... ولا أقول  
سبل الخوف ... ولا أقول سبل العظم ... ولكني أقول سبل الأمن ... ولو كنت أقول  
العظم .. كنت تقدر ترد وتقول العدل ولكني أقول الأمن » و « الجماعة الذين دخلوا  
عليكم في يشكم وضر بكم وجروكم بالليل موجودون ... والله إذا وسدوا الثرصة لفسدوا  
حيتنا في بيروتا وضر بيوتنا أيضاً وجرونا بالليل ولن يتركونا » .

\*\*\*

كان الأمر واضحاً .

لم يكن « العزل » إذن محاكمة لأحد ... أو ضحية لأحد ... أو سبباً لأحد ..

وإنما كان تأييداً لثورة ... بعد أن تسلل الرجيون إلى الاتحاد (القومي) فأصلوه  
وإلى (الاشتراكية) نفسها فأصبحت لاضت وشاركات ... و (كل ما تريد أن تعلمه  
هو ألا يتولى هؤلاء الناس القيادة السليسية لا أن تعلم لمحاكمة عسكرية)

وقد يقع في (المرل) ظلم لقوم لا يمتنعون أن يملأوا.

وقد يكون بين أعضاء اللجنة نفسها من يستحق (المرل).

ذلك كله مرده لتجربة ... والذين المفتوحة ... والمقل الراعي .

والقلب مفتوح ... على مصراعيه ... لتجربة ... يخرج منه من دخل ... ويدخل  
إليه من خرج على سوء هذه التجربة (وأنا قلت أسس أنه يمكن بعد ستة شهور أن نسال  
ثانية ما هو الوضع؟)

\*\*\*

ولكن خالد وصل بين (المدل) و (الحرية) ... وبين (الحرية) و (الديمقراطية)  
ووضع أنه يطالب بالديمقراطية بمفاهيمها الحرية .

وجادت (وصلة خالد) بعد أن قال الرئيس (إنه لو فرض أن أينما نحن بأناس  
ليضموا دستوراً وثالثاً فيه الإنطاع والرجية فسوف أذهب وأرتدى البدة السكاكي  
وأحمل ثورة عليهم من أول وجديد ... ومهما تكلفنا فلا عودة إلى الزواء بأي حال  
من الأحوال) .

وقف خالد يرد ويأبى على الرئيس والثناء دائماً ميسور ... ميسور له وميسور لي  
وميسور لكل من يحسن الكلام متقولا ... والكلمة مكتوبة ... وهذه حقيقة طلب  
لي أن أكرها وإن كانت لا تظن أبداً في صدق خالد وهو يرجي ذلك الثناء ...  
إنما أردت أن أقول إن الثناء لم يكن هو المهم في كلمته إنما أهمته قوله :

(وأنا بصفة خاصة كواحد من أتني أن نظل نتمكس عشرين سنة أو أكثر ولكن  
الحكم الديمقراطي الذي أؤمن به وأرجوه) .

ولم تكن العساة قد استكثرت ملاحظها وإن أقتت ظلال الرية على الحكم الذي يدعو إليه النظام القائم ... فساد خالد بوضع الديمقراطية التي يؤمن بها ويقول :

\*( وأعرف لك في هذا - يتعمد (العدل السياسي) - مواقف حليقة كما كم نزيه عادل ، ولكن الشء الذي يمز في كيدى ونسى ، أن خصومك وخصومنا . لا يحدون ما يقولونه سوى حجة واحدة .. هي قولهم أين البرلمان !! أين الدستور !! أين المعارضة ؟ )  
و «خصومك وخصومنا يقولون !!» ... هكذا يقول خالد .. وهكذا كنت أقول .

و ( خالد ) إذن ما زال يعرب في الغلال - صادق الصقة وهو عضو في اللجنة التي تمزل .

و (أما) أضع هذا الكتاب لأخرج من هذه الصقة وأدعو إلى الرشد أمثاله ...  
واسمى مدرج تحت أول بند ... وضمن أول طائفة ... قضت هذه اللجنة بمنزلها .

و (أما) و ( هو ) ... صيحة ( خصومك وخصومنا ) وما قالوا وما يقولون .  
وهو ما يرال والفما تحت تأثيرم ... يمز في كيدى ونسى بما ... قول المصوم أين البرلمان وأين الدستور وأين المعارضة ؟

وقصة ( المصوم ) هي التي قام عليها كتابي .

ومن هنا قلت أن ( خالد ) أثار قضية خطيرة تتصل بأهداف الكتاب .

•••

ولقد قال لي الرئيس في رده أن هناك ديمقراطية بالمنى الذى يسمه وأن هناك اشتراكية بالمنى العربي أيضاً ، هناك اشتراكية ( موليه ) في فرنسا ... وهناك ديمقراطية الأردن ..

أليس في الأردن دستور و برلمان وأحزاب وسامرضون ؟

أو لم يكن لدينا دستور قائلنا في سيده و برلمان وأحزاب وسامرضون ؟

فكيف كانت تحكم مصر إلى سنة ١٩٥٢ وكيف تمحكم الأردن حتى الآن ؟

أيقال إن الأسمع مع الفارق لأننا هنا نوار ؟

لقد تولى أتاتورك - أو مصطفى كمال - الرد على هذا التسؤل ...

نار وحارب ... وحرر تركيا من جيوش الاحتلال ... وحكم ومصح ... وكان حكمه قوياً ... واستجلب للناس يؤمن به خالد... فوضع دستوراً وأقام برلماناً وأنشأ حزبين أحدهما يحكم . والآخر يمرض ... ليتخلص من الحرقى السكيد وفي النفس - ومن أحوال انحصوم : أين البرلمان وأين الدستور وأين للمارضة ... وإذا بالبلد تنقسم ... والبلد يكاد يضيع ... فناد إلى نظرية حزبه الواحد . وهو حزب لينونو حزب الشعب ولم يحول ثورته من السياسة إلى المجتمع - فما كاد يموت حتى ضاقت الثورة - وبقي الإنطباع ورأس المال والتحكم والأمريكان .

ومن لا يحاسب الدستور ولا البرلمان ولا للمارضة .

وستضع دستوراً وتقيم برلماناً .. وترتفع فيه أصوات للمارضين .

أما أن نقيم أحراباً في مجتمع إقطاعي ورأسمالي فلا ... يجب أن نذيب الفوارق بين الطبقات أولاً .. ومتى تطهر المجتمع ... أمام الشكل الذي يريده بلا حروف عليه ، أما أن نسلم المجتمع الآن إلى الحزب الشيوعي المصري الذي يتلقى تعليماته من صوفيا أو إلى حزب آخر يتلقى تعليماته من إنجلترا أو أمريكا ... لا شيء إلا لأن انحصوم يقولون أين وأين ... فلكلام لا يبسى أن يقال أو لا ينبسى أن يسبح ..

هذه هي القضية التي أنزلها خالد محمد خالد .

وهي من زاوية أخرى .. تقدم رأي في أن اللجنة (التنصيرية) وثيقة شرف لحرية الرأي إلى غير حد ... لأن هذا الكانكب عسوف في هذه اللجنة .. ولأنه من المؤمنين - كما يقرر - بالثورة ... ومن المؤمنين بتناصر ... وقد قبل المضوية على أساس السبل داخل الإطار الثوري . ورغم هذه الحقيقة تسدل عن كمنظمات الإيمتراطية مفهومها الثوري لا مفهومها الناصري ... ولم يتكر عليه (ناصر) هذا الخروج من

(الإطار) وإنما ساجه في سمة أفق وسمة صدر ... وذكره بكتبه ومقالات ...  
وذكره بالسطر و(صفحة ٣) وعلى القور ومن الفكرة .

وقد يكون مما يكل الصورة -- وعلى عاش هذا النقاش -- أن ثبت هنا  
ما أحله خالد محمد خالد . عند ما قال للرئيس :

« ولست تذكر يا سيادة الرئيس ، حيناً أسعدتني ودعوتني إلى بيتك وسكتنا معاً  
في نقاش ساحين أو أكثر »  
هذه الكلمة لما خطر لها .

رئيس دولة ، يواصل ليه بهاره ، مقاتلا ، وأعداؤه لاحصر لم من العرب  
والشرق ، ومن الداخل ومن الخارج ، ورسائله تقوض هروشا وتهدم نظماً ، وتحرر  
عبيداً ، وتبيد إقطاعاً ، ثم هو يقرأ كل كتاب جدير بالقراءة ، ثم يستدعي كاتباً  
كخالد ، ويناقشه في آرائه مناقشة اللد للند ، أكثر من ساحين ، رجاء أن يقتنع ،  
كأنما هو (نقل دولي) في معركة حاسمة ، ثم يقال بعدها أن (ناصر ديكتاتور ١١١٤)

### وهرة أخرى...

ومرة أخرى ، أعود إلى اللجنة .

أعود لأقول إنها أمرت لنا من الرأي وجوها لم ندر بجلدنا ، وأبرزت لنا من  
الأعضاء مواهب كانت ضافية عليها ، وأبرزت لنا من الشجاعة ألواناً ، لم يستمع بثلتها  
أعضاء البرلمانات في أعرق الدول ، وأبرزت لنا من (النصف الآخر) مستوى من الوعي  
لم يكن أحد يصدق أن (المرأة) يلمته ، وأبرزت لنا طليباً -- وهذا بديهي -- ألواناً  
من «التعاقب» لا يمكن أن تبراأ منه لجنة قوامها ماتخان وخسون حصواً ، ولو دعا إليها هر  
ابن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز .

وقد لا أوافق اللجنة على كل قرار انتهت إليه .

وقرارات اللجنة ليست قرآناً ، وليست مستلزمة من الخطأ .

إنما الذي يبتغى أن كل شيء قيل فيها ، وأن (ناصر) تجل بكل مواهبه وهو يوجه نقاشها ، ويبسط الحقائق ، ويسترف بالأخطاء ، ويرسى الأسس ، ويحدد المعالم ، ويضع الرسالة في مكانها الصحيح .

كانت اللجنة إذن مبدأ المؤتمر ، وكانت (هيئة استقبال) رشيدة وواعية لتقديم (الميثاق) ، وعرفت كيف تحمي المؤتمر بدفئه الثوري من صميم الشعب لا من حواشيه ، ومن عماله وفلاحه وأصحاب الصلحة فيه ، لا من مترفيه الكسالى ولا من عاطليه التافهين .

واحد من سقى - ولا تزال الحرفة تلاحقني - أن نحوياً في سمائها ، قد التقت في سماء هذه اللجنة ، وطماً نشأ على الجبل المعاهد ، من الككتاب الثممين بالناصرية ، وأراني مشدوداً بزهورى المنهى ، إلى أن أذكر اسم كمال الدين الحناوى ، واسم أحمد بهاء الدين ، واسم الدكتور عائشة عبد الرحمن ، واسم الدكتور زكي مجيب محمود (وهو محسوب على القلم وإن حسبه على الجامعة) ، واسم الشيخ الثرباسي (إنما أجمه أن يكون محسوباً على دولة القلم) .

أما أستاذة الجامعة للدين لموا في سماء القائمة ، وأما السيدات ، وأما العمال ، وأما الفلاحون ، وأما تقيب الحامين والهاشون ، فأراني مشدوداً أيضاً إلى إعلان أسماء الشرات منهم - وجلبهم في غير حاجة إلى الإعلان - لولا كثرتهم وخوف من أن أنسى إسماءه قدره وأحبيل .



الذي يبتغى أن (المؤتمر الوطني للفروع الشعبية) إنما جاء على الصورة التي جاء عليها بفضل هذه اللجنة التصحيحية

## وجاء المؤتمر

نعم ، جاء ، وتقدم إليه (ناصر) بمشروع الميثاق .  
ووقفه أخرى لا بد منها وأنا أستقبل (الميثاق) ليسترد القلم أخلاه :

• • •

وعسى أن أكون قد استنطت أن أرسم هذه الحلقة الثامنة والمشرية في موقف  
من (الرجل الذي تأمرت عليه) .



## الفصل السادس والعشرون

### آخر الأحاديث ... من « ناصر » ومن « الأحداث »

قلت .. إن « الليثاق » قد جاء ...

وجدت منه وقتي الأخيرة .. أعلن الناس فيها .. على وقع خطواته للتسوية ..  
أشودة إيماني .

وعدت فرأيت .. أن أجل من هذه الأشودة .. آخر فصل في كتابي ..  
لأن هناك بعض « الجيوب » لابد أن تصفى قبل الفصل الأخير .

وعلى ضوء هذا الرأي .. أنسحب الآن من التحدث عن الليثاق إلى أحاديث  
أخرى .. هي آخر الأحاديث .. أنتقاهما هذه المرة من « م ناصر » و « عن نفس  
ناصر » .. ثم أنتقاهما بعدئذ .. من فم الأحداث .. عن ماضي لها .. خلقنا فيه جيوباً ..  
ومن معارك لائحة وقادمة .. نحاول أن نتموق الركب الذي زحف .

### من « ناصر » ومن « قمه » ١٩

ولقد وصفت لك « ناصر » داخل « الإطار » الذي أعده له قمي . وكافهمته  
بمثل ومشاعري .. وكما قال لي تاريخه عن أساتيد طفوه .. وعن تلاميذ زاملوه .. وعن  
كف حاولت على قدر جهد وضميرها أن تجمع بين البيانات عن نشأته .

ولقد ذكرت عند هذه ( النهاية ) من كتابي أن جريدة ( المصداقي تيمس )  
— كبرى صحف الأحد في بريطانيا — كانت قد عهدت إلى ( دانييل وبن مورجان )  
في الحصول على ( قصة ناصر ) من ( فم ناصر ) لنشر قصولها على نطاق اليد المباشر  
للثورة . ونهض كأنها بالهمة .. واستقبله ( ناصر ) وألقى إليه بقصته وقلبت ( الأهرام )  
بعض قصولها ..

وعدت إلى هذه الفصول .. قرأيت في إجابات ( ناصر ) ما يربطها ربطاً ..  
ببعض ما عرضت له في فصول السابعة وما يصوب بعض البيانات التي نقلتها عن بعض  
الكتّاب التي لم تدرم الدقة في الرواية .. أو أعرتها العربة في مدح ( ناصر ) .. بأرقام  
أو أسدلت لا تطابق الواقع .. ورأيت أحياناً أن من الأمانة للتاريخ أن أمنت هنا ما جاء  
في فصول ( دانيال وبين مورجان ) .

### ( ١ )

ذكر ما في فصل سابق أن التلميذ جمال عبد الناصر كان متجهاً إلى ميدان المنشية  
بالإسكندرية في سنة ١٩٣٠ ولم تكن سنّه تجاوزت إحدى عشر عاماً ورأى اشتباهاً كما بين  
البوليس والأهلين فاسم إلى الأهلين وشارك في ضرب البوليس وجرح .

ولكن ( ناصر ) يقول للكاتب الإنجليزي ( وين مورجان ) رداً على سؤال له  
ما يأتي بالحرف :

« - كثيراً ما سئلت هذا السؤال : متى أصبحت ثورياً لأول مرة ؟ وهو  
سؤال تستحيل الإجابة عليه ، فهذا الشعور أمله ظروف تكويبي وتشتقي وغذاء شعور  
عام بالخط والتحدى اجتاحت كل أبناء جيل في المدارس والجامعات ، ثم انتقل إلى  
القوات المسلحة .

« وما زلت أذكر بوضوح أول صدام لي مع السلطة . كان ذلك في سنة ١٩٣٣  
وكانت يومئذ تلميذاً في الإسكندرية لم أبلغ بعد الخامسة عشرة من عمري وكنيت أهب  
ميدان المنشية في الإسكندرية حين وجدت اشتباهاً كما بين مظاهرات لبمس التلاميذ وبين  
قوات من البوليس ، ولم أتردد في تقرير موقفي ، فلقد اصممت على المرور إلى المتظاهرين  
دون أن أحرف أي شيء عن السبب الذي كانوا يتظاهرون من أجله ، ولقد شرمت  
أنتي في غير حاجة إلى سؤال ، لقد رأيت أمراً من الجماهير في صدام مع السلطة ،  
واتحدت موقفي دون تردد في الجانب الملقى للسلطة .

ومرت لحظات سيطرت فيها المظاهرة على الموقف ، لكن سرعان ما جاءت

إلى المكان الإمدادات حمولة لورين من رجال البوليس لتمزيق القوة وهجمت علينا جماعتهم .. وإني لأذكر أرى — في محاولة يائسة — ألقيت حمرًا لكنهم أهدرونا في مثل ملح البصير ، وحلوت أن أهرب لكنني حين التفت هوت على رأسي عصا من عصي البوليس تلتها ضربة ثانية حين سقطت .. ثم شحنت إلى الجبز والدم يسيل من رأسي مع عدد من الطلبة الذين لم يستطيعوا الإنلات بالسرعة الكافية .

ولما كنت في قسم البوليس وأخذوا يملحون جراح رأسي سألت من سبب المظاهرة ، فعرفت أنها مظاهرة نظمتها جماعة مصر الفتاة في ذلك الوقت ، للاحتجاج على سياسة الحكومة .

وقد دخلت السجن تليذًا متحمسًا وخرحت منه مشحونًا بطلاقة من التصب ، وقد مضى بعد ذلك زمن طويل قبل أن تتبدل أفكارى ومستفداتى وحطلى ولكن حتى في هذه المرحلة الباكورة كنت أعلم أن وطنى يحمض صراخًا متصلًا من أجل حريته .



ونستبين من هذه الإجابة أن الحادث كان في سنة ١٩٣٣ وأن سته كانت قرابة خمس عشرة سنة .. وأن اسم « مصر الفتاة » عرفه في ذلك اليوم ... ولم يكن صحيحًا إذن أن يجرى إلى القاهرة في العام التالي يحمل جراحه ... وهو عضو في الجماعة التي قاتل في صفوفها من قبل أن يعرف شيئًا عنها .

كذلك استبينا من إجابة « أخرى » عن سؤال آخر .. أنه بعد تلك الحادثة اندفع بكل جوارحه إلى « المظاهرات الساخنة » مع التلاميذ الآخرين بمحورين شوارع الإسكندرية وأصبح « عضوًا في لجنة تنظيم النقاومة » لاسيا السيطرة الأجنبية .. فصاق به المشولون في المدرسة وضاق به أبوه فأرسله إلى القاهرة ليميش مع عمه والتحق بمدرسة أخرى ( مدرسة النهضة طبياً ) .

وإذن قد مارس للنقاومة في الإسكندرية وبرز فيها واختير عضوًا في لجنها ..

وجاء إلى القاهرة « طريد السيلة » وكل هذه الحقائق تقصر لنا التحامه مدرسة « النهضة » بحولها حوق ماضيه .. مزداناً بجراحه .. مدبراً على القسامه .. متسرماً بالمظاهرات ..

(٢)

ولكم يسعدني أن نسد فصول « وين مورجان » فراغاً كنت أحس به وأنا أتحدث إليك عن البذور والبلدور والنبات والعمود في « ثورية ناصر .. » ولا أجد غير « سر التكوين » أو غير « سر خامس » لا أدريه .. دانماً له وهو صنيذ .. إلى تلك العمارات التي خاضها وكادت كبيرة .

لقد سأله « دانيد وين مورجان » عن الصدمة النفسية التي قبل إنها وقعت له في تلك الفترة من الصبا أو الفتوة ؟ وقال « ناصر » إن ذلك الذي قبل صحيح ، وإن أباه كان مصرماً على معارضة مشاعره وأعماله الثورية وإن أمه كانت تنظر إلى السياسة مطرها إلى شيء لا يمتبها وكادت العلاقة بينهما هي علاقة الحب الخالص الذي يربط ما بين الأم وولدها ثم قال جمال :

« ولم أكن امرط في رسائلني لزيارة أسرتي . لكن حين انقطعت أبهه أمي فترة من الزمن سافرت لزيارة الأسرة ولما بلغت البيت لم أجد لها أنراً . وعلت أنها قد ماتت قبل ذلك بأسابيع ، ولم يجد أحد الشجاعة الكافية لإبلاعي بموتها .. ولكني اكتشفت موتها بنفسى طريقة عزت كياني .. وعدت لتوردي إلى القاهرة حيث كرسى نفسى لنشاطى السياسى ولكن بصورة أعنف من دى قبل .. وحسب الزمن صدمتى ولكنى ظلت مبتدأً عن أسرتى لمدة سنوات - فقد كان فقد أمي في حسد ذاته أسماً محرماً للضباية أما فدها بيده الطريقة فقد كان صدمة تركت في شعوراً لا يمحوه الزمن .. وقد جلستنى ألامى وأحرائى الخامة في تلك الفترة أجد مصصاً بالآى إرمال الآلام والأحزان بالتير والمستقبل للنين »

تلك حبة يعرفها رفاق « ناصر » على التحقيق .

ولست أشك في أنها تسربت إلى كثيرين وذاعت بينهم ولم يبد إعلانها في هذا الكتاب مثبثاً بالنسبة إليهم .

والإنارة على أي حال لا تثنيني .

إنما يعني أن الحادثة نحل لي « ضمة العقد » في ثورية ناصر .. ولم أكن قد عرفت هذه الضمة قبل اليوم وقبل أن أراجع فصول « وين مورجان » لأكتب لك هذا الفصل .. ولو أني قرأت تلك الفصول يوم نشرت .. لكات الحادثة ركيزة لمحوث حريصة وحميقة .. في الكتاب .

أما اليوم وأنا أستودعك آخر فصولي عشي أن أسجل ملاحظاتي العائرة فيما يلي :

« كان جمال « ثورياً » وكان أبوه يمارس الثورية فيه .. وكان يقابل هذا الموقف حسب خالص برط بين الصبي وأمه كتمويس لا بد منه عن المارضة الأبوية .. وكوقود لا بد منه لثورية .

« كان جمال بطوى ضلوه على هذه الشحنة من الحب لأمه .. ولا يزور الأسرة حتى لا يخنس في معركة أبيه .. وحتى يتحرك حراً في جو الكفاح الوطني بعيداً عن جو المارضة .. ومثل هذا البعد عن الأسرة .. يزيد حتماً في حبه لأمه .. وقد بانث أمراض هذا الحب في سفره إلى الأسرة برغم قيام « الجفوة » بينها عندما انشطت عنه أباه أمه .. وهناك — في البيت الذي أحب رته .. لم يجد لربة البيت أمراً ولم يمرؤ أحد حل أن يقول له أن أمه ماتت .

« وهناك اكتشف الأمر بنفسه وعلم أنها ماتت قبل ذلك سنة أسابيع .. ولم يقل لنا « كيف حل؟ » لا بد أنه علم « بطريقة ناجحة ومؤثرة ومثيرة » . لأنه يقول لنا لمن فقد أمه في ذاته كان أمراً محرناً للغاية « أما فقدتها بهذه الطريقة فقد كان ضمة تركت في شعوراً لا يمحوه الزمن » ، شعوراً لا يبره إلا من لجم في الأمومة على هذا

الضحك ، وتندر أن يفتح صبي في أمه على هذه الصورة التي أشار إليها حربياً واتقى مجرد الحوض فيها وهو في الرابعة والأربعين من العمر .

« وكان طبيعياً أن يعود إلى القاهرة لعموره .. وكل قطرة دم فيه .. تريد أن تشق لها الطريق خارج العروق .. وأهيمز بدوري — وعلى ضوء هذه الحقيقة — أن أنصروه « الآن » ، وهو عائد « يومها » . وكيف كان ؟ وما مدى السليان ؟ وفي أي الحالات يتحرك ، ويصرح ، ويدمر ، ويحطم ، ويكتسح . ١١٢ .

عاد ليفعل هذا كله ، ولكن القدر كان يذخره ، و« المحزن الثوري » كان يعود « الشيء » الذي يفجروه ، وقد جاء هذا « الشيء » وجاء « صعباً » ، فأنجم به إلى الكفاح السياسي في سبيل بلاده يكرس له كل ضمه ، ويفرح فيه كل عنفه ، وكان « جمال »

« وثمة جانب آخر من جوانب الحداث يضمن أن دستوربه قبل أن يطوره ، بعد أن امتد أثره إلى كل كفاح الرجل ، وإلى كل زعامته ، وإلى كل بناء شخصيته ، ذلك هو قول « ناصر » في بساطة :

— « وقد جئني آلامي وأحرائي الخاصة في تلك الفترة أجد مصصاً بالآف في

إبرال الآلام والأحزان بالتييري مستقبل السنين » .

هذه « حقيقة كبيرة » بإرطاق ..

« حقيقة تقول : إن حامل هذا الشعور لا يمكن أن يكون « الليبكتاتور » الذي يمشي إلى أمحاده الشخصية فوق الأنسلاء والمجانب .. يحمل .. ويدمر .. ويقطع الرقاب ..

« حقيقة تقول إن حامل هذا الشعور هو الذي دوى في سمحه أصوات صراخ وهويل .. ولوة امرأة .. ورعب طفل .. ثم استنائة متصلة مجموعة .. أصوات طلت تطارده وتمرق سنه وهو عائد إلى بيته سد أن أطلق الرصاص على حسين سري عامر ولم يتم ليبتها وقام وصل لله — والملاة هنا منقولة عن « وين مورجان » لا عن

« فلسفة الثورة » - ودعا الله أن يحفظ حياة الرجل . ولم يبدئ إلا بعد أن صدرت الصحف وعرف أن الرجل لم يموت .

« حقيقة تقول إن شامل هذا الشعور .. إنما يستجيب له .. وهو ينتح أرواب السمون بعد شهر .. أمام الذين تألموا عليه وحكم عليهم القضاء بشرات الستين .. »  
إنه ما يزال يمد مصفاً بالناس في إزلال الآلام والأحزان بالمير .. ولو كانوا انفصاليين في سوريا ، ولو كانوا .. الذين يشنون أن يتفلسفوا .

\*\*\*

تلك النقاط في تاريخه .. كم أسدنى أن أدركها - قبل أن أعض قلبي من آخر معقول - وأنت عندها في خشوع وإكبار وتأمل - وإن كان الوقت قد فات ، ولم يعد مبسوراً أن أطيل الوقوف حيث كان ينبغي أن يطول . ويطول .

( ٣ )

وأحبك تذكر ذلك الجهد الذي بذلته - وأنا أنسأل عن شيوعية « جمال » وإحرايته ووديته وأمريكيته - حتى استطعت أن استخلص من الأحداث أنه لم يكن شيوعياً ولا إنشوائياً . ولم يكن ودياً ولا أمريكياً وإنما كان : « جمال عبد الناصر »

وفي حديثه مع « دافيد وين مورجان » سئل « جمال » عما يقال عن محاولة له واسعة لاستكشاف الأحزاب السياسية في مصر فوافق على أن الأحزاب السياسية شنته طويلاً « سنوات التكوين » وأء انضم لمدة عشرين - بعد مظاهرة الاسكندرية - إلى جماعة « مصر الفتاة » و « لكني تركتها بعد أن اكتشفت أنها رعم دعاؤها المثالية لا تحقق شيئاً وانسحقا » ..

وكرر « جمال » إنه فوئح في عدة مناسبات في أسر اصحابه إلى الحزب الشيوعي : « لكني رعم دراسقي للذهب للماركسي ولكتابات لينين وحدثت أمامي عقبتين أساسيتين ، عضتين كنت أعلم أنه لا سبيل إلى التقلب عليهما » العقبة الأولى هي أنه الشيوعية في جوهرها ملحدة وكان هو دائماً سلفاً صادقاً ومؤمناً بالله ، ويستحيل على

أى إنسان ( أن يكون مسلماً صادقاً وشيوعياً صادقاً ) ، فأما العقبة الثانية فهي أن الشيوعية ( سيطرة ) من ( روع ما ) من الأحزاب الشيوعية المسالية وهو يرفض هذه السيطرة ولا يرى فرقاً بينها وبين السيطرات التي يقاومها من المحتل ومن الإقطاع .

واعترف «حال» بأنه كانت له اتصالات بالإخوان المسلمين رغم أنه لم يكن عضواً في هذه الجماعة ، وإنما أحس قوة زعيمهم حسن البنا ، ولكن عيبتهم كان ( التنصب ) وهو يرى أن ( التناصح ) يجب أن يكون ركناً من أركان المنهج الذي يلم به .

واعترف «حال» أن الحكومة الرئدية ضمه هو وذكراً محي الدين ومحمد أمور السادات من أبناء دته وأبناء ثورته عندما أصدرت بعد معاهدة ١٩٣٦ مرسوماً يقضى بفتح الكلية الحربية للشبان بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية وثروتهم فكان الثلاثة مع نفر من الآخرين الذين ظلوا فيها بعد رفاقاً حبيبين ضمن من استطاعوا الانتفاع بهذا الوصع ونخرج الثلاثة في سنة ١٩٣٨ وهموا في مشاهد تم قتل في سنة ١٩٣٩ إلى الاسكندرية فالتقى بعد الحكم عامر وكان يشاركه الاعتقاد في ضرورة الثورة والتغيير ، وسارت الأمور .

• • •

هذه النقطة من الحديث تثير أموراً ..

تثير ذكرى أكاديب المنصوم ، وترسم صورة لبراهتهم .

كانوا يعرفون أن «حال» درس الماركسية ، وفتح في الاعلام الشيوعية ، وكانوا يعرفون أنه كان على اتصال بالرفديين عن طريق لجان الطلبة ، وكانوا يعرفون أن أمريكا حاولت أن تطويه بدأ من الثورة ، وعبر السنين التي توالى حتى ظهرت خصومته لهم ، خرف المنصوم كيف يسدون إليه تهمة الشيوعية ، وتهمة الإحواية ، وتهمة الرئدية ، وتهمة الأمريكية ، كل في حيسها ، لم يلقوها من القراع ولم يخلقوها من العدم ، وإنما كانوا يبحثون في تاريخه عن ( حقائق ) ليستخلصوا منها الأكاديب ، وكأنها صلا ( مصاح ) لها آلائها ولها رجالها ، ولا حيرة أكبر نصيب .

• • •



وتتبر هذه النعمة أيضاً ما أظنه جمال من قراءاته للذاهب ، ومن اتصالاته بأصحابها ، في الانتفاع بكل ما فيها من ثمار الفكر المبدع — والشيطان عسه خلاق ومبدع — ليخرج علينا بالناصرية مصرية الجنود عربية القروع — لا شرقية فتلمذ بالله والأحلاق والقيم — وتؤمن بالصف والإرهاب وحماسات الدم ، وتسود طبقة واحدة تم تسطر ، ولا عربية تؤمن رأس المال والاحتكار وتفرق بين الطبقات وتتضم مواطنها واحداً ، ليجوع بسببه مائة من المواطنين .

( ٤ )

وفي سياق البحث عن كل ما أستكمل به بحثي أذكر كشفاً لصحفي مصري أكبر من كشف ( وين مورجان ) لأن الكاتب الانجليزى إنما سأل وأجيب ، أما الكاتب المصرى فقد بحث وأصلب .

نم ذكرت مصطفى أمين وكشفنا له وعن إليه ، ولا أراى فى غنى عنه ، وهو ركن فى الشخصية صارب الجنود فى ماضيه وضاء الحيين فى البيلة الممتدة .



فى السابع من يوليو نشر مصطفى مقاله وسرد عليها التهمة كاملة ، قصة ( أخبار اليوم ) وكيف كانت أول جريدة فى العالم تكتب عن جمال عبد الناصر ، ويفاجأ مصطفى بهذا الشيء الغريب الذى نشرته جريدته ، وهو يقلب صفحاتها ( بحثاً ) عن دور الصحافة فى التمهيد لثورة ..

والقصة أن ضباط القانوجيا المحاسرين ، كانوا يصعدون مجلة من نسخة واحدة بخط اليد وكان اسمها « مجلة القانوجيا » وفى أسد أعدلها وحده « محررها !! » عشرة أستة إلى عشرة من أفراد القوة من مختلف الرتب وكان السؤال :

— ما هى أمنيتك فى الحياة إن عشت ؟

- وقال السيد طه قائد القارجيا « وضعها للشهور » :  
— « فيلاً ملك في الإسكندرية .. والصحة والسر » .  
وقال القانع نام منيد رزق الله :  
— « آكل واعيش منهي » .  
وقال اليكباشي يس حرابي :  
— « أسم بالحياة بين روحي وأولادي » .  
وقال الصاح جمال عبد الناصر :  
— « أحقق مبادئ وأرى مصر بلغت ما أرجوه لها » .  
وقال اليز باشي أمين أحمد :  
— « أشوف إنني ف مركز كويس » .  
وقال الملازم أول أمين فريد :  
— « السر » .  
وقال لللازم ثان مدحت شعيب :  
— « أقصر شويه » .  
وقال العسكري السواحلي :  
— « أخى رطاعي » .

ولا أحب أن أعلق .. إنما أحب أن تردوا هذا الكشف العجيب إلى بعض من  
شخصية هذا القائد من مطالع الصبا .. بدءاً من البذور والجنود .. وانتهاء إلى قمة العود .

ومرة أخرى لا أحب أن أعلق ..

وأكتفي بقول مصطفى وهو يقب على الخبير :

« إنك لو قرأت هذه الصفحة من أخبار اليوم قبل قيام الثورة بثلاثة أعوام وخمسة أشهر .. ودقت في الإجابات لأمكنك أن تضع أصبعك على البطل » .

وأصيف من ناحيتي وصفاً فقط لهذا « البطل » .

— لأمكنك أن تضع أصبعك على البطل ، وعلى دوره أيضاً ، ذلك المورد الذي ظل يهيم على وجهه في منطقة الشرق الأوسط باحثاً عن البطل كما قال ( ناصر ) في ( علقة الثورة ) .

### ومن الأحداث ؟

وإذ انتهت مهتمتي في الجانب الأول من هذه الأحاديث .. ( من ناصر .. ومن فه ) نرى أن نقف قليلاً عند أحداث لم نغسبها ( من فم الأحداث ) غسبها ، وكل حدث منها يسأهل كتاباً ، ومن يدريك ، لعل القدر يأذن لي .. وأحدثك عنها في كُتُب ، أما الساعة فهي ليست من مهابي إلا من حيث اتصالها بالرجل ، ولكن بأي رجل ؟ هل هو الذي تأمرت عليه ؟ أم هو الذي آمنت به ؟

هناك أحداث تتصل بالرجل الأول ؟ ومراسل التحول ، ولكن أرجأتها إلى هذا للكان من الكتاب لأنها هي أيضاً ما تزال تتحول ، ولم يكن سهلاً أن يحكم عليها في مطالع مجموعها ، كأجهزة الثورة ، وهناك أحداث تتصل بالرجل الثاني ، رجلى الذي آمنت به لأنها وقعت بعد أن آمنت لنا رادتي إلا إيماناً ، كأحداث سوريا ، وتعاون حكومتها مع إبليس والشيطان ، والفرير والجان ، صد عبد القاسم ، وتقديمها بالشكاية إلى مجلس الجلاسة البرية ، والنسحاب ناصر من عصوية هذه الجلاسة ..

مثل هذه الأحداث وقعت كلها بعد إيماني ، فرادتي لإيماننا ومن حقها على الريشة التي في يدي وهي تستودعك الفصول الأخيرة أن تجري بكلمة حق عنها .

## التوعية والميثاق

« إن فلسفة العمل الوطني يجب أن تصل إلى جميع العاملين في الوطن في كافة المجالات بل ويجب أن تصل إليهم بالطريقة الأكثر ملاءمة بالنسبة لكل منهم » .

« إن الوضوح الفكري أكبر ما يساعد على نجاح التجربة »

( حقيقتان ) كبيرتان موحودتان في ( الميثاق ) .

ولا سبيل إلى الربط بين كافة المجالات في الوضوح الفكري عبر التوعية .

و ( التوعية ) إذن هي إحدى العمليات التي يقوم عليها بناء المجتمع الجديد .

ويبدو أن ( الدعوة ) سبقت ( الميثاق ) بالبدء في التوعية ، في كثير من المجالات ولا نقول ( في كافة المجالات ) .

ولكن ( الميثاق ) متى ياربط بين هذه المجالات فتابعه بالربط بين أجزاء البناء .

ومن هنا أحب أن ألاحظ - كقول من هذه المرة عبر مهزوز ولا مقرد - أن وسائل التوعية تزداد ، تصد المجالات والمستويات ، ولكن شيئاً ما ينقصها حتى يربط بينها وحتى تغدو كلها مشدودة إلى البناء ، شيئاً لا بد أن نعمله يوماً ( روح الميثاق ) .

\*\*\*

وسائل الإعلام هي أسطر جانب من جوانب هذه التوعية ..

وقد سجلت هذه الوسائل في جوانب منها نتائج مذهلة - دعا إليها ( الميثاق ) ، من قبل أن يصدر الميثاق .

« ولم يعد في شرقنا العربي - وفي كل أرجاء الدنيا المعنية بوسائل الإعلام - من لم يجهز التقدم الإنعاشي والتليفزيوني في الفترة القصيرة الأخيرة .

• وليس من شأننا أن نرجى انتهاء لشد الغبار حاتم أو لأعدائه ، فالتناء مكانه في الصحف ، أما الكتب فنشمل الحقائق .

• إن التليفزيون المرئي - مثلاً - أنتت ( توريته ) بصورة مذهلة وغير مسوقة .

• إن الإذاعة - محناجيا - أخذت بين إذاعات العالم مكانة لم تتناول إليها إذاعات الدول المنظمى إذا قيس هذا التناول بالزمن الذى استغرقه التقدم .

• إن مصلحة الاستعلامات - والمطبوعات التى تنفرد بها جماهير العروبة - سجلت هى الأخرى رفقاً قهاسياً بشير النهضة ، وأهيجت سوق الفكر تستقبل كتابها مطبوعاً فى كل ست ساعات .

• إن التأثير الذى أمست وسائل الإعلام فى القاهرة تحدته فى كل مواطن عربى خارج الحدود المصرية ، بات خطيراً ورهيباً ، وأسهم بتصيب شغلهم وورهب أيضاً فى ذلك معقل الرحبة وهز الكراسى تحت الحاكين المنتصبين بهذه المناقل ، فاعطقوا شرقاً وغرباً يتأجرون كل مصرى قار ، وكل أفاق وصال ، وكل من يحسن الإنقاء أو التمثيل أو التأليف ليواحهوا تيار العروبة وهو يزحف فوق اللوجة العارمة ، موحية الأثير إذاعة ، وموجة الكلمة .. كتباً ..

• إن (السياسة) هى الأخرى بدأت تلعب دورها فى توعية السامعين نهضتنا وحدث المدد الكبير منهم الى بلادنا ، بوسائل دعائية بارعة ..

• إن الملصقات فى كل حارة وشارع وفوق كل لوحة وجدار وواحدة ، وعلى كل أداة تقل تدب فوق أرض الوطن بدأت هى الأخرى تدير الرموس .

• إن المكاتب التى يشها بمجى أبو بكر باسم (الاستعلامات) فى عوامم المحافظات والمدن الكبرى آسدت طريقها مع الزمن الى قلب القرى لتزسل على طلابها أوار الفكر للتورى .. وهجاجة .

كل هذه حقائق ..

وكلمها قامت قبل أن يصدر (الليثاق) ..

ولكن (الليثاق) صدر ..

وصدر (كلاً) متناسق الأجزاء ، ودعا كل قطعة أن تأخذ مكانها الصحيح ، في الآلة  
الصنعة ، حتى تضغط الزر وتدور الآلة ..



و (التوعية) ، بكل شعبة فيها - لا بد أن تستهدى بالليثاق ، في التنسيق  
بين (الشُّعب) ..

وإذا قيل إن المشرف على السياحة والإغاثة والتليفزيون والاستعلامات كاد يحاور  
الطاقة البشرية فيما يبذل من جهد ولا يستطيع أن يرى شباك نشاطه إلى أبعد من هذا  
المدى .. من (الليثاق) - إذا قيل . - يستطيع أن يرد على هذا القول ، بوجود (ناصر)  
وأن (ناصر) لم يتعصب ليكون رئيساً (موظفاً) قدوة ، وإنما انتخب لأنه (ناصر)  
وهو مشرف على التطبيق ، ومؤمن بالتنسيق ، فلا خوف على وسائل التوعية ،  
مهما تمدد لأنها مشدودة بالليثاق ، إلى أهداف لا تتناقض .

والتوعية - كما يريد (الليثاق) - تكاد تقتضى ورارة خاصة بها ، تشرف  
من بعيد على كل قطعة في الآلة .

و (الصحف) - مثلاً - كوسيلة خطيرة من وسائل الإعلام يملكها (الاتحاد  
القومي) ، و (نار الفكر) وأجهزة (الكلمة) . كلها موزعة بين (الاستعلامات) و (وزارة  
الإرشاد) ، و (وزارة الأوقاف) ، و (إدارة التنمية) وجهات لا حصر لها ، ولا يربط  
بيها غير الاستهداء بهدى (الليثاق) ، و (الإدارة المحلية) في المحافظات تسهم في التوعية  
كل حسب حاجتها ويتبناها ، ولكن الدمج المادى المعنى الذى يجب أن يستهدى به  
الجميع وهو (الليثاق) بجم بعيد ، مكانه في السماء ، وأنا من الساجدين في الحراب ، وكل  
أمل أن يدنو هذا (النجم) منا ويتلنى ، حتى يبلغ القرية على مستوى إدراك القرية ،  
ويصل إلى المدينة على مستوى إدراك المدينة وهو ما طالب به (الليثاق) .

ويصدق أحيراً ، وأنا أتحدث عن «التوعية» التي أنا دائماً مشغول بها ومفتون بها أن أهدى إلى كل مشغول عن توعية الجماهير في منطقة الشرق العربي كله هذه الكلمات المنتقاة من صحيح «الليثاق» .

● « إن جهوداً عظيمة وواعية يجب أن تتجه أيضاً إلى فتح الطريق أمام التيارات الفكرية الجديدة حتى تستطيع أن تحدث أثرها في محاولات التمييز وتصلب على بقايا النشئت الفكرى الذى أحدثه وسط ظروف القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين » .

● « والجمهورية العربية للتحدة وهي تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية لا بد لها أن تنقل دهرتها والمبادئ التي تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربي ولا يبنى الزنوف لحظة أمام المحبة البالية القديمة التي قد تشبه ذلك تدحلا منها في شؤون غيرها » ...

## والعلم ؟

و « العلم » طالب به « الليثاق » لأن الثورة إذا تحلت به كانت « مجرد انفجار عصى تنفسه الأمة عن كبتها الطويل ولكها لا تنير من واقها شيئاً » .

و « ليثاق » يرى أن مسئولية الجامعات ومعاهد البحث العلمى في صنع المستقبل لا تقل عن مسئولية السلطات الرسمية المختلفة ... وأنها طلائع مضدمة تستكشف للشعب طريق الحياة .

● ● ●

وفى ٢٦ يوليو وفى «استاد الإسكندرية» خطب الرئيس وفى بساطته للأثورة أرسل العبارات المخطيرة التالية :

— « النهارده بعد مرور عشر سنوات من الثورة ... أستطيع أن أعلن أننا منذ

العلم الهامى القادم ... سنجل التعليم كله مجاً في المدارس والجامعات  
وللمعاد الدنيا .

أى عبارة أرسل ؟

يا أنسى جمال ... يا ابن شمسى العريق .

أملك أنا الآخر عبارة لا تقل خطورة عن عبارتك ... أملك أن أقول لك  
— وقد ضلتها — أن ابن أسمى الفلاح .. سيرج من قلب « سواه » العقيدة عما  
قريب ليدخل الباب الذى فتحه أمامه ... بغير مقابل ... وسأقدمه إليك بقلى التواضع  
بعد سنوات قلائل — إن مد الله لنا فى الحياة — سأقدمه لك باسمه الجديد يومذاك  
« بوبوئيش الصيد الأوسط ... يقدم فتاة تحبته » .

## والصاروخ ؟

وق عهد الثورة الناصر وقف جمال يحطب الجماهير ويقول لم :

« كنت تحبى تقولكم أن هذا الجبل من شطب مصر على موعد مع القدر »  
و « الهارده بعد عشر سنوات من الثورة أقدر أقول أن هذا الجبل جاء فى موعدة  
مع القدر » .

ثم قال لم وهو يتحدثهم عن الصناعة .. وفى صلطة مرة أخرى :

« كنا سنة ٥٢ بنتورد إرة الخياطة وبتتورد للسيار ... وبتتورد ما كية  
الخياطة وبتتورد العرية بتتورد كل حاجة — التهارده بتستطيع أن تضر بأننا صنع  
كل شىء من إرة الخياطة إلى الصواريخ » .

واطلقت الصواريخ ..!!!

يا أنسى جمال ... يا ابن شمسى العريق .



صدقتي أن هذا النتج العلمى الذى أتى الرعب فى قلوب الملوك واليهود ...  
لم يدعشقى .. إنها صواريخ متواضعة ... وهم يعرفون مدى تواضعها ... إذا قبست  
بالصاروخ المرعب .

إن الذى يخيفهم صروخ آخر ... بعيد للذى ... عابر القارات بدءاً من آسيا  
وانتهاء إلى أمريكا اللاتينية ... أنت ذلك الصروخ عابر القارات يا أسنى ... يا ابن  
شمس ... ذرى وقد دخلت مصر عصر القضاء ... ذرى أسنى الرأس إكباراً ... وردنى  
الهمم إيماناً .

## رفضنا إنذارهم ؟

وما دما قد عرضنا محمولين على هذا الصاروخ لحطاب ■ جمال ■ فى هيد الثورة  
الماتر ... يمدنى — وقد صفيت الميوب إلا جيباً ، أن أصق على مطلع العيد ذلك  
المليح الأخير ... وقد صعد هو ولم يهوجنى إلى أى تصفية ... وتنت من خطابه أن  
الإحليز كانوا قد أرسلوا يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ إلى مقر القيادة فى الإسكندرية إنذاراً  
من السفير البريطانى أو القاتم بأعماله وتسله أمور السادات يملون فيه التوار مشولية  
ما يحدث للأجانب ويطلبون حظر التجول وبقاء الملكية ... ورفض جمال الإنذار  
ولم يمنع التجول وتراجع الإحليز .

ولم أكن أمرف قصة هذا الإنذار يوم شككت فى الثورة على مطالبها وتساءلت  
عن القوات البريطانية فى القتال إن كانت تنوى أن تتحرك وتصرب (أم أن المحتلين  
راضون عن التصير ؟ )

وها نحن أولاء نرى ... أنهم لم يرضوا ... وأنهم وجهوا إنذاراً ... وأن صانع  
الثورة رفض الإنذار . وأن التجول لم يحظر ... وأن الملكية طوى بساطها ...  
وانفص سلمها .

## والوحدة أخيراً

وأبقيت لفرغ الفصل أعلى الأحداث ... وأعذب الأحاديث .. الحديث من الجزائر والحديث عن إقليمنا الشمالى ... عن سوريا الحبيبة ... عن جناح من جناحيننا .. بلى عن الحركة الحقيقية بين الاستعمار والرجعية وبين الوحدة العربية تجرى فوق أرض سوريا . وتجرى فوق أرض الجزائر .

والأسر لا يموزه وضوح .

وفى الميثاق باب بذاته من أبوابه المشرفة . موضوعه ( الوحدة العربية ) .

وأرل سطر فى هذا الباب :

— إن مسئولية الجمهورية العربية المتحدة وى صنع التقدم وى تدهيمه وحمايته .  
تتمدد لتشل الأمة العربية كلها .

• إن الأمة العربية لم تندى حاجة إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها .

• لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة وأصبحت حقيقة الوجود العربى ذاته .

• ولا يمكن أن تدل أساليب الانقلاب السكرى ولا أساليب الاتهازية الفردية ولا أساليب الرجعية المتحكة ، على شىء إلا على دالاتها على أن النظام القديم وى العالم العربى يمدى جنون اليأس وأنه ينفد أعصابه تدريجياً وهو يسمع من بعيد فى قصوره المنزوعة وقع أقدام الجماهير الراسفة إلى أهدافها .

• إن الاستعمار الآن غير مكانه ولم يعد قادراً على مواجهة الشعوب مباشرة وكان مخبؤه الطبيعى بحكم الظروف داخل قصور الرجعية .

• إن الشعوب تريد أمثلها كاملاً ، والجماعة العربية بحكم كونها حاملة للحكومات لا تقدر أن تصل إلى أبعد من اللسكن .

• إن الحاشية العربية قادرة على تنسيق أوزان ضرورية من النشاط العربي في المرحلة الحاضرة لكنها في نفس الوقت وتمت أي حصار وفي مواجهة أي ادعاء لا يجب أن يتخذ وسيلة لتجديد الحاضر كله وضرب للمستقبل •.

\*\*\*

وكان اليتاق كان يقرأ (المسب) وهو يسجل هذه (الحقائق).

والمرحلة التي قامت في (شورا) بين الحكومة السورية (غير الشرعية) والجمهورية العربية المتحدة .. أرادت أن تتعد من الحاشية (وسيلة لتجديد الحاضر كله وضرب للمستقبل •) تأمياً لنفسها ، ولها كين الحاشيين الذين يساندونها والاستعمار المحتش ، داخل قصورهم .

وقصة الرحلة معروفة .

وقصة التفرق بين الإقليمين معروفة .

• • •

وفي عهد الثورة العاصمى خطاب الرئيس فقال :

— « أنا لما أبص للعلاف ما با اشعرشى أبداً نأى نوع من الندم ، ولو عادت سنة ٥٨ مرة أخرى قبلنا الوحدة مع الشعب السوري » .

وقال بحالط الشعب السوري من القاهرة :

— « أيها الإحوة عن معكم على طول الخط . أيها الإخوة إما لم تكفركم أبداً » .

\*\*\*

وبقية القصة معروفة أيضاً .

جاء الوفد السوري ليعرض شكواه على مجلس الجامعة العربية للوقوف في «شورا» اللبنانية .

وسائر الوفد العربي إلى « شنورا » ليرد على هذه الشكوى .

ويجت الوفد السوري . وهو يرى أن رسالة الوفد العربي معقودة الاواء إلى « أكرم ديري » السوري وأن الوفد مكون من سوريين آخرين ومن سفيرنا في بيروت . وهذا معناه أننا لا نتعرف بشرعية ( الحكومة الاصلية ) ولا بشرعية ( الاضلال ) الذي ركب الرجسبون السوريون قبة موجه .

وفرغ الوفد السوري من عرض شكواه . ومن الإدلاء بكل ما حمله حكومته من سباب ... و فرغ الوفد العربي من الرد عليهم في حدود الموضوعية و بأسلوبها .



وفي الثامن والعشرين — الثلاثاء — من أغسطس ( آب ) قدم أكرم ديري إلى مجلس الجامعة في بداية جلسته التاسعة بياناً رسمياً انسحب بصدده إلى خارج القاعة .

وفي هذا البيان يعلن وفد الجمهورية العربية « أنه ما لم يقل مجلس الجامعة العربية في هذه الدورة كلمة صريحة واضحة في كل مهرة السباب والشتم التي جرت من فوق منبرها فإن الجمهورية العربية المتحدة تقرر أن تنسحب من جامعة الدول العربية » .



وليس من مهيبي في هذا المكتب أن انسحب إسرار الجمهورية العربية على الانسحاب من الجامعة العربية رغم الوساطات التي بذلت من الرئيس اللبناني ومن أمين عام الجامعة وغيرهما .

وليس من مهيبي أن انسحب الحلف العسكري الذي قلم بين السعودية والأردن  
حرمًا لأخطار ( ناصر ) .

ولكنني أحب أن أعلن صراحةً — وداخل إطار أهدافي ومراسل تطوري غير كتابي — أن الوزير السوري الحقير — وأستغفر الخفافق — خليل الكلاس . لو أنه

فصل فلكه . يوم قررت الانضمام إلى التشكيل العسكري المجهول متى . لنخلص ( مصر ) من ( عبد الناصر ) فيا بين عامي ٥٦ ، ٥٧ لما ترددت يوماً لحظة في أن أستنفر ( عبد الناصر ) من خطيئتي . ولما ترددت لحظة في التأخر على الكلاس وعصائه — فرض كفاية عن العرب جيهاً — وتطهيراً لشرف الروبة التي يبرخ في الوحل على مسمع من ( رجال ) يمثلون ( دولا ١٢ ) .

وبيني أن نظن أن أمر في لحظة انفعال .

والكتاب ليس بمجة أو جريدة . حتى أضل فيه بالأحداث التي تتخبر .

وليس أريد من الحقيقة من أن نظن أن أقصد إهانة « الكلاس » بسباب معاد .

دعة وضيراً . ما تصدت إلا أن أقرر حقيقة أرسها الإدراك قبل الشاعر . ولا محل أبداً لأن نبيش فرق هذه الرقة العربية من هذا الكوكب الأرضي . ونسى أضنا ( دولا ) إذا سمح ( لرجل عربي ) يمثل ( دوة عربية ) أن يقول عن عبد الناصر أنه ( جلوس صبيوني ١١١ ) .

و « أن الجمهورية العربية لم تصنع أي شيء لكفاح العربي ١١١ » و « أن الجيش المصري بصواريخه جيش قذرة والاستعراض ١١١ » .

و « إن الجمهورية العربية خذت في سوريا سياسة رحيمة استمارة بجمرة ١١١ » .

تواين يوليوكبير ، سياسة رحيمة ١١٢! ماذا تكون التضمية إذن ؟

إعلان المصارف الفرنسية والإنجليزية وتعريبها سياسة استمارة بجمرة ؟ ماذا تكون الوطنية إذن ؟

جيش مصر التي تصرخ من صواريخه إسرائيل في نفس اليوم الذي خطب فيه الكلاس جيش المعرض والزينة ؟ ما الذي — إذن — يحول بين إسرائيل ، وبين أغنيتها المحسومة « من القرات إلى النيل » ؟

جمال عبد الناصر ( جاسوس صهيوني !!! ) ماذا أقول ؟

وهل يقال مني بعد هذا كله .. أني أتصد إلى الشتم وأنا أقرر العقوبة التي أراها  
عادلة ؟

وأنا لا أعني بالعقوبة شخصي هذا (الكلاس) ، لأنني لا أهرنه .. إنما أهدته  
رمزاً وعشت في شخصه عن الطريقة التي يمكن أن ترد على العروبة شرفها الذي  
ديس ، وعرتها التي حرقت ، ولسن حرى ، وفي منظمة عربية لحكومات أو لدول ،  
وهي مسع من مندوبيها الأمثال !!!

\*\*\*

وقد لا يكون من حق أن أتذكر حرفة ( الكاتب ) إلى حرفة ( العراق ) .

ومع ذلك أراي مشدوداً إلى شرف ( المرأة ) لأقول لك في رفرق هذا الفصل  
شيئاً ، لك أن نسيه ( نبوت ) ولك أن نسيه ( طالتا ) .

\*\*\*

أريد أن أقول أن هاتماً يطارد أذني في كل ليلة وأنا أسبل برأسي إلى الوسادة أرادود  
الدوم ، هاتماً هاساً يصب في أذني الصبارة التالية :

— « كما قتل شعب العراق بضمير ونوري وعبد الإله ، سيفعل شعب سوريا  
بنظري والمعلم والمحوراني والكلاس ، وكل حوراني وكل كلاس ، وهما قريب » .

سحل صارة هذا الهاتف في حائطك أوفى ذا كرتك ، هاتني قل أن يكذبني .

وستلقى يوماً ... وتذكُرني .

وتد تلقني قريباً ... وتذكر مساً فوق أرض سوريا الحبيبة وفي دمشق  
قلب العروبة .

\*\*\*

## والجزائر ؟

ووددت - وقد أرجأت (الجزائر) إلى آخر فصولي ... أن أحييها .  
ولكنني أردت قلباً سزيقاً من هذه المحاربة ... وأطوى قلبى إلى حين على  
هذه التحية .

إني أكتب هذا التمثل في لحظة حاسمة من لحظات التاريخ العربي .  
إني أكتب لك هذا التمثل والخلاف بين زعماء الجزائر على أشده .  
والزعماء دائماً يختلفون ... متى وجد في البلاد جندي واحد من جنود النصر .  
إن الاستعمار يزال (لبسته القديمة) ... إلى آخر لحظاته .. ويزاولنا حتى وهو  
يلفظ آخر أمله .

إن تاريخ النضال في الجزائر تنامي في الترابية .

إن كنفاح بن ميللا وشعب الجزائر ... فاق كنفاح دى فاليرا في إيرلنده وماوتوسو  
تورنج في الصين .

إن التاريخ لم يشرف عبر كتابه الكبير بصفحة أشد إشراقاً من الصفحة التي  
كتبها شعب الجزائر وهو يقاتل - أمهل من السلاح أو كالأعزل - قوات باعية  
جاوزت صف للبيون هذا ... وعلى مدى سبع سنوات بنير توقف ... وعلى هذا الذي  
صمرت قومي بأكلها ... وتوارت عن الحياة أسر بكل أمر لها ... ولم ينج بيت من  
الباقيين ... لم يقدم على مذبح الجهاد ضحايا .

وبعد سبع سنين في الحرب .

وبعد ١٣٢ طمأ في ملام اليهودية والاحتلال ... جاء النصر .

وفي ساعة النصر وقع الخلاف .

إلى أكتب لك هذا الفصل ، وقوات من ييلا تنجبه إلى مدينة الجزائر باسم  
(الكتب السياسي) لتمر الأمن فيها . وقوات الولاية الرابعة التي تحتل المدينة ، تعقم  
للناريس في الطرقات وتنصب للدفع في أوكارها على مداخل المدينة استعداداً لرد جيش  
هشتر رها . والجيش الفرنسي يحوب بدياباته بعض الأحياء لحماية المستوطنين الأجانب .  
موقف تهاى في الترابية .

ولكى مؤمن برغم هذا كله أن الجزائر المنظمة لا ترجع بشعبها للقتال خطوة  
إلى الوراء بل إن شعبها للقتال ، بدأ يتدخل فعلا ، وعلى صورة لا يرتفع إليها ،  
إلا شجب الحرائر .

تدخل الشعب الجزائري ، وجاءت الأخبار بأنه خرج بشيبه وشباهه ، ورجاله  
ونسائه . ورددوا في الشوارع ليبنوا تقدم أى جندي جرائى نحو جندي جرائى  
آخر . فعلا في الجزائر ما يقفه برتراند راسل في لندن ، ومن غير حاجة إلى فلسفة  
أورلى فيلسوف .

خرج الشعب الجزائري يحمل اللاهات ، وقد كتب عليها : (سبع سنوات تكفى) .  
إنهم يقيمون (متاريس بشرية) ، مهم ومن أطفلم ، ولا يباليون أن تمر السيارات  
المصفحة فوق أجسامهم ، وقد أتر الشهيد في جنود الطرفين المرابطين حول مدينة  
(الدية) فأنحوا وتناول السكبرون مهم طعام الشاء مساً .

مثل هذا الشعب لا يتفرق أبداً ، مها يتفرق السلسة بفعل الاستعمار  
أو بفعل المطامح .

## ناصر .. والجزائر

وإذا كانت (المخالطة) قد حدثت على مدحا ، إلى ذلك الحديث الحزين الذي  
خضت على مسع منك ، فطهير أن أعود إلى (الجزائر) ، من حيث اتصالحا بأهداق .  
كنت أحب أن أرخص لنفى في فصل طويل كامل ، أنأول فيه أحطر بأمية



في حرب الجزائر ، ناسية الصلات بينها وبين ( ناصر ) .  
ولكن للموقف لا يحتل الساعة مثل هذا الحديث .  
ولا أشك في أن ( ناصر ) ، على اتصال في هذه اللحظة بالجزائر ، ولا محل إذن  
لأن أتحدث عما صنع لها ، أو قدم .

هي نقطة واحدة أريد أن ألمح إليها على استحياء وأطوى أوراقى .

« إن القى تاز في الجزائر ، هو شمس الجزائر .

« وإن القى قاد الثورة في الجزائر ، هم الطليعة الثائرة ، الذين يمانون بطلان ناصر .

« وإن قائد هذه الطليعة هو أحد بن بيلا .

« وإن أحد بن بيلا كان يد الثورة من مقفه في القاهرة .

« وقد اتفق جمال بن عبد الناصر ، مع أحد بن بيلا على إشمال الثورة في الجزائر -

« وتمهد « جمال » بأن يد التنوار بالسلح .

« وعندما وصلت الأسلحة الناصرية إلى نوار الجزائر أعلن بن بيلا ثورة الجزائر .

« وكان الوزير الفرنسي على سق يوم قال إنه إنما شارك في المدوان على القتال

لأنه إنما جاء ليحارب الجزائر على أرض القتال .

« وثورة الجزائر إذن — لها قائد ووالد ، قائدها المكرم بن بيلا ، ووالدها

الروحى وراميهما ومتبنيهما هو ناصر ، و « الخوراني » و « الكلاس » و « المظلة »

يعرفون هذه الحقيقة الرعية الراسة .

« وهذا السر لم تعرفه الجماهير — وعبراً — إلا بعد أن دقت ساعة التبصر

في الجزائر .

« وحتى اليوم لم يثأر « ناصر » أن يتحدث عن دوره في الجزائر وأسلحته الجديدة

حلتها السفن العربية ووصلت بها إلى وهران وأنا أكتب هذا الفصل . بل جاءت الساعة

أباه باستيلاء بن بيلا على مدينة الجزائر بنور قتال .

ولسوف نتحدث جيئاً وقريباً ، وللهم أن يعود السلام إلى أرض الجزائر .  
وهو لا بد قائم .

### وبعد !

أرجو أن أكون قد استطعت أن أقبل إليك هذه الأحاديث من « قم ناصر »  
ومن قم « الأحداث » وعلى مستوى المرحلة السادسة والمشرىن — على مستوى التوصل  
قبل الأخير من كتابى — فى موقفى من « الرجل الذى تأمرت عليه » .. أستمر الحق  
وأبدأ من الآن أقول : فى موقفى من « الرجل الذى آمنت به » .



## الفصل السابع والعشرون

### الميثاق

ليس أبعد عن الحقيقة من الظن أنى سأتناول « الميثاق » بالتعليق أو بالتصويب أو بالحمد أو بالنقد .

ليس أبعد عن الحقيقة من هذا الفن .

والكتاب أصلاً لا يستهدف « الميثاق » .. إلا من حيث كونه « الحدث للتير » الذى اخترته لأشهر — عده — إيمانى بناصر وبالناصرية .. لأشهر إيمانى لحناً ناهياً من صميم الروح والوجدان .. ومن أعماق الصبر والإدراك .. أو قمه بكل أصابع القلم .. على أوتار هذا ( الحدث للتير ) .. سميماً .. سعادة من اهتدى إلى الحق وآمن .. .

أما ( الإيمان ) فى ذاته .. فقد خاض إلى كلاله طريقاً طويلة .. مليئة بالإقدام وبالتردد .. ومليئة بالتعطف والتضخم .. ومليئة بالدراسة والترصّد .. وأنت على هذه المراحل شاهد .. ولم يستكمل ملاحظته إلا على قرارات ( يوليو الكبير ) عندما سلأت كل فراغ ، وسدت كل ثغرة ، وصفت كل الجيوب .

ولقد قلت لك أنى كنت يومها أنتظر ( حدثاً شياً ) أعلن الناس فيه — ودافع  
أفعال بالغ العنف ، أنى آمنت

وحاه الحدث للتير .. ميثاقاً .

ولم يحوجنى ( الميثاق ) إلى أى اضمال .. أو أى انسياق .

ولم يكن ( اليد القوية التى أمسكت بيدي .. وظلت تضغط وتضغط .. فى حزم )  
البرى ، وفى صفان الرهيب ، كما توقعت فى ( التمهيد ) .

وإما جاء ( الميثاق ) فأتانى قد جشوت على ركبتي فى محراب ( يوليو الكبير

ولاجاء ، ملاّ الحراب تور ، وكل ماقله الليثاني أنه صلح في : ( أسجد وانترب )  
لجئت أصبح فيك : « آمنت ، بالرجل الذي تأمرت عليه » .

\*\*\*

ثم أي جنوى تعود عليك من حديثي عن « الليثاني » ؟  
لقد قرأته أنت كما قرأته أنا وكما قرأه كل عربي ، وكل ممنى بشئون هذه  
المنطقة العربية .

ولا أعرف — على كثرة ما قرأت — حدثنا مقروماً تناوله الناس بمنزل ما تناولوا  
به هذا الحدث ، خطابة وكتابة ، وتعليقاً وتعليقاً ، وثقافتاً ملؤه الجد والحدة والحرارة...

و ( الليثاني ) أصلاً ، كان ( مشروع ميثاق ) ، وقد طرح على ساطع البحث ووضع  
موضوع النقاش ، أمام مؤتمر شعبي غير مسبوق في تاريخ الشعوب ، مؤتمر ضم أعلاماً وسبهاً  
وحسين عضواً من الرجال والنساء ، أوفدتهم إليه ( القاعدة ) من صميم القرية ، وعلى  
كل مستوى ، ومن كل بيئة ، حتى الرعية التي تمصب رأسها بالمندبل ، جاء بها  
الانتخاب إلى هذا المؤتمر ، وناقشت الميثاق .

ورأى ( السيد يوسف ) وزير التربية والتعلم أن من حق ( التلاميذ ) بوصفهم  
رجال العد أن يبدوا رأيهم في ( ميثاق الند ) فأمر أن يورع عليهم ، وأن يكون موضع  
نقاشهم قبل أن يكون درساً لهم ، حتى يحس النقاش في الميثاق بين التلاميذ على مستوى  
كل المراحل بدءاً من العلم للتراسي .

ورأى محافظ العاصمة ، أن من حق كل مواطن أن يناقش ميثاقه ، فأقيمت  
( الندوات ) في كل قطاع من قطاعات القاهرة ، وشارك المحافظ في النقاش ، وأصنى  
أساتذة الجامعات وأصحاب النظريات إلى آراء الباعة المتجولين أصحاب المشكلات ،  
وشهدت ( حرية الرأي ) أكبر مهرجان أقيمت أمة تحية لهذه الحرية وعمارة لها .

ونجح الحكم المحلي كله وفي مختلف المحافظات بنجاح القاهرة .

وأعرف شخصياً أن عبد الفتاح فزاد محافظ النيا - بحى - دعا كل قرية إلى ذلك النقاش فزف أهل القرى لأول مرة أن من حقهم أن يمارسوا هنا اللون من الحرية على مستوى البرلمان الذى كان مجرد ذكره أو مجرد اسمه بدلاً بالرهبة قلوبهم ويرسل الرضنة إلى أوصلهم .

أما الصحف والحلات فلم تفرغ من مناقشة الميثاق إلا من عهد قريب - بل ما يزال « الميثاق » يرلود الأتلام فيها بين الحين والحين .

أما الكتب التى صدرت فى هذه الفترة لتناقشه ، فىمكن أن تزور مكتبة كبيرة من مكتبات القاهرة حتى تدرك أن القادرين على التأليف نهصوا بمشولياتهم .. بل لعل آخر كتاب صدر من أسابيع واحضدت من عنوانه ( عملاق بنى مر ) أن واضعه - الزميل سايدان مظهر - قصد به إلى الحديث عن ( ناصر ) ، لعل هذا الكتاب كان يحسن أن يسمى ( ميثاق العملاق ) بعد أن استفد الكتاب كل طاقاته - وهى كبيرة ومقدورة - فى إبراز كل اتجاه فى هذا الميثاق ، بعد أن أحضت ريشته رسم العملاق .

أى جدوى بعد هذا كله فى أن يناقش ( الميثاق ) ؟

وكتابى - إلى جانب انددام الحدوى - لا يستهدفه - كما قلت - إلا من حيث كونه ( الحدث المتبر ) الذى اخترته لأشهر هذه إيمان « الرجل الذى تأمرت عليه » .

\*\*\*

وليس سوى نحلى من مناقشة « الميثاق » ، إمراسة من دائرة قلبى ، أو من دائرة تعبيرى ، بل إن أى كاتب يحاول حيناً أن يتجنب « الميثاق » إذا أراد أن يكتب عن معارك العرومة التى تحمى اليوم فوق المنطقة العربية ، أو عن أى عمل يقوم اليوم على أرض هذه الجمهورية التى يحكمها هنا « الميثاق » ، أو عن أى تصرف يهض به أى حاكم عربى تجاه أى اتجاه فى السياسة الدولية دون أن نحدد موقفنا منه على أضواء هذا « الميثاق » ..

\*\*\*

لقد أصبح هذا «الليتاق» بالنسبة لنا ، دستور للمساتير ..

وعلى كل النقاش الذى دار حوله ، ودار عليه ، ما أزال أعتقد أنه لم يناقش كما كان يجب أن يناقش ، بل أنا أذهب إلى أبعد من هذا الحد ، وأعتقد أن خير لنة ، تشرح الليتاق ، هو تطبيق الليتاق ، وأن خير شراح لليتاق ، هم الذين يصون الليتاق موضع التنفيذ ، ويومئها يكشف لنا الليتاق — بلمة لا تعرف للدلالة ولا النطق ، عن أسرارها وغوايها ، وعما يشهه كل سطر فيه ..

\*\*\*

وفى رأبى أن «الليتاق» مبرزة «ناصر» ، إن رخص لنا «المجار» فى استخدام هذه العبارة ، بنية طاهرة ، ومن غير أى تأويل خبيث ..

«ناصر» بَلَوْرٌ تاريخ أمته ، بكل أبعاده وبكل غائمه وبكل تحاربه ، و تَلَوْرٌ حاضر أمته بكل انتصاراته وبكل نكساته وبكل معاركه ، وبلور مستقبل أمته ، بكل آماله التى لا تنف عند حد .. والذى يرجو أن تتحول بين يديه فى الممد... بناء شاعفاً يقوم فوق أرضه فى عزته وشموخه ..

«ناصر» بلور تاريخ أمة ، فى أسماها و يومها و غدها ، وبلور شخصه ممها ، بكل قدراته وطاقاته وآلامه وآماله ، وبكل ثورته فيه وموهبه ، وبكل حكمة أوتبها ، وبكل معركة خاضها ، وبكل تجربة اجتارها ، وبكل مرارة لقبها ، وبكل تأسر يتوقه ، بلور هذا كله مزيجاً منه ومن أمته ومن هروبه ومن شرقية ومن إسلامه ومن إنسانيته ، فكان هذا «الليتاق» .

\*\*\*

وغير (مقبس) أئيس به هذا الليتاق ، هو ما كتبه عنه الكاتبون ، وما تحدث به المتحدثون .

وحصية الكتابة والحديث ، ثبت أن القلب سيظل مفتوحاً أمام المزيد من الكتابة وأمام المزيد من الحديث .

وأعتقد - وأرجو ألا أكون غافلاً - أن واضح (الليثاني) نفسه لم يدر بحلقة  
الكتبر مما دار عند الكتّابين والمحدثين - وهو يرضع الليثاني .

ويعرف كل من مارس الفن والأدب ، أن عباقرة الفكر في كل عصر ، أرسلوا  
أموارهم غير الحياة تنابجاً ، من غير أن ينظر لهم أن الشراخ والنقاد غير القرون التي تتوالى  
سيذهبون في استخراج ألوان من المركبات في أعماق التنابج ، مذاهب لم تجل محاسن  
العبرى الذي أُنشج .

ذو شأن الرسالة التي تنزل على العسكر إلهاماً من غير أن يرى الملام كل أبعادها .  
(ناصر) يحصل رسالة ، ما يزال يؤذيها ، وما يزال يقاتل في طريق أديانها ،  
وليس لديه الوقت للكافي لأن يدير رأسه إلى الخلف ليرى أى الحن اجتار ، وأى العقبات  
دلل ، وأى الجهد بذل ، وأى الآيات سهر ، وأى التجارب حصل ، ليس لديه الوقت  
لأنه لا يزال يفاوض المركبة ، ولا يزال يمشى بالراية إلى أهدانها .

وكل الذى حدث أن مراسل على الطريق طواها ، وبلغ حداً تحتم الوقوف عنده  
ليبدأ مرحلة جديدة ، فكان زماناً أن يكون للرحلة الجديدة والأحيرة دستور يحبسها ،  
ويهدئها ، ويهدوها ، ويحدد لها شبابها كما حاولت الشيوخة أن تعطل عليها ..



والذى حدث أنه قاد الطلائع الثائرة - باسم أمته - عشر سنين ..

وحان أن تتلقى أمته الأمانة وتمهض بالسب ، بعد أن جهد لها الطريق ، وحرر لها  
الأرض والقرى ، ومكن لها من أن تكشف نفسها ، فكان عليه أن يقدم لها حساباً عما  
حقته وحصله ووعاه ، وعن «رصيده» الشيق «فند» في «مصارف الأمل» جاء يردده  
إلى صاحبه ليقوم عليه ، ولتتولى القاعدة التسمية زمام القيادة بنفسها ، بكل طاقاتها  
للدخنة ، محمد أسمر طقت فيها وأكبر شيخ ، بكل الأفكار الحلاقة في القرية والمدينة  
ويكل السواعد المنشورة في كل شب وشاية ..

آن لقاعدة — فصل هنا القائد — أن تتقدم القيادة ولا تتخلف عنها لأن الطاقات الخلاقة في التسرب هي وحدها التي تستطيع أن تصنع التقدم و (البيان) يحمل لها تجارب أسسها ومسلوك يرميها ، وعليها هي أن تنسج إلى غددها ، والفجر أو شك على أن يرسل حيوطه فضية وضادة ، برغم كل ما يلوح في أفق المنطقة من عتامة عابرة ..

\* \* \*

الكل الآن يسلم ، أو يتأهب للسلم ، أو يفكر في أن يسلم .

إن (البيان) انتصح لهذا السلم ..

و (القائد) عندما أقام بصرصاً ، إننا قص شريطه ، وضغط زرّه ، وبدأت المجلة تدور ، والبال يتدفقون .

و «لويس عوض» يراه حلقة متكاملة ومن هذه الزاوية يناقشه ..

وعلاء الإسلام في «نور على نور» يرون فيه تحقيقاً لأواصر الإسلام ونواعيه .. ومن هذه الناحية يناقشونه ..

والدكتور عيسى من أساتذة كلية التجارة يرى فيه بناء اقتصادياً متكاملًا .. نعم منا .. وماشي شريتنا ، وولفتي طبيبتنا ..

وأحد جروش يرى فيه — وخلفته العسكرية تطارده — أنه يحدد للناس «خطوات السير» .

وكامل الشاوي ، يرى فيه مصدر وحيد ، يحصل بين يديه أنشودة تنفي ، وهرق يد السامى وإحسان ومخروط وبدوى وغراب قصة تروى ..

وعبد الرحمن الخجيسي ، يرى فيه السلام الذي يحميه ، غير مجلوب ، من أى مؤتمر في فيينا أو موسكو ، وغير مصنوع في أى بلد .

وعبد الرحمن الشرقاوي ، يشتد من أضواءه ، مسرحية تمثل ..



وسهل عاشور .. « ينحت » منه « الليتانية » التي لا تقهر .

وسعد وهبه .. يرى فيه بناء درامياً يحكى الواقع .. ويمر بيد الموهل على تاريخ  
الزحوم ارسطو .

والنشائبي ، يرى فيه صورة المائدين إلى الوطن الحبيب .

وبنت الشاطي، ترى أنه رد الكرامة إلى الأرض العلية التي ألهمت إيزيس  
وتوَّجت حثسوت وكتوبهاته وشجرة الحد قبل أن نسع الدنيا بمحقوق النساء .

والفلاح يرى فيه أنه إنما وضع ليرد إليه أرضه .

والنامل يرى فيه أنه إنما قام ليحسك للمصع .

وناديه الحكيم .. رئيسة قسم التسجيل بحلات هر افندي وهضو للزئمر ، ترى  
فيه أنه إنما جاء لينفض عن المرأة أكمانها ، وينطلق بها إلى بحلات هر افندي أيضاً .

والشوب العربية ترى فيه أنه إنما فصل على قدّها ، ثوباً لوحدتها .

واليهود قد يرون في أبوابه العشرة ، خلافاً لما جاء في أرواح موسى التي حطموها ،  
إلى العروبة المساعدة ، التي تحترم « الحواسيا الشر » وتحقر الطلود المدواني الرائف .

أما الزئمر الوطني للقوى الشعبية فله رأى شامل في الليتاق ، سد أن مارس أعضائه  
حرية النقاش على أوسع نطاق .. وشاضوا النهار أحراراً ، بكل سفاجة الربني منهم ،  
وبكل أمية الأمل فيهم ، وبكل علم العالم وفق الناس ، ورأى الباحث ، وانتهوا أخيراً  
إلى ملاحظات لهم ، ثم لم يجدوا بينها وبين الليتاق تناقضاً ، فسعلوها على هامشه وتمرَّجوا  
من أن يمسا نصوصه وكان هذا هو رأيهم .. على الرغم من أن واضعه إنما طرحه عليهم  
ليدخلوا ما شاموا من التعديلات عليه ، وأكّد لهم أن زمناً سيجيء . يتنو هذا « الليتاق »  
فيه ثوباً ضيقاً ، أو بالياً — ويومها لا بد لهم من أن يصنعوا بأنفسهم ميثاقاً غيره .

بقى بين هذا الزحام رأيي للتراضع في الليثاق — كواملن تأمر على واضع الليثاق .  
وقد خزمت أمرى كأطمت .. ورأيت ..  
رأيت تحية 4 .. أن أفض عنهده و« أن أشهر إيماني بواضه » وهذا هو « كل رأي » ..

\*\*\*

وحق لا يبقى بين جنبي سر لم أفضه أو لم أفضه عنى ، أصارحك القول ، أن هذا  
الكتاب لم يكن في ذهنى يوم قررت إشهار إيماني .  
وكان أول ما خطر لي — وللمرة دائماً تدركنى — أن أصدر جريدة ، أنخذ من  
أول أعدادها ، « سبياً » أشهر من فوقه إيماني ، ولكن اللجنة التحضيرية سددت إلى هذه  
النية أولى ضرباتها فقررت عزل كل من حكم عليه في التصالح السياسي .  
وقابلت الضربة بإبتسامة راضية ...

ولم أشأ أن التمس « إطلائى » من هذه « القوبة » كما صل « غيرى » ، بل لم أشأ أن  
ألتهم ، حتى إلى حدنى ، « استصدرت من » الاتحاد القوي « ترخيماً بجلة أسبوعية  
تتألف<sup>(١)</sup> باسم حرى ... وهى شاعرة ناصرية على مستوى العقيدة ... واستجبت كل  
قوى لفتاجاة القراء بالمدد الأول منها ... وإيماني مشهراً على صفحاتها الأولى ...

ولكى عدت فدكرت أن إشهار الإيمان في مقال لا يمكنى ، وأن التنازى  
في حاجة لأن يسألنى : « لماذا كفتت بالرجل ، ولججت في الكفر حتى تأمرت عليه »  
ثم « لماذا نهيى الآن لثمن إيمانك به ... وكيف تصدق أنك صادق في هذا  
الإيمان ؟ » ...

ونحيت « المجلة » — أو على التحديد أصدرت هذا منها احتمالاً بالترخيص  
أو استراماً للقانون — وبرزت فكرة هذا الكتاب .

\*\*\*

(١) اسم المجلة « رسالة الفكر » لصاحبة إيتازها البيت جلدك وما .

وصى أن أكون بهذا القفل المتصم ، قد استطعت أن أشهد إيماناً في وضع  
للليثاق لحناً نابهاً من صميم الروح والوجدان ، ومن أعمق الضمير والإدراك ، أوقمه  
بكل أصابع القلم .. على أوتار هذا « الحداث للثير » .

• • •

ومن غير أن أعرض بأي ضلش للليثاق ، أرجو أن أكون قد رحمت بأمانة  
هذه المرحلة الساسة والعشرين في موقفي من « الرجل الذي تأمرت عليه » وأستغفر  
الحق مرة أخرى وأقول : « من الرجل الذي آمنت به » .



## كلمة ختمية

حديث ... في الرسالة والرسول

أراني في «خاتمة كتابي» .. مشدود الريشة وللشاعر إلى ضئ الحديث المشهور الذي شدتني إليه بداية الكتاب .. وفي أول فصل من فصوله .. بل في كلمة «الإهداء» أيضاً .. حديث الرسالة والرسول .. حديث الذين ضلوا طريقهم إلى «النصرية» كرسالة .. وكانوا صادقين في الصلة .

بل أكاد أقر أن مشدود إلى الحديث عن «الرسالة والرسول» .. أي رسالة وأبي رسول ..

\*\*\*

يا أسي العربي الصادق

لا تصدق شيطانك إذا هو وسوس في صدرك بأن حديثي عن كفرة وإيماني بالنصرية أو بناصر ، وغير كتاب كبير ومثير ، تطاول إلى أربعمائة من الصفحات ، إنما ينشئ في ميزاني ، أن «كفرة» - كواطن من المواطنين - تنقل في الميزان السياسي ، أو أن «إيماني» - ككتاب من الكتاب - أمر بشغل ناصر ، وأنت تعرف مكانه اليوم بين الأطلال ..

ولو أن الأمر كان أمر نفع شخصي ، لما بددت عشر سنوات من عمري ، هي بين المشتات أعلاها وأسفلها كما قلت قبلاً ، ولأشهرت إيماني من البداية ، ولشيت في الصف رافع الرأس ، ورائع الراية ، وما كان أشد حانية للهوة يومها إلى الهمة ..

\*\*\*

وأنا إذن ، حين أتحدث عن شخصي ، إنما أمثل فريقاً من الشعب - كثره كان

أوقفه ، ضل الطريق إلى الأهداف ، صادق الصقة ، ولم يجد من بين الأعلام التي  
انصرفت إلى مناصرة الثوار ، من رفع لواءه عن هذا الطريق ..

\*\*\*

وفي البلد غير هذا الفريق فريقان آخران « مسافران » أو في التليل « مفهومان »  
— ولا يتطلبان مني أفلاماً أو أوراها ، وأضى بهما فريق « الأنصار » وفريق « المحصوم » .

أما فريق الأنصار ، فهم الذين أيدوا الثورة من أول يوم لها ، وعرف عنهم عبر  
الستين العشر أنهم من خلف أوصارها ، ومن بينهم فعلا محصون لا ترقى الشكوك  
إليهم ولا تلقى الشبهة عليهم ، ومن بينهم آخرون مردوا على النفاق ، وارتدوا أزهم  
أنواب الزلا . فلا نستطيع الكشف عن نوابهم ، إلا إذا كشفت الأحداث عنهم ،  
لأننا كما قال بحق كمال الدين حسين : « لا تحك ترمومتراً فليس به صدق النوايا أو حرارة  
القلوب » وحسبك ذلك الضابط الشاب الذي أغرته الرجبة السورية بالانضمام إليها ، وعبر  
الحدود بين لبنان وسوريا خفية ، وأغلقت سوريا الحدود بينها وبين لبنان ليلتها لتعطل  
رحلته ، أو لأعراض أخرى ليس من مهمة الكتب أن تمرض لها ، حسبك ذلك  
الضابط الشاب الذي عاش السر ناصرياً على مستوى العقيدة أو هكذا قال كل عارفيه ،  
واحترت « القيم » أخيراً بين يديه — ولا أدري كيف تهتز القيم !! — فنضل عن واجبه  
ومن شرفه العسكري ، وخان بلاده ، ورجيمه ، وعقيدته ، وماضيهِ ، وأفكارهِ ،  
وكفاحهِ ، ومضى بليل — مع اللغزائش — عبر الحدود ، ليقف في مؤتمر صحنى في دمشق  
وليهاجم نظام الحكم في القاهرة ، وكان كلما سئل سؤالاً سرماً عن شخص « ناصر »  
أنضى حياءً وأقلت من الإجابة .

أى ( ترمومتر ) كان من الممكن أن فحس به نية هذا الشاب ، أو حرارة إيمانه ،  
أو مستوى ( القيمة ) في ( تمكيره ) ، أو معنى ( العقيدة ) في ( ضميره ) ؟

\*\*\*

وه « الأنصار » — إذن — أنصار .. والحديث عن نوابهم ، لا طائل تحه ..

\*\*\*

و (المعصوم) — إذن — خصوم ، ووصفهم واضح ، ووضعهم مفهوم ، جردتهم -  
 (الثورة) من أسلحتهم ، وزعت عنهم كل مافي حوزتهم ، من أدوات الثورة والسلطان ،  
 ومن قوة العقار والمال ، ونزلت بهم من (سماهم) إلى (أرضنا) ، فن حقمهم ككشر ،  
 أن يحاسموا الثورة ، وأن يأتمروا بها إذا استطاعوا ، وما دعا قد جردناهم من كل وسائل  
 الاستطاعة ، فلا أقل من أن ينفذوا خوة سوء يجهرون بها ، أو بنية سوء يضررونها ،  
 أو مقصومة خرساء يطرون عليها الصدور ..

\*\*\*

وإلى الحريمى حل ضفة القلم وأنا أذكركم ، وحريمى حل محذب المعصوم كلما  
 ذكرت الأحزاب ، أو ذكر الإصطاع ، أو ذكر رأس المال ، أو ذكر الثورة والسلطان ،  
 لأن التهجيم على أباء هذه الجهات لا يتصل أصلا بأهداف ذلك الكتاب ، ولأنه  
 أؤمن — وهذا هو الأهم — بأن الأمر بالنسبة إليهم قد انتهى أو كاد ، وشب (جيل  
 حديد) ندر أن يبرؤ شيئا منهم : « تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ، ولهم  
 ما كسبت ، ولا تسألون عما كانوا يعملون » .

### الفرق الضال

أما الفرق الذى أمته — وهو الذى ضل طريقه وكان يبنى أن يكون (مهديا)  
 لو أن (الهداية) فرعا من فروع (حسام) — فذلك هو الفرق الذى يستأهل شيئا  
 من (التقدير) ولعل من بينهم كثيرين لم أتخلم فى الموازين .. وأخى بهم أولئك  
 الذين ضلوا صادقين .. ضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون بهذه الضلة إلى الحق أو لله  
 الخير أو إلى الخلق .

\*\*\*

بل لعل من بينهم من طوردت فيهم « أفكار لهاقيبتها » أو « أفراد لم دوزم » ..  
ولعل من بينهم من عنام « محرر الأهرام » في فصل له مجمع .. وهو يطالب بإنعاده التفكير  
« في أحكام كثيرة أصدرناها قبل مرحلة الوضوح التكري التي يلودها الليناق ،  
كان يننا من يسى أى داعية إلى تنوير الأوضاع شيوخياً .. وكان يننا من يسى أى  
مالك لقطعة أرض أو مصنع أو لمتلر .. إقطاعياً » ثم قال - وقال بجمرة وقال بحق -  
إن هذه الأحكام للطفلة « مسافة يحتاج إلى مراجعة » .

وق وهج هذه الدعوة أعلن أن الذين أمثلهم - ولا أرف بالطلع أحداً منهم -  
وإما أرف أن لم وجوداً هنا .. ووجوداً في كل بلد عربى .. يحتاج كل أمرم إلى  
« مراجعة » و « مراجعة تامة وعادة وسريمة » .

وبكل ما يحمله « قلبى » من « صدق » .. وبكل ما يحمله « قلبى » من  
« حرارة الرغبة في التغيير عن هذا الصدق » أتول مع الكاتب « بمن في حاجة إلى  
أفكار كثيرة .. وإلى ناس بنير عدد » .

\*\*\*

وقد لا تكون المسافة بعيدة بين الدين أعينهم .. وبين الذين عنام « الليناق »  
وهو يتحدث عن « النقد البناء » .. ويدعو إلى ممارسة الحرية .. ويرى فيها « الطريق  
الفضال لتجديد عناصر كثيرة قد تردد قبل للشاركة في العمل الرطوى ، والحرية هي الوسيلة  
الرحيدة لفضاء على سويتها وتحتديها اختيارياً لأهداف التفضال » .

\*\*\*

وقد لا تكون المسافة بعيدة بين الدين أعينهم « على مستوى الثورة » .. وبين  
الذين عنام كمال الدين حسين « على مستوى الضف » .. وهو يقدم لـ « فلسفة الثورة »  
ويحدث عن بعض « الصلاف » الذين يحسون بالقلق حين يرون اختلاف القيم وتغير  
للوازين في الحياة الملمة التي يميونها ويشعرون في حيرة من أنفسهم ويرى أن « من حتمهم  
أن نفس لم العنر وأن تصقح عن بعض ما يشعرون فيه من زلات بنير قصد » :

ثم يقول : « وقد يكون من واجبنا ... أن نحاول توجيه هؤلاء الملازمين القلتين  
وشرهم بملف إلى حيث يستطيعون أن يروا بوضوح وأن يحكموا بدقة وأن يوازنوا  
بأمانة وتجرد » .

أقول قد لا تكون المسألة بسيطة أيضاً بين الذين أعينهم والذين عناهم ... وإن  
كان الخلاف يظهر في (الصف) لأن إيماناً صحت رجلاً أشداء لا ضلعاً ...  
وأفكاراً لما غيبتها ... وأمرناً لم دورم ... ضلوا صلتين في الصلة ... وهرغوا وجه  
المن ضلاً ... ويودون لو أنهم ... ولكنهم يترددون .

• • •

وعند هذا الوصف ... ينتهي حديثي إلى مكانه من موضوع « الرسالة والرسول »  
ليبدأ هذا الحديث عن « الرسالة » وعن « الرسول » .

وأيما كانت (الرسالة) مازة من السماء أو نابعة من الأرض ... وأيما كانت  
(الرسول) موحى إليه من الله ... أو مسوقاً إلى الظهور بالإلهام ... لا بد أن يوجد خلق  
كثيرون يخالفون عن (أهداف الرسالة) ... ويخالفون عن (أساليب الرسول) .

وإذا كنا نعلم عن هذا الحديث موضوع (الإيمان بالله) بعد أن ثبت من  
كتاب الله أن (أكثر الناس) م الذين لا يؤمنون - لأن (الإيمان بالله) يتطلب  
(الإيمان بالرسول) - فما الذي نقوله في سيد الخلق ورسول الله - محمد بن عبد الله -  
ولم يكن الأمر منه يتطلب (إيماناً غيبياً) - كما يقولون - أو (إيماناً غيبياً) - كما  
قول ... لأن محمداً - صلوات الله عليه - كان سيداً وابن سيد ... ومن ذؤابة  
قريش ... وعرهه ممتازاً من خلقه بالصدق والأمانة ... فأجسوا على أنه (الصادق  
الأمين) ... في كل أطواره - من العقوبة إلى الرجوة - وسكوه في أسطر أمورم  
وكان يومها شاباً ... وتزوج من (سخرجة) قبل (الرسالة) فأصبح من ذوى اليسار  
فيهم ... وعلى مستوهم ... ما بال هذا الإنسان السوي ... ما بال هذا الرجل النموذجي ..  
ما يكاد يطلق (الرسالة) ويشعر إليها .. حتى يكذب به فيها من كانوا يدعونه (الصادق  
الأمين) قبلها ؟ ثم ما بالهم وقد عرفوه (حقاً) و (أميناً) و (رضياً) (زهداً) ... ما بالهم



يظنون به الظنون ... ويمحبون أنه من طلاب الأجداد والملوك والرجال ... وينهون إليه ليعرضوا عليه ما يشاء منها... على أن يدع «قصة الرسالة» ويضع «موضوع الرسول»؟  
أوما يدل هذا على أن البشر مفلطرون على حب التفتك ... وعلى الاستسك  
بكل ما ورثوه من حال وحقيقة وتقاليد ... وعلى أن أى رسالة جديدة لا بد أن تهاد  
بها الظنون؟

\*\*\*

أىكون كثيراً -- إذن -- لو نحننا (الدين) للزيد بالقوة الخفية جاساً ...  
وسلطنا التنقل على (الدينا) التي تشعب فيها مذاهب التكبير... أن تقول إن التصوم  
للتوراة كانت (أمراً بديهيًا) من فريق (الخصوم) الذين أضرت بهم مبادئها ...  
وكانت (أمراً منطقيًا) من فريق الشرطاء الذين أسلمهم الخصوم فساء عنهم بالتوراة  
ولم يحدوا من التوراة من يديهم!

\*\*\*

وإذا عدنا إلى (الدين) ... لنستبين من أحكام الشريعة السمحاء بما صممه  
(القياس) ... أفلم يكن عز بن الخطاب ... يتبعترق شباب مكة... شاهراً سيفه يهدد  
به محمداً ... وكل من يؤمن بمحمد ... ولم يكن عمر يصدر فيما يفعل إلا عن (إيمان)  
بأن محمداً إنما يريد بأهل القرى والأشراف وباللوات والعري ... وبقية الألفة ... شراً  
وشراً أكيداً؟

وحين انتهى إليه أن أخته هي الأخرى قد (صلت ١١٢) و (أسلفت ١١٢) هي  
وزوجها ، وسل عمر سيفه ومضى إليها في دارها لينزل تأديبه بها ، وكانت ساعة الهدى  
قد حانت ، وأصغى إلى شيء من كتاب الله بتلى ، ألم يندفع بكل طغائه ليلن أن لا إله  
إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، والرسول يكبر ، ترحيباً بابن الخطاب سيقاً من  
سيف الله؟

عمر ، الذي ولع في الصلاة سنين ، إلى أين انتهى مكابته بعد أن آمن؟

انتهى مكانه - بعد الرسول والرسالة - إلى مقام الخلافة ، إلى (سورمان) من (صنع الله) لا من صنع (نيتشه) ، (سورمان) لا تعرف البشرية له نداء ، عبر عمرها الطويل و بإجماع العالمين في كل علم ودين ... ولم يؤخذ على (عمر) أنه كان يتحاشى عمداً ويهاجم أصحاب عمداً ... بل اتسوا له عمداً .. فقد كان يبش بين خصوم الرسول من أنقلب قريش وميوتها ، ومن شلب قريش وشيوخها ، وكان يعنى إليهم وهم ينشرون الأكاذيب عن الرسول فصدقهم ، وشام الرسول صادق المحسومة ، حتى واجه للمق يوماً وآمن .

ولم يقل أحد أن (عمر) كان أقل شأناً من (علي) بحجة أن (علياً) كان أول من أسلم من الغنميان ، وأن عمر ظل وقتاً غير قصير يحارب الرسالة ويحاشى الرسول ، وإنما قيل أن عمر كان يبش في مسكرات المحسوم فهو محذور ، وأما (علي) فابن عم رسول الله وصفه وحبيه وأعرف الناس به فلا يجب أن يكون أول من يؤمن برسالة .



بل إلى (عمر بن العاص) و(علاء بن الوليد) وسكانهما في الإسلام هو مكانهما .. لم يسلم إلا بعد المحرقة بتأني ستين .



هذا الطريق الصالح ، والذي أسببه (صادق الصلة) ، هو الذي فكر مثل تشكيري ، فصل كما ضلت ، عن زمان منه بأنه على الجادة ، والفارق بيني وبينهم أي ظهرت على (الفاشة) لأى (تأخرت) ، ولم يظهروا لأنهم (لم يتأخروا) ، والفارق أيضاً أن الدراسة أتاحت لي ، وقد لا تكون متاحة لكل فرد منهم ، ومن واجبي إذن أن أقام فرماً فرماً ، وأن أضح أمسهم الطريق إلى الرؤية الواضحة .

ولكن أين م ، وما هي أسلؤم ، وكيف السبيل إلى قناتهم ؟  
لا سبيل غير « الجريدة » أو « الكتاب » ، وصح عرضي على « الكتاب » ..

وبقى فكرة تخالفي ، وتحواري ، حتى أعلن « الميتقي » .

وتتبر للوقوف كله .

لم يبد الأمر إذن أمر ذلك الفريق ، أبصره بالطريق ، وإنما أمسى الأمر ، أمر موثقي كله إزاء العرب والعروبة ، وإزاء للترددين في كل بلد عربي ، وإزاء (التأمرين) الذين يبدون في بعض (الترددين) صيداً غير متصور .

ومرة أخرى صبح عزي ، على التصجيل بوضع الكتاب .

وبدا القلم يجرى على الورق ، وسالم الزينة احتضالا باليد الماشر تعلم .

وها هو ذا كتابي .

\*\*\*

يا أخى العربي الصاعد .

يا مشهود العاطفة والمناظر إلى حلك الكبير الذي تحول في حزة وشموخ إلى حقائق تدبر الرموس .

أتراني - بكل ما قصصته عليك من الأحداث والوقائع ، وبكل ما قلته إليك من وساوس ، وهواجس ، ونهضات وضربات ، وأوهام وتخاوف ، عن النفس والضمير وعن العقل والقلب والوجدان ، أتراني بعد هذا كله قد بلغت التناية عندك أو غدت مفهوماً منك ؟ أم ترائى اعتديت إلى نفسي وضللت الطريق إليك ؟

\*\*\*

وإن أنت كنت من (القلة) ، إن كنت قد صلت الطريق صادق الصلة .. أتراني قد اصطفت أن أحج الطريق أمامك ، وأن أفسح لك في « المكان الشاغر » للشوق إليك ، وأن ألقى النور على الطريق سلفاً يمشى بين يديك ؟ وضناً أراك على الطريق

رافع الرأس موصول الضمير بالبناء الكبير الذي تراه اليوم رأى العين وهو يتنوم ؟  
أم ترى قد خرجت من « الضقة » وحدي ، كاسف الجبال أسفاً ؟

\*\*\*

وأنت يا أنسى جمال .. يا ابن شمس المريق .

أنا لا أرفع كتابي إلى « مقام السيد الرئيس .. صاحب القضاة .. جمال عبد الناصر  
رئيس الجمهورية العربية المتحدة » لأتلقى من السيد « رئيس ديوانك » أو السيد « كبير  
التشريعات في مكتبك » خطاباً يرف إلى فيه أن الكتاب عرض على « اللسام  
الكرمي » و « نال حسن القبول » !!

أبدأ .. يا أنسى في الكفاح وإن كنت رائداً .

وأبدأ .. يا أنسى في السلاح وإن كنت قائداً .

وأبدأ .. يا أنسى في العروة وإن كنت زهماً .

أبدأ .. لم يحدث أن وزنك بميزان الرياسة .. والهدايا مليئة بالرياسات وما أهونها  
على الحقائق وما أخفها في الموازين .

ولم يحدث أبداً .. أن نظرنا إليك .. نظرة الشعوب إلى أجرة الملوك .. أو نخلة  
الحاكين .. وأنت أعرف الناس بالمالقة والأقزام من اللوك والملكام .. وبالرموس  
التي تحمل الشبجان وتزدان بالذهب والبلس .. وبين أيديهم تمتل الخلائق .. بشمهم  
يمزرون سجداً .. ويزحفون ركعاً .. ويلبسون أطراف الثوب وأنامل اليد .. وفي قلوبهم  
ما فيها .. من النار التي تتأجج .. ومن الحقد الذي لا يهدأ .

\*\*\*

لم يحدث أبداً أن وزنك بمثل هذه الموازين ..

ولم يحدث أن تحدث عنك مواطن ، ولم يقل : (جمال) ولا أكتبه ، كما كانوا

يقولون في صدر الإسلام (حمر) هل جلاله الذي لا يظاول .

ولو أني أردت أن أضع (كتاباً) أترضى به (رئيس دولة) - ولأقول :  
(أناثق) - لو فرغت على نفسي الضنى والأسى والناهب ، وكلمت إليك من البداية  
ومن (الباب السلطاني) الذي دخل منه أغلى كتبون ، عبر عشر سنين .

\*\*\*

وأخي .. وأبن شعبي

أنا لم أضع هذا الكتاب لأستفرك وأتوب إليك - فأنت لست ريباً وأنا  
لست جهلاً .

وإنما أنت شاب من (بنى مر) ، حملت (رسالة) تطهير وتحرير ، وحملت رسالة  
عروبة ووحدة ، وحملت رسالة النور لقارة مظلمة ، وحملت رسالة (القدوة) لكل أمة  
مكافحة ، وحملت رسالة المساواة والإنهاء ، وحملت رسالة الدم والبناء ، وحملت أخيراً  
رسالة السلام والحب ، لكل فقير ومظلوم ، ومتعب ..

وإنما أنا كاتب من الكتاب ، أضلوني على علم ، وكان ينبغي أن أعلم ، تفصيحك  
ينير حتى وما كان ينبغي لي أن أخاسم ، وهالني أن أراك تمشي إلى أهداف العروبة  
مرفوع الرأس ثابت الخطى ، وأن يضموا أمامي امرأة أراك فيها تمشي على يديك مقلوب  
الوضع ، وعلى صورة لا تكاد تصدق ..

ودرستك ، وعرضك ، وأحبيتك ، وآمنت بك ، وانتظرتك ..

انتظرتك على الطريق طويلاً .. حتى تجيء ..

وقد جئت ..

بجنتي وجنت مواطنيك ، وجنت العروبة كلها ، بالإطار كاملاً ، والبناء  
مكتملاً ، والخطوط واضحة ، والتصاميم مرسومة ، واللحاح مستكلمة ، و (اليثيق

في يدك) والأمانة تردّها إلى شمالك ... يومها لم يكن مقر من إعلان (إيمانى) ...  
ولكن كان يوزنى أنا الآخر أن أحرم ...

وجنت ، جنتك ولا أمك غير قلبى ، وقلوبى ..

قلوبى المقم إيماناً بك ، ورسالتك ، ويريد أن يشهر هذا الإيمان على رموس الملائكة .

و (قلوبى) الذى تخيلته قادراً على التقاط صورة لهذا القلب بكل ما فيه ، فهدت  
إليه بالأمانة ..

وقد أداها ، والتضلعها ، وحل ورقى ، وكأ تلفظ الصور .

وقد لا تكون الصورة جملة .. لتضم في فن المصور .

ولكن المهم فيها .. أنها أمانة .. لا تكذب .

هذه الصورة ، هى هذا الكتاب يا أبنى ..

هذه الصورة هدية منى إليك ، فقبلها يا أبا كل عربى ..

وعليها بخطى وتوقيع كلمة الإهداء المتواضع : « آمنت بك » .

محمد السراوى





١٦ و ١٧ شارع صريح مدينة القاهرة  
تليفون ٤٩٣١٧

Universities Alexandria



0685341